# أجود البيان

## في تفسير القرآن

الجزء الرابع

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

## تقريظ فضيلة العلّامة المحقّق الحجة
## السيّد عبدالستار الحسني البغدادي دام ظله

الحَمْدُ لله بِما حَمِدَ بِهِ تَعالىٰ جَدُّهُ نَفْسَه[1]، وَشَرَحَ صُدورَ العارِفِيْنَ لَهُ وَجَلّى في قُلُوْبِهِم عَظَمَتَهُ وَقُدْسَه، وَأَلْزَمَ بِالْمُداوَمَةِ عَلىٰ مُلازَمَةِ ذِكْرِهِ جِنَّهُ وإِنْسَهُ، ثُمَّ أَزكىٰ صلواتِه وَأَسْنىٰ تحيّاتِهِ وَأَنْمىٰ بَرَكاتِهِ علىٰ خَيْرِ مَنِ ٱنْفَلَقَتْ عَنْهُ بَيْضَةُ ٱلْوُجُوْدِ وَأَطابَ اللهُ تعالىٰ مِنْ لَدُنْ تَقَلَّبِهِ في ٱلسّاجِدِيْنَ مَحْتِدَهُ وَغَرْسَه، سَيّدِنا وَنبيّنا أَبي ٱلْقاسِمِ مُحَمَّدٍ ٱلْمُصْطَفىٰ ٱلَّذي أقامَ بِهِ منَ ٱلدِّيْنِ الحَنيفِ صَرْحَهُ وَوَطَّدَ أُسّه، وعلىٰ آلِهِ ٱلطّاهِرِيْنَ لاسيّما أَصْحابِ ٱلكِساء ٱلخَمْسَة، الّذين طَهَّرَهُمْ تَبارَكَ وَتَعالىٰ وَزَكّاهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُم دَنَسَ ٱلشَّيْطانِ ٱلرَّجيمِ وَرِجْسَه، وَرَضِيَ وَهُوَ الكريمُ ٱلْوَهّابُ عَن كُلِّ مَنْ قَفا أَثَرَهُمْ وَٱهْتدىٰ بِصُوىٰ نَهْجِهِمِ ٱللّاحِبِ وَطَيَّبَ رَمْسَه.

---

١. ذَكَرَ بَعْضُ أَعلام الْعارفينِ مِنْ وُجُوْهِ مَجيءِ (الأَلِف واللّام) في قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَنَّهُ ﷻ حَمِدَ نَفْسَهُ في عالَمِ أَزَلِهِ حَمْداً يَلِيْقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلالَتِهِ جلّ جَلالُهُ وَعَمَّ نَوالُهُ، وَلَـمّا خَلَقَ ٱلْخَلْقَ وَعَلِمَ عَجْزَهُمْ (وَهُوَ العَلّام الْمُطْلَقُ) عَنْ تَوْفِيْةِ حَمْدِهِ بِما يليقُ بِهِ أَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمَدُوْهُ بِذٰلِكَ الحَمْدِ الذي حَمِدَ بِهِ نَفسهُ، فَعلىٰ هذا ٱلْوَجْهِ تكون (اللّام) في (الحمد) لِلعَهْد، فَلْيُضَفْ هذا ٱلْوَجْهُ إلى سائِرِ الوجوهِ المذكورة في بيان نسبة (اللّام) في الجُملة المذكورة. وهذا ٱلْوَجْهُ مَرَّ عَلَيَّ في أوائِل الطَلَب ولا أَذْكُرُ الآنَ مَظِنَّتَه.

وَبَعْدُ: فَقَدْ وَفَّقَنِي اللهُ تَبارَكَتْ أَسْماؤُهُ وَجَلَّتْ آلاؤُه لِلاِطِّلاعِ عَلىٰ ٱلْجُزْءِ ٱلرّابع مِنَ ٱلتَّفْسِيْرِ ٱلْجَلِيل، ٱلْمُتَّشِحِ مِنْ حُلَلِ ٱلْبَيانِ وَٱلْكَشْفِ عَنْ مُحَبَّئاتِ (أسرار البلاغة) وَ(دَلائِل الإِعْجاز) مَعَ إصابَةِ ٱلْحُجَّة وَٱسْتِكْناهِ ٱلدَّليل، ما هُوَ علىٰ هام المفاخِر أبهىٰ إِكْليل، المُحَبّرِ بِالْأَوْضاحِ وَٱلْغُرَرِ مِنْ (بَدائعِ ٱلْفَوائِدِ) ٱلّتي هِيَ مِنْ شرائِطِ ٱلْفَوْزِ بالمَرامِ لِمَنْ يَمَّمَ مَحافِلَ ٱلْعِلْمِ بِقَصْدِ إنارَتِها بالمُحاضَرَةِ وَٱلتَّمثِيل، ٱلْمَوْسُوْم بـ **أَجْوَدِ ٱلْبَيان في تَفْسُير ٱلْقُرآن** ٱلَّذِي هُوَ مِمَّا ٱصْطَلَعَ وَتَشَرَّفَ بِنَشْرِ دُرَرِهِ ٱلْغالِيَة، ونَثْرِ غُرَرِهِ ٱلْعالِية شَيْخُنا ٱلْمُعَظَّمُ وَصَدِيْقُنا ٱلْمُكَرَّم، صاحِبُ ٱلسَّماحَةِ أَبُوْ ٱلمَواهِبِ، واسِطَةُ عِقْدِ آلِ أبيٱلمَجْدِ في هذا العَصْرِ وَعُصارَةُ ٱلْفَضْلِ ٱلّذي أَضْحىٰ سائِرُ فُضَلاءِ رَهْطِهِ ٱلْأَدْنَيْنَ لِـ(مَعالِهِ) كَـ(ٱلْحاشية) الفَقيهُ ٱلْمُحقِّقُ ٱلْمِسْبار، الغائِصُ علىٰ أَبْكارِ ٱلمَعاني ٱلْمُرْبِيَةِ علىٰ سَبائِكِ ٱلنُّضار، آيَةُ الله ٱلمَوْصُوْفُ مِنْ قِبَلِ كِبارِ ٱلْمَراجِعِ[1] بِـ **صفوة المجتهدين وحامل راية الفقهاء ٱلْمُصْطَفَين** الأُسْتاذُ الجِهْبِذُ ٱلنِحرير الشَّيْخُ هادِي ٱلنَّجَفيّ دامَ ظِلُّهُ وَعَمَّ فَضْلُه.

فَأَلْفَيْتُهُ مِنْ أَجْوَدِ ما كُتِبَ في بابه وَأَخَذَ مِنَ ٱلمَعْنىٰ ٱلْمَقْصُوْدِ بلُبابِهِ، وَحَسْبُ سَماحَةِ الشَّيخِ أَبي عَلِيٍّ دامَتْ إِفاضاتُ يَراعَتِهِ، وَدَرَّتْ أَخْلافُ ضُرُوْعِ بَراعَتِهِ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ مِنَ ٱلشَّواهِدِ ٱلْفارِعَةِ ٱلْفائِقَةِ، والدَّلائِلِ ٱلسّاطِعَةِ ٱلْباسِقَة، ما يَنْظِمُهُ في سِلْكِ (ٱلْمَوْسُوْعِيّين) ـ عَلىٰ لُغَةِ ٱلْعَصْرِيّيْن ـ . فَقَدْ كَتَبَ ـ وَيا أَرْوَعَ ما كَتَبَ ـ مُسْتَقْصِياً مُسْتَفْصِياً في ضُرُوْبِ ٱلْعُلُوْمِ وَٱلْمَعارِفِ ٱلإسلامِيَّةِ وَما يَتَّصِلُ بِالتُّراثِ ٱلإسلامِيِّ ٱلْأَصل ٱلثَّرِّ ٱلْمِعطاء، وَهُوَ دام ظله في كُلّ ما خَطَّتْ يَراعَتُه ـ المَثَلُ ٱلْأَمْثَلُ لِلْباحِثِ

---

١. هو المرجع الديني الكبير آية الله العظمىٰ الشيخ بشير النجفيّ دام ظلّه الوارف في تقريظه على المجلّد الخامس من كتاب **الآراء الفقهية**، ص٣، للمؤلّف.

ٱلْمُتَمَكِّن، وَٱلْمُنَقِّبِ ٱلْمُنَقِّر، وَٱلْخِرِّيْتِ (ٱلْهادِي) إلىٰ أَسْرارِ ما أُفْعِمَتْ بِهِ مَناجِمُ الفِكْرِ وَعَزّ مِن (رِكازِ) مُدَّخَراتِ آثار ٱلسَّلَفِ ٱلْصّالح بِها أجالَ فِيْهِ مِرْقَمَهُ ٱلسّيّالَ لإدْراك (ٱلْغاياتِ) ٱلْمُنِيْفة بِتَمْهِيْدِ ما ٱسْتَوْسَقَ مِنْ مُحْكَماتِ (ٱلَمبادي). وَبِإيْجازٍ شَدِيْدٍ أَقُوْلُ:

إنَّ آيَةَالله الشَّيْخَ هادِياً ٱلنَّجَفيَّ دام ظله هُوَ مِنْ أَفْرادِ الدَّهْرَ وَحَسَناتِ ٱلْعَصْرِ ٱلَّذِيْنَ قَلَّما ٱكْتَحَلَتْ بأَشْباهِهِمْ وَنُظَرائِهِمْ مُقْلَتُّهُ، وَعَزَّما تَأَلَّقَتْ بِأَقْباسِ شَرْواهُمْ مُدَّتُهُ. وَقَدْ شَرَّفَني سَماحَتُهُ وَطَوَّقَ جِيْدِي بِحُسْنِ ظَنّهِ وَٱسْتَسْمَنَ فِيَّ ذا وَرَمٍ بِما دَأْبَ عليه مِنْ عَرْضِ جُمْلَةٍ مِمّا نَفثَ بِهِ قَلَمُهُ ٱلدّفّاق علىٰ صَفَحاتِ ٱلْأَوْراقَ في الفِقْهِ الِاسْتِدلاليّ وَٱلتَّفْسِير وَقَدْ سَبَقَت مِنّي كلمةٌ علىٰ نَحْوِ الإيجازِ في تَجْلِيَةِ مَحاسِنِ كِتابِهِ ٱلرّائِع ٱلْبارِع **«الآراء الفقهية»**.

وإنّي لَأَعْتَذِرُ لِشَيْخِنا الجليل أدام اللهُ أَيّامَه وَأَرْوىٰ بِمُتْرَعاتِ كُؤُوْسِ وِلاءِ العِتْرَةِ ٱلطاهِرَة أُوامَهُ، مِنْ عَدَمِ إيْفائي بالوَصْفِ الكامل لِهذا الأثر النفيس والعِلْقِ ٱلْخطير، بِسَببِ ضَعْفِ ٱلْمِزاج وضِيْقِ ٱلْوَقتِ وَقَدْ حَضَرَتْني أبياتٌ في تاريخ ٱلِانتْهاءِ منه أُقَدِّمُها بيد الاعتذار، وليسَ بِمَلُوْمٍ مَنِ ٱعْتَذَر.

**تاريخ وَضْع اللَّمساتِ الأخيرة لكتاب أجود البيان في تفسير القرآن لسماحة آيةالله الفقيه المحقّق الأستاذ الشيخ هادي النّجفي دام ظله.**

بَحْرُ الأبياتِ مِنَ (الكامِل).

تَفْسِيرُ (هادِيْ) ٱلْخَلْقِ وافٰى يَزْدَهِيْ ... بِبَدِيْعِ طَرْزٍ رائِقِ ٱلْأَبْرادِ

لِـ(دَلائِل ٱلْإِعْجاز) فِيْهِ تَأَلُّقٌ ... قَدْ فاقَ نُوْرَ ٱلْكَوْكَبِ ٱلْوَقّادِ

وَبِكَشْفِ (أَسْرارِ ٱلْبَلاغَة) قَدْ أَتىٰ ... مُتَكَفِّلاً، فَوَفٰى بِحَقِّ (ٱلضّادِ)

لله دَرُّ أبي عَلِيٍّ جامِعاً ... لِمَواهِبٍ[1] جَلَّتْ عَنِ ٱلتَّعْدادِ

فَهُوَ ٱلْأُصُوْلِيُّ ٱلْفَقِيْهُ مُحَدِّثُ ٱلـ ... ـعَصْرِ، ٱلْمُعِزُّ (ٱلْمَتْنِ) بِـ(ٱلْإِسْنادِ)

وَكفاهُ في تَفْسِيْرِ قُرآنِ ٱلْهُدىٰ ... أَنْ قَدْ جَرىٰ فِيْهِ بِنَهْج سَدادِ

شَرَحَ ٱلْكِتابَ ٱلْمُعْجِزَ ٱلْفَذَّ ٱلَّذِيْ ... هُوَ لِلهُدىٰ وَالدِّينَ خَيْرُ سِنادِ

شَرْحٌ خَلِيْقٌ أَنْ تُخَطَّ طُرُوْسُهُ ... بِمُذابِ تِبْرٍ لا بِسَيْلِ مِدادِ

وَبِرابِعِ ٱلْأَجْزاءِ مُذْ قَد تَمَّ في ... صَفَرٍ، لِيَغْدُوَ مَنْهَلَ ٱلْوُرّادِ

بِالْواحِدِ ٱلْفَرْدِ[2] ٱلمَواهِبُ أَرَّخُوْا: ... «جاءَتْ بِتَفْسِيْرِ ٱلْفَقِيْهِ ٱلْهادِيْ»

(١)+ ... (٤٠٥) + (٧٥٢) + (٢٢٦) + (٥١)

**سنة ١٤٣٥هـ.**
**العبد الآبق**
**عبدالسّتار عفا عنه المليك الغفّار**

---

١. صُرِفَتْ هُنا ـ كلمة (مَواهِب) لِمُراعاةِ ٱلْوَزْنِ وقد يَصِحُّ أَنْ تأتي هُنا ممنوعَةً مِنَ الصَّرْفِ ـ بِمَواهِبَ ـ لكِنْ يَدْخُل في ٱلشَّطْرِ زِحافٌ كَما لا يخفىٰ علىٰ المُتَتبّع.

٢. في عِبارة (بِالْواحِد الفَرْد) توريَة بإضافَةِ (١) إلىٰ مادَّةِ التاريخ وَبِهِ يَتِمُّ المقصود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾

قال الشيخ الطُّوْسِيُّ: «وكان سبب نزول هذه الآية أنّ اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل، فبيّن الله تعالى أنّها كانت محلّلة لإبراهيم عليه السلام وولده إلى أن حرّمها اسرائيل [وهو يعقوب] على نفسه، وحاجّهم بالتوراة، فلم يجسروا على إحضار التوراة لعلمهم بصدق النبي ﷺ فيما أخبر أنّه فيها»[1].

وورد تحريم لحوم الإبل في الفصل الحادي عشر من سِفْر «لاويان» من الكتاب المقدس، العهد القديم.

﴿كُلُّ﴾ مبتدا، ومن أَدَواتِ العموم.

﴿ٱلطَّعَامِ﴾ مضاف إليه. وهو «ما يُطعم ويتغذى به وكان يطلق عند أهل الحجاز على البُر خاصة (أي ٱلْحِنْطَة) وينصرف إليه عندهم لدى الإطلاق»[2].

﴿كَانَ﴾ فعل ماض واسمه هو يرجع إلى الطعام.

﴿حِلاًّ﴾ خبر كان، وجملة ﴿كَانَ حِلاًّ﴾ خبر المبتدأ الأوّل. والحلّ: مصدر بمعنى المفعول وهو ضد الحرمة.

---

١. التبيان ٢/ ٥٣٢.
٢. الميزان ٣/ ٣٤٥.

﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ جار ومجرور. وإسرائيل: هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وكلّهم كانوا أنبياء الله تعالى. سُمّي يعقوب به لأنّه كان مجاهداً في الله مظفراً به و ـ على ما يحكيه التوراة ـ إنّه المظفر الغالب على الله ﷻ لأنّه صارع الله في موضع يسمّى فنيئيل فغلبه، ولكنّه القرآن يكذّب هذه أسطورة[١]، والعقل يستحيله.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿مَا﴾ مستثنى من الطعام المذكور، وهو لحوم الأبل وألبانها، أو لحوم الأنعام، أو الشحم الباطن والكليتان وزائدتا الكبد.

﴿حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، لأنّ عنده مرض «عِرْق النَّسا»[٢] ويشتكي عنه بحيث لاينام الليل من شدّة الوجع وإذا أكل لحوم الإبل حاجّ به فحرمها على نفسه.

قال الشيخ: «فإن قيل: كيف يجوز للإنسان أن يُحَرِّمَ على نفسه شيئاً وهو لا يعلم ماله فيه من المصلحة ممّا له فيه المفسدة؟

قلنا: يجوز ذلك إذا أذن الله له في ذلك وأعلمه، وكان الله أذن لاسرائيل في هذا النذر، فلذلك نذر»[٣].

﴿مِن قَبۡلِ﴾ جار ومجرور. متعلِّق بكان.

---

١. وردت هذه الأُسطورة في الفصل الثاني والثلاثين من سِفْر «التكوين» من الكتاب المقدس.

٢. قيل: مرض عصبي يقال له اليوم: سياتيك، وقيل: هو من أُوجاع المفاصل، والنَّسا ـ بالفتح والقصر ـ اسم عرق مخصوص وهو وريد يمتد على الفخذ فعرق النَّسا: وجع العرق الذي هو النسا، واضافة النَّسا إلى العرق بيانية. والثاني هو الأصح.

وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: «وأمّا عرق النَّسا: من جملة اوجاع المفاصل فهو وجع يبتدىء من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ وربّما امتدّ إلى الركبة وإلى الكعب وكلّما طالت مدّته زاد نزوله بحسب المادة في قلّتها وكثرتها أو ربّما امتدّ إلى الأصابع وتهزل منه الرِجْل والفخذ وفي آخره تلتذ بالغمز وبالمشي اليسير على أطراف أصابعه...» [القانون ٢/ ٦١٥ الطبعة الأولى بمصر].

قال الچغميني: «... النَّزْلَةَ... وإن وَقَعَتْ في مَفْصَلِ الوَرِكِ كان عِرْق النَّسا... وإن وقعت في المفصل مطلقاً كان وجع المفاصل» [قانونچه في الطب / ٢٤٠].

٣. التبيان ٢/ ٥٣٢.

﴿أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب مجهول ونايب فاعله.

معناه: لم يحرّم الله قبل نزول التوراة شيئاً من الطعام على بني إسرائيل إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه.

وبالجملة: معنى الآية الشريفة إلى هنا الحلية العامة لبني إسرائيل قبل نزول التوراة والحرمة الخاصة لما يحرم إسرائيل على نفسه.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ . ﴿فَ﴾ للتفريع

﴿أۡتُواْ﴾ فعل امر وفاعله. ﴿بِٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ جار و مجرور

﴿فَ﴾ حرف عطف ويمكن أن يكون للتفريع.

﴿ٱتۡلُوهَآ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، والضمير يرجع إلى التوراة.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم

﴿كُنتُمۡ﴾ فعل ماض مبني على السكون الظاهر، والضمير اسم كان.

﴿صَٰدِقِينَ﴾ خبر كان. ولم يجسروا على ٱلْإتيان بالتوراة لعلمهم بصدق النبي ﷺ وبكذبهم وكان ذلك دليلاً على صحة نبوة نبينا محمّد ﷺ .

في مقول القول دلالة على أنّهم ـ بني إسرائيل ـ كانوا ينكرون الحلية العامة لهم إلّا الحرمة الخاصة التي كان إسرائيل حرّمها على نفسه، دفعاً لما ينسب القرآن الكريم إليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾[1] حيث حرّم الله عليهم هذه الطيبات عقوبة لظلمهم في هذه الدنيا.

كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[2].

## روايتان

خبر عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض فلم يزك زرعه أو خرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض أو

---

١. سورة النساء / ١٦٠.
٢. سورة الأنعام / ١٤٦.

بظلم لمزارعيه وأكرته لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾١، يعني لحوم الإبل والبقر والغنم وقال: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة فحرّم على نفسه لحم الإبل وذلك قبل أن تنزّل التوراة فلمّا نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله.٢

**ونحوها في تفسير القمي٣ وتفسير العياشي٤ وضمير ٱلْفاعِلِ في آخر الحديث من «لم يُحَرِّمْهُ ولم يأكله» يرجع إلى موسى النبي عليه السلام ويمكن أن يرجع إلى التوراة.**

وفي تفسير العياشي عن عمر بن يزيد قال: كتبتُ إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن رجلٍ دبَّر مملوكه هل له أن يبيع عِتقه؟ قال: كتب عليه السلام: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.٥

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

تعريض وتوبيخ لليهود بأنّهم يفترون على الله الكذب فهم ظالمون.

﴿فَمَنِ﴾ تفريع على الآية السابقة من ٱفْتِرائِهِمْ على الله سبحانه، و«مَنْ» مبتدأ.

﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ فعل ماض وفاعله هو ضمير مستتر، خبر.

«الافتراء: هو الكذب المخترع، وأصله القطع. كأنّ المفتري يقطع صلة كلامه بالواقع والحقيقة فيكون كاذباً»٦.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. «على» للاستعلاء والكذبُ عليه غير الكذب له «لأنّ كذب عليه يفيد أنّه كذب فيما يكرهه وكذب له قد يجوز فيما يريده»٧.

---

١. سورة النساء / ١٦٠.
٢. الكافي ١٠/ ٥١٦، ح١٠ (٥/ ٣٠٦).
٣. تفسير القمي ١/ ١٥٨.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٢٢، ح٨٦.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٢٢، ح٨٧.
٦. مواهب الرحمن ٦/ ١٤٩.
٧. التبيان ٢/ ٥٣٣.

﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ مفعول به ومعناه واضح.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. واسم الاشارة يشير إلى قيام الحجة وظهور البينة وتبيين الحقّ لأنّ الظلم لا يتحقق قبل هذه الأُمور.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ حرف ربط وتفريع، ومبتدأ.

﴿هُمُ﴾ عماد وهو ضمير رفع منفصل يأتي لإزالة اللبس في الكلام ويفيد القصر هنا أي تخصيص الظالمين بهم.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خبره، بمكابرة الحقّ الواضح. قال الشيخ: «والظلم والجور واحد وإن كان أصلهما مختلفاً، لأنّ أصل الظلم: النقصان للحقّ. والجور: العدول عن ا لحقّ. ولذلك قيل في ضد الظلم الإِنصاف، وفي ضد الجور العدل. والإِنصاف هو إعطاء الحق على التمام»[1].

وفي الميزان: «والقصر في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قصر قلب على أي حال»[2].

مراده: تخصيص ٱلظُّلْمِ بهم لا تخصيصهم بالظلم.

﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر و فاعله أنت يا محمّد رسول الله ﷺ لهم وأعلمهم.

﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله. بيانٌ بأنّ ما ورد في الآية الحلّيّة لبني إسرائيل صدقٌ لأنّ الله تعالى أخبر به وتعريض بكذبهم، فالأمر كما وصف سبحانه لا كما يكذبون اليهود. وأنّ الرسول ﷺ لم يستطع أن ينبئكم بذلك لولا وحي الله تعالى إليه، فإذا عرفتم ـ يا يهود ـ صدقه في الدعوة وأنّه على الحقّ فلابدّ لكم من متابعة دينه والاعتراف بأنّه على ملة جدّه إبراهيم عليه السلام وأنّه النبيُّ المرسَلُ إلىٰ كافة الناس من ربّ

---

١. التبيان ٢/ ٥٣٣.

٢. الميزان ٣/ ٣٤٨.

العالمين وأنّه خاتم أنبيائه ﷺ .

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع. تفريع على معرفة الحقّ وثبوت صدق الرسول ﷺ .

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ فعل أمر و «واو» فاعله، يا يهود.

«الإتباع: الحاق الثاني بالأوّل لما له به من التعلّق فالقوة للأوّل والثاني يستمدُّ منه»[١].

﴿مِلَّةَ﴾ مفعول به، والملّة هي الدين.

﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ مضاف إليه وهو ممنوعٌ مِنْ الصرف لِلْعَلَمِيَّةِ وَٱلْعُجْمة ودين إبراهيم عليه السلام وشريعته هو دين الفطرة.

﴿حَنِيفًا﴾ منصوب على الحال. «الحنيف: المستقيم... وأصل الحنف: الاستقامة وإنّما وصف المائل القدم بالأحنف[٢] تفاؤلاً بها. وقيل: أصله: الميل وإنّما قيل الحنيف بمعنى المائل إلى الحقّ»[٣].

قال الشيخ: «والصحيح أنّ شريعة نبيّنا ناسخة لشريعة كلّ من تقدّم من الأنبياء وأنّ نبيّنا لم يكن متعبّداً بشريعة من تقدَّم. وإنّما وافقت شريعته شريعة إبراهيم فلذلك قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وإلّا فالله هو الذي أوحى بها إليه وأوجبها عليه وكانت شريعة له...»[٤].

وكان اليهود يميلون إلى إتباع ملّة إبراهيم فلذلك خوطبوا بذلك وأُمروا أن يتبعوا ملّته عليه السلام وهي الشريعة الحنيفية وهي محفوظة في الشريعة المقدسة الإسلامية.

وهذه دعوة من الرسول ﷺ على اتباع دينه كناية باتباع دين إبراهيم عليه السلام لأنّهم كانوا يعترفون بملّة إبراهيم وشريعته.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. التبيان ٢/ ٥٣٤.
٢. وبه سُمّي الأحْنفُ بنُ قَيْسٍ التميميُّ التّابِعِيُّ المشهور.
٣. التبيان ٢/ ٥٣٤.
٤. التبيان ٢/ ٥٣٤.

﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض وهو ضمير مستتر اسمه، يرجع إلى إبراهيم عليه السلام.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ جار ومجرور خبر كان. تطهيرٌ لإبراهيم عليه السلام من نسبة الشرك الذي اتهموه به من اليهود والنصارىٰ ومشركي العرب حيث كانُوْا كلّهم يزعمون أنّ إبراهيم كان على دينهم وهو منهم والله تعالى أبرأ إبراهيم عليه السلام من هذه التبعيّة والتهمة وفي السّياقِ تعريضٌ بِهِمْ بكونِهم من المُشْرِكين.

**روايتان**

في تفسير العياشي عن حبابة الوالبية قال: سمعتُ الحسين بن علي عليه السلام يقول: ما أعلم أحداً على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا.[1]

وفي حسنة الحارث بن المغيرة النصري عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في حديث: يا نجيّة ما على فطرة إبراهيم عليه السلام غيرنا وغير شيعتنا.[2]

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٦﴾

هذه الآية والتي بعدها جواب عن شبهة ألقاها اليهودُ على المؤمنين من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المقدسة، وتدلّ على أفضلية قبلة المسلمين.

﴿إِنَّ﴾ من ٱلْحُرُوف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل ـ يأتي للتأكيد.

﴿أَوَّلَ﴾ اسمه، والمراد هنا الأولوية المكانية لأنّه أوّل مكان خلقه الله من الأرض ثمَّ مدّ منه بقية الأرض كما دلّ عليه النقل الصحيح. والأولوية الزمانية إذ لا بيت عبادة قبله، والأولوية الرتبيّة لأنّه أوّل من حيث الشرف والرتبة والعبادة لأنّه كان معبداً للملائكة قبل خلق آدم بألفي عامٍ علىٰ ماجاءَ في جُمْلَةٍ من الآثار وٱلْمَرْوِيّات.

﴿بَيْتٍ﴾ مضاف إليه، ومعناه واضح.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٢٢، ح٨٨.
٢. التهذيب ٤/ ١٤٥، ح٢٧.

﴿وُضِعَ﴾ فعل ماض مجهول. هو مستتر نائب فاعله. الوضع: هو الجعل والإثبات وبالنسبة إلى البيت بِناؤُهُ.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور. أي لعبادتهم بحيث جعله الله حتّى يتوسّل الناس به إلى عبادة الله تعالى ويستعان به في العبادة.

﴿لَلَّذِى﴾ «ل» مزحلقة، وخبر إنّ.

﴿بِبَكَّةَ﴾ جار ومجرور. بكة: من البَكّ وهو الزحم فبكة: مزدحم الناس للطواف. وَقِيْلَ: سُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لِأَنَّها تَبُكُّ أَعْناقَ ٱلْجَبابِرَةِ مِنْ قَوْلِهِم: بَكَّ عُنُقَهُ أَيْ دَقَّها، وَهُوَ ٱسْمُ بَطْنِ مَكَّة.

﴿مُبَارَكًا﴾ حال، المباركة: مفاعلة من البركة وهي الخير الكثير وأصل البركة: الثبوت. فالمباركة إفاضة الخير الكثير عليه وجعله فيه وهي تشمل البركات الدنيوية والأُخروية.

﴿وَهُدًى﴾ حرف عطف ومعطوفه. بمعنى هادٍ، والهداية مطلقة وعناية خاصة وهي أخص من البركة.

﴿لِّلْعَلَمِينَ﴾ جار ومجرور، لا للعالَم الخاص والجماعة المخصوصة بل جميع العالمين.

## الروايات

صحيحة أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتّىٰ صار موجاً ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد ثمَّ دحىٰ الأرض من تحته وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.[1]

**ونحوها في تفسير العياشي[2] عن محمّد بن مسلم.**

موثقة معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أقوم أصلّي بمكة والمرأة بين يدي جالسة أو مارّة؟ فقال: لا بأس إنّما سميت بكة لأنّها تبكّ فيها الرجال والنساء.[1]

---

١. الكافي ٨/ ٢١، ح٧ (٤/ ١٨٩).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٢٤، ح٩١.

وفي تفسير العياشي عن عبدالصمد بن سعد قال: طلب أبوجعفر [المنصور] أن يشترى من أهل مكة بيوتهم ليزيد في المسجد فأبوا فأرْغَبَهم فامتنعوا فضاق بذلك، فأتى أبا عبدالله عليه السلام فقال له: إنّي سئلتُ هؤلاء شيئاً من منازلهم وأفنيتهم[٢] لنزيد في المسجد وقد منعوني ذلك فقد غَمَّني غَمّاً شديداً. فقال أبو عبدالله عليه السلام: لِمَ يَغُمّك ذلك وحُجَّتك عليهم فيه ظاهرة؟ فقال: وبما احتجُّ عليهم؟ فقال: بكتاب الله، فقال: في أيِّ موضع؟ فقال: قول الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ قد أخبرك الله أنّ أوّل بيتٍ وُضِعَ للناسِ هو الذي بِبَكَّة، فان كانوا هم نزلوا قبل البيت فلهم أفنيتهم، وإن كان البيت قديماً قبلهم فله فِناؤه، فدعاهم أبو جعفر فاحتجَّ عليهم بهذا فقالوا: اصْنَع ما أحْبَبْت.[٣]

وعن الحسن بن علي بن النُّعمان قال: لما بنى المهديُّ في المسجد الحرام بقيت دار في تَرْبيع المسجد، فَطَلَبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء فكلٌّ قال له: إنّه لا ينبغي أن يُدْخَلَ شيئاً في المسجد الحرام غَصباً. فقال له علي بن يقطين: يا أميرالمؤمنين لو كتبتَ إلى موسى بن جعفر عليه السلام لأخبرك بوجه الامر في ذلك؟ فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عن دارٍ أردنا ان نُدْخِلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المَخْرَج من ذلك؟ فقال: ذلك لأبي الحسن عليه السلام، فقال أبوالحسن عليه السلام: ولابُدّ من الجواب في هذا؟ فقال له: الأمر لابُدّ منه، فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفِنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها فلما أتى الكتاب إلى المهديّ أخذ الكتاب فَقَبَّله ثمَّ أمر بِهَدمِ الدار، فأتى أهل الدار أباالحسن عليه السلام فسألوه أن يَكْتُب لهم إلى المهديّ كتاباً في ثمن دارهم فكتب إليه ان أرْضِخ لهم[٤] شيئاً فأرضاهم.[٥]

---

١. الكافي ٩/ ١٩٠، ح٧ (٤/ ٥٢٦).
٢. الأفنية جمع الفناء: الساحة امام البيت.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٢٣، ح٨٩.
٤. ارضخ للرجل: أعطاه قليلاً من كثير،ورَضَخ له من ماله: أعطاه عطاءً غير كثير، أو قليلاً من كثير.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٢٣، ح٩٠.

وعن زرارة قال: سُئل أبوجعفر عليه السلام عن البيت أكان يُحَجُّ إليه قبل أن يُبْعَثِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال: نعم، لا يعلمون أنَّ الناس قد كانوا يَحُجُّون ونُخْبِركم أنّ آدم ونوحاً وسليمان قد حَجُّوا البيت بالجِنّ والإنس والطَّير ولقد حَجَّه موسى عليه السلام على جَمَلٍ أحمر يقول: لبّيك لبّيك، فإنّه كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.[١]

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مَكّة جُملة القرية، وبَكَّة موضع الحَجر الذي يَبُكُّ الناس[٢] بعضُهم بعضاً.[٣]

وعن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته لِمَ سُمِّيت مَكَّة بَكَّة؟ قال: لأنَّ الناس يَبُكُّ بعضُهم بعضاً بالأيدي.[٤]

وعن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ بَكَّة موضع البيت وإنَّ مَكَّة جميع ما اكْتَنَفَهُ الحَرَم.[٥]

وعن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّه وُجِد في حَجَر من (حجر) حَجَرات البيت مكتوباً: إنّي أنا الله ذو بكّة (مكّة) خلقتها يوم خَلَقْتُ السماوات والأرض ويوم خَلَقْتُ الشمس والقمر وخلقتُ الجبلين وحَفَفْتُهما بسبعة أملاك حفّاً. وفي حَجَر آخر هذا بيتُ الله الحرام ببَكَّة، تَكَفَّل الله برِزْق أهله من ثلاثة سُبُل مبارك لهم في اللحم والماء، أوّل من نُحِلّه إبراهيم.[٦]

وعن علي بن جعفر بن محمّد عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألتُهُ عن مَكَّة لم سُمّيت بَكَّة؟ قال: لأنّ الناس يَبُكُّ بعضُهم بعضاً بالأيدي، يعنى يدفع بعضُهم بعضاً بالأيدي في المسجد حول الكعبة.[٧]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٢٤، ح٩٢.
٢. أي يزاحم ويدافع.
٣. تفسير العياشي.١/ ٣٢٥، ح٩٣
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٢٥، ح٩٥.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٢٥، ح٩٦.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٢٥، ح٩٧.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٢٦، ح٩٨.

وفي صحيحة العَرْزَمِيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّما سُمّيت مَكّة بَكَّة لأنّ الناس يتباكون فيها.[١]

وفي صحيحة عبدالله بن سنان قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام لم سُمّيت الكعبة بَكّة؟ فقال: لبكاء الناس حولها وفيها.[٢]

وفي صحيحة سعيد بن عبدالله الأعرج عن أبي عبدالله قال: موضع البيت بَكَّة، والقرية مَكّة.[٣]

وفي صحيحة الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما سُمّيت مَكّة بَكّة لأنّه يبك بها الرجال والنساء والمرأة تصلى بين يديك وعن يمينك وعن شمالك (وعن يسارك) ومعك ولا بأس بذلك، إنّما يكره في سائر[٤] البلدان.[٥]

وفي صحيحة أو موثقة عبيدالله بن علي الحلبي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام لم سُمّيت مَكّة بَكّة؟ لأنّ الناس يَبُكُّ بعضُهم بعضاً فيها بالأيدي.[٦]

وروي عن علي عليه السلام أنّه قال: أوّل بيت وضع للعبادة البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة.[٧]

وعنه عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية، فقال له رجلٌ: أ هو أوّل بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت، ولكنّه أوّل بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة. وأوّل مَنْ بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من جُرهم ثم هُدم فبنته العمالقة ثم هُدم فبناه قريش.[٨]

---

١. علل الشرائع / ٣٩٧، ح١، الباب ١٣٧.
٢. علل الشرائع / ٣٩٧، ح٢.
٣. علل الشرائع / ٣٩٧، ح٣.
٤. سائر بمعني الباقي وَمِنْ هُنا قِيلَ لِما يَبْقىٰ في الإناء: سُؤْرٌ كما في «دُرّة الغوّاص» للحريري.
٥. علل الشرائع / ٣٩٧، ح٤.
٦. علل الشرائع / ٣٩٨، ح٥.
٧. التبيان ٢/ ٥٣٥.
٨. المناقب ٢/ ٤٢ ونقل عنه في البرهان ١/ ٦٦١، ح٣٦ والميزان ٣/ ٣٥٥.

﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، والضمير يرجع إلى البيت.

﴿ءَايَـٰتٌۢ﴾ مبتدأ مؤخر، أُخّر للتنكر والإبهام. أي دلالات. الآية: العلامة الدالة على الشيء بوجه.

﴿بَيِّنَـٰتٌ﴾ نعتها ووصفها. أي واضحات.

و«الآيات وإن وصفت بالبينات وَأَفادَتْ ذلك تخصصاً ما في الموصوف إلّا أنّها مع ذلك لا تخرج عن الإبهام»[١]. ثمّ ذكر الله تعالى ثلاثة من هذه الآيات ليتبيّن شرافة هذا البيت وهي: وجود مقام إبراهيم والأمن الالهي الموجود فيه ووجوب حجّه على المستطيع من الناس.

﴿مَّقَامُ﴾ بدلٌ من الآيات أو عطف بيان لها أو بيان و تبيين للآيات والأخير أظهر، فيكون مبتدأ لخبر محذوف والتقدير: فِيْها مقام إبراهيم أو هي مقام إبراهيم.

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ مضاف إليه. «ومقام إبراهيم هي الصخرة الصماء التي كان يضعها إبراهيم تحت قدميه حين بنائه للبيت الشريف وقد أثّرت فيها قدماه الشريفتان وبقي أثرهما وسيبقى مابقي البيت الشريف... وعهداً أبدياً على خلوص باني البيت الشريف ووسيلة لتعظيمه وتوقيره جزاءً خدمته للناس...»[٢]. ويمكن أن يكون موضع قيامه عليه السلام بعبادة الله أو أنّ البيت موضع قيامه بعبادة الله سبحانه.

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف الآية الثانية بالأُولى. ﴿مَن﴾ مبتدأ

﴿دَخَلَهُۥ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. خبر. أي دخل في البيت.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض من ٱلْأَفْعالِ الناقصة والضمير المستتر ٱسْمُهُ.

---

١. الميزان ٣/ ٣٥٢.

٢. مواهب الرحمن ٦/ ١٦٢.

﴿ءَامِنًا﴾ خبر كان. والجملة إنشاء في مقام الإخبار أو إخبار يخبر بها عن تشريع سابق للأمن، «وهذا من أعاجيب أُسلوب القرآن حيث يستخدم الكلام المسوق لغرض في سبيل غرض آخر فيضعه موضعه لينتقل منه إليه فيفيد فائدتين ويحفظ الجهتين...»[١].

وَهٰذا الأمن إجابة لدعاء إبراهيم حيث سأل الله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[٢] أو ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[٣].

﴿وَ﴾ حرف عطف

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، واللام للإلزام والإيجاب.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ جار ومجرور، علىٰ لتأكيد الوجوب.

﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ مبتدا مؤخر ومضاف إليه و «ال» للعهد أي البيت المعهود. قال الراغب: أصل الحَجّ القصد للزيارة... خُصّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنُّسُكِ فقيل: الحَجُّ والحِجُّ، فالحَجُّ مصدرٌ والحِجُّ اسمٌ...»[٤].

﴿مَنِ﴾ بدل من الناس في محَلِّ جَرٍّ.

﴿ٱسْتَطَاعَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر هو. والاستطاعة لوجوب الحج «عندنا هو وجود الزاد والراحلة ونفقة من تلزمة نفقته والرجوع إلى كفاية عند العود إمّا من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفة، مع الصحة والسلامة وزوال الموانع وإمكان المسير»[٥].

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور، الضمير يرجع إلى البيت.

﴿سَبِيلًا﴾ تمييز من قوله: ﴿ٱسْتَطَاعَ﴾. والجملة تدلّ على تشريع الحج في الشريعة الإسلامية امضاءً لما ورد في الشريعة الحنيفية الإبراهيمية.

---

١. الميزان ٣/ ٣٥٣.
٢. سورة إبراهيم / ٣٥.
٣. سورة البقرة / ١٢٦.
٤. المفردات / ١٠٦.
٥. التبيان ٢/ ٥٣٧.

﴿وَ﴾ حرف استئناف، والجملة الآتية توبيخ لتارك الحج. ﴿مَن﴾ مبتدأ.

﴿كَفَرَ﴾ فعل ماض وفاعله هو مستتر، خبر، والمراد بالكفر هنا الكفر بالفروع وهو تركها.[١]

﴿فَإِنَّ﴾ حرف ربط للتفريع وحرف مشبهة بالفعل للتأكيد.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿غَنِيٌّ﴾ خبره، ولايضرّه ترك تارك الحجّ لأنّه غنيٌّ.

﴿عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جار ومجرور.

## الروايات

صحيحة ابن سنان قال سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ...﴾[٢] ما هذه الآيات البينات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه والحجر الأسود ومنزل إسماعيل عليه السلام.[٣]

**المراد بمنزل إسماعيل حِجْره.**

وفي صحيحة أُخرى له عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ البيت عني أم الحرم؟ قال: من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله ومن دخله من الوحش والطّير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم.[٤]

وفي صحيحة الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثمَّ فرَّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلّم، فإنّه إذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيؤخذ وإذا جنى في الحرم جناية أقيم عليه

---

١. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قال: ترك، تفسير العياشي ١/ ٣٣١، ح١١٢.
٢. سورة آل عمران / ٩٦ و ٩٧.
٣. الكافي ٨/ ١٠٥، ح١ (٤/ ٢٢٣)؛ تفسير العياشي ١/ ٣٢٦، ح٩٩ مرسلاً.
٤. الكافي ٨/ ١١٢، ح١ (٤/ ٢٢٦)؛ الفقيه ٢/ ٢٥١، ح٢٣٢٧؛ تفسير العياشي ١/ ٣٢٦، ح١٠١.

الحدُّ في الحرم لأنّه لم يدع للحرم حرمته.١

وفي خبر علي بن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال: إن سرق سارق بغير مكّة أو جنى جناية على نفسه ففرَّ إلى مكّة لم يؤخذ ما دام في الحرم حتّى يخرج منه ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يجالس حتّى يخرج منه فيؤخذ وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث أُخذ فيه.٢

وفي خبر عبدالخالق الصيقل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ فقال: لقد سألتني عن شيء ما سألني أحدٌ إلّا من شاء الله قال: من أَمَّ هذا البيت وهو يعلم أنه البيت الذي أمره الله عزّ وجلّ به وعرفنا أهل البيت حقَّ معرفتنا كان آمنا في الدنيا والآخرة.٣

وفي صحيحة عمر بن أُذَيْنَةَ قال: كتبتُ إلى أبي عبدالله عليه السلام بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس فجاء الجواب بإملائه: سألت عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يعني به الحجّ والعمرة جميعاً لأنّهما مفروضان، الحديث.٤

وفي صحيحة علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال: إن الله عزّ وجلّ فرض الحجَّ على أهل الجدة في كلِّ عام وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: قلت فمن لم يحج منّا فقد كفر؟ قال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر.٥

**الجدة: المال والثروة، والمراد به إمّا الاستحباب أو الوجوب كفاية أن لا يخلو البيت ممّن يحجّه أو إذا لم يحج في السنة الأُولىٰ من استطاعته وجب عليه في الثانية والثالثة وهكذا على البدل.**

وفي صحيحة الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: ما السبيل؟ قال: أن يكون له ما يحجّ به، قال:

---

١. الكافي ٨/ ١١٣، ح٢ (٤/ ٢٢٦)، الفيه ٤/ ١١٥، ح٥٢٢٩؛ تفسير العياشي ١/ ٣٢٧، ح١٠٥.
٢. الكافي ٨/ ١١٣، ح٣ (٤/ ٢٢٧).
٣. الكافي ٩/ ٢٣٥، ح٢٥ (٤/ ٥٤٥).
٤. الكافي ٨/ ٢١٢، ح١ (٤/ ٢٦٤).
٥. الكافي ٨/ ٢١٤، ح٥ (٤/ ٢٦٥)؛ التهذيب ٥/ ١٦، ح٤٨.

قلت: من عرض عليه ما يحجُّ به فاستحيى من ذلك أهو ممّن يستطيع إليه سبيلاً؟ قال: نعم، ما شأنه أن يستحيي ولو يحجّ على حمار أجدع أبتر فإن كان يطيق أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً فليحجّ.[١]

وفي صحيحة محمّد بن يحيى الخثعمي قال: سأل حفص الكناسي أبا عبدالله عليه السلام وأنا عنده عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ ما يعني بذلك؟ قال: من كان صحيحاً في بدنه مخلّى سربه له زاد وراحلة فهو ممّن يستطيع الحجَّ، أو قال: ممّن كان له مال، فقال له حفص الكناسي: فإذا كان صحيحاً في بدنه مخلّى سربه له زاد وراحلة فلم يحجّ فهو ممّن يستطيع الحجَّ؟ قال: نعم.[٢]

وفي حسنة أبي الربيع الشامي قال: سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ فقال: ما يقول الناس؟ قال: فقيل له: الزاد والراحلة، قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: قد سُئل أبو جعفر عليه السلام عن هذا فقال: هلك الناس إذاً، لئن كان من كان له زادٌ وراحلة قدر ما يقوت عياله ويستغني به عن الناس ينطلق إليه فيسلبهم إيّاه لقد هلكوا، فقيل له: فما السبيل؟ قال: فقال: السَّعة في المال إذا كان يحجُّ ببعض ويُبقي بعضاً يقوت به عياله أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلّا على من يملك مائتي درهم.[٣]

وفي خبر السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله رجل من أهل القدر فقال: يا ابن رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ أليس قد جعل الله لهم الاستطاعة؟ فقال: ويحك إنّما يعني بالاستطاعة الزاد والراحلة ليس استطاعة البدن، فقال الرجل: أفليس إذا كان الزاد والراحلة فهو مستطيع للحجِّ فقال: ويحك ليس كما تظنُّ قد ترى الرجل عنده المال الكثير أكثر من الزاد والراحلة فهو لا يحجُّ حتّى يأذن الله تعالى في ذلك.[٤]

---

١. الكافي ٨/ ٢١٧، ح١ (٤/ ٢٦٦)؛ التهذيب ٥/ ٣، ح٣.
٢. الكافي ٨/ ٢١٨، ح٢ (٤/ ٢٦٧)؛ التهذيب ٥/ ٣، ح٢؛ تفسير العياشي ١/ ٣٣١، ح١١١ مثله.
٣. الكافي ٨/ ٢١٩، ح٣ (٤/ ٢٦٧)؛ التهذيب ٥/ ٢، ح١؛ تفسير العياشي ١/ ٣٣١، ح١١٣.
٤. الكافي ٨/ ٢٢٠، ح٥ (٤/ ٢٦٨).

**وقوله عليه السلام: «ليس استطاعة البدنّ» إمّا بتقدير محذوف أعني فكيف ليس استطاعة البدن من الاستطاعة؟!، أو حيث أنّ الحج فيه الأعمال الاضطراري والنيابي فكلّ أحد يتمكن من الإتيان به حتّى الذين يحسبون أنفسهم غير قادرين عليه ابتداءً. أو تحمل على التقية لأنَّ القوم يَرَوْنَ الاستطاعة في الزاد والراحلة فقط. والإذن من الله في الحج يعني أنّه بتوفيق منه وألطافه ودعوته الخاصة.**

وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من دخل مكّة المسجد الحرام يَعْرِف من حقّنا وحُرمتنا ما عرف من حقّها وحُرمتها غفر الله له ذنبه وكفاه ما أَهَمَّه من أَمر الدنيا والآخرة وهو قوله ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.[١]

وعن المثنى عن أبي عبدالله عليه السلام وسألته عن قول الله ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال: إذا أحدث السارق في غير الحرم ثمّ دخل الحرم لم يَنْبَغِ لأحدٍ أن يأخُذه، ولكن يُمْنَع من السوق ولا يُبايع ولا يُكَلَّم، فإنّه إذا فُعل ذلك به أوشك ان يَخْرُج فيُؤخَذ، وإذا أُخِذ أُقيم عليه الحدُّ فان أحْدَثَ في الحرم أُخذ وأُقيم عليه الحدُّ في الحرم لأنّه مَنْ جَنَى في الحرم أُقيم عليه الحدُّ في الحرم.[٢]

وعن علي بن عبدالعزيز قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام جعلتُ فداك قول الله ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وقد يَدْخُلُه المُرجئ والقَدَري والحَرُوري[٣] والزنديق الذي لا يُؤمن بالله؟ قال: لا ولا كرامة، قلتُ: فمن جُعلت فِداك؟ قال: ومَنْ دَخَلَهُ وهو عارفٌ بحقِّنا كما هو عارفٌ له خَرَج من ذُنُوبه وكُفي همّ الدنيا والآخِرة.[٤]

وعن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: الصحة في بدنه والقدرة في ماله.[٥]

وفي رواية حفص الأعور عنه عليه السلام عنه قال: القُوَّة في البدن واليَسَار في المال.[٦]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٢٧، ح١٠٢.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٢٧، ح١٠٣.
٣. الحرورية: طائفة من الخوارج نسبوا إلى حَرُورىٰ ـ بالقصر والمد ـ موضع قرب الكوفة كان أول اجتماعهم فيه.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٢، ح١٠٧.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٢٨، ح١١٧.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٣٣، ح١١٨.

وفي صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برويثة وهو حاجّ فقامت إليه امرأة ومعها صبي لها فقالت: يا رسول الله أيحجّ عن مثل هذا؟ قال: نعم، ولكِ أجره.[١]

**رويثة: اسمُ موضع بين الحرمين على ليلة من المدينة.**

وفي صحيحة معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل لم يكن له مال فحجّ به رجل من إخوانه هل يَجْزي ذلك عنه عن حجة الإسلام أم هي ناقصة؟ قال: بل هي حجّة تامة.[٢]

وفي صحيحة سيف بن التمار قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: أنّه بلغنا ـ وكنّا تلك السنة مشاة ـ عنك أنّك تقول في الركوب، فقال: إنّ الناس يحجّون مشاة ويركبون، فقلت: ليس عن هذا أسألك؟ فقال: عن أيِّ شيء تسألوني؟ فقلتُ: أيُّ أحبَّ إليك نمشي أو نركب؟ فقال: تركبون أحبَّ إليَّ، فإنّ ذلك أقوى على الدعاء والعبادة.[٣]

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: من دخله عارفاً بجميع ما أوجب الله عليه كان آمناً في الآخرة من أليم العقاب الدائم [٤]

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: «قال قوم من بني مُدْلِج[٥] لعبد المطلب: احتفظ به [أي برسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم] فإنّا لم نَرَ قَدَماً أشبه بالقَدَمِ التي في المقام من قَدَمِهِ»[٦].

**وفي تفسير العياشي[٧] ذيل الآية عشرون رواية ذكرت لك بعضها فراجع مابقي منها.**

---

١. التهذيب ٥/ ٦، ح١٦.
٢. التهذيب ٥/ ٧، ح١٧.
٣. التهذيب ٥/ ١٢، ح٣٢.
٤. التبيان ٢/ ٥٣٧.
٥. وَهُمْ مِن بني كنانة بن خُزَيمة.
٦. الطبقات الكبرى ١/ ١١٨، ونقل عنه شيخنا التستري في حواشيه على المصحف ١/ ١٩٧.
٧. تفسير العياشي ١/ (٣٣٣-٣٢٦)، ح (١١٨-٩٩).

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٩٨﴾

هذه الآية الشريفة وما بعدها تدلّ على أنّ أهل الكتاب لاسيّما اليهود منهم يكفرون بآيات الله ويصدون المؤمنين عن سبيل الله بتمثيل سبيل الضلال بدلاً من سبيل الله ويلقئون الشبهات إلى المؤمنين.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر وفاعله أنت خطاباً للنبي الخاتم ﷺ تكريماً واحتراماً له.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حرف ندا و منادى ومضاف إليه. خطاباً لهم بالواسطة لتنزّل مرتبتهم واعراض الله تعالى عن مخاطبتهم من دون الواسطة.

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ويمكن أن يكون المراد هنا اليهود خاصة لأجل أعمالهم الشنيعة، وإنّما أجرى عليهم أهل الكتاب مع أنّهم لا يعملون به لأمرين:

الأوّل: لأنّهم أهل الكتاب الذي حرّفوه.

والثاني: الاحتجاج عليهم بنفس هذا الكتاب لإقرارهم به ومبالغة في تقبيحهم وتكذيبهم.

ومع ذلك يشير مخاطبتهم بأهل الكتاب بتذكيرهم برفق ولين أنّهم أهل دين وكتاب عسى أن يتعظوا ويثوبوا إلى رشدهم.

﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله، الكفر هو الستر والانكار، والاستفهام للتوبيخ والتعجيز عن اقامة العذر في أعمالهم الفاسدة.

وقد سمّى الكفر ببعض الكتاب كفراً بكلّه. فحينئذ «فالكفر بولاية عليّ عليه السلام كفر بجميع آيات الله»[1].

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والآيات هي العلامات التي وافقت في صفة نبيّنا محمّد ﷺ والبشارات الواردة في العهدين عليه والمعجزات التي هو عليه وتجري على يده ﷺ.

ويمكن أن تكون كلُّ ما يوصل إلى الهداية أو مظاهرها نحو الكعبة المقدسة

---

١. كنز الدقائق ٢/ ١٦٨.

وأحكام الله تعالى نحو حليّة لحوم الإبل.

﴿وَ﴾ حالية والجملة بعدها حالية من الضمير في ﴿تَكْفُرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مبتدأ وخبر. الشهيد من أسماء الله تعالى ومعناه الحاضر الذي لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية. والشهادة: هي الحضور والاطلاع على الأُمور بالمشاهدة المباشرة. وشهيد: أي حفيظ.

﴿عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله. أنّه تعالى يشهد أعمالكم. وهُوَ مطلع عليها وعلى إسراركم وإعلانكم. وحفيظٌ على أعمالكم وَمُحَصِّصٌ لها لِيُجازِيَكُمْ عليها.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمّد ﷺ لهم. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خطاب لهم مع الواسطة كما مرّ.

﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله. أي لِمَ تمنعون. لأنّ الصّدّ: المنع والصرف.

«قيل: في كيفية صدّهم عن سبيل الله قولان: أحدهما: أنهم كانوا يُغْرُوْنَ بين الأوس، والخزرج، بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم حتّىٰ تدخلهم العصبية وحمّية الجاهلية فينسلخون عن الدين ـ هذا قول زيد بن أسلم ـ وقال الآية في اليهود خاصة. وقال الحسن الآية في اليهود والنصارى معاً ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبي ﷺ وإنّ صفته ليست في كتبهم ولا تقدَّمت البشارة به عندهم»[1].

ولكن الظاهر من قصة تنزيلها هو الأوّل ولكن اطلاق الوارد فيها يشمل الثاني أيضاً.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. السبيل كالطريق يستعمل مذكراً

---

١. التبيان ٢/ ٥٣٩.

ومونثاً. والمراد بها: طريق الهداية وهي الآيات البينات الدالة على نبوّة نبيّنا الخاتم محمّد ﷺ وما أنزل الله تعالى عليه.

والاستفهام كسابقه في الآية الماضية توبيخيٌّ تعجيزيٌّ.

والمراد: يا أهل الكتاب لأيِّ سبب تصدّون عن سبيل الله.

﴿مَنْ﴾ مفعول به لتصدون.

﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماض وفاعله هو مستتر. أي: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ المؤمنين عن سبيل الله.

﴿تَبْغُونَهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والضمير ﴿هَا﴾ تعود إلى السبيل فـ ﴿تَبْغُونَهَا﴾: أي تطلبون السبيل.

﴿عِوَجًا﴾ حال من فاعله [واو]، أو تميز من النسبة إلى المفعول أي طالبين عوجها، العِوَج بكسر العين: الميل عن الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الأرض.

العوج: المعطوف المُحَرَّف، والمراد طلب سبيل الله من غير استقامة ومحرّفاً ومنحرفاً عن الحقِّ.

﴿وَ﴾ حاليه

﴿أَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ مبتدأ وخبره. وحال ﴿أَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ على البينات الواضحات والمعجزات الظاهرات ومظاهر الهداية. أي تعلمون هذه الامور. كما كان الله شهيد على كلِّ ذلك وعلى أفعالهم وإنكارهم وكفرهم. فأنتم يا أهل الكتاب شهداء على الحقيّة والله سبحانه شهيد على الجميع.

﴿وَ﴾ حرف عطف

﴿مَا﴾ النافية العاملة عمل ليس أو ﴿مَا﴾ الحجازية حرف يرفع المبتدأ وينصب الخبر بشروطها.[1] التي هي ألّا يتقدّم خبرُها علىٰ ٱسْمِها وألّا ينتقض خبرُهابِـ «إلّا».

﴿ٱللَّهُ﴾ اسمه. ﴿بِغَـٰفِلٍ﴾ جار ومجرور، خبره.

---

١. راجع موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٥٩٤.

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله، وتهديد لهم على الكفر.

## قصة نزول الآيتين

روىٰ الطبري وابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ والزمخشري والسيوطي وأبوالفتوح الرازي والمشهدي ـ اللفظ للأوّل ـ عن زيد بن أسلم قال: مرّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا[1] في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة[2] بهذه البلاد، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم لها من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم وذكرهم يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل، فتكلّم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتّى تواثب رجلان من ا لحيين على الركب أوْس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثمّ قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جَذَعَةً.[3] وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحَرَّة ـ فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتّى جاءهم، فقال: «يا مَعشرَ المسلِمينَ اللهَ اللهَ، أبدَعْوَى الجاهليَّةِ وأنَا بينَ أظهرُكمْ بعدَ إذْ هداكُمُ اللهُ إلى الإسلامِ، وأكرَمكُمْ بهِ، وقطعَ بهِ عَنْكُمْ أمْرَ الجاهليَّةِ، واستنقذكُمْ بِهِ مِنَ الكفرِ

---

١. عسا الشيخ: كبر وأسن، من عسا القضيب إذا يبس.

٢. هي قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية. ويقال: بنت جفنة غسانية. وهي أم الأوس والخزرج وفي خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد: إيْهٍ بني قِيْلَةَ راجع الخطبة في موسوعتي ٨/ (٤٥٢-٤٣٣).

٣. جذعة: شابة فتية. يريد عودة الحرب قوية كما كانت.

وأَلَّفَ بِهِ بَينكُمْ ترْجعونَ إلى ما كُنْتمْ عليهِ كُفَّاراً» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثمّ انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾... الآية وأنزل الله ﷻ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[1] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].[3]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾

«هذه الآية [وما بعدها] نزلت في الأوس والخزرج لما أغرىٰ قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم»[4]. نقلاً من زيد بن أسلم كما مرّ والسُدِّيّ.

قال الشيخ محمّد جواد مغنية رحمه الله: «والآية تنطبق على هذه الواقعة [الماضية] كما تنطبق على محاولة المبشرين المسيحيين في هذا العصر، وعلى جميع المحاولات التي يهدف من ورائها بعض أهل الكتاب وغيرهم إلى تفتيت كلمة المسلمين، وصرفهم عن دينهم، والشعور بوطنيتهم وحريتهم، ليقعوا فريسة سائغة لكلِّ ناهب وغاصب...

---

١. سورة آل عمران / ١٠٠.
٢. سورة آل عمران / ١٠٥.
٣. تفسير الطبري ٤/ ٣٣ و٣٤؛ راجع سيره ابن هشام ٢/ ١٨٣؛ الكشاف ١/ ٣٩٣؛ الدر المنثور ٢/ ٥٧؛ روض الجنان ٤/ ٤٥٣؛ كنز الدقائق ٢/ ١٦٩.
٤. التبيان ٢/ ٥٤١؛ مجمع البيان ٢/ ٤٨٠.

وهذا ما يفعله اليوم المستعمر الغربي مع العرب والمسلمين... ولا تقع المسؤولية عليه وحده، بل يشاركه فيها العملاء الأدنياء الذين أطاعوه وساروا في ركابه، وكفروا بعد إيمانهم بدينهم وأوطانهم، وعلى هذا فإن الآية تنطبق على هؤلاء العملاء، كما تنطبق على دعاة الفتنة والفساد، وروّاد الكفر والضلال، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم، شرقيين وغربيين و... ينطبق على تقليد نسائنا للغرب في التهتك والتبرج، واستخفاف شبابنا بالدين والأخلاق، وعلى كلِّ عادةٍ مضرةٍ ومحرمةٍ اقتبسناها من الأجانب... إنَّ الآية ظاهرة في النهي عن إطاعة أهل الكفر في الكفر والارتداد عن الإسلام، ولكن السبب الموجب عام يشمل كلّ تقليدٍ ومتابعةٍ تغضب الله والرسول»[١].

﴿يَٰٓ﴾ حرف ندا. ﴿أَيُّهَا﴾ منادى، ها للتنبيه

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل، المراد بهم في شأن نزولها طائِفَتا الأوس والخزرج ٱلْمُعَبَّر عَنْهُمْ بِـ «الأَنْصار» ولا يختص بهما.

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا﴾ حرف شرط جازم، فعل مضارع مخاطب مجزوم وفاعله ومفعول به. المراد بالفريق في شأن نزولها هم اليهود أو فريق منهم ولا يختص بهم.

والطاعة: موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه. وقد نهى الله سبحانه عن طاعة كفار أهل الكتاب.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ جار ومجرور وفعل ماض مجهول ونايب فاعله ومفعول به الثاني. أي أهل الكتاب وهم الذين يعرفون شيئاً من كتابهم ولكنّهم جعلوه وسيلة لإضلال المؤمنين.

﴿يَرُدُّوكُم﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، جواب الشرط. أي يرجعوكم.

﴿بَعْدَ﴾ مفعول فيه. ﴿إِيمَٰنِكُمْ﴾ يضاف إليه ومضاف إليه.

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٢٠ و ١٢١.

﴿كَٰفِرِينَ﴾ حال. أي: هم يريدون ارتدادكم ورجوعكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿كَيْفَ﴾ حال، «موضوعة للاستفهام ومعناها هاهنا التعجب وإنّما ٱسْتُعْلِمَتْ في ذلك لأنّها طلب للجواب عمّا حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار»[١].

﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي وعلى أيِّ حالٍ يقع منكم الكفر؟! هل تكفرون بعد إيمانكم؟!

﴿وَ﴾ واو حالية. ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تُتْلَىٰ﴾ فعل مضارع مجهول. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ نائِب فاعل ومضاف إليه، وَجُمْلَةُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: خَبَرٌ، والْجُملَةُ الأُولىٰ مِنَ المبتدأِ وَالخبرِ في محلّ نَصْبٍ علىٰ ٱلْحال. والمراد بآيات الله كتابه الكريم وهو القرآن العظيم. «أي يمكنكم أن تعتصموا بالحقِّ الذي يظهر لكم بالانصات إلى آيات الله والتدبر فيها»[٢].

﴿وَ﴾ حالية ﴿فِيكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم

﴿رَسُولُهُۥ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. أي ويمكنكم الرجوع إلى رسول الله ﷺ وأُوصيائه الأئمة الإثنى عشر المعصومين عليهم السلام لأنّ الخطاب ليس فقط للذين عاصروه بل يشمل الأعصار ولذا بعد فقد النبي ﷺ على حسب الظاهر المعضودِ بالنّصوص ٱلْمُسْتَفِيْضَة بَلِ ٱلْمُتَواتِرَة لابدّ من الرجوع إلى وصيّه وهو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأُولاده الأحد عشر وَهُمْ الأَئِمَّةُ ٱلْمَعْصُوْمون الطَيِّبُوْن ٱلطّاهِرُوْن.

---

١. التبيان ٢/ ٥٤٢.
٢. الميزان ٣/ ٣٦٥.

فَيَتَحَقَّق الاعتصام عن الكفر بآيات الله ورسوله ﷺ وأُوصيائه عليهم السلام.

«قال الزجاج: يجوز أن يقال: فينا رسول الله ﷺ، ويراد به أنّ آثاره قائمة فينا وأعلامه ظاهرة، وذلك بمنزلة لو كان موجوداً فينا»[١].

وقال النيسابوري: «أمّا الكتاب فإنّه باقٍ على وجه الدهر، وأمّا النبي ﷺ فإن كان قد مضى إلى رحمة الله فإن نوره باقٍ، لأنّ عترته وورثته يقومون مقامه، ولهذا قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي»[٢].

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿مَن﴾ مبتدأ جازم.

﴿يَعْتَصِم﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، خبر. العصم: المنع، يعتصم: يمتنع عن الكفر. فمن يتمسّك بآيات الله وكتابه ورسوله وأوصياء رسوله يَكُنْ فِي مَنْجَىً وَمَنَعَةٍ مِنْ تَطَرُّقِ ٱلْكُفْرِ والْإِرْتِدادِ إِلَيْه.

و«المراد من الاعتصام هو العملي منه دون القولي والاعتقادي فقط»[٣].

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، والاعتصام بالله هو التمسك بكتابه ورسوله واوصياء رسوله وبالجملة بدينه، والدين عندالله هو الإسلام بتمامه وكماله وهو الصراط المستقيم.

﴿فَقَدْ﴾ حرف ربط وحرف تحقيق.

﴿هُدِيَ﴾ فعل ماض مجهول وَنائِب فاعله هو ضميرٌ مُسْتَتِرٌ تقديرُهُ «هُوَ». يدلّ على تحقق الفعل من غير قصد وشعور لفاعله.[٤]

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ جار ومجرور ونعت. «وصف سبحانه وتعالى الصراط بكونه مستقيماً للرد على الذين يبغونه عوجاً...»[٥].

قال الطبرسي: «قيل: إنّهم قد شاهدوا في نفسه ﷺ معجزات كثيرة، منها: أنّه

---

١. التبيان ٢/ ٥٤٢.
٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٢٢١، ونقل عنه في التفسير الكاشف ٢/ ١٢١.
٣. مواهب الرحمن ٦/ ١٩٤.
٤. كما يظهر من الميزان ٣/ ٣٦٥.
٥. مواهب الرحمن ٦/ ١٩٤.

كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه. ومنها: أنّه كان ينام عينه، ولا ينام قلبه. ومنها: أنّ ظله لم يقع على الأرض. ومنها: أنّ الذباب لم يقع عليه. ومنها: أنّ الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه، وكان لا يرى له بول، ولا غائط. ومنها: أنّه كان لا يطوله أحد وإن طال. ومنها: أنّه كان بين كتفيه خاتم النبوة. ومنها: أنّه كان إذا مرّ بموضع يعلمه الناس لطيبه. ومنها: أنّه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة. ومنها: أنّه قد ولد مختوناً. إلى غير ذلك من الآيات.[١]

## الروايات

في صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما عبدٍ أقبل قِبَلَ ما يحبُّ اللهُ عزّ وجلّ أقبل اللهُ قِبَلَ ما يحبُّ ومَنْ اعتصم بالله عصمه الله ومَنْ أقبل الله قِبَلَهُ وعَصَمَهُ لم يُبَالِ لو سقطت السماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتْهم بليّة، كان في حزب الله بالتقوى من كلِّ بليّة، أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٢].[٣]

وفي خبر حسين الأشقر قال: قلتُ لِهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: «إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً»؟ فقال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[٤]

وفي معتبرة صفوان بن يحيى يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: قال إبليس: خمسة [أشياء] ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٨١.
٢. سورة الدخان / ٥١.
٣. الكافي ٣/ ١٦٨، ح٤ (٢/ ٦٥).
٤. معاني الأخبار / ١٣٢، ح٢.

له ولم يهتم لرزقه.[١]

وفي خبر علي بن عبيدالله بإسناده إلى رسول الله في حديث طويل أنه قال لعليٍّ عليه السلام: لتهنك الحكمة، ليهنك العلم يا أباالحسن وأنت وارث علمي والمبين لأُمتي وما اختلف فيه من بعدي، من أحبّك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممّن ﴿هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ومن رغب عن هواك وأبغضك لقى الله يوم القيامة لاخلاق له.[٢]

وورد في ينابيع المودّة للقندوزي بالنسبة إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام أنّه قال: من اقتدى بهم ﴿هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[٣]

وورد في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني بالنسبة إليهم أنّه قال: من اهتدى بهم ﴿هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[٤]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾

في الآية الشريفة خطاب للمؤمنين وتوصية لهم بمراعاة تقوى الله... .

﴿يَٰٓ﴾ حرف نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ منادىٰ و«ها» للتنبيه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، وَٱلْخِطابُ للمؤمنينَ لما هُوَ ظاهِر.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به.

﴿حَقَّ﴾ نائِبٌ عن المفعول ٱلْمُطلق. ﴿تُقَاتِهِۦ﴾ مضاف إليه.

التقوى: هي امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه والشكر لنعمه والصبر عند بلائه، ويمكن أن يقال: أنّ تقوى الله سبحانه أن يُطاع ولا يُعصي ويخضع له فيما أعطىٰ أو منع. هذه هي تقوى الله بالمعنى العام.

وأمّا التقوى الله حقّ التقوى هي التي لا تشوبها باطل وفاسد وكانت محض

---

١. الخصال / ٢٨٥، ح٣٧.
٢. أمالي الطوسي، المجلس السابع عشر، ح ٤٦/ ٤٩٢، رقم ١٠٧٧.
٣. ينابيع المودّة / ٦٢.
٤. شواهد التنزيل ١/ ٥٨، ح٨٩.

العبودية التي لا تشوبها غفله ومعصية، وهي الطاعة من غير إثم والشكر من غير كفر والذكر من غير نسيان، وهي الإسلام الناب الخالص والدرجة العليا من درجاته، وفي مقام العمل لم يعمل به غير أُولياء الله تعالى وفي رأسهم الأئمة المعصومون عليهم السلام لو لم نقل بأنّها تختص بهم عليهم السلام.

وحيث لا يقدر على العمل بتقوى الله حقّ تقاته إلّا الأَوْحَدِيّ من الناس ذهب جماعة من المفسرين ـ نحو قتادة والربيع والسُدّي وابن زيد ـ إلى أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1] وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله[2] عليهما السلام، لأنّهم ذهبوا إلى أنّه يدخل فيه القيام بالقسط في حال الخوف والأمن.

المنسوخ في هذه الرواية ـ على فرض صدورها ـ ليس المنسوخ المصطلح، بل لأنّ التكليف مشروط بالقدرة ولا يكلِّف اللهُ الناسَ إلّا بما يقدرون عليه وبما تَسَعُهُمْ قُدُراتُهُمْ، وحيث أَنَّ كثيراً من الناس بل غالبهم لا يقدرون على مراعاة تقوى الله سبحانه حقّ تقاته فأمرهم بمراعاتها على قدر استطاعتهم وقدراتهم. وهذا معنى نسخها بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَا تَمُوتُنَّ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف النون وفاعله و«ن» تأكيد. نهي عن الموت ولكنّه لابدّ منه وهو من الأُمور التكوينية التي خارجة عن اختيار المكلف فلابدّ من ملاحظة ما بعده فيكون اختياريّاً مع لحاظه.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء، فعل النهي مع جملة المستثنى يدل على الحصر.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مبتدأ وخبره. وجملة المبتدأِ والخبر في مَحَلِّ نَصْبٍ علىٰ ٱلحال. أي لا تتركوا الإسلام حتّى حين موتكم، وافاكم الأجل وأنتم مسلمون منقادون لله ربّ العالمين وفي حال مراعاة تقوى الله سبحانه.

---

١. سورة التغابن / ١٦.

٢. راجع التبيان ٢/ ٥٤٣؛ مجمع البيان ٢/ ٤٨٢.

## الروايات

في صحيحة أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: يُطاع فلا يُعصىٰ ويُذكر فلا يُنسىٰ ويُشكر فلا يُكفر.[١]

**ورواها الحسين بن سعيد الأهوازي في كتاب الزهد[٢] بسنده الصحيح، والبرقي بسنده الصحيح في المحاسن[٣]، والعياشي في تفسيره[٤] مرسلاً والشيخ الطوسي في التبيان[٥] مرسلاً والشيخ الطبرسي في مجمع البيان[٦] وجوامع الجامع[٧] والشيخ أبوالفتوح في الروض[٨] مرسلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

وفي العياشي عن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن الأوّل كيف تقرأ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ماذا؟ قلت: مسلمون.

فقال: سبحان الله توقع عليهم الإيمان فَيُسَمَّيهم مؤمنين ثم يسألهم الاسلام، والايمان فوق الاسلام؟

قلت: هكذا تُقرأ في قراءة زيد. قال: إنّما هي في قراءة علي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمّد عليهما الصلاة والسلام ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم الامام من بعده.[٩]

**رواها الطوسي في تبيانه[١٠] مرسلاً.**

وفيه عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

---

١. معاني الأخبار / ٢٤٠، ح١.
٢. كتاب الزهد / ١٧، ح٣٧.
٣. المحاسن ١/ ٣٢٣، ح٥٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٣، ح١٢٠.
٥. التبيان ٢/ ٥٤٤.
٦. مجمع البيان ٢/ ٤٨٢.
٧. جوامع الجامع ١/ ١٩٣.
٨. الروض الجنان ٤/ ٤٥٨.
٩. تفسير العياشي ١/ ٣٣٣، ح١١٩.
١٠. التبيان ٢/ ٥٤٤.

تُقَاتِهِۦ﴾ قال: منسوخة قلت: وما نسختها؟ قال: قول الله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[١] [٢]

**رواها الطوسي في تبيانه[٣] مرسلاً.**

وفي نهج البلاغة مرفوعاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال في آخر خطبة: «... فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنّه لا يُرْجَى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرِّزق، ما فات اليوم من الرّزق رجى غداً زيادته، وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته. الرّجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي، فَـ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.[٤]

وفي تفسير أبي الفتوح الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في ذيل الآية: فلو أنّ قطرة من الزقوم قَطَرَتْ في الأرض لَأَمَرَّتْ على أهل الأرض معيشَتَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طعٰامُهُ.[٥]

وفي مناقب ابن شهرآشوب عن تفسير وكيع قال: حدثنا سفيان بن مرة الهَمْدانيُّ عن عبدخير قال: سألتُ علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: والله ما عمل بهذا غير أهل بيت رسول الله نحن ذكرنا الله فلا ننساه، ونحن شكرناه فلا نكفره، ونحن أطعناه فلا نعصيه.

فلمّا انزلت هذه الآية قالت الصحابة: لا نطيق ذلك فأنزل الله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾. قال وكيع: يعني ما أطقتم.

ثمّ قال: واسمعوا ما تؤمرون وأطيعوا، يعني: أطيعوا الله ورسوله وأهل بيته فيما يأمرونكم به... .[٦]

**الظاهر أنّ الحديث تمّ في «فلانعصيه»، والباقي من العبارة إلى آخره هُوَ كلام وكيع صاحب التفسير.**

---

١. سورة التغابن / ١٦.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٣٣، ح١٢١.
٣. التبيان ٢/ ٥٤٣.
٤. نهج البلاغة، خطبة ١١٣.
٥. روض الجنان ٤/ ٤٥٩.
٦. المناقب ٢/ ٢٠٢، تحقيق د. يوسف البقاعي.

**الروايات الواردة في شأن التقوى كثيرة جداً فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت[١] عليهم السلام.**

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿وَ﴾ استئناف. أو عطف على الآية السابقة وهي تتعرض لحكم الفرد من حيث التقوى وهذه تتعرّض لحكم المجتمع الإنساني.

﴿ٱعْتَصِمُواْ﴾ فعل أمر وفاعله، أمر المسلمين بالاعتصام وهو التمسك والالتجاء والامتناع بشيء. وهذا أمر للجميع بِلا ٱسْتِثْناءٍ بدلالة قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا﴾.

﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور و مضاف إليه، والحبل معروف ويستعمل في سبب منيع يوصل إلى البغية والحاجة.

وقال الشيخ فيه قولان: «١ـ قال أبوسعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كتاب الله وبه قال ابن مسعود وقتادة والسُدِّي.

٢ـ وقال ابن زيد «حبل الله» أي دين الله أي دين الإسلام»[٢]. وعن ابن عباس.[٣]

وأضاف الطبرسي ثالث وهو: «ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾»[٤].

﴿جَمِيعًا﴾ «منصوب على الحال والمعنى اعتصموا بحبل الله مجتمعين على

---

١. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢١٣.
٢. التبيان ٢/ ٥٤٥.
٣. كما في مجمع البيان ٢/ ٤٨٢.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤٨٢.

الاعتصام به»[١].

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ حرف عطف وفعل نهي وفاعله. نهي اجتماعيٌّ عن التفرق والتشتّت، لانّه يوجب البعد عن سبيل الله تعالى.

﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾ حرف عطف وفعل أمر وفاعله. دعوة إلى تذكّر نعم الله تعالى وهي هنا اتحاد الإمة بعد تفرّقها.

﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ مفعول به ومضاف إليه وجار ومجرور. ويعدّ وحدة الامة نعمت الله تعالى عليهم.

﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ مفعول فيه، فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة والضمير المتصل اسمه وخبره. اشارة «إلى ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مأة وعشرين سنة إلى أن ألّف بين قلوبهم بالإسلام وزالت تلك الأحقاد»[٢].

﴿فَأَلَّفَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه والضمير أيضاً يضاف إليه. ويرجع إلى المسلمين.

﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾ حرف عطف وفعل ماض من الأفعال الناقصة والضمير اسمه ويرجع إلى المسلمين.

﴿بِنِعۡمَتِهِۦٓ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الله تعالى.

﴿إِخۡوَٰنٗا﴾ خبر أصبح. وهو جمع أخ، عبّر عن اتحاد المجتمع الاسلامي بالأُخوة لأنّه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[٣]. وفي هذه التعبير لُطْفٌ بَعِيْدُ ٱلغَوْرِ، داني ٱلثَّمَرات.

﴿وَكُنتُمۡ﴾ حرف عطف وفعل ماض من الأفعال الناقصة والضمير اسمه.

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾ جار ومجرور. أي على طرف الحفرة وحافّتها لأنّ شفا كلّ شيء جرفه وحافّته.

---

١. التبيان ٢/ ٥٤٥.
٢. التبيان ٢/ ٥٤٦.
٣. سورة الحجرات / ١٠.

﴿حُفْرَةٍ﴾ مضاف إليه، ومجموع ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾ خبر كان والحفرة معلومة.

﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ جار ومجرور. الحفرة كانت من النار لا أنها حفرة فيها النار والفرق بينهما واضح.

﴿فَأَنقَذَكُم﴾ حرف تفريع وفعل ماضٍ وفاعله هو مستتر والضمير مفعول به. أي أنجاكم الله بسبب إسلامكم وإيمانكم.

﴿مِّنْهَا﴾ جار ومجرور أي من تلك الحفره النارية.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ جار ومجرور ومفعول به ومضاف إليه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ من ٱلْحُرُوْف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل واسمه.

﴿تَهْتَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبره.

## الروايات

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ إنّ الله تبارك وتعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم ويختلفون فنهاهم عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد عليهم السلام ولايتفرقوا.[١]

وفي خبر سليمان البصري الديلمي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.[٢]

**ومثله في تفسير العياشي[٣].**

وفي خبر أبي هارون المكفوف عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبو عبدالله عليه السلام إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بأبي وأُمّي وقومي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤُوسها والله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾

---

١. تفسير القمي ١/ ١١٦، طبع الأعلمي.
٢. الكافي ١٥/ ٤٣٤، ح٢٠٨ (٨/ ١٨٣).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٣٤، ح١٢٤.

فبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُنقذُوا.[١]

**ومثله في تفسير العياشي[٢].**

وفي تفسير العياشي عن ابن يزيد قال: سألت أباالحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام حَبْلُ الله المَتِين.[٣]

وفيه: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: آل محمّد عليهم السلام هم حَبْل الله الذي أمر[٤] بالاعتصام به، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.[٥]

وفيه: عن أبي الحسن علي بن محمّد بن مِيثم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: أَبْشِرُوا بأعظم المِنَن عليكم، قول الله: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ فالإنقاذ من الله هِبةٌ، والله لا يَرْجِع مِن هِبَتِهِ.[٦]

محمّد بن إبراهيم النّعماني في (الغيبة) بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل اليمن، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: جاءكم أهلُ اليَمَن يَبُسّونَ[٧] بَسيساً، فلمّا دخَلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قومٌ رقيقةٌ قلوبُهم، راسِخٌ إيمانُهم، مِنهُم المَنصور، يخرُج في سَبعينَ ألفاً، يَنصُر خَلَفي وخَلَف وصيّي، حمائلُ سُيوفِهم المِسْك.

فقالوا: يا رسول الله، ومَن وَصيُّك؟ فقال: هو الذي أمرَكم الله بالاعتِصام به، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

فقالوا: يا رسولَ الله، بَيِّن لنا ما هذا الحَبْل؟ فقال هو قول الله: ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٨] فالحَبْلُ من الله كِتابُه، والحَبلُ مِن النّاسِ وَصيّي.

---

١. الكافي ١٥/ ٦٠٤، ح٣٨٨ (٨/ ٢٦٦).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٣٤، ح١٢٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٣٣، ح١٢٢.
٤. وفي بعض النسخ: أمرنا.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٣٤، ح١٢٣.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٣٤، ح١٢٥.
٧. بسّ الرجل: طلب وجهد، وبسّ الإبل: ساقها سَوْقاً ليناً، أو زجرها بلطف يقوله: بَس، بِس (بفَتْحِ ٱلباءِ وَكَسْرِها مَعاً).
٨. سورة آل عمران / ١١٢.

فقالوا: يا رسول الله، ومَن وصيُّك؟فقال: هو الذي أنزل الله فيه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[١].

فقالوا: يا رسول الله، وما جَنْبُ الله هذا؟ فقال: هو الذي يقول الله فيه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[٢] هو وصَيّي والسّبيل إليّ مِن بَعدي.

فقالوا: يا رسول الله، بالّذي بعَثك بالحقِّ نبيّاً أرِناه، فقَد اشْتَقْنا إليه. فقال: هو الذي جعَله آيةً للمُتَوسِّمين، فإن نظرَتُم إليه نَظر مَن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السّمع وهو شَهيد، عَرفتُم أنّه وَصيّي، كما عَرفتم أني نَبيُّكم، فتَخلَّلوا الصُّفوفَ، وتَصَفَّحوا الوُجوه، فمَن أهَوت إليه قُلوبُكم فإنّه هُوَ، لأنّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ يقولُ في كتابِه: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[٣] إليه وإلى ذُرّيته عليهم السلام.

ثمّ قال: فقام أبو عامر الأشعَريّ في الأشعَريّين، وأبو غُرّة الخَوْلاني في الخَوْلانيّين، وظَبْيان وعُثمان بن قَيْس [في بني قيس] وعُرَنَة الدَّوسي في الدَّوسيّين، ولاحِق بن عَلاقة، فتَخلّلوا الصُّفوفَ، وتَصفَّحوا الوجوه، وأخَذوا بيَدِ الأصلَع البَطين، وقالوا: إلى هذا أهْوَت أفئِدتُنا يا رسول الله.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنتُم نُخْبَة الله حين عرَفتُم وَصيَّ رسولِ الله قبل أن تُعرَّفوه، فَبم عرَفتُم أنّه هو؟ فرفعوا أصواتهم يَبكون وقالوا: يا رسول الله، نظَرنا إلى القَوم فلَم تَحِنَّ لهم [قلوبنا]، ولمّا رأيناه رجَفت قُلوبُنا، ثمّ اطمَأنَّت نُفوسُنا فانجاشَت أكبادُنا، وهَملت أعيُننا وانثَلَجَت صُدورنا حتّى كأنّه لنا أبٌ ونَحنُ لَهُ بَنون.

فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٤] أنتُم مِنه بالمَنزِلَة التي سبَقت لكم بها الحُسنى وأنتُم عَن النّار مُبعَدون.

فقال: فبَقيَ هؤلاء القَوم المُسَمَّون حتّى شَهِدوا [مع] أمير المؤمنين عليه السلام الجَمَل

---

١. سورة الزمر / ٥٦.
٢. سورة الفرقان / ٢٧.
٣. سورة إبراهيم / ٣٧.
٤. سورة آل عمران / ٧.

وصفِّين، فقُتِلوا بصفِّين، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يُبشّرهم بالجنَّةِ، وأخبَرهم أنّهم يُستَشهدون مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[١]

الصدوق بإسناده إلى عباس بن يزيد بن الحسن الكحّال مولى زيد بن علي عن أبيه عن موسى بن جعفر عليه السلام عن جده عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً. فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى العصمة؟

فقال: هو المعتصِم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة. والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٢].[٣]

الصدوق بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام الحارث بن نوفل عن علي عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله أمنّا الهداة أم من غيرنا؟

قال: بل منّا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة بنا استنقذهم الله عزّ وجلّ من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة وبنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك وبنا يختم الله كما بنا فتح الله.[٤]

روىٰ الشريف الرضي: بإسناده المرفوع عن هارون بن موسى، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن عمّار العجليّ الكوفيّ، قال: حدّثني عيسى الضّرير عن أبي الحسن عن أبيه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حين دفع الوصيّة إلى عَلِيّ، يا عَلِيّ أعدّ لهذا جواباً غداً بين يدي ذي العرش، فإنّي مُحَاجّك يوم القيامة بكتاب الله، حلاله وحرامه ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله، وعلى تبليغه مَنْ أمرتك بتبليغه، وعلى فرائض الله كما أُنزلت وعلى أحكامه كلّها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتّحاضّ عليه وإحيائه مع إقامة حدود الله كلّها، وطاعته في الأمور بأسرها، وإقام الصّلاة لأوقاتها، وإيتاء الزّكاة

---

١. غيبة النعماني / ٣٩، ح١.
٢. سورة الإسراء / ٩.
٣. معاني الأخبار / ١٣٢، ح١.
٤. كمال الدين ١ / ٢٣٠، ح٣١.

أهلَها، والحجّ إلى بيت الله، والجهاد في سبيله، فما أنت صانع يا عَلِيّ؟ قال: فقلت بأبي وأمّي إنّي أرجو بكرامة الله تعالى، ومنزلتك عنده ونعمته عليك، أن يُعينني رَبّي ﷻ، ويثبّتني فلا ألقاك بين يدي الله مقصّراً ولا متوانياً ولا مفرطاً ولا أمعر، وجهك وقاؤه وجهي ووجوه آبائي وأمّهاتي.

بل تجدني بأبي وأمي مشمّراً لوصيّتك إن شاء الله، وعلى طريقك ما دمتُ حيّاً حتّى أقدم عليك، ثمّ الأوّل فالأوّل من ولدي غير مقصّرين ولا مفرّطين، ثمّ أُغمي عليه صلوات الله عليه وآله، قال: فانكببت على صدره ووجهه، وأنا أقول وا وحشتاه بعدك بأبي أنت وأمّي ووحشة إبنتك وإبنيك، وأطول غمّاه بعدك يا حبيبي، إنقطعتْ عن منزلي أخبار السّماء، وفقدتُ بعدك جبرئيل فلا أحسّ به، ثمّ أفاق ﷺ .

وروىٰ الشريف الرضي: بإسناده المرفوع عن هارون بن موسى، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن عمّار، قال: حدّثني أبوموسى الضّرير البجليّ، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألت أبي فقلت له ما كان بعد إفاقته صلّى الله عليه؟ قال: دخل عليه النساء يبكين، وارتفعت الأصوات وضجّ النّاس بالباب المهاجرون والأنصار.

قال عَلِيّ عليه السلام: فبينا أنا كذلك إذ نودي أين عَلِيّ؟ فأقبلت حتّى دخلت إليه، فانكببت عليه، فقال لي: يا أخي فهمّك الله وسدّدك، ووفّقك وأرشدك، وأعانك وغفر ذنبك، ورفع ذِكرك، ثمّ قال: يا أخي إنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يريدون من عَرض الدّنيا، وهم عليه قادرون، فلا يشغلك عنّي ما شغلهم، فإنّما مثلك في الأمّة مثل الكعبة نصبها الله علماً، وإنّما تؤتىٰ من كلّ فجّ عميق، وناد سحيق، وإنّما أنت العلم علم الهدى، ونور الدّين، وهو نور الله، يا أخي والّذي بعثني بالحقّ لقد قَدّمتُ إليهم بالوعيد، ولقد أخبرتُ رجلاً رجلاً بما افترض اللهُ عليهم من حقّك، وألزمهم من طاعتك فكلّ أجاب إليك وسلّم الأمر إليك، وإنّي لأعرف خلاف قولهم.

فإذا قبضتُ، وفرغتَ من جميع ما وصّيتك به، وغيّبتني في قبري فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثمّ امضِ ذلك على عزائمه وعلى ما أمرتك به، وعليك بالصّبر على ما ينزل بك منهم حتّى تقدم عَلَيّ.

قال عيسى: فسألته وقلت: جعلتُ فداك قد أكثر النّاس قولهم في أنّ النّبيّ عليه السلام،

أمر أبابكر بالصّلاة ثمّ أمر عمر، فأطرق عنّي طويلا، ثمّ قال: ليس كما ذكر النّاس ولكنّك يا عيسى كثير البحث عن الأمور لا ترضى إلّا بكشفها، فقلت: بأبي أنت وأمّي، مَن أسأل عمّا أنتفع به في ديني، وتهتدي به نفسي مخافة أن أضلّ غيرُك؟ وهل أجد أحداً يكشف لي المشكلات مثلك؟ فقال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا ثقل في مرضه دعا عليّاً عليه السلام، فوضع رأسه في حجره وأغمي عليه، وحضرت الصّلاة فأذّن بها فخرجت عائشة فقالت: يا عمر أُخرج فصلّ بالنّاس، فقال لها: أبوكِ أولى بها منّي، فقالت: صدقت، ولكنّه رجل ليّن، وأكره أن يواثبه القوم، فصل أنت، فقال لها: بل يصلّي هو، وأنا أكفيه إن وثب واثب، أو تحرّك متحرّك، مع أنّ رسول الله مغمى عليه، ولا أراه يفيق منها، والرّجل مشغول به، لا يقدر أن يفارقه ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ فبادِروا بالصّلاة قبل أن يفيق فإنّه إن أفاق خفت أن يأمر عَليّاً بالصّلاة، وقد سمعت مناجاته له منذ اللّيلة، وفي آخر كلامه يقول لِعَليّ عليه السلام: الصّلاة، الصّلاة.

قال: فخرج أبوبكر يصلّي بالنّاس، فظنوا أنّه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يُكَبِّر حتّى أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أدعو لي عمّي ـ يعني العبّاس رضي الله عنه ـ فَدُعِيَ له فحمله وعَلِيّ عليه السلام، حتّى أخرجاه فصلى بالنّاس وإنّه لقاعد، ثمّ حُمل فوُضع على المنبر بعد ذلك فاجتمع لذلك جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتّى برزت العواتق من خدورها، فبين باكٍ وصائح، ومسترجع، وواجم، والنّبيّ عليه السلام يخطب ساعة، ويسكت ساعة، فكان فيما ذكر من خطبته أن قال:

يا معشر المهاجرين والأنصار، ومن حضر في يومي هذا، وفي ساعتي هذه من الإنس والجنّ ليبلّغ شاهدُكم غائبَكم، ألا إنّي قد خلّفت فيكم كتاب الله فيه النّور والهدى، والبيان لما فرض الله تبارك وتعالى من شيء حجّة الله عليكم وحجّتي وحجّة وليّيْ. وخلّفت فيكم العلم الأكبر، علم الدّين، ونور الهدى، وضياءَه وهو عَلِي بن أبي طالب، ألا وهو حبل الله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أيّها النّاس هذا عَلِيّ من أحبّه وتولّاه اليوم، وبعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه

الله، ومن عاداه وأبغضه اليوم، وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصمّ وأعمى، لا حجّة له عند الله.

أيّها النّاس لاتأتوني غداً بالدنيا تزفّونها زفّاً، ويأتي أهل بيتي شعثاً غبراً مقهورين مظلومين تسيل دماؤهم، إيّاكم واتباع الضّلالة والشورى للجهالة، ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب قد سمّاهم الله ﷻ لي وعرّفنيهم ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[1].

لا ترجعوا بعدي كفّاراً مرتدّين تتأوّلوّن الكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السُّنَّة بالأهواء، وكلّ سنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل.

القرآن إمام هاد، وله قائد يهدى به، ويدعو إليه، بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو عَليّ بن أبي طالب، وهو وليّ الأمر بعدي، ووارث علمي، وحكمتي، وسرّي، وعلانيتي، وما ورثه النّبيّون قبلي، وأنا وارث ومورّث فلا تكذبنّكم أنفسكم.

أيّها النّاس الله الله في أهل بيتي، وأنّهم أركان الدّين، ومصابيح الظّلام، ومعادن العلم.

عَلِيّ أخي، ووزيري، وأميني والقائم من بعدي بأمر الله، والموفي بذمّتي، ومحيي سنّتي، وهو أوّل النّاس إيماناً بي، وآخرهم بي عهداً عند الموت، وأوّلهم لقاء إليّ يوم القيامة، فليبلّغ شاهدكم غائبكم.

أيّها النّاس من كانت له تَبِعَةٌ فها أنا ذا، ومن كانت له عِدَةٌ أو دين فليأت علي بن أبي طالب، فإنّه ضامن له كلّه حتّى لا يبقى لأحد قِبَلي تبعة.[2]

الطوسي بإسناده إلى أبي العباس ـ وهو عمر بن راشد أبو سليمان ـ عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3] قال: نحن النعيم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: نحن حبل الله.[4]

---

١. سورة الأحقاف / ٢٣.
٢. خصائص الأئمة / (٧٥-٧٢)؛ الطّرف / (٣٤-٢٩).
٣. سورة التكاثر / ٨.
٤. أمالي الطوسي، المجلس العاشر، ح ٤٨/ ٢٧٢، رقم ٥١٠.

الطبرسي رفعه عن أبي سعيد الخُدْرِيّ عن النبي ﷺ أنّه قال: يا أيها الناس إنّي قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وأنّهما لا يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.[١]

**وفي الروض[٢] قصة طويلة في شأن نزولها وما قبلها فراجعها إن شئت.**

الثّعلبي في (تفسيره) بإسناده عن جعفر بن محمّد عليهما السلام ، قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.[٣]

صاحب كتاب (المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة) بإسناده عن عبدالله بن عبّاس، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقال: يا رسول الله، سمِعتُك تقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ فَما حَبْلُ الله الذي نعتَصِم به؟ فضرب النّبيُّ ﷺ يَدَهُ في يَدِ عليٍّ، وقال: تمَسّكوا بهذا، فهذا هو الحَبل[٤] المَتين.[٥]

ابن شهر آشوب، عن محمّد بن عليّ العَنْبَريّ، بإسناده عن النّبيّ ﷺ ، أنّه سأل أعرابيّ عن هذه الآية ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ فأخَذ رسول الله ﷺ بيَدِ عليّ، وقال: يا أعرابيّ، هذا حَبلُ الله، فاعتَصِم به. فَدارَ الأعرابيّ مِن خَلفِ عليٍّ واحتضَنه وقال: اللهمّ إنّي أُشهِدُك، قد اعتصَمتُ بحَبْلِك. فقال رسول الله ﷺ : مَن سَرّه أن يَنظُر إلى رجُلٍ من أهلِ الجنّةِ فليَنظُرْ إلى هذا.

ثمّ قال ابن شهرآشوب: وروي نحو من ذلك عن الباقر عليه السلام .[٦]

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٨٢.
٢. روض الجنان ٤/ (٤٧٦-٤٦٥).
٣. العمدة / ٢٨٨، ح٤٦٨ عن تفسير الثعلبي.
٤. في الينابيع: بهذا هو حبل الله.
٥. ينابيع المودة: ١١٩ عن المناقب الفاخرة.
٦. مناقب ابن شهرآشوب ٣/ ٧٦، وفيه: ذلك الباقر والصادق عليهما السلام .

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف ويمكن أن يكون استئنافاً.

﴿لۡتَكُن﴾ لام الأمر وإنّما جزمت مع الواو؛ لأنّ جَزْمَ لامِ الأمر يظهر بعملها أنّه التسكين والجزم. فعل أمر.

﴿مِّنكُمۡ﴾ جار ومجرور. أي من المجتمع الإسلامي ومن المؤمنين. و«مِنْ» هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائيٌّ. ومن يراهما واجِباً عَيْنِيّاً ذهب إلى أنّ «مِنْ» هاهنا بيانية للتبيين ولتخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس. وبه قال الزجاج والجُبّائي.[١]

﴿أُمَّةٞ﴾ فاعل، «والأُمة في اللغة تنقسم خمسة أقسام: أحدها: الجماعة، والثاني: القامة. والثالث: الاستقامة. والرابع: النعمة. والخامس: القدوة. والأصل في ذلك كلّه القصد». كذا قاله الشيخ.[٢]

وأضاف الطبرسيُّ[٣]: السادس: الدين والملّة. السابع: الحين والزمان. الثامن: اتباع الأنبياء. والمراد بها هاهنا جماعة.

﴿يَدۡعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. من الدعوة.

﴿إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ جار ومجرور. «والدعوه إلى الخير هي من أهمّ الأسباب التي تكون دخيلة في رقيّ الأُمّة وتقدّمها في كلّ المجالات... والمراد من الخير كل ما له دخل في الاعتصام بحبل الله سواء كان من المعارف الحقّة أم الأعمال الصالحة أم مكارم الأخلاق...»[٤].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ فعل مضارع وفاعله وجار ومجرور.

---

١. كما في التبيان ٢/ ٥٤٨.
٢. كما في التبيان ٢/ ٥٤٨.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٨٣.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٢١٠.

«المعروف: هو الفعل الحسن الذي له صفة زائدة على حُسْنِه وربّما كان واجباً أو ندباً فإن كان واجباً فالأمر به واجب وإن كان ندباً فالأمر به ندب»[١]. أو «كلّ ما هو خير وحسن عقلاً ولم ينه عنه شرعاً فهو اسم جامع يشمل طاعة الله ﷻ والتقرب إليه والإحسان إلى الناس»[٢].

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ حرف عطف وفعل مضارع وفاعله وجار ومجرور.

قال الشيخ: «والمنكر: هو القبيح فالنهي عنه كلّه واجب والانكار هو إظهار كراهة الشيء لما فيه من وجه القبح ونقيضه الاقرار وهو إظهار تقبّل الشيء من حيث هو صواب حسن»[٣].

وقال السيّدُ السبزواري: «المنكر: هو ما أنكره العقل والشرع فيكون ضد المعروف... أنّ المعروف والمنكر عند الشرع هو الخير والشرّ المعروفان عند العقل وتدعو إليهما الفطرة.[٤]

﴿وَ﴾ حالية أو استئنافية. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ مبتدا

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ عماد وخبر. أي الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم الواصلون إلى كمال الفلاح منحصراً.

## الروايات

في تفسير القمي: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، فهذه الآية محمّد صلى الله عليه وآله ومن تابعهم ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.[٥]

وفي معتبرة مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أ واجب هو على الأمّة جميعاً؟ فقال: لا، فقيل له:

---

١. التبيان ٢/ ٥٤٩.
٢. مواهب الرحمن ٦/ ٢١٢.
٣. التبيان ٢/ ٥٤٩.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٢١٢.
٥. تفسير القمي ١/ ١٠٨، (١/ ١١٦ ط الأعلمي).

ولم؟ قال: إنّما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف مِنْ المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيٍّ مِنْ أيٍّ يقولُ: مِنْ الحقّ إلى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله ﷻ قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فهذا خاص غير عام، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[١] ولم يقل: على أمّة موسى ولا على كلِّ قومه وهم يومئذ أمم مختلفة والأمّة واحدةٌ فصاعداً كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[٢] يقول: مطيعاً لله ﷻ وليس على مَنْ يعلم ذلك في هذه الهدنة مِنْ حَرَجٍ إذا كان لا قوةَ له ولا عُدَدَ ولا طاعة.

قال مسعدة: وسمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وسُئل عن الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ أفضلَ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عندَ إمامٍ جائرٍ» ما معناه؟ قال: هذا علىٰ أن يأمره بعد معرفَتِهِ وهو مع ذلك يُقْبَلُ منه وإلّا فلا.[٣]

وعن أبي عَمْرٍوْ الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قال: في هذه الآية تَكْفيرُ أهل القبلة بالمعاصي، لأنّه مَنْ لم يكن يدعو إلى الخيرات ويأمُر بالمعروف ويَنْهى عن المنكر من المسلمين فليس من الأمّة التي وصفها الله لأنكم تَزْعُمُون أنَّ جميع المسلمين من أمّة محمّد وقد بدت هذه الآية وقد وصفت أمة محمّد بالدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الأمّة وهو على خلاف ما شرطه الله على الأمّة ووصفها به.[٤]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال في آخر خطبته: ... وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنّما أُمرتم بالنهي بعد التناهي.[٥]

وعنه عليه السلام قال في آخر خطبته: ... لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له

---

١. سورة الأعراف / ١٥٩.
٢. سورة النحل / ١٢٠.
٣. الكافي ٩/ ٤٩٤، ح١٦ (٥/ ٥٩).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٥، ح١٢٧.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٤.

والناهين عن المنكر العاملين بِهِ.[١]

**والروايات الواردة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدّاً فَإِنْ رُمْتَ اَلمَزِيْدَ فَارْجِعْ إلى كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في كُتُبِ الحديث وَالأَخْبار.**

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، على ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

﴿لَا تَكُونُواْ﴾ فعل نهي وفاعله أو اسمه. خطاب للمجتمع أو المؤمنين كما مرّ.

﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ جار ومجرور خبر كان، فعل ماض وفاعله.

﴿كَٱلَّذِينَ﴾: أي كاليهود والنصارى. فالمراد بالتفرّق: الاختلاف والتشتت في العمل وبين المجتمع وبين المؤمنين.

﴿وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ حرف عطف وفعل ماضٍ وفاعله. والمراد بالاختلاف: التفرق من حيث الاعتقاد. قال في الميزان: «قدّم التفرق على الاختلاف لأنّه كالمقدمة المؤدية إليه لأنّ القوم مهما كانوا مجتمعين متواصلين اتصلت عقائد بعضهم ببعض واتحدت بالتماس والتفاعل...»[٣].

﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ جار ومجرور، متعلِّقاً بـ ﴿وَٱخۡتَلَفُواْ﴾.

﴿مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ ما مصدرية وفعل ماضٍ والضمير مفعول به وفاعله. أي اختلافهم يكون بعد ما جاءَهم البينات والأدلة الواضحة والحجج الإلهية والكتب السماوية التي تبيّن لهم الطريق.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ حرف عطف أو استئناف، وبعده نتيجة للتفرق والاختلاف. ومبتدا.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.
٢. سورة آل عمران / ١٠٣.
٣. الميزان ٣/ ٣٧٤.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ خبر مقدم ومبتدا مؤخر.

﴿عَظِيمٌ﴾ نعت. ومجموع جملة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ خبر لـ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ وهذه عقوبة لهم على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الآيات والبينات.

**الروايات**

الكليني بإسناده إلى حديث جنود العقل والجهل عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: ... والألفة وضدها الفرقة... .[١]

السيّدُ الرضي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: ... إنّ الشيطانَ يُسَنِّي لكم طُرُقَهُ ويُريدُ أن يَحُلَّ دينكم عُقْدَةً عقدةً ويُعطيكم بالجماعةِ الفُرقَةَ وبالفُرْقَةِ الفتنة، فاصدِفُوا عن نَزَغاتِهِ ونَفَثَاتِهِ واقبَلُوا النصيحةَ ممّن أهدَاهَا إليهم واعقِلوهَا علىٰ أنفسِكُمْ.[٢]

السيّدُ الرضي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: ... والزَمُوا السَّوادَ الأعظمَ فإنّ يَدَالله مع الجماعةِ وإيّاكم والفُرْقَةَ، فإنّ الشاذَّ من الناسِ للشيطانِ كما أنّ الشاذَّ مِن الغنمِ للذئب... .[٣]

السيّدُ الرضي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: ... فإيّاكم والتَّلَوُّنَ في دينِ الله فإنّ جماعةً فيما تَكرهونَ مِن الحقِّ خيرٌ مِن فُرْقَةٍ فيما تُحِبُّونَ مِن الباطِلِ وإنّ الله سبحانه لَمَ يُعْطِ أحداً بِفَرقَةٍ ممَّن مَضَى ولا ممَّن بَقِيَ... .[٤]

الآمُدِي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة.[٥]

---

١. الكافي ١/ ٢٣ (طبع الإسلامية).
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٨/ ٣٩٦، ح٧.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٨/ ٣٩٦، ح٨.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٨/ ٣٩٦، ح٩.
٥. غررالحكم، ح٢٤٨٨؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٨/ ٣٩٧، ح١٠.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾

يذكر في الآية الشريفة وما بعدها جزاء الطائفتين السابقتين على نحو اللف والنشر المُشَوَش علىٰ ما يُصْطَلَحُ عليه في فَنِّ ٱلْبَلاغة فتكون وجوه المفلحين مبيضّة ووجوه المعذِّبين مسودّة.

وحيث كان في «مقام الكفر بالنعمة ـ وهو نظير الخيانة ـ ممّا يوجب الانفعال والخجل ذكر سبحانه من بين أنواع عذاب الآخرة ما يناسبها بحسب التمثيل وهو سواد الوجه الذي يكنّىٰ به في الدنيا عن الانفعال والخجل ونحوهما كما يشعر أو يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾. وكذا ذكر من ثواب الشاكرين لهذه النعمة ما يناسب الشكر وهو بياض الوجه المكنىٰ به في الدنيا عن الارتضاء والرضا»[١].

﴿يَوْمَ﴾ مفعول فيه. والعامل فيه قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية السابقة وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه... . والمراد به يوم القيامة، فالآيتان تختصان بالآخرة ولا تشملان الدنيا الدنية.

﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ فعل مضارع وفاعله. وهي وجوه المؤمنين المفلحين ثواباً لهم على الإيمان والفلاح، وفعل المضارع يدل على استمرار بياض وجوههم.

﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ حرف عطف وفعل مضارع وفاعله وهي وجوه الكافرين المعذِّبين. وفعل المضارع يدل على استمرار سواد وجوههم.

﴿فَأَمَّا﴾ حرف استئناف وحرف شرط. وما بعده تفصيل بعد إجمال.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ مبتدا وفعل ماضٍ مؤنث وفاعله ومضاف إليه. والجملة مركبة من الشرط. وجاء بالفعل الماضي لأنَّ مضارع محقَّقُ الوجود في حكم الماضي.

---

١. الميزان ٣/ ٣٧٥.

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ استفهام وفعل ماض وفاعله ومفعول فيه ومضاف إليه والضمير يضاف إليه. وهذا جواب الشرط. أي يقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ وفيه التفات لغرض التوبيخ والتقريع، وإنّما قدّمﷻ جزاء الكافرين توبيخاً لهم وتشنيعاً لأفعالهم.

ثمّ المراد بالإيمان: الإيمان الظاهري والمراد بالكفر هو العملي منه الذي يوجب التفرّق والاختلاف وترك الواجبات والإتيان بالمحرمات وَٱلْكُفْر بأَنعُمِ الله تعالى.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ حرف جزاء وفعل أمر وفاعله ومفعول به. ذكر حرف ﴿فَ﴾ لأنّ العذاب مترتب على الكفر. وجاء بالفِعل الأمر للإهانة والتذليل، واطلق العذاب ولم يذكره بوصف تعظيماً له وتهويلاً.

﴿بِمَا﴾ حرف جرّ وما مصدرية. والباء للسببية. أعني سبب عذابهم هو الاستمرار في الكفر كما يدل عليه الفعل الماضي الاستمراري الذي يأتي بعده أي قوله: ﴿كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿كُنتُمْ﴾ فعل ماضي والضمير اسم كان.

﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبره.

**الروايات**

قال الطبرسيُّ في ذيل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: «رابعها: إنّهم أهل البدع والأهواء من هذه الأُمّة، عن علي عليه السلام»[1].

وروىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الخوارج يَمْرُقُوْنَ من الدين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة.[2]

وفي المناقب نقلاً عن تفسير الفلكي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الآية، هم الخوارج.[3]

وفي كشف اليقين للعلّامة الحلي في ذيل الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ قال: عليٌّ عليه السلام

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٨٥.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٨٥.
٣. المناقب ٣/ ٢١٧.

وأصحابُه.[١]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يأتي على أُمّتي زمان يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا.[٢]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ليردَنّ الحوضَ من صحبتي أقوامٌ حتّى إذا رأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولن: أصحابي، أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرىٰ.[٣]

وفي كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي في حديث رقم ١٣١: من المتفق عليه من مسند أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليردنَّ عَلَيَّ الحوض رجال ممّن صحبني، حتّى إذا رأتهم، ورفعوا إليّ رؤوسهم اختلجوا، فأقول: رب أصحابي. فيقال لي: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي الكتاب المذكور أيضاً حديث رقم ٢٦٧ من المتفق عليه من مسند أبي هريرة من عدة طرق قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بينا أنا واقف ـ يوم القيامة ـ إذا زمرة، حتّى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، فقال: هلموا. فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرىٰ.[٤]

وقال الحارث الأعوَر: سمعت عليّاً عليه السلام على المنبر يقول: «إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتّى يعمل عملاً يستوجب به الجنة، وإنّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ من أهله فَما يعود إليهم حتّى يعمل عملاً يستوجب به النار». ثمّ قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية.[٥]

---

١. كشف اليقين / ٣٦٣.
٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ١٢٥؛ المصنف ٨/ ٥٩٣؛ مسند ابن راهويه ١/ ٤٠١.
٣. الكشف والبيان ٣/ ١٢٦.
٤. التفسير الكاشف ٢/ ١٢٨.
٥. الكشف والبيان ٣/ ١٢٥.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾

﴿وَأَمَّا﴾ حرف عطف وحرف شرط. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ.

﴿ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ فعل ماضٍ مؤنث وفاعله والضمير مُضافٌ إليه.

بياض الوجه يكون لإشراقها وإسفارها بالسرور ونيل البُغِيَةِ والظفر بالمنية واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله عليه. كما أنّ سواد الوجه يكون لِحزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله عليه.

﴿فَفِي﴾ حرف جزاء وحرف جر.

﴿رَحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ مجرور ومضاف إليه أي في ثوابه وسمّىٰ الثواب الرحمة للاشعار بأنّه تفضّل من الله تعالى. والرحمة عامة شاملة لجميع مواهبه تعالى وإفاضاته بالنسبة إلى عباده المؤمنين. دنيوية كانت أو أُخروية.[١]

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مبتدأ وجار ومجرور وخبر. أي المؤمنون في رحمة الله خالدون.

«ابتدأ في الآية السابقة بتبييض وجوه المؤمنين واختتم بأنّهم في رحمة الله خالدون ليكون الابتداء والاختتام بما يشرح الصدر ويسرّ الطبع وللإعلام بأنّ رحمته سبقت غضبه»[٢].

## الروايات

قال علي بن إبراهيم القمي: حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن هيثم عن مالك بن ضمرة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ترِد عليَّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات:

[١] فراية مع عجل هذه الأمّة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٢١٨.
٢. مواهب الرحمن ٦/ ٢١٧.

أمّا الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه، فأقول: رِدوا إلى النار ظِماءً مُظمئين، مُسوَدّة وجوهكم.

[٢] ثمّ ترِد عليّ راية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرفناه ومزقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: رِدُوا إلى النار ظِماءً مُظمئين مُسوَدّة وجوهكم.

[٣] ثمّ ترد عليَّ راية مع سامري هذه الأمّة فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيّعناه وصنعنا به كلّ قبيحٍ فأقول: رِدوا إلى النار ظِماءً مُظمئين مُسوَدّة وجوهكم.

[٤] ثمّ ترد عليَّ راية ذي الثدية[1] مع أوّل الخوارج وآخرهم فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزقنا وبَرِئنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول: رِدُوا إلى النار ظِماءً مُظمئين مُسوَدّة وجوهكم.

[٥] ثم ترد عليَّ راية مع إمام المتقين وسيّد الوصيين وقائد الغُرّ المُحَجَّلين ووصي رسول ربّ العالمين فأقول لهم: ماذا فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأحييناه ووالياه ووازرناه ونصرناه حتّى أهريقت فيهم دماؤنا، فأقول: رِدُوا إلى الجنة رِواءً مرويّين مُبيضّةً وجوهكم. ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.[2]

وفي الكافي بإسناده إلى خُطبة الوسيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال فيها: ... وعن يسار الوسيلة عن يسار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ظُلّةٌ يأتي منها النداء: يا أهل الموقف طوبى لمن أحبَّ الوصي وآمن بالنبي الأُمّي والذي له الملك الأعلى، لا فاز أحدٌ ولا نال الروحَ والجنةَ إلّا مَنْ لقى خالقه بالاخلاص لهما والاقتداء بنجومهما، فأيقنوا يا أهلَ ولايةِ الله

---

١. ذو الثدية: لقب حرقوص بن زهير رئيس الخوارج.

٢. تفسير القمي ١/ ١٠٩ (١/ ١١٧ طبع الأعلمي؛ ١/ ١٦٣، ح١٨ طبع مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه).

ببياض وجوهكم وشرفِ مقعدكم وكرمِ مَآبِكُمْ وبفوزكم اليومَ علىٰ سُرُرٍ متقابلين، ويا أهلَ الانحراف والصدود عن الله عز ذكره ورسولِهِ وصراطِهِ وأعلامِ الأزمنةِ أيقِنُوا بسوادِ وُجُوهِكُمْ وغَضَبِ ربِّكم جزاءً بما كنتم تعملون، الخطبة.[١]

الصدوق بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا سألتم الله لي فاسألوه الوسيلة، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقاة بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس، فرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتّىٰ تنصب مع درجة النبيين فهي في درج النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته، فينادى مناد يسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذه درجة محمّد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل أنا يومئذ متزرا بريطة من نور على تاج الملك، وإكليل الكرامة والملائكة الكرام وعلي بن أبي طالب أمامي ولوائي بيده وهو لواء الحمد مكتوب عليه: (لا إله إلا الله المفلحون هم الفائزون بالله) فإذا مررنا بالنبيين قالوا ملكين مقربين، وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان ملكان ولم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالمؤمنين قالوا هذان نبيّان مرسلان حتّى أعلو الدرجة وعلي يتبعني حتّى إذا صرتُ في أعلا درجة منها وعليّ أسفل منّي بدرجة وبيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا وصيّ ولا مؤمن إلّا رفعوا رؤوسهم إليَّ يقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله تعالى فيأتي النداء من عند الله تعالى يسمع النبيّون وجميع الخلق: هذا حبيبي محمّد وهذا وليي عليّ طوبى لمن أحبّه وويل لمن أبغضه وكذب عليه.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبّك إلّا استروح إلى هذا الكلام وابيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً إلا أسود وجهه واضطربت قدماه، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليَّ أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما

---

١. الكافي ١٥/ ٧٦ (٨/ ٢٥).

الآخر فمالك خازن النار فيدنو رضوان فيسلم عليَّ فيقول السلام عليك يا رسول الله فارد عليه السلام، وأقول: أيها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربِّه من أنت؟ فيقول: أنا رضوان خازن الجنة أمرني ربّي آتيك بمفاتيح الجنة فادفعها إليك فخذها يا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما أنعم به عليَّ فادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إلى عليٍّ ويرجع رضوان، ثمّ يدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد. فأقول: السلام عليك أيها الملك ما أنكر رؤيتك وأقبح وجهك مَنْ أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النار أمرني ربّي أن آتيك بمقاليد النار، فأقول قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما فضلني به، أدفعها إلى أخي علي ابن أبي طالب فيدفعها إليه، ثمّ يرجع مالك فيقبل عليٌّ ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتّى يقف على عجزة جهنم فيأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتدَّ حرّها وتطاير شررها فتنادي جهنم جزني يا عليّ فقد أطفأ نورك لهبي فيقول لها علي: قري يا جهنم خذي هذا واتركي هذا، خذي هذا عدوي واتركي هذا وليي، فلجهنم يومئذ أشدّ مطاوعة لعليٍّ من غلام أحدكم لصاحبه فإن شاء يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعليٍّ فيما يأمرها به من جميع الخلايق.[١]

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، اشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار والآيات الواردة في الوعد والوعيد. أو جميع الآيات النازلة في هذا الكتاب المبارك.

جاء باسم الإشارة للبعيد تفخيماً للآيات.

﴿ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه. أي مواعظه وحججه وعلاماته وبيّناته.

﴿نَتْلُوهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضميرٌ مُسْتَتِرٌ تقديرُهُ «نَحْنُ» وضمير «ها» مفعول به.

---

١. علل الشرائع ١/ ١٦٤، ح٦.

أي نَقْرَؤُها. وضمير ٱلْفاعِل يرجع إلى الله تعالى أتى بضمير الجمع تفخيماً وتبجيلاً له تعالى والضمير المفعولي يرجع إلى الآيات والجملة الفعلية في موضع الحال من الآيات والعامل فيها معني الإشارة ويجوز أن تكون في موضع الخبر لـ ﴿تِلۡكَ﴾ و﴿ءَايَٰتُ﴾ بدل منه.

﴿عَلَيۡكَ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿نَتۡلُوهَا﴾، والخطاب للنبي الأعظم محمّد ﷺ . وفيه التفات تذكيراً لحرمته ﷺ .

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ جار ومجرور. ظرف تعلَّق بالتلاوة أو الآيات المتلوّة وهو قيد توضيحيٌّ، لأنّ كلّ ما يصدر عنه تبارك وتعالى حقّ بجميع معنى الكلمة.

قال في الميزان: «الظرف متعلَّق بقوله ﴿نَتۡلُوهَا﴾ والمراد كون التلاوة حقّ من غير أن يكون باطلاً شيطانيّاً، أو متعلَّق بالآيات باستشمام معنى الوصف فيه أو مستقر متعلَّق بمقدَّر والمعنى [الأخير] أنّ هذه الآيات الكاشفة عن ما يصنع الله بالطائفتين: الكافرين والشاكرين مصاحبة للحقّ من غير أن تجري على نحو الباطل والظلم، وهذا الوجه أوفق لما يتعقبه من قوله: ﴿مَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا﴾»[1].

«وقد يسأل سائل: وأيّة فائدة من هذه الأخبار مادام محمّد ﷺ يعلم علم اليقين أنّ هذه الآيات حقّ وصدق؟

الجواب: دأب القرآن على تكرار ذلك في العديد من الآيات وليس المقصود منها محمّداً بالذات، بل مَنْ يرتاب ويظن بأنّ هذه الآيات وما إليها هي من محمّد ﷺ لا من الله ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[2]»[3].

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿مَا﴾ حرف نسخ. ﴿ٱللَّهُ﴾ اسم ما.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع فاعله هو يرجع إلى الله، خبر ما.

﴿ظُلۡمٗا﴾ مفعول به، وتنكيره وهو في سياق النفي يفيد الاستغراق. وَيشمل

---

١. الميزان ٣/ ٣٧٥.
٢. سورة العنكبوت / ٤٨.
٣. التفسير الكاشف ٢/ ١٢٩.

جميع أنحاء الظلم في التشريع والجزاء.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ جار ومجرور. وهو جمع محلّى باللام يفيد الاستغراق، أي أنّ الله تعالى لا يُرِيْدُ الظُّلْمَ والجَوْرَ بالنسبة إلى أحد من العالمين أي جميعهم وأنّه تعالى لا يفعل ما لا يريده.

لأنّ الظلم قبيح والله سبحانه منزه عنه فما ورد من العذاب بالنسبة إلى الكافرين فإنّه نتيجه كفرهم وعنادهم وانكارهم لآيات الله تعالى.

## روايةٌ

ونُقل عنهم عليهم السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ قال: نحن هم.[١]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿١٠٩﴾

هذه الآية الشريفة تعليل بالنسبة إلى نفي الظلم بالنسبة إلى الله تعالى، لانّه غنيٌّ عن ظلم العباد والبلاد لأنّ ما في السموات وما في الأرض له ومصير الأمور إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف الآية بسابقها لما مرّ.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم وتقديمه يوجب الحصر أي جميع ما في السموات والأرض له خَلْقاً ومِلْكاً على وجه الانحصار، والمراد بالملكية هي الحقيقية كما هي الواضحة. فلا تنافي الملكية الاعتبارية لبعض الأشخاص لبعض الأشياء.

﴿مَا﴾ مبتدأ مؤخر، أتى بـ «ما» لِأَنّها تقع على ما يعقل وما لا يعقل.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور. ﴿وَمَا﴾ حرف عطف ومعطوفه.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور.

﴿وَ﴾ حرف عطف، وما بعده بيان للمعاد بعد ذكر المبدأ الأعلى لما هو ثابتٌ من التلازم بينهما ولأنّ من كان موجداً لما سواه لابدّ أن يصير ما سواه إليه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. ﴿تُرْجَعُ﴾ فعل مضارع مجهول. ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ نائبُ فاعله.

---

١. الإمامة / ٢٦٨ ونقل عنه في زبدة تأويل الآيات النازلة في فضائل العترة الطاهرة / ٢٥.

وبالجملة حيث «أنّ مرجع جميع الأُمور أيّا ما كانت إليه تعالى فليس لغيره تعالى من الأمر شيء حتّى يسلبه الله عنه وينتزعه من يده ويجري فيه ارادة نفسه فيكون بذلك ظالماً، وهذا هو الذي يشير إليه قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾»[1].

﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُم مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

هذه الآية الشريفة تدلّ على تفوّق المسلمين على غيرهم من الأُمم إذا اتّفقت كلمتهم على التوحيد وظهر العدل فيهم واجتمعت أُمّتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشاعت الرحمة والمودّة بينهم.

﴿كُنتُمۡ﴾ فعل ماض والضمير اسمه، ويمكن أن تُعَدَّ (كان) هنا تامَّةً والضمير فاعله، أتى بالْفِعْلِ الماضي لتقدّم البشارة بهذه الامة في الكتب السماوية الماضية، أو لأنّ هذا التفوق يتحقّق في المستقبل القريب قطعاً والخطاب للمؤمنين من أُمّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿خَيۡرَ﴾ خبره، وعلى تمامية كان ﴿خَيۡرَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿كُنتُمۡ﴾ وتكون منسلخة عن الزمان. واستعمل كلمة الخير بالنسبة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام لأنّهم أفضل هذه الأُمّة وخيرها.

﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه. فالمراد من هذه الامة هي أُمّة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ هل المراد منها جميع المسلمين في كلّ عَصْرٍ ومِصْرٍ أو خصوص من كان منهم في الصدر الأوّل كالأصحاب والتابعين؟

الظاهر هو الأوّل ولكن في فرض تحقّق شرائطها وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى ولوازمه.

---

١. الميزان ٣/ ٣٧٦.

والأُمة إنّما تطلق على الجماعة والفرد لكونهم ذوي هَدَفٍ واحدٍ ومقصد فارِدٍ. وهم يقصدونه.

﴿أُخۡرِجَتۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول مؤنث والضمير المستتر «هي» نائب لفاعله. والمراد بالإخراج هو الإظهار وفيه إشعار بحدوث هذه الأُمّة وتكوّنها بحسب مَراتِبها التدريجيّة الواقعية.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور. أي عامة البشر.

﴿تَأۡمُرُونَ﴾ فعل مضارع والضمير «واو» فاعله. ابتدأ ببيان سبب خيرية هذه الأُمة. أتى بفعل المضارع تذكيراً للزوم دوام عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ جار ومجرور. ومعناه معروف. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿تَنۡهَوۡنَ﴾ فعل مضارع و «واو» فاعله.

﴿عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ جار ومجرور ومعناه واضح.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، «ذكر الإيمان بالله بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل ذكر الكل بعد الجزء أو الأصل بعد الفرع»[1].

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿لَوۡ﴾ حرف شرط. ﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماض.

﴿أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فاعله ومضاف إليه. بالنبي الخاتم ﷺ وشريعته وأَسلموا.

﴿لَ﴾ حرف جواب. ﴿كَانَ﴾ فعلٌ ماضٍ واسمه هو مستتر. ﴿خَيۡرًا﴾ خبره.

﴿لَّهُم﴾ جار ومجرور. ﴿مِّنۡهُمُ﴾ جار ومجرور خبر مقدم أي من أهل الكتاب.

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ مبتدأ مؤخر، أي يؤمنون بالشريعة الإسلامية والرسول الخاتم ﷺ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَكۡثَرُهُمُ﴾ مبتدا ومضاف إليه.

﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ خبر، فسقوا وخرجوا وكفروا في الدين وفي العقيدة والعمل. والمراد بالفسق هنا الكفر.

---

١. الميزان ٣/ ٣٧٦.

## الروايات

أحمد بن محمّد السياري عن محمّد بن علي عن ابن مسلم عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال: قلت: ﴿خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فقال أبوعبدالله عليه السلام: متى كانوا ﴿خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟، فقلتُ: لا أدري.

فقال عليه السلام: إنّما أُنزلت هذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله وفي أُوصيائه خاصة فقال تعالى: أنتم ﴿خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، قال: نزل بها جبرائيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله هكذا، فما عنىٰ بها إلّا محمّداً صلى الله عليه وآله وأُوصيائه[1] عليهم السلام.

**روىٰ نحوها ابن شهر آشوب في مناقبه[2]. وقبله العياشي في تفسيره[3].**

في صحيحة ابن سنان قال: قُرِئَتْ عند أبي عبدالله عليه السلام: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، فقال أبوعبدالله عليه السلام: خير أُمّة يقتلون أميرالمؤمنين والحسن والحسين ابني عليّ عليهم السلام؟!

فقال القارئ: جعلتُ فداك كيف نزلت؟ قال: نزلت ﴿كُنتُمْ خَيرَ﴾ أئمة ﴿أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ألا ترى مدح الله لهم ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.[4]

**أقول: هكذا التنزيل ولعلّه هو المراد به دون قراءة اللفظ فلا يدل على التحريف.**

وفي تفسير العياشي عن أَبي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيّ عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قال: يعنى الأُمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام، فهم الأُمّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الأمة الوُسْطىٰ وهم خير أُمّة أُخرجت للناس.[5]

وفيه عن حَمّاد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في قراءة

---

١. كتاب القرأة / ٢٨، ح١٣٢.
٢. المناقب ٣/ ١٧٠.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٣٥، ح١٢٩.
٤. تفسير القمي ١/ ١١٠.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٣٥، ح١٣٠.

علي عليه السلام ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .١

الطُّوْسِيُّ رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: أنتم تُتِمُّونَ سبعينَ أُمةً أنتم خيرُها وأكرمُها على الله.٢

الطّبرسيُّ رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قال: أنتم زَيَّنْتُمْ ستين أُمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله.٣

**الشيخ أبوالفتوح الرازي في تفسيره٤ نقل رواية طويلة عن سلمان الفارسي في قضية أحد أحبار اليهود حيث سأل عن ثلاث وثلاث وواحدة من عمر، وأرسله عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأجابه عليه السلام، فراجعها فإنّها لطيفة جدّاً.**

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ﴿١١١﴾

الآية الشريفة تبشّر المؤمنين بالغلبة على أهل الكتاب عامةً واليهود منهم خاصةً.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب بحذف النون و «واو» فاعله و «كم» مفعول به. تنفي إضرار المسلمين بهم بالنفي الأبد.

﴿إِلَّآ أَذًى﴾ حرف استثناء ومستثنىٰ وهو هنا وقع موقع المصدر ومفعول مطلق. والاستثناء متصل أي أنّهم لن يضرّوكم إلّا ضرراً يسيراً.

والأذى في اللغة: «ما يصل إلى الحيوان [أي صاحب الحياة] من الضرر إمّا في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيويّاً كان أو أُخرويّاً»٥.

وقيل: الاستثناء منقطع لأنّ الأذى ليس من الضرر ويخرج عن مفهومه.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٣٥، ح١٢٨.
٢. التبيان ٢/ ٥٥٧؛ الكشف والبيان ٣/ ١٢٧؛ تفسير الطبري ٤/ ٦٠؛ ونحوها في مسند أحمد ٤/ ٤٤٧.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٨٦.
٤. روض الجنان ٥/ (٩-١١).
٥. مفردات الراغب / ١١.

ويرده: أَنَّ إطلاقَ الضرر يشمل مطلق ا لضرر والنقص ولو كان يسيراً.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿إِن يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾ حرف شرط وجزم وفعل مضارع مجزوم، «واو» فاعله، الضمير مفعول به أي: إن يحارب أهل الكتاب المسلمين.

﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط، «واو» فاعله والضمير مفعول به.

﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾ مفعول به ثان، تولى الأدبار: كناية عن الانهزام والفرار عن الزحف.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف.

﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ فعل مضارع مجهول و «واو» نايب فاعله جملة إِخبارية مستقلة. «رفع على الاستئناف. ولم يعطف ليجري الثاني [عدم النصرة] على مثال الأوّل [تولى الأدبار] لأنّ سبب التولي القتال وليس كذلك منع النصر لأنّ سببه الكفر»[١].

وفي الآية الشريفة دلالة واضحة على نبوة نبيّنا ﷺ لوقوع المخبَر بعد هذا الخبر لأنّ يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير و بني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي الأعظم ﷺ والمسلمين ما قاتلوهم إلّا ولّو الأدبار منهزمين من دون انتصار.[٢]

وفيها ثلاث بشارات له ﷺ وللمسلمين عامّة وقد تحقّقت مصاديقها على أكمل وجه في عصر الرسالة ويستمرّ ذلك لو عمل المسلمون بما نزل من القرآن الكريم على النبي الأعظم ﷺ واعتصموا بالوحدة واجتنبوا من الفرقة.

---

١. التبيان ٢/ ٥٥٩.

٢. راجع التبيان ٢/ ٥٥٩.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

هذه الآية بإجماعٍ من المفسرين نزلت في اليهود خاصة وهم مَسْلُوْبُوْنَ ٱلْعِزَّة والكرامة ومكتوبٌ عليهم الذل والهوان من بزوغ نجم الإسلام إلى يوم القيامة.

﴿ضُرِبَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول مؤنث، أي ثبتت عليهم.

﴿عَلَيْهِمُ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ نائب فاعل. «الذُّلُّ: ما كان عن قهر يقال: ذَلَّ يَذِلُ ذُلًّا»[1].

والذِّلُّ ما كان بعد تَصَعُّبٍ وشماسٍ من غير قهرٍ يقال: ذلَّ يَذِلُ ذُلّاً.

وبعبارة أُخرى: الذِلّة: «ذلّ خاص قرين الإهانة ضد العزّ الذي هو بمعنى الامتناع، فيكون الذلّ بالمعنى العام هو الانكسار والضعف ومن أسمائه تعالى: المُذِلّ»[2].

ولعلّ المراد من الذِلّة: الذِلّة التشريعية لأنّهم محكومون بأداء الجزية بل الأَوْلىٰ إنّها إخبار عن ما جرى عليهم ويجري بقضاء من الله وقدر من ذِلّتهم الدائمة.

﴿أَيْنَ﴾ مفعول فيه.

﴿مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ ما جازمة وفعل مضارع مجهول مجزوم و «واو» نائب فاعله.

ثُقفوا: أي وُجدوا. يقال: ثَقَفْتُهُ: أي وجدتُهُ ولقيتُهُ.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء، والاستثناء يمكن أن يكون منقطعاً لأنّهم إذا آمنوا بالرّسولِ الخاتم ﷺ خرجوا من اليهودية موضوعاً، ويمكن أن يكون متصلاً والخروج حكميّاً.

﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور وجار ومجرور آخران. الحبل: هو العهد والسبب

---

١. المفردات / ١٨٣.

٢. مواهب الرحمن ٦/ ٢٤١.

الذي يوجب التمسك به العصمة والوقاية.

وحبل الله هو الالتجائ إليه بالإيمان به والإخلاص له. والإيمان بنبيّه محمّد رسول الله ﷺ .

﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ حرف عطف ومعطوف وجار ومجرور. كرر لفظ حبل لاختلاف المعنى لأنّه من الله: الحكم التشريعي أو القضاء التكويني أو كلاهما، ومن الناس: العمل والبناء، أو من الناس الرسول ﷺ وأُوصياؤُهُ الإِثْنا عَشَرَ عليهم السلام كما في الروض[1].

﴿وَبَآءُو﴾ حرف عطف وفعل ماضٍ و «واو» فاعله، أي اتخذوا مبائة ومكاناً وحلّ مَبْوَأ ومعه غضب الله. «أصل البَواء مساواة الأجزاء في المكان خلاف النَبْوَةِ الذي هو منافاة الأجزاء»[2].

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، وجار ومجرور. أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ضُرِبَتْ﴾ فعل ماضٍ مجهول مؤنث، مرّ معناه.

﴿عَلَيْهِمُ﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى اليهود.

﴿ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ نائب فاعل. المسكنة هي الفقر الشديد والمسكين ذليل دائماً، «والظاهر أنّ المسكنة أن لا يجد الإنسان سبيلاً إلى النجاة والخلاص عمّا يهدده من فقر أو أيُّ عُدم»[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدا، ابتدأ لتعليل ذلّتهم ومغضوبيتهم ومسكنتهم.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ حرف جر، حرف مشبهة بالفعل والضمير اسمه يرجع إلى اليهود.

﴿كَانُواْ﴾ فعل ماض و «واو» اسمه، وخبر مبتدا.

﴿يَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر كان. وجملة ﴿كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ خبر إنّ. فأوّل علّة ذلّتهم ومسكنتهم استمرارهم على الكفر والجحود.

---

١. روض الجنان ٥/ ١٧.
٢. المفردات / ٦٣.
٣. الميزان ٣/ ٣٨٤.

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. لأنّهم يَرْضَوْنَ بأفعال أسلافهم من قتل الأنبياء ولذا نسب القتل إليهم بِالْفِعْلِ المضارع الذي يدل على الاستمرار، وهذا هو العلّة الثانية.

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي لا يكون قتلهم عليهم السلام إلّا بغير حقّ، لعدم إمكان قتل النبي بالحقِّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ. ﴿بِمَا﴾ حرف جرّ وما مصدرية.

﴿عَصَواْ﴾ فعل ماض وفاعله. خبر. والعصيان هو العلّة الثالثة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿كَانُواْ﴾ فعل ماض و «واو» اسمه.

﴿يَعْتَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر كان. الاعتداء: هو تجاوز الحدّ ومأخوذ من العدوان. واستمرارهم على الاعتداء هو العلّة الرابعة.

وفي التفسير الكاشف[١] اشارة لطيفة إلى الكيان الصهيوني ودولتهم فراجعها إن شئت.

## الروايات

في معتبرة إسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٢] قال: والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأُخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً.[٣]

**ورواها العياشي في تفسيره[٤]. والبرقي في محاسنه[٥].**

وفي العياشي عن يونس بن عبدالرحمن عن عدّة من أصحابنا ورفعوه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: الحبل من الله

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٣٤.
٢. سورة البقرة/ ٦١.
٣. الكافي ٤/ ١١٣، ح٦ (٢/ ٣٧١).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٦، ح١٣٢.
٥. المحاسن ١/ ٣٩٩، ح٢٩٧.

كتاب الله والحبل من الناس هو علي بن أبي طالب عليه السلام .١

**وروىٰ نحوها فرات الكوفي في تفسيره٢ وابن شهرآشوب في مناقبه٣.**

وأمّا ورد في الحديث: «فأوّل ما كفرت به الأُمّة كتاب الله وأوّل ما اختلفت فيه وتفرّقت هو الإمامة فهم متقلّبون في ما تقلّبت فيه أهل الكتاب من بلايا الدنيا والآخرة حتّى يرجعوا إلى ما رفضوه كأهل الكتاب»٤.

فهو من ا لتطبيق وليس بالتفسير ولا بالتأويل.

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

الآية الشريفة تدلّ على أَنَّ بعض أهل الكتاب هُم على مَثابَةٍ من الهداية والإيمان بالمبدأ والمعاد و... .

﴿لَيْسُواْ﴾ من الأفعال الناقصة و «واو» اسمه يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿سَوَآءً﴾ خبره، والسواء: مصدر ولذا أفرد مع كونه خبر الجمع وأُريد به الوصف.

مجموعة جملة استثنائية من الآيات السابقة تبيّن عدم استواء جميع أهل الكتاب وأنَّهم على قِسْمَيْنِ: المؤمنون وهم الأقلون، والفاسقون وهم الأكثرون، فليسوا مستوين في الوصف والحكم.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبر مقدم، ومن تَدُلُّ على التبعيض.

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر ونعته. مجموعه جملة تعليلية تفصيلية تبيَّن الوجه في

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٣٦، ح١٣١.
٢. تفسير فرات / ٩٢، ح٧٦.
٣. المناقب ٣/ ٧٥.
٤. تفسير البيان ٢/ ٢٧٤ للعلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي صاحب ا لميزان رحمه الله.

عدم الاستواء. والمراد بالقيام هو القيام على الإيمان والطاعة والاستقامة عليهما والثبات والدوام عليهما.

﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ فعل مضارع والواو فاعله ومفعول به ومضاف إليه.

التلاوة: هي القرأة مع التأمل في الجملة.

والمراد بآيات الله هل هي ما ورد في كتابهم السماوي الأصل أعني التوراةَ والإنجيل ٱلْحَقِيقِيَّيْنِ، أو ما ورد في القرآن الكريم من الآيات والثاني أظهر فحينئذ هذه الطائفة من أهل الكتاب هم آمنوا بالرسول الأعظم ﷺ وأسلموا وبعد إسلامهم لايطلق عليهم أهل الكتاب إلّا بالنسبة إلى الماضي ويُستفادُ جوازُ استعمال المشتق في ما انقضى عنه المبدأ.

قال صاحب التفسير الكاشف: «وأكثر المفسرين حملوا هذا المدح على مَنْ أسلم من أهل الكتاب وحَسُنَ إسلامه عقيدة وعملاً»[١].

والعجب من السيّد السبزواري حيث حملها على الأُعم ممّا ورد في التوراة والانجيل والقرآن الكريم.[٢]

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ مفعول فيه و مضاف إليه.

«والآناء جمع إنىٰ بكسر الهمزة أو فتحها، وقيل: إنو وهو الوقت»[٣]، ونحوها في المجمع[٤]. وبالجملة: الآناء: أي الساعات.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ «الواو» حالية، مبتدأ والفعل المضارع وفاعله خبره. والسجود معروف في الصلاة وغيرها. وهم يسجدون لله تعالى في ساعات الليل.

**الروايات**

وفي الخصال مسنداً عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلّا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله القرآن

---

١. تفسير الكاشف ٢/ ١٣٧.
٢. مواهب الرحمن ٦/ ٢٥١.
٣. الميزان ٣/ ٣٨٥.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤٨٨.

فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار.[١]

**في التعبير بالحسد هنا مسامحة عرفية وإلّا لا يكون هذا إلّا الغِبْطَة، والفرق بينها أنّ الحاسد يَتَمَنّىٰ زوال النعمة عن صاحبها وأمّا الغابط فَلا يَتَمَنّىٰ زوال النعمة عن صاحبها بل يستدعيها لنفسه وله معاً.**

الطوسي رفعه عن هِشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صلّى بين العشاءين ركعتين قرأ في الأُولىٰ الحمد وقوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾[٢] إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وفي الثانية الحمد وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ﴾[٤] إلى آخر الآية. فإذا فرغ من القراءة رفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَفَاتِحِ الغَيْبِ الَّتي لا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَ وَكَذَا». وتقول: «اللَّهُمَ أَنْتَ وَلِيُّ نِعْمَتي والقَادِرُ عَلى طَلِبَتي تَعْلَمُ حَاجَتي فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وآلِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَـمَّا قَضَيْتَهَا لي»، وسأل الله حاجته، أعطاه الله ما سأل.[٥]

الطوسي قال: رُوي عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أوصيكم بركعتين بين العشاءين يقرأ في الأُولى الحمد ﴿وَإِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ثلاث عشرة مرّة، وفي الثانية الحمد مرّة و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمس عشرة مرّة، فإنّه من يصلي ذلك في كلِّ شهرٍ كان من المتقين، فإن فعل ذلك في كلِّ سنة كان من المحسنين، فإن فعل ذلك في كلِّ جمعة كان من المصلّين، فإن فعل ذلك في كلِّ ليلة زاحَمني في الجنة ولم يُحْصِ ثوابه إلّا الله تعالى.[٦]

---

١. الخصال ١/ ٧٦، ح١١٩.
٢. سورة الأنبياء / ٨٧.
٣. سورة الأنبياء / ٨٨.
٤. سورة الأنعام / ٥٩.
٥. مصباح المتهجد / ٧٩؛ روض الجنان ٥/ ٢٢؛ ونقل عن الأوّل في وسائل الشيعة ٨/ ١٢١، ح٢، الباب ٢٠ من أبواب بقية الصلوات المندوبة. وهذه الصلاة هي المعروفة بـ «غُفَيلة» لِغَفْلَةِ النّاس عَنْ كَثْرَةِ ثَوابِها.
٦. مصباح المتهجد / ٧٩؛ روض الجنان ٥/ ٢٢ ونقل عن الأوّل في وسائل الشيعة ٨/ ١١٨، ح١، الباب ١٧ من أبواب بقية الصلوات المندوبة.

وفي الروض عن رسول الله ﷺ : ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيه، لو لا أن أشُقَّ على أُمَّتي لا فترضتُها عليهم.[١]

وفيه: عن رسول الله ﷺ في وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام : يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاه الليل.[٢]

وعنه ﷺ : مَنْ كثر صلاته بالليل حَسُنَ وَجْهُهُ بالنهار.[٣]

وعن ابن مسعود: أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثمَّ خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنّه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم.[٤]

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

ثلاثة أُوصاف في هذه الآية الشريفة لتلك الأُمّة من أهل الكتاب سابقاً والمسلمين فعليّاً.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع و «الواو» فاعله، في محلّ الرفع لأنّه نعت آخر بعد قائمة للأُمّة المذكورة في الآية السابقة. وفعل المضارع يدلّ على استمرار إيمانهم.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلّق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

قال السيّد السبزواري: «وإنّما أخّر سبحانه وتعالى الإيمان بالله واليوم الآخر عن التلاوة والسجود إشعاراً بأنّ العمل بالدين أهمّ أركانه وأنّه ليس من مجرد الاعتقاد فقط»[٥].

---

١. روض الجنان ٥/ ٢١.
٢. روض الجنان ٥/ ٢٠.
٣. روض الجنان ٥/ ٢٠.
٤. الكشاف ١/ ٤٠٢؛ روض الجنان ٥/ ٢٢.
٥. مواهب الرحمن ٦/ ٢٥١.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ معطوف ونعته. فهم يؤمنون بالمبدأ والمعاد.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ فعل مضارع و «الواو» فاعله وجار ومجرور، وهذا هو الوصف الثاني في هذه الآية الشريفة والثالث في ذكر أُوصافهم.

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ كسابقه. والمجموع يعدّ وصفاً واحداً.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ كسابقيها، وهذا هو الوصف الثالث في الآية الشريفة والرابع في ذكر اوصافهم.

المسارعة: المبادرة وهي من باب المفاعلة من السرعة، قال الشيخ: «والفرق بين السرعة والعجلة أنّ السرعة: هي التقدم فيما يجوز أن يتقدَّم فيه وهي محمودة وضدها الإبطاء وهو مذموم. والعجلة: هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الأناة وهي محمودة»[١].

وفي الميزان: «والظاهر أنّ السُّرْعَةَ في الأصلِ وَصْفٌ لِلْحَرَكَةِ والعَجَلَة وَصْفٌ لِلْمُتَحَرِّك»[٢].

والخيرات: جمع خير محلىٰ باللام يدلّ على الاستغراق والعموم يشمل جميع أنواع البرّ والأعمال الصالحة من المالية والعبادية والأخلاقية والاجتماعية.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ جار و مجرور، خبره. فشهد الله أنّهم من الصالحين الذين أنعم الله عليهم الهداية في الصراط المستقيم كما في سورة الحمد[٣] والمرافقة مع النبيين والصديقين والشهداء كما في سورة النساء[٤].

والمراد بالصالح: «من كمل اعتقاده وعمله فصلح للوصول إلى مقام القرب

---

١. التبيان ٢/ ٥٦٦.
٢. الميزان ٣/ ٣٨٥.
٣. سورة الحمد / ٧.
٤. سورة النساء / ٦٩.

إليه تعالى»[١].

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف جزم ومفعول به.

﴿يَفْعَلُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم و «الواو» فاعله. يرجع إلى تلك الأُمّة السابقة في الآية ١١٣.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ جار ومجرور. قد مرَّ معنى الخير فلا نعيده.

﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ حرف ربط وحرف نصب وفعل مضارع مجهول منصوب، ونائب فاعله ومفعول به. عُدّي إلى مفعولين لأنّه ضُمِّنَ معنى الحرمان فكأنّه قيل: فلن تُحرموه: أي فلن تحرموا جزاءه.

الكفران يقابل الشكر «أي يشكر الله لهم فيرده إليهم من غير ضيعة»[٢].

فلن يكفروا ما فعلوه من خير عندالله تعالى لا عند الناس كما يظهر من الروايات الآتية.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ حرف استئناف ومبتدأ وخبره وجار ومجرور. أي والله عليهم بأعمال المتقين وأحوالهم ويجازيهم بها.

**الروايات**

وفي صحيحة داود بن أبي يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمنُ مُكَفَّرٌ.

قال الكليني: وفي رواية أُخرى: وذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في الناس والكافر مشكورٌ.[٣]

**المُكَفَّر: كمُعَظَّم، المجحود النعمة مع إحسانه وهو ضدّ للمشكور أي لا يَشْكُرُ الناس معروفه.**

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٢٥٣.
٢. الميزان ٣/ ٣٨٥.
٣. الكافي ٣/ ٦٣٠، ح٨ (٢/ ٢٥١).

**وللعلّامة المجلسي[١] ﷺ بيان لطيف في ذيل الحديث فراجعه.**

الصدوق بسنده المعتبر إلى البرقي يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّ المؤمنَ مُكَفَّرٌ، وذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله تعالى فلا ينشر في الناس والكافر مشهور، وذلك أنّ معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء.[٢]

وفي معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يدالله تعالى فوق رؤوس المكفّرين ترفرف بالرحمة.[٣]

وعن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكفّراً لا يُشْكَر معروف ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي ومَنْ كان أعظم معروفاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الخلق؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكروننا وخيار المؤمنين مكفرون لا يشكر معروفهم.[٤]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾

المراد بهم طائفة أُخرى من أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ويعادون الإسلام ويجهدون في إطفاء نور القرآن، ولكن لا تختص الآية بهم بل تشمل كلّ مَنْ كفر الحق وخالفه وعانده حرصاً على مصالحه الدنيوية.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشتبهة بالفعل، ورد للتأكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه. مرّ المراد منهم.

﴿كَفَرُواْ﴾ فعل ماض و «الواو» فاعله، أي كفروا بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وآيات الله المحكمة وأحكامه المسجلة.

---

١. بحارالأنوار ٦٤/ ٢٦٠، ذيل ح٣.
٢. علل الشرائع / ٥٦٠، ح١.
٣. علل الشرائع / ٥٦٠، ح٢.
٤. علل الشرائع / ٥٦٠، ح٣.

﴿لَن﴾ حرف نصب ورد للنفي الأبدي.

﴿تُغْنِيَ﴾ فعل مضارع منصوب. أغنىٰ عنه: إذا دفع عنه ضرر البلاء النازل به. الغنىٰ: الاختصاص والامتلاك بما ينفي الحاجة.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بالفعل المضارع.

﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ فاعل الفعل المضارع والضمير مضاف إليه. ومجموع الجملة خبر «إنّ».

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَآ﴾ حرف نفي.

﴿أَوْلَٰدُهُم﴾ معطوف والضمير مضاف إليه.

قال الشيخ: «إنّما خصّ الأموال والأُولاد بالذكر في أنّهم لا يغنون عن الكافر شيئاً وإن كان لا يغني عنهم غير هؤلاء أيضاً شيئاً، لأنّهما معتمد ما يقع به الاعتداد، وممّا يعول عليه الإنسان ويرجوه للشدائد ويفيد النفي العام لأنّه إذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمنع مَنْ لا يعجزه شيء فغناء مَنْ دونه أبعد»[١].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار و مجرور، أي من عذاب الله.

﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول به. أي لا يفيد أنّهما [الأموال والأُولاد] شيئاً ولا يوجبان نجاته من عذاب الله تعالى. والتنكير يدلّ على التعميم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، الكفار.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ خبر ومضاف إليه. «إنّما سمّوا أصحاب النار للزومهم فيها كما يقال أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها»[٢].

«وأصل النار: النور، وهو مصدر. والنار جنس تجري مجرىٰ الوصف في تضمنه معنى الأصل وزيادة عليه لأنّها جسم لطيف فيه حرارة ونور»[٣].

﴿هُمْ﴾ خبر ثانٍ. ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور. ﴿خَٰلِدُونَ﴾ خبر ثالث.

---

١. التبيان ٢/ ٥٦٨.
٢. التبيان ٢/ ٥٦٨.
٣. التبيان ٢/ ٥٦٨.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾

ضرب الله تعالى مثلاً عاماً لكلِّ من ينفق في غير وجه الله تعالى في الدنيا ولها.

﴿مَثَلُ﴾ مبتدأ. «المثل: الشبه الذي يصير كالعَلَمِ لكثرة استعماله فيما مشبّه به»[١]. والتشبيه هنا تشبيهٌ مُرَكَّب.

﴿مَا﴾ مضاف إليه.

﴿يُنفِقُونَ﴾ فعل مضارع و «الواو» فاعله. والإنفاق معروف.

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ جار ومجرور وبدل ونعت وإنّما خص الله سبحانه التمثيل بالحياة الدنيا لبيان أنّهم منقطعون عن الدار الآخرة ولا يؤمنون بها ويكون إنفاقهم ومصارفهم لأجل الدنيا وما فيها من لذّاتها وشهواتها.

﴿كَمَثَلِ﴾ جار ومجرور، خبر مبتدأ.

﴿رِيحٍ﴾ مضاف إليه، وهي واحدة الرياح وقيل: إنّ المفرد يستعمل في العذاب غالباً إلّا مع القرينة على الخلاف نحو قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾[٢]. والجمع في الرحمة.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم أي يرجع إلى الريح.

﴿صِرٌّ﴾ مبتدأ مؤخرٌ. الصر: البرد الشديد. أو الريح الباردة نحو: الصرصر.

﴿أَصَابَتْ﴾ فعل ماض مؤنث، فاعله ضمير مستتر.

﴿حَرْثَ﴾ مفعول به. والحرث: الزرع.

﴿قَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ فعل ماض و «الواو» فاعله.

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الكافرين المترفين المنفقين في غير وجه الله تعالى، وهم يظلمون أنفسهم بالكفر والمعاصي.

---

١. التبيان ٢/ ٥٦٩.
٢. سورة يونس / ٢٢.

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ حرف تفريع، فِعْلٌ ماضٍ مؤنث وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الريح، و ﴿هُ﴾ مفعول به يرجع إلى الحرث. تأديباً وعقاباً لهم.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَٰكِنْ﴾ حرف استدراك.

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ مفعول به مقدّم يفيد الحصر والضمير مضاف إليه.

﴿يَظْلِمُونَ﴾ فعل مضارع و «الواو» فاعله، يدلّ على استمرار ظلمهم، حيث هم يفعلون ما يستحقون به العذاب والعقاب.

## روايةٌ

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الدنيا دار ممرّ إلى دار مقرٍ والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها[1] ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.[2]

**أي الأوّل باع نفسه لهواه وشهوته فأهلكها، والثاني اشتراها وخلصها من أسر الشهوات واعتقها من النار. أعاذنا الله منه.**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾

ذكر الله سبحانه في هذه الآية وبعدها ما حوت ضمائر الكافرين بالنسبة إلى المؤمنين وما تخفيه صدورهم بالنسبة إليهم وحذّر المؤمنين من مكرهم وكيدهم ومصيدهم.

﴿يَٰٓ﴾ حرف نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ منادىٰ و «هاء» تنبيه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل ماض و «الواو» فاعله، والمؤمنون هم المخاطبون بهذه الآية

---

١. أَوْبَقَها: أَهْلَكَها.

٢. نهج البلاغة، حكمة ١٢٦.

الشريفة وبهذا التذكار المهم.

﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ حرف جزم وفعل مضارع مجزوم [فعل نهي] و «الواو» فاعله، نهي الله سبحانه أن يتخذ المؤمنون الكافرين... .

﴿بِطَانَةً﴾ مفعول به، البطانة مأخوذ من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهو نقيض الظهارة والمراد به هنا خاصة الرجل ووليجته الذين يستبطنون أمره ويكاشفين بأسراره ويشاورنه في أحواله ويسمّون دخلاء، وهو مصدر يسّمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، أي من غيركم من المؤمنين. أي ينبغي أن يتخذوا المؤمنين بطانة لا الكافرين الملحدين.

قال الشيخ: «من تحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون دخلت للتبعيض، والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة.

والثاني: أن يكون دخولها لتبين الصفة كأنه قيل: لا تتخذوا بطانة من المشركين. وهو أعم وأولى، لأنّه لا يجوز أن يتخذ مؤمن كافراً بطانة على حال وقال بعضهم إن ﴿مِّن﴾ زائدة، وهذا ليس بجيد، لأنه لا يجوز أن يحكم بالزيادة مع صحة حملها على الفائدة»[1].

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ حرف نفي فعل مضارع «واو» فاعله، «كم» مفعول به. من ألا يألو ألواً وهنا تتضمن معنى المنع فعديت إلى مفعولين ومعنى الألو: التقصير، أيْ هم لا يقصرون في أمركم... .

﴿خَبَالاً﴾ مفعول ثانٍ. والخبال: الشرّ والفساد ومنه الخَبْل: الجنون لأنّه فساد العقل ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي. والجملة تعليل للنهي عن اتخاذ الكافرين بطانة.

﴿وَدُّواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ و «واو» فاعله. أي أحبّوا. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿عَنِتُّمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، العنت: المشقة وشدّة الضرر، أي أحب الكافرون

---

١. التبيان ٢/ ٥٧١.

مشقّتكم وشدّة ضرركم وتمنّوا عليكم الوقوع في الضرر والهلاك.

﴿قَدْ بَدَتِ﴾ حرف تحقيق وفِعْلٌ ماضٍ مؤنث أي: قد ظهرت.

﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾ فاعله، أي العدواة وشدّة البغض.

﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، الأَفواه: جمع فم، أي من أقوالهم ولحنهم وفلتات لسانهم بالطعن في دينكم ونبيّكم وقرآنكم وشريعتكم.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿مَا﴾ مبتدأ. إيماءٌ إلى أنّ ما تُخْفِيْهُ صُدُوْرُهُمْ لايوصف لتنوّعه وعظمته وتأكيد لقوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ﴾.

﴿تُخْفِى﴾ فعل مضارع. ﴿صُدُورُهُمْ﴾ فاعله والضمير مضاف إليه.

﴿أَكْبَرُ﴾ خبر، أي ما يظهر على ألسنتهم من ٱلْعَداوَةِ كان أَقَلَّ ممّا تخفيه صدورهم وقلوبهم. فلا يبقى عذر لأحد المؤمنين أن يتّخذهم وَلِيْجَةً وَبِطانةً وَدَخِيْلَةً.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿بَيَّنَّا﴾ فعل ماض و«نا» فاعله.

﴿لَكُمُ﴾ جار ومجرور أي للمؤمنين.

﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ مفعول به والمراد بها هنا: العلامات الفارقة بين الحقّ والباطل وما يتميز بها الصديق من العدو ومَن يصح أن يتخذه بطانة ومن يجب الابتعاد عنه.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني على السكون و «تم» فاعله واسم كان.

﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع و «واو» فاعله، خبر كان. إي إن كان لكم دراية وعقل لابدّ أن تَعْمَلُوْا بهذا النهي المعلّل.

**روايتان**

وعن رسول الله ﷺ انّه قال: لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تَنْقُشُّوا في خواتيكم عربيّاً.[١]

**أي: لا تعتمدوا عليهم، وقد يقال: العربيُّ هو من أسماء النبي ﷺ ولكن الإنْصافَ أنّ القسم الأخير من الرواية مجملٌ.**

---

١. مسند أحمد ٣/ ٩٩؛ الكشف والبيان ٣/ ١٣٥؛ روض الجنان ٥/ ٣١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما أضمر أحدٌ شيئاً إلّا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.[١]

﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾

في الآية الشريفة ذُكرت بقية ما حوت ضمائر الكافرين بالنسبة إلى المؤمنين وتأكيد على ترك اتخاذهم بطانة ووجهه، فالخطاب لجماعة من المنتمين إلى الإسلام تذكيراً لهم على منافقي أهل الكتاب والكافرين.

﴿هَـٰٓ﴾ للتنبيه. وهذا الخطاب وما بعده يأتي لأجل التنبيه على أمر خفيٍّ والتحريض على التباعد.

﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، يرجع إلى تلك الجماعة ٱلْمُنْتَمِيَةِ إلى الإسلام، ولا يرجع إلى جميع المسلمين أو المؤمنين لعدم معهودية اتفاق كلمة المسلمين على حبّ الكافرين في يوم من الأيام.

﴿أُوْلَآءِ﴾ اسم جمع اشارة للرجال وللنساء أُولاتِ، مبني على الكسر. وهو منادى يُفيد الاختصاص، أي أيها المُخطِئون في موالاة الكفار.

﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله. خبر مبتدأ. وصف الله سبحانه تلك الجماعة بأنّهم يحبّون الناس حتّى الكافرين منهم الذين يسعون في فساد دنيا المسلمين ودينهم بحجة «أنّ الاسلام دين المحبة والرحمة»[٢].

نعم، الإسلام دين الحبّ والتساهل. ولكن لا يتساهل مع الخائنين والمفسدين الذين يتجسسون للكافرين وَيَكِيْدُوْنَ لِلْمُسْلِمِيْنَ إضراراً لهم ولدينهم ووطنهم، «كما

١. نهج البلاغة، حكمة ٢٢؛ روض الجنان ٥/ ٣٠.
٢. مواهب الرحمن ٦/ ٢٧٤.

هو شأن عملاء الاستعمار اليوم المعروفين بالطابور الخامس وبالمرتزقة والانتهازيين لأنّهم يبيعون دينهم ووطنهم لكلِّ من يدفع الثمن»[١] بل ربّما يبيعون بلا ثمن.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو «واو» حالية.

﴿لَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ حرف نفي وفعل مضارع وفاعله ومفعوله، معطوف أو حال. إخبار لهم بأنّ الكافرين لا يحبونهم خلافاً لهم.

﴿وَ﴾ عطف أو حالية.

﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف أو حال «وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنّكم تؤمنون بكتابهم كلّه»[٢]. ويمكن إرجاع الخطاب من هنا إلى جميع المؤمنين تنبيهاً لهم. والشاهد عليه إيمانهم بالكتاب كلِّه.

﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور. «اللام للجنس أي وأنتم تؤمنون بجميع الكتب السماوية النازلة من عندالله»[٣] على جميع أنبيائه ورسله وهم لا يؤمنون بكتابكم القرآن الكريم.

﴿كُلِّهِۦ﴾ تأكيد ومضاف إليه. المؤمنون يؤمنون بجميع أجزاء الكتاب السماوي حتّى في ما يكون مشقة عليهم بخلاف الكافرين والمنافقين لأنّهم لو آمنوا فَإنما يؤمنون بما ينفعهم وما يفيدهم من الكتاب السماوي لا كلّه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِذَا﴾ مفعول فيه.

﴿لَقُوكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعوله. فاعله الكافرون الحقيقيون والمنافقون الظاهرون ومفعوله هم المؤمنون.

﴿قَالُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله يرجع إلى الكافرين المنافقين.

﴿ءَامَنَّا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، بقرآنكم ودينكم وشريعتكم رياءً ونفاقاً وسمعةً.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِذَا﴾ مفعول فيه. ﴿خَلَوْاْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَضُّواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. العض: هو الأخذ بالأسنان مع ضغط من شدّة

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٤٦.
٢. الكشاف ١/ ٤٠٦.
٣. الميزان ٣/ ٣٨٧.

الغيظ عضّ الأنامل: مثلٌ يضرب للتحسّر والتأسف غضباً وحنقاً.

﴿عَلَيۡكُمُ﴾ جار ومجرور أي من حقدهم وغيظهم عليكم.

﴿ٱلۡأَنَامِلَ﴾ مفعول به. جمع أنلمة وهي طرف الإصبع.

﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ جار ومجرور، ومعناه واضح.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسولَ الله ﷺ . أمر بالدعاء عليهم ويدلّ على تأكيدِ ذمّهم.

﴿مُوتُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. ومعناه: أماتكم الله، على نحو الدعاء عليهم.

﴿بِغَيۡظِكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿إِنَّ﴾ مِنَ الحروف ٱلۡمُشَبَّهَةِ بِالۡفِعۡلِ. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿عَلِيمُۢ﴾ خبره. ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

أي: اللهم امتهم بغيظهم للمؤمنين لأنّك عليم بما في صدورهم وقلوبهم ونفوسهم من الحقد والحسد والبغي بالنسبة إلى المؤمنين.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ ﴿١٢٠﴾

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَمۡسَسۡكُمۡ﴾ فِعْلٌ مضارع مجزوم والضمير مفعول به يرجع إلى المؤمنين. «المسّ: هو اللمس والمراد به هنا الإصابة. وإنّما عبّر بالمسّ كناية عن قلّة النفع»[1]. أو التعبير استعارة للإصابة.[2]

﴿حَسَنَةٞ﴾ فاعل. والحسنة: الخير والنعمة وهي هنا كلّ ما أنعم الله على المؤمنين به من الولاية والألفة والمحبة والمودّة والإتحاد والغلبة بإجتماع الكلمة.

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٢٧٦.

٢. كما في الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١/ ٢٦٢.

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط. فاعله ضمير مستتر و «هم» مفعول به يرجع إلى الكفار والمنافقين. المساءة: خلاف السرور.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُصِبْكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم والضمير مفعول به.

﴿سَيِّئَةٌ﴾ فاعل. السيئة: الفادحة والمحنة والمراد بها هنا المحنة بإصابة العدو وإختلاف الكلمة وما يؤدي إليه مِنْ فُرْقَةٍ أو حَدَثٍ أو نكبة ومشقة.

﴿يَفْرَحُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط وفاعله. الفرح: السرور.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى السيئة.

وهذا شأن كل عدوّ بل هو شاهد على شدّة عَداوَتِهِمَ.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: «فإن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمَسِّ والسيئة بالإِصابة؟ قلت: المَسُّ مستعارٌ لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً»[١].

ولكن يمكن أن يقال: ذكر المَسّ في الحسنة للإشعار بأنّ أقل خير يناله المؤمنون يسيء عدوهم وذكر الإصابة في السيئة للإشعار بأنّه كلّما حصلت السيئة عليهم ازداد عدوهم فرحاً وهذا يكشف عن شدّة غيظ الكافرين على المؤمنين وعَداوَتِهِمْ لهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَصْبِرُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. خطاباً للمؤمنين بأنّهم إن يصبروا على طاعة الله وانتصار دينه وجهاد عدوه وعلى عدواة الكافرين وأذاهم.

والصبرُ هو حبسُ النفسِ على ما تكره.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿تَتَّقُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، ويتقوا الله تعالى في أفعالهم وأقوالهم بالامتناع عن معاصيه.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ حرف نفي وفعل مضارع ومفعول به. الضُّرُّ مبنيٌّ على الضم ولو فُتح أو كُسر لكان جائزاً في العربية. والضرر معناه واضح.

---

١. الكشاف ١/ ٤٠٧.

﴿كَيۡدُهُمۡ﴾ فاعل ومضاف إليه. الكيد: هو المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به وأصله: المشقة.

﴿شَيۡـًٔا﴾ مفعول مطلق. يأمن المؤمنون من كيد الكافرين بأمرين هما الصبر والتقوى. فإذا صبروا ورعوا تَقْوىٰ الله ﷻ لا يضرهم مكر الكافرين وكيدهم شيئاً لما وعد الله الصابرين والمتقين بالنجاح والظفر وأنّ العاقبة لهم.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور.

﴿يَعۡمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، من الصبر والتقوى أو مقابلهما.

﴿مُحِيطٌ﴾ خبر إنّ. محيط بالأفعال والأعمال والأشخاص إحاطة علم وقدرة فيفعل بكلِّ شخصٍ ما يناسِبُ أفعاله وأعماله ويجازيه بحسب فعله ثواباً وعقاباً.

والحاصل: النجاة من كيد الكافرين مشروطَةٌ بشرطين هما: الصبر والتقوىٰ ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[١]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[٢].

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢١﴾

التفات من خطاب المؤمنين في الآيات السابقة إلى خطاب الرسول الأعظم ﷺ تعريضاً بالمؤمنين لما ظهر من بعضهم من الوهن والفشل وذكر الله فيها وفي الآيات الآتية قصة غزوة أُحُد لما وقع فيها من وهن المؤمنين ثمّ غزوة بدر.

﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿إذ﴾ ظرف، مفعول به، في موضع نصب متعلَّق بمحذوف نحو: اذكر ﴿إِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ فحذف لدلالة الكلام عليه. ولا يجوز أن يكون العامل غدوت لأنّه مضاف إليه بمنزلة الصلة له.[٣]

---

١. سورة النحل / ١٢٧.
٢. سورة النحل / ١٢٨.
٣. التبيان ٢/ ٥٧٦.

﴿غَدَوْتَ﴾ من العدوة وهو الخروج أوّل النهار ضد الرواح. وأوّل النهار هو مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس. والخطاب للنبي الأعظم محمّد ﷺ.

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأهل: هو قرابة الرجل ومَنْ يَجْمَعُهُ وإيّاهم نَسَبٌ أو بيتٌ أو دِينٌ أو صِناعةٌ أو نَحْوُ ذلك ويستوي فيه المذكّر والمؤنّث والمفرد والجمع ويختص استعماله بالإنسان والمراد به في المقام خاصة رسول الله ﷺ وهم جمع وليس المُرادُ به هاهنا شَخْصاً واحِداً بدليل صحة القول بأن خرجت من خاصتك أو جماعتك وعدم صحة القول بأن خرجت من زوجتِك أو أمّك في ذيل ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

ولذا التجأ بعض المفسرين إلى تقديرٍ في الآية الشريفة فقال: إنّ التقدير خرجت من بيت أهلك لما فسّر الأهل بالمفرد ـ أي عائشة ـ ولا دليل يدل على هذا التقدير في الآية الشريفة.

﴿تُبَوِّئُ﴾ فعل مضارع، فاعله أنت يا رسول الله ﷺ. التبوّة: اتخاذ الموضع وتهيئة المكان للغير، يقال: بوأت القوم منازلهم أي أسكنتهم.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول به.

﴿مَقَـٰعِدَ﴾ مفعول به ثانٍ. أي مواطن ومواقف لأنّ المقعد استعمل في معنى المكان.[١]

﴿لِلْقِتَالِ﴾ جار ومجرور. فالرسول الأعظم ﷺ هيّأ بنفسه الشريفة مواقف المؤمنين للحرب في يوم أُحد لأنّه قائدهم ومدبّر شؤونهم.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿سَمِيعٌ﴾ خبر. ﴿عَلِيمٌ﴾ خَبَرٌ ثانٍ.

قال الشيخ: «قيل: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: انه تهدد والمراد ﴿سَمِيعٌ﴾ لما يقول المنافقون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

---

١. الكشاف ١/ ٤٠٩.

الثاني: ﴿سَمِيعٌ﴾ لما يقوله النبي ﷺ للمؤمنين ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمره تزكية له ﷺ.

الثالث: ﴿سَمِيعٌ﴾ ما يقوله المشيرون عليك ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه، لأنّهم اختلفوا، فمنهم من أشار بالخروج، ومنهم من أشار بالمقام. وفيه تزكية للزاكي وتهدد للغاوي»[١].

## الروايات

في تفسير القُمِيّ عن أبيه عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سبب نزول هذه الآية أَنّ قريشاً خرجت من مكة تريد حرب رسول الله ﷺ فخرج يبتغي موضعاً للقتال.[٢]

**الرواية معتبرة الإسناد.**

وفي المناقب: في شوال غزاة أُحد ـ وهو يوم المِهْرَاس[٣] ـ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسُّدِّي وابن إسحاق: نزل قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فيها وهو المروي عن أبي‌جعفر عليه السلام.[٤]

وفيه: عن الصادق عليه السلام وابن مسعود: لما قصد أبوسفيان في ثلاثة آلاف من قريش إلى النبي ﷺ ويقال: في ألفين. منهم مائتا فارس والباقون رَكْب. لهم سبعمائة دِرْعٍ.[٥]

## قصة أُحد

قال علي بن إبراهيم القمي: وكان سبب غزوة أُحُد أن قريشاً لـمّا رجعت من بدر إلى مكّة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسْرِ لأنّه قُتل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، فلما رجعوا إلى مكة، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحُزْن والحرقة والعداوة

---

١. التبيان ٢/ ٥٧٦.
٢. تفسير القمي / ٥٩ (طبع الحجري).
٣. المهراس: اسم ماء بأُحد. يوم المهراس: يوم أُحد.
٤. المناقب ١/ ١٩١.
٥. المناقب ١/ ١٩١.

لمحمّد، ويشمت بنا محمّد وأصحابه.

فلما غزوا رسول الله ﷺ يوم أُحُد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح.

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله ﷺ إلى أُحُد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنهم على حرب رسول الله ﷺ، وأخرج أبو سفيان هند بنت عُتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه وأخبرهم أن الله قد أخبره أن قريشاً قد تجمّعت تريد المدينة، وحثّ أصحابه على الجهاد والخروج.

فقال عبد الله بن أُبي وقومه: يا رسول الله، لا تخرج من المدينة حتّىٰ نقاتل في أزقّتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قطّ إلّا كان لهم الظفر علينا.

فقام سعد بن مُعاذ رحمه الله وغيره من الأوس، فقالوا: يا رسول الله، ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا؟! لا، حتّى نخرج إليهم فنقاتلهم، فمن قُتل منّا كان شهيداً، ومن نجا منّا كان قد جاهد في سبيل الله. فقبل رسول الله ﷺ قوله، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال، كما قال الله، ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾[2] يعني عبد الله بن أُبي وأصحابه.

فضرب رسول الله ﷺ معسكره ممّا يلي طريق العراق، وقعد عنه عبدالله بن أبي وقومه وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه، ووافت قريش إلى أُحد، وكان رسول الله ﷺ عد أصحابه، وكانوا سبعمائة رجل، فوضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان. فقال رسول الله ﷺ لعبدالله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّة

---

١. سورة آل عمران / ١٢١.
٢. سورة آل عمران / ١٢٢.

فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا، والزموا مراكزكم».

ووضع أبوسفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال لهم: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشِّعْب حتّى تكونوا من ورائهم. فلما أقبلت الخيل واصطفّوا، وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع الراية إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فحملت الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم، وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس، فلقي عبدالله بن جبير، فاستقبلوهم بالسهام فرجعوا.

ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبدالله بن جبير: تقيمنا هاهنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة! فقال لهم عبدالله: اتقوا الله، فإن رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، وبقي عبدالله بن جبير في اثنى عشر رجلاً، وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة اَلْعَبْدَرِيّ من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمّد، تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونُجِهزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إليَّ. فبرز إليه أميرُالمؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنت كما تقولُ ... لكم خيول ولنا نصولُ[1]
فاثبت لننظر أيُّنا المقتولُ ... وأيّنا أولى بما تقولُ
فقد أتاك الأسد الصَّؤُوْلُ ... بصارمٍ لَيْسَ بِهِ فُلُوْلُ[2]
يَنْصُرُه القاهِرُ والرسولُ

فقال طلحة: من أنت، يا غلام؟ قال: «أنا علي بن أبي طالب». قال: قد علمت ـ يا قضيم[3] ـ أن لا يجسر عليَّ أحد غيرك. فشدّ عليه طلحة فضربه، فاتّقاه

١. النَّصل: حديدة السَّهم والرمح والسكّين والسيف ما لم يكن له مقبض. (مجمع البحرين ٥/ ٤٨٤).
٢. فُلُول السيف: هي كُسور في حدّه. (مجمع البحرين ٥/ ٥٤٤.
٣. الذي يقضم الناس فيهلكهم. (النهاية ٤/ ٧٨).

أميرالمؤمنين عليه السلام بالجحفة[١]، ثم ضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب عليّ عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرَّحِم[٢] فانصرف عنه. فقال المسلمون: ألا أجْهَزْتَ عليه! قال عليه السلام: «قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً».

ثمّ أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة: فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فأخذها عثمان بن أبي طلحة، فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها أبو عزيز بن عثمان، فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير، فقتله عليٌّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض. فقتل أميرالمؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار وهو أرطاة بن شُرَحْبيل مبارزة، فسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مولاهم صؤاب، فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثمّ قال: يا بني عبد الدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية، فقبضتها.

وانحط خالد بن الوليد على عبدالله بن جبير، وقد فرَّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشِّعب، فاستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلا ذوا بها، وأقبل خالد بن الوليد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقتلهم، فانهزم أصحاب رسول الله هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلِّ وجه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهزيمة كشف البيضة عن رأسه،

---

١. الجَحَفة ـ بالتحريك ـ: الترس، إذا كانت من جُلود وليس فيها خشب (مجمع البحرين ٥/ ٣٥).
٢. لِأَنَّ بني هاشم وبني عبدالدار يلتقون بالنَّسَبَ في جَدِّهِمْ قُصَيّ بن كِلاب.

وقال: «إنّي أنا رسول الله، إلى أين تفرون عن الله وعن رسوله؟».[١]

علي بن إبراهيم القمي، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هِشام، عن أبي عبدالله عليه السلام، أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه عليٌّ عليه السلام: يا قضيم.

قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب فأغْرَوا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمونه بالحجارة والتراب، فشكا ذلك إلى عليّ عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أميرالمؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم، فحمل عليهم أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، وكان يَقْضِمُهم في وُجوههم وآنافِهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليٌّ، قضمنا عليّ، فسُمّي لذلك: القضيم».[٢]

قال علي بن إبراهيم القمي: وروي عن أبي وائل[٣] شقيق بن سلمة، قال: كنت أُماشي عمر بن الخطاب إذ سمعت منه هَمْهَمة، فقلت له: مَهْ، ماذا يا عمر؟ فقال: ويحك، أما ترى الهِزَبْر[٤] القضم بن القضم، والضارب بالبُهَم[٥]، الشديد على من طغى وبغى بالسيفين والراية؟ فالتفتُ فإذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت له: يا عمر، هو عليُّ بن أبي طالب. فقال: أُدن منّي حتّى أحدثك من شجاعته وبطولته: بايعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحُد على أن لا نفرّ، ومَنْ فرّ منّا فهو ضالّ، ومَنْ قُتل منّا فهو شهيد، والنبي زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كلّ صنديد مائة رجل أو يزيدون،

---

١. تفسير القمي، ١/ (١٦٩-١٦٥) طبعة مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ونقل عنه البرهان ١/ ٦٧٩، ح٥.

٢. تفسير القمي، ١/ ١٦٩ طبعة مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ونقل عنه البرهان ١/ ٦٨١، ح٦.

٣. «أبوواثلة» خ والبحار. وهو اشتباه والصواب ما أثبتناه كما في أُسد الغابة ٣/ ٣، وتقريب التهذيب ٢/ ٤٨٦ وغيرها.

٤. من أسماء الأسد (لسان العرب ٥/ ٢٦٣).

٥. قال المجلسي في البحار ٢٠/ ٦٧: البُهَم. جمع البُهْمَة، وهي الحيلة الشديدة، والشُجاع الّذي لايُدرىٰ من أين يُؤتى، والصخرة والجيش، والأنسب هنا الأوّل والآخر.

فأزعجونا عن طاحونتنا[١]، فرأيت عَلِيّاً كالليث يتقي الذرّ، إذا حمل كَفّاً من حصى فرمى به في وجوهنا، ثمّ قال: «شاهَتِ الوجوه وقُطّت[٢] وبُطّت[٣] ولُطّت[٤]، إلى أين تفرّون؟! إلى النار؟!» فلم نرجع، ثمّ كرّ علينا الثانية وبيده صَفيحة[٥] يقطر منها الموت، فقال: «بايعتم ثمّ نكثتم، فو الله لأنتم أولى بالقتل ممّن أقتل» فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان[٦] يتوقّدان ناراً، أو كالقدحين المملوءين دماً، فما ظننت إلّا ويأتي علينا كلّنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي، فقلت: يا أبا الحسن، الله الله، فإن العرب تكرّ وتفرّ، فإنّ الكرّة تنفي الفرّة. فكأنه استحيى فولّى وجهه عنّي، فما زلت أُسكّن رَوْعة[٧] فؤادي، فو الله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتّى الساعة.

ولم يَبْق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أبو دُجانة الأنصاري سماك بن خَرَشَةَ وأمير المؤمنين عليه السلام، وكلّما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويقتلهم حتى انقطع سيفه، وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نُسَيْبَةُ بنت كَعْب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بُنيَّ، إلى أين تفرّ عن الله وعن رسوله؟! فردّته، فحمل عليه رجُل فقتله، فأخذتْ سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بارك الله عليكِ يا نسيبة» وكانت تقي رسول الله بصدرها وثدييها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

---

١. الطاحونة استعيرت هنا لمجتمع القوم ومستقرّهم، وفي القاموس: الطحون كصبور: الكتيبة العظيمة، والحرب (البحار).
٢. قُطِعت عرضاً.
٣. شُقّت.
٤. مُنِعت حقّها.
٥. السيف العريض (مجمع البحرين ٢/ ١٠٣٤).
٦. السليط: الزيب ومنه خبر ابن عبّاس رأيت عليّاً وكأنّ عينيه سراجاً سليط (مجمع البحرين ٢/ ٨٦٥).
٧. الروع: الفزع والخوف والرعب.

وحمل ابن قميئة[١] على رسول الله ﷺ وقال: أروني محمداً لا نَجَوتُ إن نجا محمّد، فضربه على حَبْل عاتقه، ونادى: قتلتُ محمّداً واللّاتِ والعُزّىٰ. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من المهاجرين قد ألقى تُرْسَهُ خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: «يا صاحب الترس، ألق ترسك ومُرّ[٢] إلى النار» فرمى بترسه، فقال رسول الله ﷺ: «يا نسيبة، خذي الترس» فأخذتْ الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان».

فلما انقطع سيف أميرالمؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله، إن الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي» فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه «ذا الفَقار»، فقال: «قاتل بهذا» ولم يكن يحمل على رسول الله ﷺ أحد إلا ويستقبله أميرالمؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا، فانحاز[٣] رسول الله ﷺ إلى ناحية أُحُد فوقف، وكان القتال من وجه واحد، وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام يقاتلهم حتّى أصابته في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة، فتحاموه[٤] وسمعوا منادياً يُنادي من السماء:

لا سيفَ إلّا ذُو الفَقَا رِ ولا فَتَى إلّا علي»

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: هذه والله المواساة يا محمّد. فقال رسول الله ﷺ: «لأنّي منه وهو منّي» فقال جبرئيل: وأنا منكما.

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، فكلّما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلة، وقالت له: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا.

وكان حمزة بن عبدالمطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له أحد، وكانت هند بنت عتبة قد أعطت «وحشيّاً» عهداً: لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأُعطينّك رِضاك. وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم، حبشياً، فقال وحشي: أما محمّد

---

١. هو عبدالله بن قميئة الحارثي، مذموم (طبقات ٢/ ٤٢ و ٤٩).
٢. في نسخة «يسر».
٣. انحاز عنه: عدل، وانحاز القوم: تركوا مراكزهم.
٤. توقّوه واجتنبوه.

فلا أقدر عليه، وأما عليّ فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات، فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة، فرأيته يَهُدّ الناس هَدّاً، فمرّ بي فوطئ على جُرف نهرٍ فسقط، فأخذت حربتي فهززتها، ورميته فوقعت في خاصرته، فخرجت من مثانته مغمسة بالدم، فسقط، فأتيته فشققت بطنه وأخذت كبده، وأتيت بها إلى هند، فقلت لها: هذه كبد حمزة. فأخذتها في فيها فلاكتها[1]، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة فلفظتها ورمت بها، فبعث الله ملكاً فحملها وردّها إلى موضعها ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: «أبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار» ـ فجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره، وقطعت أُذنيه وجعلتهما خرصين[2] وشدتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه.

وتراجع الناس، فصارت قريش على الجبل، فقال أبوسفيان وهو على الجبل: أُعْلُ هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأميرالمؤمنين: «قل له: الله أعلىٰ وأجل». فقال: يا عليّ إنّه قد أنعم علينا[3]. فقال عليٌّ عليه السلام: «بل الله أنعم علينا».

ثمّ قال أبوسفيان: يا عليّ، أسألك باللّاتِ والعُزّىٰ، هل قُتِلَ محمّد؟ فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: «لعنك الله، ولعن اللّاتَ والعُزّى معك، والله ما قُتِلَ محمّد، وهو يسمع كلامك». فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة، زعم أنّه قتل محمّداً.

وكان عمرو بن قيس[4] قد تأخر إسلامه، فلما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحرب أخذ سيفه وترسه وأقبل كالليث العادي، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول الله. ثم خالط القوم فاستشهد، فمرّ به رجل من الأنصار فرآه صريعاً بين القتلى، فقال: يا عمرو، أنت على دينك الأول؟ فقال: لا والله، إنّي أشهد أن لا إله إلا

---

١. اللوك: أهون المضغ (القاموس المحيط ٣/ ٣١٨).

٢. الخرص: حلقة من الذهب والفضّة (لسان العرب ٧/ ٢٢).

٣. كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمرٍ، عَمَدَ إلى سَهْمَين، فكتب على أحدهما: نعم، وعلىٰ الآخر: لا، ثمّ يتقدّم إلى الصنم ويُجيل سِهامه، فإن خرج سَهْم «نعم» أقدم، وإن خرج سهم «لا» امتنع! وكان أبوسُفيان لمّا أراد الخُروج إلى أُحُد استفتىٰ هُبَل، فخرج له سهم الإنعام (النهاية ٣/ ٢٩٤) ولعلّه المراد بقوله: أنعم علينا.

٤. كذا، والصواب «عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة الأسى الأشهلي» أخو سلمة بن ثابت، استشهد يوم أُحد. (أُسد الغابة ١/ ١٠٠؛ قاموس الرجال ٧/ ١٢٧).

الله، وأن محمّداً رسول الله. ثم مات، فقال رجل من أصحاب رسول الله: يا رسول الله، إن عمرو بن قيس قد أسلم وقُتل، فهو شهيد؟ فقال: «إي والله شهيد، ما رجل لم يصل لله ركعة ودخل الجنة غيره».

وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج، قد تزوَّج في تلك الليلة التي كانت صبيحتها حرب أُحُدٍ، بنت عبد الله بن أُبي [بن] سلول، ودخل بها في تلك الليلة، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1] فأذن له رسول الله ﷺ، وهذه الآية في سورة النور، وأخبار أُحد في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله.

فدخل حنظلة بأهله وواقع عليها، فأصبح وخرج وهو جنب، فحضر القتال فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار، لما أراد حنظلة أن يخرج من عندها، وأشهدت عليه أنه قد واقعها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟

قال: رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فرفع فيها حنظلة، ثم انضمّت، فعلمت أنّها الشهادة، فكرهت أن لا أُشهد عليه. فحملت منه.

فلما حضر حنظلة القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين الصفين، فحمل عليه فضرب عُرْقُوب، فرسه، فاكتَسَعت[2] الفرس، وسقَط أبوسفيان إلى الأرض، وصاح: يا معشر قريش، أنا أبوسفيان وهذا حنظلة يريد قتلي. وعَدا أبوسفيان، ومرّ حنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشى إلى المشرك في طعنته فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين

---

١. سورة النور / ٦٢.
٢. أي سقطعت من ناحية مؤخّرها ورمت به (النهاية ٤/ ١٧٣).

السماء والأرض، بماء المزن في صحاف من ذهب». فكان يُسمّى غسيل الملائكة.[١]

أبو عليّ الطّبرسي، قال أبو عبدالله عليه السلام: «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل بين السّماء والأرض على كرسيّ من ذهب، وهو يقول:

لا سيف إلّا ذُو الفَقَا رِ ولا فَتَى إلّا علي»[٢]

وفي الروض: «راوى خبر گويد: روز اُحد هر معروفى از مشركان كه حمله آورد، تا قصد مسلمانان كرد، چون: عمر بن عبدالله الجُمَحيّ وهِشام بن اُميّة المُخْزُوميّ، وبِشر بن مالك العامريّ والحَكَم بن أخْنَس، واُميّة بن أبي حُذَيفَة بن المُغيره وجز ايشان، همه را اميرالمؤمنين كشت، تا نگاه مى‌كردم آن جا كه با مدينه آمد و دست او تا به كتف به خون مخضّب شده بود، در حجرهٔ فاطمه عليها السلام شد، و او اِنايى آب پيش نهاده بود [و] روى على از آن گرد و خون مى‌شست، و او آن تيغ به او داد و گفت: بستان اين شمشير كه امروز با من وفا كرد، و اين بيتها انشا كرد:

أَفاطِمُ هاكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَميمٍ فَلَسْتُ بِرِعْديدٍ وَلا بَلَئيمِ
لَعَمْري لَقَدْ أَعْذَرْتُ في نَصْرِ اَحْمَدَ وَطاعَةِ رَبٍّ بِالْعِبادِ عَليمِ
أَميطي دِماءَ الْقَوْمِ عَنْهُ فَإِنَّهُ سَقى آلَ عَبْدِ الدّار كَأْسَ حَميمِ

و رسول عليه السلام گفت: خُذي يا فاطِمَةُ فَقَدْ اَدّى بَعْلُكِ ما عَلَيْهِ وَقَتَلَ اللهُ بِسَيْفِهِ صَناديدَ قَريشٍ. وَاللهُ سَميعٌ عَليمٌ؛ وخداى شنواست اقوال ايشان را، وعالم است به احوال ايشان»[٣].

---

١. تفسير القمي ١(١٧٤-١٧٠) من طبعة المؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ونقل عنه البرهان ١/ ٦٨٢، ح٧.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٩٧؛ البرهان ١/ ٦٨٥، ح٨.
٣. روض الجنان ٥/ ٤٢ و ٤٣.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾

وفيها تبيين وجه اللوم والعتاب والتعريض بالمؤمنين.

﴿إِذْ﴾ ظرف في موضع نصب متعلّق بمحذوف نحو: اذكر أو متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾ قبله. أو بـ ﴿تُبَوِّئُ﴾ كذلك.

﴿هَمَّت﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث، الهمّ: هو القصد وما هممت به وأوّل ٱلْعَزِيْمة بل هاهنا كان مجرد وسوسة وحديث نفس لما يأتي من أنّها لم يفعلا ما هَمَّتا به.

﴿طَّآئِفَتَانِ﴾ فاعله. والمراد بهما على القول المشهور[1] بين المفسرين:

بنوسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس. وهو المروي[2] عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام .

وقيل: إنّهما طائفة من المهاجرين وطائفة من الأنصار، والقائل أبوعَلِيٍّ الجُبّائي[3].

﴿مِنكُمْ﴾ جار ومجرور. أي من المؤمنين ظاهراً لا واقعاً.

﴿أَن تَفْشَلَا﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعله. والفشل: الجبن وضعف القلب، أو ضعف مع الجبن.

قال الشيخ: «وكان سبب همّهم بالفشل في قول السُّدِّي وابن جريح أنّ عبدالله ابن أُبي [بن] سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أُحد فهمّا به ولم يفعلاه»[4].

﴿وَ﴾ حالية. ﴿ٱللَّهِ﴾ مبتدأ.

﴿وَلِيُّهُمَا﴾ خبر والضمير مضاف إليه. أي ناصرهما ووفّقهما على عدم اتيان ما قصدتا وعزمتا من ترك القتال والحرب. ودليل على أنّ الله يمنح التوفيق والعناية

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٢٨٤.
٢. التبيان ٢/ ٥٧٧.
٣. التبيان ٢/ ٥٧٧.
٤. التبيان ٢/ ٥٧٧.

لبعض الناس دون كلِّهم.

بل هما إذا علمتا بأنّ الله وليهما فلا ينبغي لهما أن تقصدا ترك القتال وأن تفشلا، ففيها نوع من العتاب وَٱللَّوْم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ حرف ربط وحرف جزم وفعل مضارع مجزوم. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فاعله.

أي: ينبغي للمؤمنين أن يتوكلوا على الله في أُمورهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[١].

## روايةٌ

روي عن جابر بن عبدالله أنّه قال: فينا نزلت، وما أحبّ أنّها لم تكن.[٢]

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف هذه الآية على سابقتها تتميماً للعتاب وتأكيده وأن لا ينبغي من المؤمنين الفشل في حال قد نصرهم الله في السنة الماضية ببدر.

ويمكن أن يكون حرف استئناف وكلام مستقل بذكر النعمة التي أنعمها الله تعالى على المؤمنين بانتصارهم في غزوه بدر وقتلوا من المشركين سبعين نفراً وأسروا سبعين وانهزم الباقون.

﴿لَ﴾ حرف تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله. والضمير يرجع إلى المؤمنين بتقوية قلوبهم وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم وبما أمدّهم به من الملائكة.

﴿بِبَدْرٍ﴾ جار ومجرور، اسم مكان بين مكة والمدينة وقع فيه أوّل غزوه من غزوات النبي ﷺ في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة اثنتين من الهجرة.

---

١. سورة الطلاق / ٣.

٢. التبيان ٢/ ٥٧٧؛ مجمع البيان ٢/ ٤٩٥.

سُمّي بِـ «بدرٍ» لأنّ هناك ماءً لرجلٍ يسمىٰ بدراً من جُهَينة فسمّي الموضع باسم صاحبه، أو أنّه اسم للموضع كما يُسَمّىٰ كُلُّ بَلَدٍ بِاسْمٍ يخصه.

«وكان صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام وصاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة»[١]. «وقيل: سعد بن معاذ»[٢].

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنتُم﴾ مبتدأ، أيها المؤمنون.

﴿أَذِلَّةٌ﴾ خبر، والجملة في موضع الحال من مفعول ﴿نَصَرَكُمُ﴾. الذلّة: الضعف عن المقاومة وضدها العزّة وهي الصلابة والقوة على الغلبة. وأذلة: جمع قلّة لذليل والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدلّ على أنّهم على ذلّتهم كانوا قليلاً.

وذليل: «فعيل قياسه أن يجمع على فعلاء إذا كان صفة مثل ظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، وعليم وعلماء، وشريك وشركاء، فجمع على أفعلة كراهية التضعيف فعدل إلى جمع الأسماء نحو قفيز وأقفزة. فقيل: ذليل وأذلّة وعزيز وأعزّة»[٣].

وأمّا قلّتهم فَقَدْ «رُوِيَ عَن ٱبنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً والأنصار مأتين وستة وثلاثين رجلاً، الجميع ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً. وكان المشركون نحواً من ألف رجل»[٤]. «ومعهم مائة فرس والشكة[٥] والشوكة[٦]»[٧].

وأمّا ذلّتهم: فـ «ما كان بهم من ضعف الحال وقلّة السلاح والمال والمركوب وذلك أنّهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلّا فرس واحد»[٨].

---

١. التبيان ٢/ ٥٧٩.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٩٨.
٣. التبيان ٢/ ٥٧٨.
٤. التبيان ٢/ ٥٧٨.
٥. الشِّكة بالكسر: السلاح.
٦. والشوكة: شدّة البأس.
٧. الكشاف ١/ ٤١١.
٨. الكشاف ١/ ٤١١.

ان قلت: كيف يجمع هذه الذلّة للمؤمنين مع قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

قلت: عزّتهم إنّما هي بعزة الله فالمؤمنون يعتزون بعزة الله تعالى وأمّا حالهم من حيث أنفسهم فلم يكن لهم إلّا هذه الذلّة. فالعِزَّةُ أوّلاً وبالذات لله تعالى وثانياً وبالعرض لرسوله ـ هدية من الله لرسوله ـ وثالثاً وبالعرض المفارق للمؤمنين. إذا وفوا بشروطها. وهم من حيث أنفسهم ليسوا إلّا أذلة.

ويمكن أن يقال: بأنّ ذلّة المؤمنين تكون ظاهرياً في مقابل عزّة الكافرين وشوكتهم الظاهريتين فكلاهما ظاهريان وليسا بِواقِعِيَّيْنِ، والواقع على خلافه أي عزة المؤمنين وذلة الكافرين كما ظهر هذا الواقع في غزوة بدر.

﴿فَ﴾ حرف ربط للتفريع.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. اتقوا معاصي الله واعملوا بطاعته، أو اتقوا عقاب الله بترك المعاصي والعمل بطاعته. و«أصل الإتقاء: هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر كما تقول اتقاه بالترس»[٢].

أو ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الثبات مع رسوله ﷺ والصبر معه.

أو ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتذكّر نعمه لا سيّما نعمة النصر في يوم بدر وبترك المعاصي حتّى الهم بالفشل والخذلان والنفاق في يوم أُحد وغيره.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمه.

﴿تَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبره. إِذْ نَصَرَ ٱللهُ المؤمنين فيلزم عليهم تقوى الله تعالى شكراً لهذه النعمة العظمية، فهم إذا كانوا أو صاروا متقين يمكن أن يُؤَدُّوْا شكر نعمة انتصارهم بنصر الله تعالى.

فوضع الله الشكر موضع الإنعام؛ لأنّ الشكر سبب للتقوى. والشكر يوجب مزيد نعم الله لأنّ الله تعالى يقول ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣].

---

١. سورة المنافقين / ٨.
٢. التبيان ٢/ ٥٧٩.
٣. سورة إبراهيم / ٧.

## الروايات

القمي عن أبي عبدالله عليه السلام: ما كانوا أذلّة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّما نزل: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ﴾ ضعفاء.[١]

العياشي رفعه أبي بصير قال: قرأت عند أبي عبدالله عليه السلام ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ فقال: مه ليس هكذا أنزله الله إنّما أُنزلت وأنتم قليل.[٢]

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله أبي عن هذه الآية ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ قال: ليس هكذا أنزله الله، ما أذل الله رسوله قطّ إنّما أُنزلت وأنتم قليل.

عن عيسى عن صفوان ابن سنان مثله.[٣]

وعن ربعي عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام انه قرأ ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ﴾ ضعفاء وما كانوا أذلّة ورسول الله فيهم عليه وعلى آله السلام.[٤]

وقال الطبرسي: ورُوي عن بعض الصادقين إنّه قرأ ﴿وَأَنتُمۡ﴾ ضعفاء. وقال: لا يجوز وصفهم بأنّهم أذلة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[٥]

**ورواها الشيخ[٦] عن بعض السلف الصالح.**

**والكلُّ يُحْمَلُ على التوضيح والتفسير لا على التحريف أو ٱلقراءة كما لا يخفى.**

---

١. تفسير القمي ١/ ١٢٢.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٣٦، ح١٣٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٣٦، ح١٣٤.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٦، ح١٣٥.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٩٨.
٦. التبيان ٢/ ٥٧٨.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾

هذه الآية الشريفة كسابقتها ولاحقتها تذكر غزوة بدر في السنة الثانية من ٱلْهِجْرَةِ كما مرّت.

﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾. وهو يبيّن ولاية الله تعالى على المؤمنين جزاء شكرهم وتوكّلهم على الله.[١]

أو بدل ثان من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ في الآية المربوطة بغزوة أُحد.

﴿تَقُولُ﴾ فعل مضارع فاعله أنت يا رسول الله ﷺ.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَقُولُ﴾. ﴿أَ﴾ حرف استفهام للإنكار.

﴿لَن﴾ حرف نفي ونصف ورد تأكيداً للإنكار وللدلالة على أنّهم كانوا آيسين من النصر لقلّة عددهم وعِدَّتهم.

﴿يَكْفِيَكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب والضمير مفعول به، وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى إمداد الله تعالى. والكفاية: هي الاستغناء بالشيء عن غيره. أو مقدار يسدّ به الخلّة.

﴿أَن﴾ حرف نصب.

﴿يُمِدَّكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به. والإمداد: هو إعطاء الشيء حالاً بعد حالٍ وعلى طريق الاتصال، وبعبارة أُخرى: هو إيصال المدد على نعت الاتصال.

﴿رَبُّكُم﴾ فاعل ومضاف إليه. وإضافة ضمير الخطاب إلى الربّ تدل على كمال العناية بهم. وأنّه تعالى لا يدعهم حين يحتاجون إلى لطفه ونصره.

﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جار ومجرور.

﴿مُنزَلِينَ﴾ حال للملائكة. أي أنزلهم الله من السماء لنصرهم وتقويتهم.

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٢٨٧.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿بَلَىٰٓ﴾ حرف جواب وكلمة تصديق. إيجاب لما بعد ﴿لَن﴾ بمعنى: بل يكفيكم الإمداد بِما يُوْجِبُ ٱلْكِفاية.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم، وعدهم الله بشروط إن وفوا بها يف الله تعالى بوعده من الإمداد والانتصار.

﴿تَصۡبِرُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. في يوم بدر أو في أي يومٍ من الأيام.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿تَتَّقُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، معطوف.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَأۡتُوكُم﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، معطوف ثان. والضمير الفاعلي يرجع إلى المشركين.

﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. الفَوْرُ: الغَلَيانُ، يقال: فارَت القِدْرُ إذا غَلَتْ وجاشَتْ ثمّ استعير للسرعة والعجلة. والفور: هو ضد التراخي أي يأتوكم المشركين فوراً ومن دون إبطاء. وصف الله مجيئهم بالفورية لشدّة غضبهم وعداوتهم للمؤمنين.

ومع هذه الفورية في إتيانهم إمداد الله تعالى أيضاً يأتي فوراً وعلى سبيل العجلة وفي نفس الوقت بل قبله.

﴿هَٰذَا﴾ عطف بيان.

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ﴾ فعل مضارع مجزوم ومفعول به، جواب شرط.

﴿رَبُّكُم﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه ولا منافاة بين العددين لأنّ بعد الوفاء بشرط الصبر والتقوى واتيان المشركين بالفورية زاد الله تعالى إمدادهم بخمسة آلاف من الملائكة غير ثلاثة آلاف السابقة والشاهد عليه اختلاف حالهم هنا

بـ ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ وهناك بـ ﴿مُنزَلِينَ﴾ فصار المجموع ثمانية آلاف.

﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جار ومجرور.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ حال. السِّيماء: العلامة. أي الملائكة كانوا مُعَلَّمين بعلامة خاصة. وقد وردت في الروايات أنّها العِمّة.

## الروايات

في صحيحة أبي همام إسماعيل بن همام الكندي عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: العمايم، اعتم رسول الله صلى الله عليه وآله فسدلها من بين يديه ومن خلفه، واعتم جبرئيل فسدلها من بين يديه ومن خلفه.[١]

**ونحوها في تفسير العياشي[٢].**

وفي خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت على الملائكة العمايم البيض المرسلة يوم بدر.[٣]

**ومثلها في تفسير العياشي[٤].**

وفي خبر علي بن أبي علي اللهبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عمم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بيده فسدلها من بين يديه وقصرها من خلفه قدر أربع أصابع ثم قال: أدبر فأدبر ثمّ قال: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثمّ قال: هكذا تيجان الملائكة.[٥]

وفي مرسلة ضريس بن عبدالملك عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الملائكة الذين نصروا محمّداً صلى الله عليه وآله يوم بدر في الأرض، ما صعدوا بعد ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف.[٦]

ابن قولويه بإسناده عن أَبان بن تَغْلِبَ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ أربعة الآلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليهما السلام لم يؤذن لهم في القتال

---

١. الكافي ١٣/ ٦٤، ح٢ (٦/ ٤٦٠).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٣٧، ح١٣٧.
٣. الكافي ١٣/ ٦٤، ح٣ (٦/ ٤٦١).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٣٧، ح١٣٦.
٥. الكافي ١٣/ ٦٤، ح٤ (٦/ ٤٦١).
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٣٧، ح١٣٨.

فرجعوا في الأستيذان فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيمة رئيسهم ملك يقال له المنصور.[١]

وابن قولويه بإسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أقل بَقاءَكُمْ أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم، فقال: ان لكلِّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه ان يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به عرف أنّ أجله قد حضر، وأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله، وإنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعْطِيَها وفسر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقض، فخرج إلى القتال. فكانت تلك الأمور التي بقيت إنّ الملائكة سألت الله في نصرته، فأُذن لهم، فمكثت تستعد للقتال وتأهبت لذلك حتى قتل، فنزلت الملائكة وقد انقطعت مدّته وقُتل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا بالانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم ان الزموا قبته حتّى تَرَوْهُ وقد خرج فانصروه، وٱبكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وانكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً على ما فاتهم من نصرة الحسين عليه السلام، فإذا خرج عليه السلام يكونون أنصاره.[٢]

وقال علي عليه السلام وابن عباس: كانت عليهم عمائم بيض وأرسلوا أَذْنابَها بين أَكتافهم.[٣]

---

١. كامل الزيارات / ٨٣، ح٢.
٢. كامل الزيارات / ٨٨، ح١٧.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٩٩.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿جَعَلَهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به. والضمير عائد على ذكر الأمداد والوعد به وإنزال الملائكة.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿بُشۡرَىٰ﴾ مفعول به ثان. أي بشرى بالانتصار.

﴿لَكُمۡ﴾ جار ومجرور. الضمير يرجع إلى المؤمنين. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لِتَطۡمَئِنَّ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب، وهذه حكمة أُخرى في الوعد بالإمداد وهي تسكين قلوب المؤمنين وتثبيتها.

﴿قُلُوبُكُم﴾ فاعل والضمير مضاف إليه.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى الامداد والوعد به.

قال في التفسير الكاشف: «وقد دلّ قول الله هذا دلالة لا تقبل التأويل أنّه جلت قدرته قد أَمَدَّ المسلمين بالملائكة في بعض حروبهم، وقد دلّت الروايات الكثيرة واتفق المسلمون على أنَّ الله أنزل الملائكة يوم بدر لنصرة المؤمنين، واختلفوا في إنزالهم يوم أحد، وليس من شك أنّ الله سبحانه أنزل الملائكة يوم بدر لنصرة المؤمنين، ولكن لا نعلم نوع هذا النصر: هل كان نصراً مادياً كالقتال، او نصراً معنوياً كتخويف المشركين، وحصول الطمأنينة للمؤمنين؟ الله أعلم... ولا يجب علينا البحث والتنقيب عن ذلك: على أنّه إذا بحثنا فلن نصل إلى يقين»[1].

**أقول:** ولكن ظهور بعض الآيات كَنُزُوْلِ الجنود من السماء والجند لايأتي إلّا للمقاتلة والمبارزة والحرب فهم يدخلون في الحرب ولكن الناس من الكافرين والمؤمنين لا يَرَوْنَهُمْ.

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٥١.

وأمّا الآيات فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٤].

وكذلك ظهور بعض الروايات نحو معتبرة الحسين بن أبي العلاء الخفاف عن أبي عبدالله عليه السلام في قصة أُحدٍ: ... فقال [علي عليه السلام]: يا رسول الله أسمع دَوِيّاً شديداً وأسمع أقدمْ حيزوم وما أَهُمُّ أضربُ أحداً إلّا سقط ميِّتاً قبل أن أضربه، فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة... فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلّما سمعوا وَقْعَ حاضر فرسه جَدُّوا في السير وكان يتلوهم... فقالوا: رأينا عسكر محمّد كلّما رحل أبوسفيان نزلوا يَقْدُمُهُم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، الحديث.[٥] والله العالم.

سيأتي[٦] تمام المعتبرة في ذيل الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿ٱلنَّصْرُ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء ﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿عِندِ﴾ مجرور. ظرف يفيد معنى الحضور الذي أعم من الجسماني والروحاني والزماني والمكاني والقرب المعنوي.

«وقد استعمل في القرآن ٱلكريم في الجسمانيات المحضة في الدنيا:

كقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[٧].

---

١. سورة الفتح / ٤ و ٧.
٢. سورة التوبة / ٢٦.
٣. سورة الأحزاب / ٩.
٤. سورة المدثر / ٣١.
٥. الكافي ١٥/ ٧١٣، ح٥٠٢ (٨/ ٣١٨).
٦. راجع هذا المجلد صفحة ١٥٥.
٧. سورة البقرة / ١٩٨.

وقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ﴾١.

وفي الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ﴾٢.

وفي المجرّدات والروحانيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾٣.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۞ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾٤.

وفي فوق الروحانيات والمجرّدات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ﴾٦.

إلى غير ذلك من الآيات الشريفة، بل استعمل مضافاً إلى الله تعالى في القرآن الكريم بأنحاء مختلفة»٧.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. مجموع الجملة من حرف الاستثناء إلى هنا خبر.

يفيد حصر النصر به تعالى وحقيقة النصر منه تعالى وجميع الأسباب الظاهرية والمادية والمعنوية والإمدادات لا يغني عنه تعالى، بل هنَّ أسباب تفيد إذا أراد الله وإلّا فلا.

﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ نعت. تعليل لانحصار النصر به تعالى لأنّه العزيز الذي لا يُغلَب.

﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ نعت آخر. وتعليل آخر للانحصار، لأنّه تعالى الحكيم الذي لا يجهل ويفعل ما فيه المنفعة والمصلحة التي كان عالماً بها.

---

١. سورة النحل / ٩٦.
٢. سورة الصافات / ٤٨.
٣. سورة الأعراف / ٢٠٦.
٤. سورة النجم / ١٣ و ١٤.
٥. سورة النحل / ٩٦.
٦. سورة القلم / ٣٤.
٧. مواهب الرحمن ٦/ ٢٩٢.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ ﴿١٢٧﴾

﴿لِيَقْطَعَ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعل ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. واللام متعلّق بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[١] أو بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[٢] أو تدبير الله تعالى بإمداد المؤمنين بالملائكة والوعد به. ومعنى القطع هنا الهلاك كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٣].

﴿طَرَفًا﴾ مفعول به. قطع الطرف: تعبير كنائي عن إهلاك الكافرين وإضعاف قوّتهم بالقتل وإذهاب شوكتهم بالأسر والهزيمة. ومعنى الطرف واضح. وقطع طرفهم كان في يوم بدر.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ جار ومجرور وفعل ماضٍ و «الواوُ» فاعله.

و «من» بيانية أو تبعيضية.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف يعطف ما بعده على ﴿لِيَقْطَعَ﴾ أو حرف نصب بمعنى «إلّا أنْ».

﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به والضمير المستتر فاعله يرجع إلى الله تعالى.

الكبت: هو الخزي والعار والهوان والذلّة. فالله تعالى يريد أن يذلّ الكافرين ويخزيهم ويهينهم وَيَكْسِرَ شَوْكَةَ عِنادِهِم ومُكابَرَتِهم بانتصار المؤمنين.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع.

﴿يَنقَلِبُواْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي فيرجعوا.

﴿خَآئِبِينَ﴾ حال. والخيبة: حرمان المراد، الخائب: المنقطع عمّا أمل. وكان أمل الكافرين الغلبة على المؤمنين فهم يرجعون في غزوة بدر غير واصلين بأملهم ومرادهم لانتصار الله العزيز الحكيم بالمؤمنين في يوم بدر.

---

١. سورة آل عمران / ١٢٦.
٢. سورة آل عمران / ١٢٣.
٣. سورة الأنعام / ٤٥.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾

جملة معترضة تدلّ على أنّ الانتصار والهزيمة، الهداية والغواية، الحياة والقتل؛ الحرية والأسر، التوبة وعدمها كلّها ترجع إلى الله تعالى وإرادته ومشيئته وليس للنبي الأعظم ﷺ في ذلك شيءٌ إلّا إنفاذ أوامر الله تعالى وإبلاغ نواهيه وأحكامه، فوظيفته ﷺ إبلاغ الرسالة والجهاد في مسيرها حتّى يُظهر الدين، فهو ﷺ بشير ﷺ ونذير ﷺ ومبلِّغ ﷺ ومبيِّن ﷺ لأحكام الله تعالى وشريعته، حتّى لا يغالى المسلمون فيه ﷺ كما يغلو النصارى بالنبي عيسى عليه السلام.

﴿لَيْسَ﴾ من الأفعال الناقصة النافية. ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور، خبره.

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ جار ومجرور، أي من أمرهم، من الأُمور التي مرّت بعضها.

﴿شَيْءٌ﴾ اسمه. بل الله تعالى مالك أمر العباد من المؤمنين والكافرين لا أنت أيها الرسول الخاتم والنبي الأعظم ﷺ.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف يعطف ما بعده على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ﴾، ويمكن أن يكون حرف نصب بمعنى «إلّا أن» كما مرّ في الآية السابقة.

﴿يَتُوبَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

وتوبه الله تعالى على الكفار والمشركين هي هدايتهم إلى الإسلام، قدّم التوبة لأنّ رحمته تعالى سبقت غضبه ولذا أخّر العذاب.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور. الضمير يرجع إلى الكفار والمشركين.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف، أو حرف نصب كما مرّ.

﴿يُعَذِّبَهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

وإن أراد الله تعالى لا يهديهم إلى الإسلام ويعذّبهم على كفرهم وشركهم.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع والتعليل. أي لماذا لا يهديهم ويعذبهم؟ لأنّهم ظالمون.

﴿إِنَّهُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه.

﴿ظَٰلِمُونَ﴾ خبره. والظلم تعليل لعذابهم وعدم هدايتهم إلى الحقِّ.

## الروايات

في تفسير العياشي عن جابر الجعفي قال: قرأتُ عند أبي جعفر عليه السلام قول الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، قال: بلى والله إنّ له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً، وليس حيثُ ذهبتَ ولكنّي أُخبرك أنّ الله تبارك وتعالى لمّا أمر نبيَّه عليه السلام أنْ يُظهر ولاية عليٍّ فَكَّر في عداوة قومه له ومعرفته بهم، وذلك للذي فَضّله الله به عليهم في جميع خصاله، كان أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وبمن أرسله، وكان أنصر الناس لله ولرسوله، وأقْتَلهم لعدوّهما وأشَدَّهم بُغضاً لمن خالفهما، وفَضْل عِلمه الذي لم يُساوِه أحدٌ، ومناقبه التي لا تُحصى شَرَفاً، فلما فكَّر النبي صلى الله عليه وآله في عداوة قومه له في هذه الخصال، وحَسَدهم له عليها ضاق عن ذلك [صدره] فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء إنّما الأمر فيه إلى الله أن يُصيّر عليّاً عليه السلام وصيّه ووليّ الأمر بعده، فهذا عنى الله، وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فَوَّض الله إليه أن جعل ما أحلَّ فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، قوله: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].[2]

وعن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله لنبيّه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فسِّره لي، قال: فقال أبوجعفر عليه السلام: لشيء قاله الله ولشيء أراده الله.

يا جابر، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً على أن يكون عليٌّ عليه السلام من بعده على الناس وكان عند الله خِلاف ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: قلت: فما معنى ذلك؟ قال: نعم عنى بذلك قول الله لرسوله عليه السلام ليس لك من الأمر شيء يا محمّد في عليّ الأمر إِلَيَّ في عليّ وفي غيره، ألم أتُلُ عليك يا محمّد فيما أنزلتُ من كتابي إليك ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3] إلى قوله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾[4].

---

١. سورة الحشر / ٧.
٢. تفسير العياشي ١ / ٣٣٧، ح١٣٩.
٣. سورة العنكبوت / ١ و ٢.
٤. سورة العنكبوت / ٣.

قال: فَوَّض رسول الله ﷺ الأمر إليه.[١]

**ونحوها في تفسير فرات[٢].**

وعن الجَرْمي عن أبي جعفر عليه السلام انه قرأ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.[٣]

وعن الصادق عليه السلام: لو وُزن رجاءُ المؤمن وخوفه لاعتدلا.[٤]

الزهري عن سالم عن أبيه أنّه سمع رسول الله ﷺ قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع: «ربنا لك الحمد اللهم العن فلاناً وفلاناً»، دعا على ناس من المنافقين فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.[٥]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٩﴾

«وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنّه قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٦] عقّب ذلك بأنّ الأمر كلّه لله في السماوات والأرضين»[٧].

أو هذه الآية في موضع تعليل بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾[٨] والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[٩].[١٠]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٣٨، ح١٤٠.
٢. تفسير فرات / ٩٢، ح٧٧.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٣٨، ح١٤١.
٤. مجمع البيان ٢/ ٥٠٢.
٥. صحيح البخاري ٥/ ٣٥؛ سنن الدارمي ١/ ٣٧٤؛ الكشف والبيان ٣/ ١٤٧.
٦. سورة آل عمران / ١٢٨.
٧. التبيان ٢/ ٥٨٧.
٨. سورة آل عران / ١٢٨.
٩. سورة آل عمران / ١٢٩.
١٠. كما يظهر من الميزان ٤/ ١٠.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور واللام للملكية الحقيقية خبر مقدم، يفيد حصر الملكية لله تعالى.

﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر. تشمل ما يُعقل وما لا يُعقل وتفيد الجنس.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ معطوف.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور. فجميع ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملك لله تعالى فقط فله التصرف فيهما كيف يشاء ولا مانع من نفوذ تصرفه. ومن كان مالكاً فهو حقيق بأن يكون الأمر كلّه له والتصرف بما شاء له. من دون أيّ شريكٍ وندٍّ ونظيرٍ.

﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، قدّم الغفران لعموم رحمته تعالى.

﴿لِمَن﴾ جار ومجرور.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع فاعله ضمير مستتر، من التوابين وغيرهم لأنّ حسن عفوه غير مشروط بالتوبة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿يُعَذِّبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

﴿مَن﴾ مفعول به.

﴿يَشَآءُ﴾ من الكافرين والمشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1].

تعليق المغفرة والعذاب على المشيئة تنبيهٌ للانسان بعدم اغتراره بأعماله الحسنة وعدم يأسه من معاصيه وآثامه.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿غَفُورٌ﴾ خبره.

﴿رَّحِيمٌ﴾ خبر ثان. والجملة الأخيرة تأكيد لأنّ الله يغفر لِلْمُذْنِبِيْنَ والعاصين وهُوَ رحيمٌ بهم وبغيرهم. اللهم ٱغْفِرْ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ الغَفور ٱلرَّحيم.

---

١. سورة النساء / ٤٨ و ١١٦.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾

«لما ذكر الله تعالى أنّ له عذاب من يشاء والعفو عمن يشاء وصل ذلك بالنهي عمّا لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب وعذبوا عليه وهو الربا»[١].

﴿يَٰٓ﴾ حرف نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ منادى و«ها» للتنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل. ﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿لَا تَأۡكُلُواْ﴾ فعل نهي وفاعله، والمراد بـ«الأكل» هنا الأخذ كما مرّ.[٢]

﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ معفول به. مرّ معناه.[٣] نهي للمؤمنين عن أكل الربا لما فيه من المضار الفردية والاجتماعية وإنَّهُ يوجب تعطيل الأعمال المُوَلِّدة والاقتصادية، ويوجب كثرة غِنىٰ الغني وفقر الفقير وغيرها من الآثار المترتبة عليه.

﴿أَضۡعَٰفٗا﴾ حال، وهو جمع قلة لِضِعف وهو مثل الشيء، ضعفاه: مثلاه، أضعافه: أمثاله. أي في حالٍ يضاعفون في أموالكم.

﴿مُّضَٰعَفَةٗ﴾ نعته، هو إشارة لطيفة إلى الوصف الغالب في الربا من تضاعف المال مضاعفة بأخذ مال الغير وضمّه إلى رأس المال الربوي.[٤]

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. أي اتقوا الله في ترك الربا وفي كلِّ ما نهاكم عنه ومعاصيه. أو عذابه بترك معاصيه.

﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ من الأفعال الناقصة واسمه. والضمير يرجع إلى المؤمنين التاركين للربا ومعاصي الله.

﴿تُفۡلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر لعل. والفلاح من أهم الغايات والتقوى

---

١. التبيان ٢/ ٥٨٧.
٢. أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ ١١٥.
٣. أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ ١١٥.
٤. كما يظهر من الميزان ٤/ ١٩.

يوجب الفلاح.

## روايةٌ

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال في وجه تحريم الربا: أنّه (أَيْ تحريم الربا) يدعو إلى مكارم الأخلاق بالإقراض وإنظار المعسر من غير زيادة.[١]

**والروايات الواردة في وجه تحريم الربا وشدّته كثيرة راجع وسائل الشيعة[٢] وموسوعتي الحديثية[٣].**

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱتَّقُواْ﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿ٱلنَّارَ﴾ مفعول به، أي اتقوا النار في تحريم الربا وغيره من المحرمات الشرعية.

﴿ٱلَّتِيٓ﴾ نعت.

﴿أُعِدَّتۡ﴾ فعل ماضٍ مؤنث مجهول، والضمير المستتر «هي» نائب فاعله ترجع إلى النار. حذف فاعله لأنّه تعالى لا يرد استنادها إليه واشارة إلى عظمتها وشدّتها وكثرتها.

الإعداد: «هو تقديم عمل الشيء لغيره ممّا هو متأخر عنه وقد قدم فعل النار ليصلاها الكفار. والإعداد والإيجاد والتهيئة والتقدمة متقاربة المعنى»[٤].

﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ جار ومجرور. إشارة واضحة إلى كفر آكل الربا.

وفيها اشارة إلى أنّ الكفار يدخلون النار قطعاً وأمّا الفساق من المؤمنين فَيَجُوْزُ أن يشملهم عفوه تعالى وغفرانه ورحمته الواسعة وأسبابها من التوبة والشفاعة وكرمه وجوده ومغفرته ورحمانيته ورحيميته فـ ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

---

١. التبيان ٢/ ٥٨٧ ومجمع البيان ٢/ ٥٠٢.
٢. وسائل الشيعة ١٨/ ١١٧.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ١٠٤.
٤. التبيان ٢/ ٥٨٩.

جَمِيعًا﴾[1].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَطِيعُواْ﴾ فعل امر وفاعله.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به، أي اطيعوا الله في أوامره ونواهيه. واجباته ومحرّماته. أو في نهيه تعالى عن الربا.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ معطوف، وهو الرسول الأعظم والنبي الخاتم محمّد المصطفى ﷺ، أي أطيعوا الرسول فيما شرع لكم وأمركم به ونهاكم عنه، حتّى بالنسبة إلى أوامر ونواهيه ﷺ الولائية والحكومية في مدّة حكمه وسلطته ﷺ. وعطف الرسول على الله وبإطاعة واحدة من الدّلائلِ القاطعة والبَراهين السّاطعة على عصمة النبي ﷺ.

قال الشيخ: «والوجه في الأمر بالطاعةِ لله ورسولِه مع أن العقل دالٌّ عليه يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون ذلك تأكيداً لما في العقل، كما وردت نظائره، كقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2] ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[3] وغير ذلك.

والثاني: لاتصاله بأمر الربا الذي لا تجب الطاعة فيه إلا بالسمع، لأنّه ليس ممّا يجب تحريمه عقلاً كما يجب تحريم الظلم بالعقل.

فإن قيل: إذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما: المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة الله تعالى.

الثاني: ليعلم أنّ مَنْ أطاعه فيما دعا إليه كمن أطاع الله، فيسارع إلى ذلك بأمر الله. والطاعة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل بطريق الرغبة، والرهبة. ولذلك صح

---

١. سورة الزمر / ٥٣.
٢. سورة الشورىٰ / ١١.
٣. سورة الأنعام / ١٠٣.

أن يجيب الله تعالى عبده، وإن لم يصح منه أن يطيعه، لأنّ الإجابة إنّما هي موافقة الإرادة مع القصد إلى موافقتها على حد ما وقعت من المريد»[١].

﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ من الأفعال الناقصة والضمير اسمه في مَحَلّ نَصْبٍ، يرجع إلى المؤمنين المطيعين لله والرسول ﷺ.

﴿تُرۡحَمُونَ﴾ فعل مضارع مجهول و«الواو» نائب فاعله. خبر لعلّ. أي رحمته تعالى تصل إلى المطيعين.

«قوله ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ يحتمل الأمرين:

أحدهما: لترحموا. وقد بينا لذلك نظائر.

والثاني: ان معناه ينبغي للعباد أن يعملوا بطاعة الله على الرجاء للرحمة بدخول الجنّة، لئلايزلوا فيستحقوا الإحباط والعقوبة أو يوقعوها على وجه لا يستحق به الثواب، بل يستحق به العقاب. وفيها معنى الشك، لكنّه للعباد دون الله تعالى»[٢].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

دعوة عامة إلى الغفران ووعد منه ﷻ لمن اطاع الله ورسوله ﷺ، وذكر سبحانه جزاء المطعين المتقين.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف. كما لم يرد «الواو» في بعض القرأآت.[٣]

﴿سَارِعُوٓاْ﴾ فعل أمر وفاعله تكليف للجميع. المسارعة: المبادرة والاشتداد في السرعة وهي في الخير ممدوحة وفي الشرِّ مذمومة.

﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ جار ومجرور. والمغفرة فعل الربّ ولكن أسبابها فعل العبد فالمراد

---

١. التبيان ٢/ ٥٩٠.
٢. التبيان ٢/ ٥٩٠.
٣. راجع التبيان ٢/ ٥٩١.

المسارعة إلى أسباب المغفرة من التوبة، وأداء الفرائض كما رُوي الأخير عن أمير المؤمنين عليه السلام.[١] أو مطلق الخيرات.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. وحيث أنّ المغفرة مِنْ فعلِ الربّ نسبه إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿جَنَّةٍ﴾ معطوف على ﴿مَغْفِرَةٍ﴾. وهي الآن موجودة علىٰ القَوْل الصحيح المنصور بالدلائلِ، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخلها في ليلة المعراج. قال في الميزان: «وقد قورن في القرآن الكريم المغفرة بالجنة في غالب الموارد، وليس إلّا لأنّ الجنة دارطهارة لا يدخل فيها قذارات المعاصي والذنوب وأدرانها، ولا من تقذر بها إلّا بعد المغفرة والإزالة»[٢].

﴿عَرْضُهَا﴾ مبتدأ والضمير مضاف إليه ويرجع إلى الجنة. يكنّي بالعرض به عن السعة واستعماله فيها كثير نحو: البلاد العريضة: أي الواسعة. أو قولهم: أعرض في المكارم: أي توسّع فيها.

وفي التعبير الكنائي بالعرض يريد أنّ الجنة تبلغ إلى حدّ في السعة بحيث لا نهاية لها أو لا يحدّدها الأوهام البشرية.

ويمكن أن لا يكون كنائياً بل كان على الحقيقة لعدم تناهي أبعاد الجنة كما أنّ الدنيا المادية الدنية لا نهاية لها.

واستفاد العلّامة الطباطبائي[٣] رحمه الله أنّ النظام الحاكم على الآخرة غير النظام الحاكم على الدنيا، لأنّها دار بقاء وأبدية والأُخرى دار زوال وفناءٍ. هذه دار تمانع وتزاحم وحروب وتلك دار توافق وتعاطف وتصالح.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ خبره. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ معطوف.

﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماض مؤنث مجهول ونائب فاعله ضمير «هي» مستتر ترجع إلى

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥٠٣.
٢. الميزان ٤/ ١٩.
٣. الميزان ٤/ ٢٢.

الجنة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور. و«اللام» للاختصاص المتقون: هم المطيعون لله ورسوله ﷺ. وذكر المتقين تقدمة لما ورد في الآيات الآتية من أُوصافهم.

ولا يخفى أنّ الإعداد لهم، لا أنّه لا يدخل فيها غيرهم وبينهما فرق واضح.

والشاهد عليه نظير هذه الآية الشريفة في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[١].

**روايتان**

روى عن النبي ﷺ أنّه سُئل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار؟ فقال ﷺ: سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل.[٢]

قال ابن شهرآشوب: في تفسير يوسف القطان عن وكيع عن الثوري عن السُّدِّي قال: كنتُ عند عمر بن الخطاب إذ أقبل كعب بن الأشرف ومالك بن الصيفي وحيي بن أخطب فقالوا: إنّ في كتابكم: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ إذا كان سَعَة جنة واحدة كسبع سماوات وسبع أرضين فالجِنان كُلُّها يوم القيامة أين تكون؟ فقال عمر: لا أعلم، فبينما هم في ذلك إذ دخل عليّ عليه السلام فقال: «في أي شيء أنتم»؟ فالتفت اليهودي وذكر المسألة فقال عليه السلام لهم: «خبروني أن النهار إذا أقبل الليل أين يكون والليل إذا أقبل النهار أين يكون»؟ فقال له: في علم الله يكون، وقال عليٌّ: كذلك الجنان تكون في علم الله، فجاء عليٌّ عليه السلام إلى النبيّ ﷺ وأخبره بذلك فنزل: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣].[٤]

---

١. سورة الحديد / ٢١.
٢. التبيان ٢/ ٥٩٢؛ مجمع البيان ٢/ ٥٠٤.
٣. سورة النحل / ٤٢؛ سورة الأنبياء / ٧.
٤. المناقب ٢/ ٣٩٣، تحقيق د. يوسف البقاعي.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾

ذكر الله سبحانه صفات المتقين الذين أُعدّت الجنة لهم وابتدأ بالإنفاق والسخاء، ثمّ كظم الغيظ ثمّ العفو عن الناس ثمّ الاحسان والإنعام إليهم.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الآية السابقة فيكون في موضع الجر.

﴿يُنفِقُونَ﴾ فعل المضارع وفاعله، يدلّ على استمرار هذه الصفة فيهم وتقديمها على غيرها من الصفات لأنّ الإنفاق أنفع للناس من سائر الصفات وترتفع مشكلاتهم وهمومهم.

الإنفاق: إخراج الشيء عن الملك ومصرفه وخرجه. وقد حُذف متعلّق الإنفاق ليشمل كلّ ما يصلح له سواء كان مالاً أو غيره ويشمل القليل والكثير ويردّ الربا.

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ جار ومجرور وحرف عطف ومعطوفه. حالتان للمنفق أو للانفاق.

السَّرّاء: من السرور وهو الرخاء والفضل واليسر وكثرة المال.

الضَّرّاء: من الضرر وهو الشدّة والضيق والعسر وقلّة المال.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ حرف عطف ومعطوف ومفعول به. صفة ثانية للمتقين. أصل الكظم شدّ رأس القربة عِنْدَ مِلْئِها. فاستعير للإنسان إذا امتلأ حزناً أو غضباً. ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] أي ممتلىء حزناً.

والغيظ: هيجان الطبع والنفس للانتقام أو لمشاهدة كثرة ما لا يرضيه. فلذا لا يطلق على الله تعالى بأنّه تعالى اغتاط ولكن يطلق عليه إنّه غضب على الكفار مثلاً.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ صفة ثالِثَةٌ للمتقين وَهِيَ من أعظم مكارم الأخلاق.

العفو: المحو والطمس، والعفو عن الناس: هو ترك مؤاخذتهم مع القدرة عليها. وهذه الصفة أفضل من سابقتها لأنّ ربما أحد يكظم غيظه ولكن لم يعفو مَنْ

---

١. سورة يوسف / ٨٤.

ظلمه ولكن العفو يدلّ على انتفاء إعمال الغيظ ونفي الحقد والضغينة.

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على جواز العفو عن المعاصي وإن لم يتب لأنّها دلّت على الترغيب في العفو من غير إيجاب له بإجماع المسلمين»[١].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مبتدأ، فعل مضارع وفاعله خبره ومفعول به. وصف رابع لهم والإحسان أفضل من الصفات السابقة وهو أكرم المكارم. الإحسان إلى الناس: هو إيصال الخير والنفع إلى الغير فيدخل فيه الأوصاف الثلاثة السابقة.

اللام في المحسنين يمكن أن تكون للجنس فتشمل كلّ محسن فيدخل فيها الموصوفون بالصفات الماضية ويمكن أن تكون للعهد فتشير إلى هؤلاء الذين فيهم الصفات الماضية.

## الروايات

في خبر مالك بن حصين السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من عبد كظم غيظا إلّا زاده الله عزّ وجلّ عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وأثابه الله مكان غيظه ذلك.[٢]

وفي صحيحة أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من جرعة يتجرّعها العبد أحب إلى الله عزّ وجلّ من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبر وإمّا بحلم.[٣]

**ورد نظيرها في التبيان[٤] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.**

وفي خبر مهدي عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتّى يدخله الجنة، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً ولا وصيّاً إلّا سخيّاً وما كان أحد من الصالحين إلّا سخيّاً وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتّى مضى وقال: مَنْ أخرج من ماله الزكاة تامّة في موضعها لم يسأل مِنْ أين اكتسبتَ مالكَ.[٥]

وعن أبيسعيد المُكارِيّ عن رجل عن أبيعبدالله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١. التبيان ٢/ ٥٩٤.
٢. الكافي ٣/ ٢٨٤، ح٥ (٢/ ١١٠).
٣. الكافي ٣/ ٢٨٧، ح١٣ (٢/ ١١١).
٤. التبيان ٢/ ٥٩٤.
٥. الكافي ٧/ ٣٠٠، ح٤ (٤/ ٣٩).

وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدّهم استقصاء في محاجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتّى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: ربّك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجلٌ سخيٌّ يطعم الطعام فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغضب ورفع رأسه وقال له: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عزّ وجلّ أنك سخيٌّ تطعم الطعام لَشَرَّدْتُ بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك فقال له الرجل: وإن ربَّك ليحب السَّخاء؟ فقال: نعم، فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رَدَدْتُ من مالي أحداً.[١]

وعن الوَشّاء عن أبي الحسن عليه السلام يقول: السخيُّ قريبٌ من الله قريبٌ من الجنة، قريبٌ من الناس، وسمعته يقول: السّخاء شجرة في الجنة من تعلَّق بغصن من أغصانها دخل الجنة.[٢]

وفي معتبرة مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال لبعض جلسائه: ألا أخبرك بشيء يقرب من الله ويقرب من الجنة ويباعد من النار؟ فقال: بلى، فقال: عليك بالسخاء فإنّ الله خلق خلقاً برحمته لرحمته فجعلهم للمعروف أهلاً وللخير موضعاً وللناس وجهاً، يسعى إليهم لكي يحيوهم كما يحيي المطرُ الأرضَ المجدبة أولئك هم المؤمنون الآمنون يوم القيامة.[٣]

وورد أنّ الله عزّ وجلّ أُوحى إلى موسى عليه السلام: أن لا تقتل السامريَّ فإنّه سخيٌّ.[٤]

وعن أبي جعفر المدائني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شابٌّ سَخِيّ مرهق في الذنوب أحبَّ إلى الله من شيخ عابد بخيل.[٥]

وعن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.[٦]

وفي صحيحة حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: السخي الكريم الذي ينفق ماله في

---

١. الكافي ٧/ ٣٠١، ح٥ (٤/ ٣٩).
٢. الكافي ٧/ ٣٠٤، ح٩ (٤/ ٤٠).
٣. الكافي ٧/ ٣٠٦، ح١٢ (٤/ ٤١).
٤. الكافي ٧/ ٣٠٦، ح١٣ (٤/ ٤١).
٥. الكافي ٧/ ٣٠٦، ح١٤ (٤/ ٤١).
٦. أمالي الصدوق، المجلس التاسع، ح١/ ٨٤، رقم ٥٠.

حقٍّ.[١]

وفي مرفوعة الصدوق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: مَنْ أدّى ما افترض الله عليه فهو أسخىٰ الناس.[٢]

الشيخ جعفر بن أحمد القمي بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: الجنة دار الأسخياء.[٣]

الشيخ المفيد بإسناده قال: وقف علىٰ عليُّ بن الحسين عليهما السلام رجلٌ مِنْ أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلِّمْه، فلمّا انصرف قال لجلسائه: «قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أُحِبُّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردي عليه» قال: فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نُحبُّ أن تقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً، قال: فخرج حتّى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: «قولوا له: هذا علي بن الحسين» قال: فخرج إلينا متوثِّباً للشرِّ، وهو لا يشكُّ أنّه إنّما جاءَه مُكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له عليُّ بن الحسين عليهما السلام : «يا أخي إنّكَ كنتَ قد وقفتَ عليَّ آنفا فقلتَ وقلتَ، فإنْ كنتَ قلتَ ما فِيَّ فأستغفر الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فِيَّ فغفر الله لك» قال: فقبَّل الرجل ما بين عينيه وقال: بل قلتُ فيكَ ما ليس فيكَ، وأنا أحقّ به.

قال الراوي للحديث: والرّجل هو الحسن بن الحسن.[٤]، يعني الحَسَن المعروفَ بالمُثَنّىٰ.

وقال: جعلتْ جاريةٌ لعليٍّ بن الحسين عليهما السلام تَسكبُ عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فنعستْ فسقط الإبريقُ من يد الجارية فشجَّه، فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية: إن الله يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال: «قد كظمت غيظي» قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ

---

١. معاني الأخبار / ٢٥٦، ح٢.
٢. الفقيه ٢/ ٦٢، ح١٧١٠.
٣. جامع الأحاديث / ٧٠؛ مسند الشهاب ١/ ١٠٢؛ الكشف والبيان ٣/ ١٥٠؛ روض الجنان ٥/ ٦٨.
٤. الإرشاد ٢/ ١٤٥.

ٱلنَّاسِ﴾ قال لها: «عفا الله عنكِ» قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «اذهبي فأنتِ حُرّةٌ».[١]

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما عفا رَجُلٌ عن مظلمة قطّ إلّا زاده الله بها عزّاً.[٢]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اَلسَّخِيُّ قَريبٌ مِنَ الله، قَريبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَريبٌ مِنَ النّاسِ، بَعيدٌ مِنَ النّارِ، وَالْبَخيلُ بَعيدٌ مِنَ الله، بَعيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعيدٌ مِنَ النّاسِ، قَريبٌ مِنَ النّارِ. وَلَجاهِلٌ سَخِيٌّ اَحَبُّ إلى الله مِنْ عالِمٍ بَخيلٍ.[٣]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: تجافوا عن ذنب السخي فإنّ الله آخذٌ بيده كلّما عَثَرَ.[٤]

**وَالروايات الواردة حول الإنفاق[٥] وكظم الغيظ[٦] والعفو عن الناس[٧] كثيرة فإن شئت راجع موسوعتي الحديثية.**

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾

هذه الآية الشريفة أعظم آية في الكتاب المجيد في تحريك العبد إلى الرجاء بالله تعالى وإرشاده إلى عفوه تعالى وكرمه وغفرانه وَإِعْلامِهِ بعدم جواز اليأس من رحمته تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ يكون في موضع الجر إذا كان «الواو» عطفاً وتكون فرقة واحدة،

---

١. الإرشاد ٢/ ١٤٦؛ روض الجنان ٥/ ٧٢؛ مجمع البيان ٢/ ٥٠٥.
٢. مجمع البيان ٢/ ٥٠٥.
٣. سنن الترمذي ٣/ ٢٣١، ح٢٠٢٧؛ الكشف والبيان ٣/ ١٥٠؛ مجمع البيان ٢/ ٥٠٥؛ روض الجنان ٥/ ٦٩.
٤. روض الجنان ٥/ ٦٩.
٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٤٦٧.
٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٩/ ٣٤٤.
٧. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٧/ ٢١٥.

وفي موضع الرفع إذا كان استئنافاً ويكون المقصودُ حِيْنَئِذٍ فِرْقَتَيْن، والأوّل أظهر فيكون ما بعده وصفاً خامساً للمتقين الذين أُعدتْ الجنة لهم.

﴿إِذَا﴾ مفعول فيه.

﴿فَعَلُواْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي بناءً أن يكون «الواو» عطفاً يرجع إلى المتقين فيدلّ على إمكان وقوع الإثم منهم بل وقوعه لهم، لأنّهم ناس عاديون فيمكن صدور الذنب منهم. وبناءً على الاستئناف يرجع إلى طائفة أُخرى غير المتقين وهم المذنبون المستغفرون التائبون.

﴿فَـٰحِشَةً﴾ مفعول به، «وأصل الفاحشة الفحش وهو الخروج إلى عظم القبح في العقل أو رأي العين فيه، وكذلك قيل للطويل المفرط أنّه الفاحش الطول، وأفحش فلان في كلامه إذا أفصح بذكر الفحش»[١].

وهي: «ما عَظُمَ قُبْحُهُ من الأفعال والأقوال»[٢]. «تتضمن الفحش والقبيح من الأفعال»[٣]، وهي «مجاوزة الحدّ في السوء، فتكون الفاحشة كلّ ما اشتدّ قبحه من الذنوب والمعاصي... وكلّ خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال»[٤].

«وقال جابر والسُّدّي: الفاحشة ههنا: الزنا أو ما جرىٰ مجراه من الكبير»[٥] من المعاصي.

نعم، هو كذلك وَقَدْ شاع استعمالها في الزنا ونحوه من المعاصي الكبيرة ولكن الظاهر أنّها مع تقييد آخر يستفاد من لغة الفاحشة وهي البروز والظهور وعلى وجه العلن فإذا فعل ما فعل من المعاصي الكبيرة في الخفاء فَلا يصدق عليه أنّه أتى بالفاحشة والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦].

---

١. التبيان ٢/ ٥٩٥.
٢. المفردات / ٣٨٧ للراغب الأصفهاني.
٣. الميزان ٤/ ٢١.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٣٤٦.
٥. التبيان ٢/ ٥٩٥.
٦. سورة النور / ١٩.

ولكنّ في القرآن استعمل في الزنا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[١] أو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾[٢].

واستعمل في اللواط أيضاً في قولهﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

وكذلك استعمل فيه في المعاصي الكبيرة الخفيّة نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٤] وقولهﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٥].

وبعد هذا الاستعمال لا مجال للتمسك بالاستفادة اللغوية من اعتبارها على نحو العلن والبروز، والله العالم.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه، فيراد منها بقرينة المقابلة الصغائر من الذنوب أو الذنوب التي لم تعتدّ إلى الغير كترك بعض الواجبات نحو: الصلاة والصيام والستر الحجابي بالنسبة إلى النساء فتعدّ ظلماً للنفس فقط. لا إلى الغير.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. أي بعد عمليّة الإثم والذنب وبعد أنْ أغفلهم الشيطان وأنساهم ذكر ربّهم حين الإثم والذنب تذكّروا الله تعالى حقيقةً دون مجرد التلفظ الاعتيادي فقط وإلّا يكون كالمستهزئ كما ورد عن رسول الله ﷺ : المُصِرُّ على ذنبه المستغفر بلسانه كالمستهزءِ بربِّه.[٦]

﴿فَ﴾ حرف عطف وتفريع.

---

١. سورة الأسراء / ٣٢.
٢. سورة النساء / ١٥.
٣. سورة الأعراف / ٨٠.
٤. سورة الأنعام / ١٥١.
٥. سورة الأعراف / ٣٣.
٦. روض الجنان ٥/ ٧٦.

﴿ٱسۡتَغۡفَرُواْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي بعد ما ارتكبوا المعاصي من دون عناد ومحاداة يستغفرون من ربّهم.

﴿لِذُنُوبِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أن يغفر ذنوبهم ومعاصيهم خوفاً من الله تعالى ورجاءً لرحمته وعفوه وغفرانه وكرمه وكبريائه وعظمته.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿مَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وفعل مضارع ومفعول به وحرف استثناء وبدل. والجملة خبر للمبتدأ وكلّها جملة معترضة تشويقية تحريضية.

قال السيّد السبزواري: «بشارة عظيمة، وتطييب للنفوس، وتشويق إلى التوبة والاستغفار، وتنبيه للمذنبين بالالتجاء إلى الله تعالى وعدم اليأس منه ﷻ، فإنّه لا منجى من الذنوب ولا ملجأ في الغفران إلّا إلى الله تعالى، وهذا ممّا يؤكِّد الفزع والرجوع إليه ﷻ.

والآية المباركة ـ بأُسلوبها البديع وخطابها البليغ ـ تؤثّر في المخاطبين أبلغ التأثير، وينبّه الضمير الإنساني الذي تأثّر بارتكاب الذنوب والمعاصي بالرجوع إلى الله والإنابة إليه، لإزالة ما يوجب ضلاله وإغوائه.

وفي هذا الخطاب وجوه من الدلالة على المعنى المراد؛ كإظهار اسم الجلالة، وإسناد المغفرة إلى ذاته المقدّسة المستجمعة لجميع الصفات الكمالية، ودلالة ذلك على الغفران الواسع وانحصاره فيه ﷻ، لأنّه المسلّط على ذلك كلّه، فإنّ مَن بيده أصل الخلق وتدبير شؤونهم، يكون مسلّطاً على الغفران بالأولىٰ، وليس لغيره هذا الحقّ، وهذا ما يدلّ عليه الحصر المستفاد من النفي والإثبات.

وفيه الإنكار على مَن يطلب المغفرة من الأوثان أو الأفراد الذين لم يأذن لهم الله تعالى بالاستشفاع لديه في غفران الذنوب بالخصوص.

ويؤكِّد ذلك ورود الخطاب على هيئة الإنشاء دون الإخبار.

وفي ذكر الجمع المحلّى باللام الدال على العموم، إعلان بأنّ الله جلّ شأنه يغفر جميع الذنوب، صغائرها وكبائرها، فيكون المذنب بعد الاستغفار والتوبة عنده كمَن لا ذنب له، كما في الحديث.

ثمّ إنّ مجيء هذا الخطاب بعد ذكر الفاحشة وظلم النفس، فيه الدلالة على سعة غفران الله تعالى وعدم مبالاته فيه، فإنّ الذنوب مهما كبرت وجلّت، ولكن عفوه وغفرانه أجلّ وأعظم وأكبر»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَمۡ يُصِرُّواْ﴾ حرف جزم وفعل مضارع مجزوم وفاعله، و «الإصرار: هو المقام على الذنب من غير إقلاع منه بالتوبة في قول قتادة، وقال الحسن: هو فعل الذنب من غير توبة، والأوّل أقوى، لأنّه نقيض التوبة. وأصله الشدّ من الصرة والصر: شدة البرد، والإصرار هو ارتباط الذنب بالإقامة عليه. وما قاله الحسن هو في حكم الاصرار». قاله الشيخ[٢]. فالإصرار هو المدوامة على الذنب وملازمته.

وقال العلّامة الطباطبائي: «إنّما قيّد به الاستغفار لأنّه يورث في النفس هيئة لا ينفع معه ذكر مقام الربّ تعالى وهي الاستهانة بأمر الله وعدم المبالاة بهتك حرماته والاستكبار عليه تعالى ولا تبقى معه عبودية ولا ينفع معه ذكر...»[٣].

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ جار ومجرور وفعل ماضٍ وفاعله، من الذنوب والآثام والمعاصي والأخطاء سواء كانت من الكبائر والصغائر ومن الظلم والتعدي علىٰ الغير أو علىٰ النفس فقط، ولكن التعدي علىٰ الغير يحتاج إلى عفو ذلك الغير مضافاً إلى عفو الربّ تعالى.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ مبتدأ، فعل مضارع وفاعله خبره. حال من فاعل الإصرار ومتعلّق به. أي لم يصروا على الذنب حال كونهم عالمون بأنّه ذنب وإثم ومعصية للربّ تعالى. فلا يصدق الإصرار مع الجهل بالمعصية شرعاً كما قال السيّد السبزواري: «مجرد الإصرار على المعصية مع الجهل بها لا يكون إصراراً شرعاً»[٤].

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٣٤٧ و ٣٤٨.
٢. التبيان ٢/ ٥٩٦.
٣. الميزان ٤/ ٢١.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٣٤٩.

## الروايات

موثقة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا صغيرة مع الإِصرار، ولا كبيرة مع الإِستغفار.[١]

وفي صحيحة أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا والله لا يقبل شيئاً من طاعته على الإصرار على شيءٍ من معاصيه.[٢]

وفي خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ قال: الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار.[٣]

**ورواها العياشي في تفسيره[٤].**

وفي معتبرة إسماعيل بن جابر ـ وهي رسالة الصادق عليه السلام إلى أصحابه ـ : ... وإيّاكم والإصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن و بطنه وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ الرسالة.[٥]

وفي مرسلة أبي عَمْرٍوْ الزُّبَيْرِيّ عن أبي عبدالله قال: رحم الله عبداً لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه وفى كتاب الله نجاةٌ من الرَّدىٰ، وبصيرةٌ من العمى، ودليلٌ إلى الهدى، وشفاءٌ لما في الصدور، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٦] فهذا ما أمر الله به من الاستغفار، واشترط معه بالتوبة، والإقلاع عمّا حرّم الله فإنّه يقول ﴿إِلَيۡهِ

---

١. الكافي ٣/ ٧٠٨، ح١ (٢/ ٢٨٨).
٢. الكافي ٣/ ٧٠٩، ح٣ (٢/ ٢٨٨).
٣. الكافي ٣/ ٧٠٨، ح٢ (٢/ ٢٨٨).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٤٠، ح١٤٤.
٥. الكافي ١٥/ ٢٩، ح١ (٨/ ١٠).
٦. سورة النساء/ ١١٠.

يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[١] وهذه الآية تدلّ على أنّ الاستغفار لايرفعه إلى الله إلّا العمل الصالح والتوبة.[٢]

وفي خبر فِطْر بن خليفة عن الصادق عليه السلام ، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرح بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فَمَنْ لها؟ فقام عِفريتٌ من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوَسْواس الخَنّاس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعِدهم وأُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة.[٣]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما صرَّ [أصرَّ] مَنْ استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرّة.[٤]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : طوبى لِمَنْ وجد في صحيفته تحت كلّ ذنب «استغفر الله».[٥]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ اذنب ذنباً وعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنوب غُفر له وإن لم يستغفر.[٦]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله عزّ وجلّ: مَنْ علم أنّي ذو قدرة على المغفرة غَفَرْتُ له ولا أُبالي.[٧]

**وفي شأن نزول الآية راجع مجمع البيان[٨] وروض الجنان[٩] إن شئت.**

---

١. سورة فاطر / ١٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٣٩، ح١٤٣.
٣. أمالي الصدوق، المجلس ٧١، ح٥/ ٥٥١، رقم ٧٣٦.
٤. روض الجنان ٥/ ٧٥؛ مسند أبي يعلىٰ ١/ ١٢٤؛ الكشف والبيان ٣/ ١٧٠، الكشاف ١/ ٤١٦.
٥. روض الجنان ٥/ ٧٥.
٦. روض الجنان ٥/ ٧٦؛ الكشف والبيان ٣/ ١٧٠ ونحوها في تفسير القرطبي ٤/ ٢١٢.
٧. المصنف ٧/ ٩٠ للكوفي؛ الكشف والبيان ٣/ ١٧٠.
٨. مجمع البيان ٢/ ٥٠٦.
٩. روض الجنان ٥/ ٧٣.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾

وعدٌ من الله تعالى للمتقين الموصوفين، أو لهم وللمستغفرين التائبين لذنوبهم بالمغفرة والجنة، وأفاد أنّ المؤمنين ثلاث طبقات: متقون وتائبون ولهما الجنة والمغفرة استحقاقاً أو تفضلاً، ومصّرون ثالِثُهُمْ والله تعالى ساكت بالنسبة إليهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، اشارة إلى المتقين الموصوفين أو هم والمستغفرين.

﴿جَزَآؤُهُم﴾ مبتدأ ثانٍ والضمير مضاف إليه. أي أجرهم وإضافة الجزاء إلى ضمير «هم» تشريفية.

﴿مَّغۡفِرَةٌ﴾ خبر، وجملة ﴿جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ خبر للمبتدأ الأوّل. أي العفو.

﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، و ﴿مِّن﴾ بيانية لعلّة الجزاء وإضافة الربِّ إلى الضمير تشريفية.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿جَنَّٰتٞ﴾ معطوف، أي مضافاً إلى المغفرة لهم جنات.

﴿تَجۡرِي﴾ فعل مضارع يدلّ على الاستمرار.

﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والضمير يرجع إلى جنات.

﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فاعل فعل المضارع.

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال للمفعول والعامل فيه ﴿جَزَآؤُهُم﴾ والتقدير: يجازون بمغفرة وجنّات خالدين فيها.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى الجنات. ﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿نِعۡمَ﴾ فعل ماضٍ جامِدٌ لإنشاء المدح. ﴿أَجۡرُ﴾ فاعل.

﴿ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ مضاف إليه. تأكيد وتشويق للعمل الصالح بأنّهم يوفون أجرهم، وذكر الجمع المحلّي باللام ﴿ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ تصريح على أنّ ذلك كلّهم أجرهم وجزاؤُهم لأعمالهم الصالحة، والمخصوص محذوف تقديره: نعم أجرهم ذلك، أي المغفرة والجنات.

## روايتان

الصدوق بإسناده إلى عبدالرحمن بن غَنْم الدَّوْسِيّ قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً، فسَلَّمَ فردعليه السلام، ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله، إنّ بالباب شابّاً طَرِيَّ الجسد، نقيَّ اللون، حَسَنَ الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك.

فقال النبي ﷺ: أدخل عَلَيَّ الشاب يا معاذ. فأدخله عليه، فسلَّم فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما يبكيك يا شابُّ؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إنّ أخذني الله عزوجل ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا أراني إلّا سيأخذني بها، ولا يغفر لي أبدا.

فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئا؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربّي شيئاً. قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟ قال: لا، فقال: النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق. قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق. فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات السبع ونجومها ومثل العرش والكرسي. قال: فإنّها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب، ذنوبك أعظم أم ربّك. فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان ربّي! ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبي الله من كلِّ عظيم. فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الرب العظيم! قال الشاب: لا والله، يا رسول الله، ثم سكت الشاب.

فقال له النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك. قال: بلى، أخبرك أني كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليها الليل، أتيت قبرها فنبشتها، ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة على شفير قبرها، ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان، فأقبل

يزينها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعتُ إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب، ويل لك من ديّان يوم الدين، يوم يقفني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار، فما أظن أنّي أشم ريح الجنة أبداً، فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: تنح عنّي يا فاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار، فما أقربك من النار! ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه، حتّى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة، فتزوّد منها، ثمّ أتى بعض جبالها فتعبد فيها، ولبس مسحاً، وغل يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى: يا ربَّ، هذا عبدك بهلول، بين يديك مغلول، يا ربَّ أنت الذي تعرفني، وزل منّي ما تعلم. يا سيّدي يا ربّ، إنّي أصبحتُ من النادمين، وأتيتُ نبيّك تائباً، فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيب رجائي، سيدي ولا تبطل دعائي، ولا تقنطني من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلمّا تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم ما فعلتَ في حاجتي؟ إن كنتَ استجبت دعائي وغفرتَ خطيئتي، فأوح إلى نبيّكَ، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي، فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلِّصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾ يعني الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يقول ﷻ: أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته، فأين يذهب، وإلى مَنْ يقصد، ومَنْ يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثم قال ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ

جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[١].

فلما نزلت هذه الآيةُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خرج وَهُوَ يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه: مَنْ يدلّني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله، بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشاب، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، وقد أسود وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول: سيدي، قد أحسنت خلقي، وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي، أفي النار تحرقني؟ أو في جوارك تسكنني؟ اللهم إنّك قد أكثرت الإحسان إليَّ، وأنعمت عليَّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري، إلى الجنة تزفني، أم إلى النار تسوقني؟ اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر لي خطيئتي، أم تفضحني بها يوم القيامة؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصفت فوقه الطير، وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول، أبشر فإنك عتيق الله من النار. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه وبشّره بالجنة.[٢]

رُوي أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: يا موسى ما أقلَّ حياءَ مَنْ يَطْمَعُ في جنّتي بغيرِ عملٍ، يا موسى كيف أجُودُ برحمتي على مَنْ يبخلُ بطاعتي.[٣]

---

١. سورة آل عمران / ١٢١ و ١٢٢.
٢. أمالي الصدوق، المجلس ١١، ح٣/ ٩٧، رقم٧٦.
٣. الكشاف ١/ ٤١٧؛ روض الجنان ٥/ ٧٨.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾

أمر بالاعتبار بما جرى على الأُمم السالفة والنظر في ما بقي من آثارهم.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿خَلَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث، أي مضت، الخلو: الانفراد، خلت: انفردت بالهلاك دون من بقي.

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والضمير يرجع إلى المؤمنين المتقين المستغفرين التائبين.

﴿سُنَنٌ﴾ فاعل، جمع سُنّة: وهي الطريقة المجعولة لِيُقتدىٰ بها أو الطريقة المسلوكة في المجتمع. وأصلها: الاستمرار والسنن: استمرار الطريق. وسنة الله ﷻ هي الإهلاك للأُمم الضالة الكافرة بهذه المنزلة.

﴿فَ﴾ حرف ربط وتفريع. ﴿سِيرُوا۟﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور. للاعتبار بآثار الماضين في الأُمم الهالكة.

﴿فَ﴾ حرف عطف وتفريع.

﴿ٱنظُرُوا۟﴾ فعل أمر وفاعله. والمراد بالنظر هو التأمل والتبصّر والدقة والعبرة.

﴿كَيْفَ﴾ خبر كان الآتي، قدّمه لمزيد التعجب. ﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة.

﴿عَـٰقِبَةُ﴾ اسم كان. أي مآلهم وما يؤدى إليها في الدنيا من استئصالهم وأمر آخرتهم واضح وأنّهم في نكال عظيم.

﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ مضاف إليه. أَرادَ بِهِم: الكافرين الفاسقين الفاجرين.

﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ، إشارة إلى القرآن الكريم أو ما مضى من الآيات السابقات.

﴿بَيَانٌ﴾ خبره، والبيان هو الدلالة، لأنّ القرآن الكريم دلالة للناس وحجة لهم، بلاغاً إليهم.

﴿لِّلنَّاسِ﴾ جار ومجرور، أي لجميع طبقاتهم. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿هُدًى﴾ معطوف، أي هداية. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَوْعِظَةٌ﴾ معطوف، على وزان مَفْعِلَة من الوعظ مصدرٌ كالمَعْذِرَةِ والمَعْدِلَةِ. و«الموعظة: مايلين القلب ويدعوا إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء إلى الجميل. وقيل: هو ما يدعو بالرغبة والرهبة إلى الحسنة بدلاً من السيئة»[١].

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور. أي مختص بهم، فهداية القرآن وموعظته يختص بالمتقين كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. لأنّهم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

هذه الآية مع تِسْعٍ بعدها تكون كالغاية والهدف الأصلي للآيات السابقة المصدرة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣]، والآيات السابقة بأوامرها ونواهيها مقدمات لهذه الآيات التي تشتمل على أصل المقصود من أمر ونهي وثناء وتوبيخ.[٤]

﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿لَا تَهِنُوا﴾ خطاب للمؤمنين بنهيهم عن الوهن، والوهن: ضَعْفٌ من حيث

---

١. التبيان ٢/ ٥٥٩.
٢. سورة البقرة/ ٢.
٣. سورة آل عمران/ ١١٨.
٤. راجع الميزان ٤/ ٢٦.

الخَلْق أو الخُلْق كما في المفردات[١]، «والوهن: الضعف، وَهَنَ يَهِنُ وَهْناً فهو واهنٌ: إذا ضَعُفَ»[٢]. والمراد به هنا ضعفهم من حيث القتال والجهاد في سبيل الله وإقامة الدين والعزيمة والقصد فنهاهم الله تعالى المؤمنين عن هذا الضعف.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَا تَحۡزَنُواْ﴾ خطاب لهم بنهيم عن الحزن، والحزن ضد الفرح وهو يعرض للإنسان بمافات عنه وهو يحبّه مِنْ فقد انسانٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو شيءٍ آخرٍ. فلا تحزنوا بمافات عنكم لأنّ عندالله تعالى أجركم وثوابكم محفوظ ومذخور لكم فلا موجب للحزن في مصائب القتال وشدائد الطريق والسعي في اقامة الدين.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنتُمُ﴾ مبتدأ، والمراد به المؤمنون المجاهدون المقاتلون.

﴿ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ خبره، والجملة في موضع الحال للضمير الفاعلي في ﴿لَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾.

ويمكن أن لا يكون لها موضع من الإعراب، وهي جملة معترضة وبشارة للمؤمنين بالعلو والغلبة.

وفي الجملة نوع من العتاب بأنّهم الأعلون والمظفّرون فَلِماذا يهنون ويحزنون؟ فالجملة في موضع التعليل في النهيين عن الوهن والحزن.

والأعلون: جمع الأعلى ومؤنثه العُلْياء وجمعه العليات والعُلىٰ. وأصله «الأعلوون فحذفت إحدى الواوين استثقالاً وهي الأصلية وبقيت واو الجمع لأنّها لمعنىٰ. فأمّا في التثنية فتقول: أنتما الأعليان فتنقلب الواو ياءً ولا تحذفها لأنّه ليس هناك ضرورة»[٣].

﴿إِن﴾ حرف شرط.

﴿كُنتُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ محلّاً مجزوم بحرف الشرط والضمير اسم كان.

﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ خبر كان.

---

١. المفردات / ٥٧٢ للراغب الأصفهاني.
٢. التبيان ٢/ ٦٠١.
٣. التبيان ٢/ ٦٠١.

الظاهر أنّ العلو والغلبة مشروط بالإيمان فإنّكم إن كنتم مؤمنين فأنتم تغلبون وتظفرون وتفتحون وتعلون بإذن الله تعالى وتوفيقه وتسديده.

## تَنْبِيْهٌ مُهِمٌّ

فيلعلم بأنّ الحرب ٱلْأَصْلِيَّةَ بين الكفر والإيمان هِيَ ٱلْحَرْبُ ٱلنَّفْسِيَّةُ وإذا هزم قوم فيها تَطامَنَتْ نفوسُهُمْ لِلْاسْتِعْبادِ وكانَتْ مَوْضِعاً للخُشُوْعِ وَٱلانْكِسار والضَّعْفِ فَاحْتَلَ بلادَهم الْمُسْتَعْمِرُوْنَ مَصاصُوْا دِماءِ ٱلشُّعوب.

والآية الشريفة أشارت إلى هذا الأمر العظيم بأنّ المؤمنين قادرون على المقاومة والمقابلة مع عدوّهم الكافر وحيث أنّهم الأعلون فينتصرون ويغلبون في الغاية وبالمآل ولكن إن كانوا مؤمنين في الواقع.

وأنت ترى بأنّ العدو يخشى من عزم المؤمنين وتصميمهم على المقاومة والمقابلة أكثر من نفس الحرب والقتال ولذا يسعى في تضعيف فكرة المقاومة والثبات في قباله وثقافتها، بالوجوه المتعددة والمختلفة من الحرب النفسيّة والإعلاميّة والاقتصادية والثّقافيّة وآخرها النظاميّة.

وعلى خواص الأُمّة من علمائها ومثقفيها وأعلامها ومَنْ يحبّها أن ينبّهوا الأمّة علىٰ هٰذا الأمر العظيم وهو ثقافة المقاومة وأنّهم الأعلون الغالبون الفاتحون وأَنَّ العدّو سيهزم وينكسر ويهدم ويفنىٰ بإذن الله تعالى وعونه ونصره. لأنّ الإسلامَ يَعْلُو ولا يُعلىٰ عليه وكذلك المسلمون إن كانوا مؤمنين والحمد لله الناصر الفاتح الغالب العزيز ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[١]. وصدق اللهُ العليُّ العظيمُ. أن يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[٢].

---

١. سورة آل عمران / ١٢٦.
٢. سورة القمر / ٤٥.

## روايةٌ

قال رسول الله ﷺ: الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه.[١]

**وقد وصفت الرواية في لسان الفقهاء[٢] بالنبوي المشهور.**

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾

في الآية الشريفة تحريض وتشويق للجهاد والقتال والمقاومة واستمرار الطريق إلى النصر والفتح وتسليّة للمسلمين لمانالهم في يوم أُحد مِن عدوِّهم وأيّام مثله.

﴿إن﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَمْسَسْكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم ومفعول به، «المس هو اللمس بعينه وقيل: «الفرق بينهما أنّ اللمس لصوق بإحساس والمس لصوق فقط»[٣]. «والمسّ هنا بمعنى الإصابة عبّر به لتهوين المصاب»[٤]. «وقال ابن عباس: معناه إن يصيبكم»[٥].

﴿قَرْحٌ﴾ فاعله، قال الراغب: «القَرْحُ: الأثر من الجراحة من شيءٍ يصيبه من خارج، والقُرْحُ أثرها من داخلٍ كالبَثْرَةِ ونحوها»[٦].

ولكن قال الشيخ: «قرأ أهل الكوفة إلّا حفصاً قُرْحٌ بضم القاف. الباقون بفتحها. والفرق بينهما أنّ القَرْح ـ بفتح القاف ـ : الجراح، والقُرْح ـ بالضم ـ ألم الجراح على قول أكثر المفسرين. وقيل: هما لغتان»[٧].

وفي الكشاف: «قُرئ ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمّها وهما لغتان كالضَعْف

---

١. الفقيه ٤/ ٣٣٤، ح٥٧١٩.
٢. راجع الآراء الفقهية ٣/ ٢٨٦.
٣. التبيان ٢/ ٦٠١.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٣٦٥.
٥. التبيان ٢/ ٦٠١.
٦. المفردات / ٤١٥.
٧. التبيان ٢/ ٦٠٠.

والضُعْف. وقيل: هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها. وقرأ أبوالسمال «قَرَح» بفتحتين.

وقيل: القَرْح والقُرْح كالطَرْد والطُرْد. والمعنى: إن نالوا منكم يوم أُحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثمّ لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال. فأنتم أولىٰ أن لاتضعفوا ونحوه ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[١].[٢]

﴿فَقَدْ﴾ حرف ربط وحرف تحقيق. ﴿مَسَّ﴾ فعل ماض.

﴿ٱلْقَوْمَ﴾ مفعول به، والمراد بهم الكافرون. ﴿قَرْحٌ﴾ فاعله.

﴿مِّثْلُهُۥ﴾ نعت ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ استئناف. ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ.

﴿ٱلْأَيَّامُ﴾ بدله، «اليوم هو المقدار المعتدّ به من الزمان اللازم لحدوث الحوادث فيختلف باختلاف الحوادث، وقد شاع استعماله في ما بين طلوع الشمس وغروبها، وربّما استعمل في المُلْك والسلطنة والقهر ونحوها بعلاقة الظرف والمظروف»[٣].

والمراد بها ما وقع فيها من الظفر والغلبة والفتح والحكم والرياسة والفرح أو أضداها.

﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به، مجموعه خبر. والمداولة هي المصارفة والانتقال من يدٍ إلى الأُخرىٰ.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. انتقال القدرة من شخص إلى آخر أو من قوم إلى قوم هو السنة الإلهية تقتضيها حكمته البالغة وربّما قصرت أفهام الناس عن دركها أو درك جميعها.

﴿وَ﴾ حرف عطف. وما بعده من الحِكَم البالغة لِمُداوَلَةِ الأيام.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعله، معطوف «على محذوف حذف للتلويح على أنّه ممّا لا تحيط به الأفهام ولا تدركه العقول إلّا من بعض

---

١. سورة النساء / ١٠٤.
٢. الكشاف ١/ ٤١٨.
٣. الميزان ٤/ ٢٨.

جهاتها والذي ينفع المؤمنين العلم به هو»[١] هذا.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي ليعلم الله الذين آمنوا بإيمانهم عن غيرهم أو بصبرهم على المقاومة والجهاد والقتال وعلى أيِّ حالٍ يظهر إيمانهم في هذه المداولة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. وما بعده حكمة أُخرى من الحِكَم البالغة.

﴿يَتَّخِذَ﴾ فعل مضارع منصوب، معطوف على ﴿لِيَعْلَمَ﴾ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. الاتخاذ هو الاختيار.

﴿مِنكُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى المؤمنين المقاومين المقاتلين المجاهدين.

﴿شُهَدَآءَ﴾ مفعول به. جمع شهيد والمراد به إمّا هو الشهيد في القتال والجهاد ـ ويراه الشيخ[٢] أقوىٰ، أو الشهيد بمعنى أنّه شاهد لله تعالى لغيره من الناس في أعماله وهو يكون حجة لغيره من الناس ويُضرب له المثل.

والعجب من صاحب الميزان حيث يقول: «فالشهداء شهداء الأعمال وأمّا الشهداء بمعنى المقتولين في معركة القتال فلايعهد استعماله في القرآن، وإنّما هو مِنَ الألفاظ المستحدثة الإسلامية...»[٣].

وجه التعجب[٤]: فما يقول في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[٥]. ومن المعلوم أنّ الشهيد بمعنى القتيل مطابق للقواعد العربية ولا محذور من وروده في القرآن الكريم.

وقيل: «قد مُلِئَ القرآن بتعظيم الشهداء»[٦].

﴿وَ﴾ حرف عطف، بيان لحكمة ثالثة من التداول. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

---

١. الميزان ٤/ ٢٨.
٢. التبيان ٢/ ٦٠٢.
٣. الميزان ٤/ ٢٩.
٤. وفي نقد مقالته راجع مواهب الرحمن ٦/ ٣٦٩ و ٣٧٠.
٥. سورة النساء/ ٦٩.
٦. التفسير الكاشف ٢/ ١٦٤.

﴿لَا يُحِبُّ﴾ حرف نفي وفعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، خبر.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعول به. في تداول الأيام وانتقال الحُكم والقدرة إلى الناس بعضهم يظلم بعضهم الآخرين فيظهر الظالم من العادل والله تعالى لا يحبّ الظالمين منهم ويأخذهم بما يفعلون ويروون وبال أمرهم وظلمهم ونكاله، وتحذير للمؤمنين لئلا يميلوا إلى الظلم في حكمهم وسلطتهم، فلا يبغىٰ مجال لقول الشيخ[1] من انحصار الظالمين بالكفار، والله هو العالم.

**روايتان**

عن زُرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: مازال مذ خَلَق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس فأين دولة الله أما هو إلّا قائم واحدٌ.[2]

وقال أنس بن مالك: أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعليٍّ يومئذ [يوم أُحُد] وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسحها وهي تلتئم بِإِذْنِ الله كَأَنْ لم تكن.[3]

**تلتئم: أي تَبْرَأُ وتأتي رواية في هذا المجال في ذيل الآية ١٤٥ فراجعها.**

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿١٤١﴾

رابع وجوه الحكمة التي توجب تداول الحُكْم والسلطة والدولة والقدرة بين الناس وهو:

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لِ﴾ حرف نصب. يقال له اللام الغرض أو الكَيْ.

﴿يُمَحِّصَ﴾ فعل مضارع منصوب يدلّ على الاستمرار. والتمحيص: التخليص

---

١. التبيان ٢/ ٦٠٣.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٠٤، ح١٤٥.
٣. مجمع البيان ٢/ ٥٠٩؛ روض الجنان ٥/ ٨٤.

والمراد به هنا تخليص إيمان المؤمن من شوائب النفاق والعيوب والفسوق والذنوب بالابتلاء والامتحان وتكفير السيئات.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مفعول به. فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي الله سبحانه يزيل أجزاء النفاق والفسوق والذنوب من المؤمنين شيئاً فشيئاً بابتلائه إيّاهم وبتداول الحكم تارة لهم وأُخرىٰ عليهم حتّى لا يبقي معه إلّا إيمانه خالصاً مخلصاً لله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَمْحَقَ﴾ فعل مضارع منصوب يدلّ على ٱلِاسْتِمْرارِ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. المحق: الفناء حالاً بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان. والمراد بيمحق: أي يُهْلِكُ.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مفعول به. أي الله تعالى يفني الكافرين بالمداولة.

وفي الآية بشارة عظيمة بغلبة المؤمنين وإهلاك الكافرين وظهور دولة الحقّ.

**الروايات**

في تفسير العياشي عن الحسن بن علي الوَشّاء بإسناد له يرسله إلى أبى عبدالله عليه السلام قال: والله لتُمَحَّصُنَّ والله لتُمَيَّزُنَّ والله لتُغَرْبَلُنَّ حتّى لا يبقى منكم إلّا الأنْدَر.

قلتُ: وما الأندر؟ قال: البَيْدَر، وهو أن يُدْخِل الرجُلُ فيه الطعام يُطَيِّنُ عليه ثمَّ يُخْرجه قد أكل بعضُه بعضاً، فلا يزال يُنَقِّيه ثمّ يَكنّ عليه ثم يُخْرجه حتّى يفعل ذلك ثلاث مرّات، حتّى يبقى ما لا يَضُرُّه شيء.[١]

الصدوق بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ عليّ بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقِّ بشيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤٠، ح١٤٦.

عبدالله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، يا جابر إنّ هذا الامر (أمر) من أمر الله وسرّ من سرِّ الله، مطوي عن عباد الله، فإيّاك والشك فيه فإنّ الشك في أمر الله ﷻ كفر.[١]

السيّدُ الرَّضِيُّ رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبته لما بويع بالمدينة: ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وأَنَا بِه زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَه الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْه مِنَ الْمُثُلَاتِ، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ.

أَلَا وإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّه صلى الله عليه وآله والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً ولَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ. حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، ولَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، ولَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا.

واللهِّ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، ولَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وهَذَا الْيَوْمِ، الخطبة.[٢]

**وللشيخ أبي علي محمّد بن همام الإسكافي المتوفى ٣٣٦ق كتاب «التمحيص» وهو مطبوع[٣] وكذلك بحثتُ عن روايات الإبتلاء في كتابي «ألف حديث في المؤمن»[٤] فراجعهما إن شئت.**

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾

عتاب للمؤمنين بأنّ دخول الجنة منوط بالخروج عن الامتحان بالنجاح.

﴿أَمۡ﴾ حرف عطف وهي قسمان متّصلة ومنفصلة أو منقطعة وهي هنا منقطعة و«لا تقضى أن يكون ما قبلها وما بعدها متّصلين وعلامتها ألّا تكون بعد همزة

---

١. كمال الدين ١/ ٢٨٧، ح٧.
٢. نهج البلاغة، خطبة ١٦
٣. تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، بقم المقدسة، عام ١٤٠٤ق.
٤. ألف حديث في المؤمن / (٥١-٢٥)، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، عام ١٤١٦.

الاستفهام أو التسوية وهي كـ «بل» لا يفارقها معنى الإضراب وهي لا تعطف إلّا الجمل»[١]. وتقديرها «بل أ» والاستفهام على وجه الإنكار.

﴿حَسِبْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي بل هل ظننتم أيها المؤمنون.

﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به، أي بل هل ظننتم أن تدخلوا الجنة من دون اختيار وامتحان وجهاد وصبر واستقامة. وكفاح وعمل صالح وصدق واخلاص وصبر وثبات.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿لَمَّا﴾ حرف جزم ونفي وقلب: أي يَقْلِبُ معنى المضارع من الان إلى الماضي المتصل بالحال. «لّما» جواب لقول القائل: قد فعل فلان يريد به الحال فجوابه «لما فعل»، وإذا فعل فجوابه «لم يفعل».

﴿يَعْلَمِ﴾ فعل مضارع مجزم بالسكون الظاهرة، حرّك بالكسر لاستثقال قرأة ساكنين مع ما بعده.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به.

﴿جَٰهَدُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، أي: «لا يدخلون الجنّة إلّا بفعل الجهاد لأنّه من أعظم اركان الشرع»[٢].

﴿مِنكُمْ﴾ جار ومجرور.

﴿وَ﴾ معيّة عاطفة أي «الواو» بمعنىٰ الجمع، تعطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية ولا يأتي بعدها إلّا فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وجوباً وشرطها أن تُسبق بنفي محض أو طلب محض»[٣]. ويدلّ على نفي اجتماع الثاني والأوّل نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أي لا تجمع بينهما.

﴿يَعْلَمَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة كما مرّ عند البصريين، ويسمّى

---

١. موسوعة النحو والصرف والإعراب / ١٤٧.
٢. التبيان ٣/ ٤.
٣. موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٧٠٨.

بالنصب على الصرف عن العطف عند الكوفيين[١] بأنْ لاتجمع بين الأوّل والثاني. وفاعله ضمير مستتر. يرجع إلى الله تعالى.

وتعبير بنفي العلم عن نفي المعلوم وهذا من مختصات علم الباري لأنّ نفي علمه يستلزم عدم وجود ذلك الشيء.

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ مفعول به.

وبالجملة: لعلّ معنى الآية هكذا: أظننتم أن تدخلوا الجنة من دون جهاد وصبر واستقامة؟ والاستفهام إنكاريٌ كما مرّ.

**تنبيه:**

قال الشيخ محمّدجَواد مغنيه﵀: «الشعارات الدينية كالمعابد والصلوات مقدسة، ما في ذلك ريب... بل هي ضَرورة دينية لابدّ منها، فما من دولة أو فئة يجمعها مبدأ واحد إلّا ولها شعار يبرز شخصيتها، ويجمع أشياعها وأتباعها... ولكن ليست العبرة بالشعار وحده، بل بما وراء الشعار من فاعلية وأثر، فليس الغرض من الصلاة مجرد الركوع والسجود، بل بما تتركه في نفس المصلي من النهي عن الفحشاء والمنكر، ولا من الجامع أن نجتمع فيه للتهليل والتكبير، بل لنتآزر ونتعاون مخلصين على ما فيه خير الجميع.

وقد اتخذ كثيرون في عصرنا الشعار الديني أداة للتضليل، وستاراً يخفون وراءه مطامع استعمارية، وأهدافاً صهيونية... فإنّ الكثير من الأحزاب والتكتلات الّتي تحمل اسم الدين أو الثقافة أو الوطنية خرجت من مكاتب الاستخبارات الأجنبية، أمّا ميزانيتها فمن غنائم شركات النفط... والذي يُهَوِّنُ الخَطْبَ أنّها تكشفت للجميع فلا يثق بها مخلص، ولا يتعاون معها إلّا خائن باع دينه وبلاده للشيطان».[٢]

**روايتان**

الحِمْيَرِيُّ في قرب الاسناد قال: وكان جعفر﵇ يقول: والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتّى تميزون وتمحصون، ثمّ يذهب من كلِّ عشرة شيء ولا يبقى

---

١. راجع روض الجنان ٥/ ٨٩.
٢. التفسير الكاشف ٢/ ١٦٦.

منكم إلا الأندر، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[١]

**رواها النعماني[٢] والطوسي[٣] في غيبتهما.**

والعياشي رفعه عن داود الرقي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾. قال: إنَّ الله هو أعلم بما هو مُكَوِّنُهُ قبل أَنْ يُكَوِّنَهُ وهم ذَرّ وعَلِم من يُجاهد ممّن لا يُجاهد، كما عَلِم أنّه يُميت خَلْقَهُ قبل ان يُميتهم ولم يُرِهم مَوْتَهم وهم أحياء.[٤]

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ﴿١٤٣﴾

الخطاب لطائفة من المؤمنين كانوا يَتَمَنَّوْنَ الشهادة بعد بدر ولكن في غزوة أُحد نسوا ما تمنّوه وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرّوا وهزموا.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَقَدْ﴾ حرفان للتأكيد.

﴿كُنتُمْ﴾ من الأفعال الناقصة واسمه. والضمير يرجع إلى تلك الطائفة من المؤمنين.

﴿تَمَنَّوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر كان. أي تريدون وتأملون وتبحثون عن:

﴿ٱلْمَوْتَ﴾ مفعول به والمراد به هنا الشهادة والقتل في سبيل الله وكرامته، لا الموت لأنّ تمنيه مكروه[٥] ولكن تمنّى الشهادة جائز[٦] لأنّ المتمنّي لم يتوجّه إلى تضمّن ما في تمنيه من غلبة الكفار بل هو يقصد النيل إلى كرامة الشهادة فقط.

---

١. قرب الاسناد / ٣٦٩، ح١٣٢١.
٢. الغيبة / ٢٠٨، ح١٥، للنعماني.
٣. الغيبة / ٢٠٤، للطوسي.
٤. تفسير العياشي ١ / ٣٤٠، ج١٤٧.
٥. كما في مواهب الرحمن ٦ / ٣٧٣.
٦. كما في الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١ / ٢٧٠.

ولكن قال الشيخ: «تمنيهم بالشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا»[١] أي ليس في تمنيهم غلبة الكفار حتّى تضميناً. «والفرق بين التمني والإرادة أنّ الإرادة من أفعال القلوب والتمني هو قول القائل: ليت كان كذا أو ليت لم يكن كذا»[٢].

﴿مِن قَبۡلِ﴾ جار ومجرور.

﴿أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. الضمير الفاعلي يرجع إلى تلك الطائفة من المؤمنين والضمير المفعولي يرجع إلى الموت بِمَعْنىٰ الشهادة. أي من قبل حضور الغزوة والحرب والقتال وميدان المبارزة.

﴿فَقَدۡ﴾ حرف عطف للتفريع وحرف تحقيق.

﴿رَأَيۡتُمُوهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني على السكون وفاعله و «واو» اشباع ومفعول به. وإذا حضرت الغزوة ورأيتم أسباب الموت وهي حضور الحرب والقتال ومعنىٰ رأيتموه: أي علمتموه.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنتُم﴾ مبتدأ.

﴿تَنظُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. «وفي الكلام تقديراً، والمعنىٰ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون فلم تقدموا عليه، ويمكن أن يكون قوله ﴿تَنظُرُونَ﴾ كناية عن عدم إقدامهم أي تكتفون بمجرد النظر من غير إقدام وفيه عتاب وتوبيخ»[٣].

## روايةٌ

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ الآية، فإنّ المؤمنين لمّا أخبرهم الله بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم من الجنّة رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا القتال نستشهد فيه فأراهم الله إيّاه في يوم أُحد فلم يَبْقَ إلّا من شاء الله منهم فذلك قوله ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾[٤].

---

١. التبيان ٣/ ٥.
٢. التبيان ٣/ ٥.
٣. الميزان ٤/ ٣١.
٤. تفسير القمي / ٦٤ من الطبعة الحجرية (١/ ١١٩).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾

الآية الشريفة وإن أشارت إلى غزوة أُحد ولكن كانت مقدمة وتوطئة لما وقع بعد استشهاد النبي ﷺ من الارتداد والرجوع عن الدين.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ مبتدأ. وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿رَسُولٌ﴾ خبر. من الإنس، فهو ﷺ إنسانٌ مثلكم إلّا أنّه رسول من رسل الله تعالى عليهم السلام بل هو أفضلهم وأعظمهم وخاتمهم ﷺ وبه ﷺ تمت الرسالة والنبوة.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ حرف تحقيق وفِعْلٌ ماضٍ مؤنث أي مضت.

﴿مِن قَبْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ .

﴿ٱلرُّسُلُ﴾ فاعله. جمع رسول عليهم السلام . فالرسول الخاتم ﷺ بشرٌ نبيٌّ كغيره من أنبياء الله تعالى عليهم السلام .

﴿أَ﴾ حرف استفهام للتوبيخ والإنكار بأنّ الرسول يموت ولكن دينه باقٍ إلى أبد الآباد.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع يعلّق الجملةَ الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب.

﴿إِيْن﴾ حرف شرط جازم.

﴿مَّاتَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الرسول ﷺ . أي إن مات حتف أنفه بقرينة ما بعده من القتل.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿قُتِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر يرجع إلى الرسول ﷺ .

﴿ٱنقَلَبْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى جماعة من المسلمين أو المومنين توبيخاً لهم وجزاءً للشرط الذي هو موت الرسول أو قتله. انقلاب من التوحيد والطاعة إلى الشرك والعصيان، والمراد به الرجوع عن الدين وهو الإرتداد والكفر العملي.

﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿يَنقَلِبْ﴾ فعل مضارع مجزوم والضمير المستتر فاعله، خبر.

﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، «أي مَنْ يرتد ويرجع عن الإسلام»[١].

﴿فَ﴾ حرف ربط للتفريع. ﴿لَن﴾ حرف نصب.

﴿يَضُرَّ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَن﴾.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به.

﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول مطلق. «لأنّه لا يجوز عليه المضارّ بل مضرّته عائدة عليه لأنّه يستحق العقاب الدائم»[٢].

﴿وَ﴾ حرف استئناف وما بعده وعد في قبال الوعيد الذي مرّ وإشارة إلى أنّ قوماً يثبت على إيمانهم ولم يرتدوا.

﴿سَ﴾ حرف استقبال.

﴿يَجْزِى﴾ فعل مضارع، أي يثيب بما يستحقونه من الثواب. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ مفعول به. وهم الذين لم ينقلبوا عن دين رسول الله ﷺ ولم يرتدوا؛ لأنّ حقيقة الشكر إظهار النعمة واستعمالها في محلّها الذي أراده مُنْعِمُها وذكر المنعم لساناً وقلباً.[٣]

---

١. التبيان ٣/ ٧.
٢. التبيان ٣/ ٧.
٣. راجع الميزان ٤/ ٣٨.

## الروايات

فرات الكوفي قال: حدثني أبوالقاسم بن جمال السمسار معنعناً عن حُذَيْفَة[١] اليماني[٢]: إنّ رسول الله ﷺ أمر بالجهاد يوم أُحد فخرج الناس سراعاً يتمنون لقاء العدو عدوهم! وبغوا في منطقهم وقالوا: ولله لئن لقينا عدونا لا نولي حتّى نقتل عن آخرنا رجل[٣] أو يفتحَ اللهُ لنا. قال: فلمّا أتوا القوم ابتلاهم الله بالذي كان منهم ومن بغيهم فلم يلبثوا إلّا يسيراً حتّى انهزموا عن رسول الله ﷺ إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري فلمّا رأي رسول الله ﷺ ما قد نزل بالناس من الهزيمة والبلاء رفع البيضة عن رأسه وجعل ينادي: أيها الناس أنا لم أمت ولم أقتل. وجعل الناس يركب بعضهم بعضاً لا يَلْوُوْنْ[٤] على رسول الله ﷺ ولا[٥] يلتفتون إليه: فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا المدينة فلم يكتفوا بالهزيمة حتّى قال أفضلهم رجل في أنفسهم: قتل رسول الله[٦]. فلما آيس رسول الله[٧] من القوم رجع إلى موضعه الذي كان فيه فلم يزل[٨] عليٌّ بن أبي طالب[٩] وأبو دجانة الأنصاري[١٠] فقال رسول الله ﷺ : يا أبا دجانة ذهب الناس فالحق بقومك. فقال أبو دجانة: يا رسول الله ما على هذا بايعناك وبايعنا الله ولا على هذا خرجنا يقول[١١] الله[١٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

١. بن. في نسخة.
٢. رضي الله عنه. في نسخة.
٣. رجل. في نسخة.
٤. في نسخة: يألون.
٥. في نسختين: فلا.
٦. صلى الله عليه وآله وسلم. في نسختين.
٧. صلى الله عليه وآله وسلم. في نسختين: الرسول
٨. إلا. في نسختين.
٩. عليه السلام. في نسخة.
١٠. رضي الله عنه. في نسخة.
١١. في نسختين: بقول.
١٢. تعالى. في نسختين.

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١] فقال[٢]: يا أبا دجانة أنت في حلٍّ من بيعتك فارجع. فقال أبو دجانة: يا رسول الله لأتحدث نساء الأنصار في الخدور أني أسلمتك ورغبت نفسي عن نفسك يا رسول الله، لا خير في العيش بعدك.

قال: فلما سمع رسول الله[٣] كلامه ورغبته في الجهاد ٱنتهى رسول الله ﷺ إلى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من السهام سهام المشركين، فلم يلبث أبو دجانة إلّا يسيراً حتى أثخن جراحة فتحامل حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه مثخناً لا حراك به.

قال: وعليٌّ لا يبارز فارساً ولا راجلاً إلا قتله الله على يديه حتّىٰ انقطع سيفه، فلما انقطع سيفه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله انقطع سيفي ولا سيف لي. فخلع رسول الله ﷺ سيفه ذو[٤] الفقار فقلّده[٥] عليّاً ومشى إلى جمع المشركين فكان لا يبرز[٦] له[٧] أحد إلّا قتله، فلم يزل على ذلك حتّىٰ وهت دراعته[٨] ففرق رسول الله ﷺ ذلك فيه، فنظر رسول الله[٩] إلى السماء وقال:

اللهم إنّ محمّداً عبدك ورسولك جعلتَ لكلِّ نبيٍّ وزيراً مِنْ أهله لتشدَّ به عضده وتشركه في أمره، وجعلتَ لي وزيرا من أهلي، عليّ بن أبي طالب أخي، فنعم الأخ ونعم الوزير، اللهم وعدتني أن تمدني بأربعة آلاف من الملائكة مُرْدِفِيْنَ، اللهم وَعْدَكَ وَعْدَكَ إِنَّكَ لا تخلف الميعاد، وعدتني أن تظهر دينك على الدين كلِّه ولو كره المشركون.

---

١. سورة الفتح / ١٠.
٢. رسول الله ﷺ . في نسخة.
٣. صلى الله عليه وآله وسلم. في نسخة.
٤. في نسخة: ذا.
٥. ه. في نسخة.
٦. في نسخة: يبرى.
٧. في نسخة: إليه.
٨. في نسخة: ذراعيه. ر: وهيت دراعة.
٩. في نسختين.

قال: فبينما رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويتضرّع إليه إذ سمع دَوِيّاً من الناس فرفع رأسه فإذا جبرئيل عليه السلام على كرسيٍّ مِنْ ذهب ومعه أربعة آلاف من الملائكة مردفين وهو يقول: لا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار، فهبط جبرئيل[١] على الصخرة وحفت الملائكة برسول الله فسلّموا عليه فقال جبرئيل[٢]: يا رسول الله والذي أكرمك بالهدى لقد عجبتْ الملائكة المقرّبون لمواساة هذا الرجل لك بنفسه. فقال: يا جبرئيل ما يمنعه[٣] يواسيني بنفسه وهو منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما ـ حتّى قالها ثلاثا ـ.

ثمّ حمل عليٌّ[٤] وحمل جبرئيل[٥] والملائكة ثمّ إنّ الله تعالى هزم جمع المشركين وتشتت أمرهم فمضى رسول الله ﷺ وعليّ[٦] بين يديه ومعه اللواء قد خِضبه بالدم وأبو دجانة[٧] خلفه فلما أشرف على المدينة فإذا نساء الأنصار يبكين[٨] رسول الله[٩] فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ استقبله أهل المدينة بأجمعهم ومال رسول الله ﷺ . إلى المسجد ونظر إليه[١٠] الناس فتضرعوا إلى الله وإلى رسوله وأقروا بالذنب وطلبوا التوبة فأنزل الله فيهم قرآناً يعيبهم بالبغي الذي كان منهم وذلك قوله[١١]: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[١٢] يقول: قد عاينتم الموت والعدو فَلِمَ نقضتم العهد وجزعتم من الموت وقد عاهدتم الله أن لا تنهزموا حتى قال

---

١. عليه السلام. في نسخة.
٢. عليه السلام. في نسخة.
٣. في نسخة: وما صنعه. في نسخة: فما يصنعه.
٤. بن أبي طالب عليه السلام . في نسخة.
٥. عليه السلام. في نسخة.
٦. بن أبي طالب عليه السلام . في نسخة.
٧. رضي الله عنه. في نسخة.
٨. على. في نسختين.
٩. في نسختين.
١٠. إلى. في نسخة.
١١. تعالى. في نسخة.
١٢. سورة آل عمران / ١٤٤.

بعضكم قتل محمّد[١]، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى آخر الآية. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أيها الناس إنّكم رغبتم بأنفسكم عنّي، ووازرني عليٌّ وواساني، فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني وفارقني في الدنيا والآخرة.

قال: وقال حُذَيفة: ليس ينبغي لِأَحِد يعقل يشك فيمن لم يشرك بالله أنّه أفضل ممّن أشرك به، ومن لم ينهزم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل ممّن انهزم، وأنّ السابق إلى الإيمان بالله ورسوله أفضل، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.[٢]

معتبرة سَدِيرٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردّةٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثمّ عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتّى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع وذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.[٣]

**رواها العياشي في تفسيره[٤].**

معتبرة الحسين بن أبي العلاء الخَفّافِ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا انهزم الناس يوم أُحُد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمّد أنا رسول الله لم أُقْتَلْ ولم أَمُتْ، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا وبقي معه عليّ عليه السلام وسماك بن خرشة أبو دجانة رحمه الله فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حلٍّ من بيعتك، فأمّا عليّ فأنا هو وهو أنا فتحوَّل وجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكى وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حِلٍّ من بيعتي إنّي بايعتك فإلى مَنْ أنصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت أو ولد

---

١. صلى الله عليه وآله وسلم. في نسخة: وعليٌّ وأبو دجانة.
٢. تفسير فرات الكوفي / (٩٦-٩٣)، ح٧٨.
٣. الكافي ١٥/ ٥٥٨، ح٣٤١ (٨/ ٢٤٥).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٤١، ح١٤٨.

يموت أو دار تخرب ومال يفنى وأجل قد اقترب، فَرَقَّ له النبي ﷺ فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة وهو في وجه وعليّ عليه السلام في وجه فلما أسقط احتمله عليّ عليه السلام فجاء به إلى النبي ﷺ فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبي ﷺ خيراً، وكان الناس يحملون على النبي ﷺ الميمنة فيكشفهم عليّ عليه السلام فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي ﷺ، فلم يزل كذلك حتّى تقطع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي ﷺ فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع فيومئذ أعطاه النبي ﷺ ذا الفقار ولما رأى النبي ﷺ اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا ربّ وعدتني أن تُظْهِرَ دينك وإن شئت لم يُعْبِكَ فأقبل عليٌّ عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسمع دويّاً شديداً وأسمع أَقْدِمْ حيزوم وما أَهُمُ أَضْرِبُ أحداً إلّا سقط ميتاً قبل أن أضربه؟ فقال هذا جبرئيل وميكائيل و إسرافيل في الملائكة ثمّ جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة فقال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا منكما، ثم انهزم الناس فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ أَمْضِ بسيفك حتّى تعارضهم فإن رأيتهم قد ركبوا القِلاصَ وجنبوا الخيل فإنّهم يريدون مكة وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القِلاصَ فإنّهم يريدون المدينة فأتاهم عليٌّ عليه السلام فكانوا على القلاص، فقال أبو سفيان لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ ما تريد هوذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلمّا سمعوا وَقْعَ حَافِرِ فرسه جَدُّوا في السير وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هوذا عسكر محمّد قد أقبل فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر.

وجاء الرعاةُ والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمّد كلّما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يُوَبِّخُونَهُ ورحل النبي ﷺ والراية مع عليٍّ عليه السلام وهو بين يديه فلمّا أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى عليٌّ عليه السلام: أيها الناس هذا محمّد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال: «الآن يسخر بنا وقد هزمنا»: هذا عليٌّ والراية بيده حتّى هجم عليهم النبي ﷺ ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه والنساء نساء الأنصار قد خَدَشْنَ الوجوه ونَشَرْنَ

الشعور وجَزَزْنَ النواصي وخَرَقْنَ الجيوب وحَزَمْنَ البطون على النبي ﷺ فلمّا رَأَيْنَهُ قال لهن: خيراً وأمَرَهُنَّ أن يَسْتَتِرْنَ ويَدْخُلْنَ منازلَهُنَّ وقال: إنّ الله ﷻ وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلِّها وأنزل الله على محمّد ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ ـ الآية ـ.[١]

خبر أبي المقدام قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ العامَّة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله جل ذكره وما كان الله ليفتن أمة محمّد ﷺ من بعده؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله أ وليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ قال: فقلت له: إنّهم يفسرون على وجه آخر، فقال: أوليس قد أخبر الله ﷻ عن الذين من قبلهم من الأُمم أنّهم قد اختلفوا مِنْ بعدما جاءتهم البينات حيثُ قال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢] وفي هذا ما يُستدل له على أنّ أصحاب محمّد ﷺ قد اختلفوا من بعده فمنهم من آمن ومنهم من كفر.[٣]

**رجال ٱلسَّنَدِ كُلُّهُمْ ثِقاتٌ إلّا أَبا المقدام وهو ثابت بن هرمز الحدّاد لأنّه لم يرد توثيقه، ورواها العياشي في تفسيره[٤].**

عن الفُضَيْلِ بنِ يَسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ رسول الله ﷺ لما قبض صار الناس كُلُّهم أهل جاهلية إلّا أربعة عليٌّ والمقداد وسلمان وأبوذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تُريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة.[٥]

---

١. الكافي ١٥/ ٧١٣، ح٥٠٢ (٨/ ٣١٨).
٢. سورة البقرة/ ٢٥٣.
٣. الكافي ١٥/ ٦١٣، ح٣٩٨ (٨/ ٢٧٠).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٤١، ح١٥١.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٤١، ح١٤٩.

عن ٱلْأَصْبَغ بن نُباتة قال: سمعتُ أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: في كلام له يوم الجمل: يا أيها الناس إنَّ الله تبارك اسمُه وعَزَّ جُنده لم يقبض نبيّاً قطُّ حتّى يكون له في أمته من يهدي بهداه ويَقْصِد سيرته، ويَدُلُّ على معالم سبيل الحقّ الذي فرض الله على عباده ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ الآية.١

عن عبدالصمد بن بشير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أ تَدْرُون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قُتل إنَّ الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ فَسُمَّ قبل الموت، إنّهما سَقَتَاه قبل الموت فقلنا إنّهما وأبوهما شَرّ مَنْ خلق الله.٢

عن الحسين بن المنذر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ القتل أم الموت؟ قال: يعنى أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا.٣

الشيخ الطوسي بإسناده عن ابن عباس: إنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه وابن عمه، ووارثه، فمن أحقّ به مني؟٤

**ونحوها في تفسير فرات الكوفي٥.**

وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا سميتم الولد محمّداً فأكرموه وَأَوْسِعُوْا له في المجالس ولا تُقَبِّحُوا وَجْهاً. ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمّدٌ أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلّا خير لهم. ما من مائدة وُضِعَتْ فقعد عليها مَنْ اسمه أحمد أو محمّد إلّا قُدِسَ ذلك المنزل في كلِّ يوم مرّتين.٦

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤١، ح١٥٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٤٢، ح١٥٢.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٤٢، ح١٥٣.
٤. أمالي الطوسي، المجلس الثامن عشر، ح٦/ ٥٠٢، رقم ١٠٩٩.
٥. تفسير فرات الكوفي / ٩٦، ح٣٩.
٦. صحيفة الإمام الرضا عليه السلام / ٤٤، ح١٧؛ مجمع البيان ٢/ ٥١٤.

أبوالقاسم الله يُعْطي وأنا أقْسِمُ، ثمّ رخص في ذلك لعليٍّ عليه السلام وابنه.[١]

**يعني محمّداً المعروف بابْنِ ٱلْحَنَفيّة.**

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلّا يومٌ واحدٌ لطَوَّل الله ذلك اليوم حتّى يخرجَ رجلٌ من ولدي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأُ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً.[٢]

**قال الشيخ أبوالفتوح الرازي[٣]: وأيضاً هذه الرخصة وردت في الإمام الأخير من نسل أميرالمؤمنين عليه السلام.**

**أي الإمام الثاني عشر الحجة الموعود المهدي المنتظر عجل الله فرجه.**

قال عليٌّ عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنْ ولد لك غلام نحلته اسمي وكنيتي.[٤]

**لأجل روايات الإرتداد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتب العامة راجع جامع الاصول لابن الأثير[٥] ومن كتبنا راجع بحارالأنوار[٦].**

**أذكر لك بعضها من صحاحهم تنبيهاً وتذكيراً:**

منها: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والترمذي في سننه وصحَّحه، والنسائي في سننه، وأحمد في المسند وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث ـ قال: ألا وإنّه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أُصيحابي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾[٧].[٨]

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥١٤؛ روض الجنان ٥/ ٩٦؛ الكشف البيان ٣/ ١٧٨؛ كنزالعمال ١٦/ ٤٢٨، ح٤٥٢٦٤؛ صحيح ابن حبان ١٣/ ١٣٤.

٢. روض الجنان ٥/ ٩٦.

٣. روض الجنان ٥/ ٩٦.

٤. مجمع البيان ٢/ ٥١٤؛ روض الجنان ٥/ ٩٦؛ الكشف والبيان ٣/ ١٧٨؛ الطبقات الكبرى ٥/ ٩٢؛ تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٢٧.

٥. جامع الأُصول ١٠/ ٣٣ وما بعدها؛ و ١٠/ ٤٦٨ وما بعدها.

٦. بحارالأنوار ٢٨/ ١٧ وما بعدها. (١٢/ ١٦).

٧. سورة المائدة/ ١١٧.

٨. صحيح البخاري ٦/ ٦٩؛ كتاب التفسير، باب سورة المائدة، ٦/ ١٢٢؛ سورة الأنبياء ٨/ ١٣٦؛ كتاب الرقاق، باب ٤٥؛ صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٥؛ كتاب الجنة... باب ١٤؛ سنن الترمذي

ومنها: ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة أنّه كان يحدِّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: يرِد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فيُحَبَّؤن[١] عن الحوض، فأقول: يا ربِّ أصحابي. فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى.[٢]

وعنه ﷺ أنه قال: يرِد عليَّ الحوض رجال من أصحابي، فيحلّؤون عنه، فأقول: يا ربِّ أصحابي. فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى.[٣]

ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد بن حنبل في المسند وغيرهما عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرَطكم[٤] على الحوض، ولأُنازَعَنَّ أقواماً ثمّ لأُغلَبَنَّ عليهم[٥]، فأقول: يا ربّ، أصحابي أصحابي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[٦]

ومنها: ما أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم، عن سهل بن سعد [السّاعِدِيّ] قال: قال رسول الله: إنّي فرَطكم على الحوض، مَنْ مرَّ عليَّ شرب، ومَنْ شرب لم يظمأ أبداً، لَيَرِدن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعتَ من سهل؟ فقلتُ: نعم. فقال: أَشهدُ على أبي سعيد الخدري لَسَمِعْتُهُ وهو يزيد فيها: فأقول: إنّهم منّي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعدي.[٧]

---

٥/ ٣٢١-٣٢٢. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن النسائي ٤/ ١١٧ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤٩. مسند أحمد ١/ ٢٣٥، ٢٥٣.

١. أي يُطرَدون ويُبعَدون.

٢. صحيح البخاري ٨/ ١٥٠ كتاب الرقاق، باب في الحوض.

٣. المصدر السابق ٨/ ١٥٠.

٤. أي سابقكم ومتقدِّمكم.

٥. أي سأجادل عن أقوام رغبة في خلاصهم فلا ينفعهم ذلك.

٦. صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٦ كتاب الفضائل، باب رقم ٩؛ مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٨٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٥٣.

٧. صحيح البخاري ٨/ ١٥٠؛ صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٣.

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد في المسند وغيرهم، عن أنس عن النبي ﷺ قال: لَيَرِدَنَّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض، حتّى إذا عرفتهم اختُلِجوا دوني، فأقول: أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.[١]

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي رواها حفَّاظ الحديث من أهل السنة بطرق كثيرة جداً وبألفاظ متقاربة، وفيما ذكرناه كفاية.[٢] لِمَنْ رامَ ٱلْهِدايَة.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾

تبيّنت الآية الشريفة أنّ الموت والحياة بيد الله تعالى بالنسبة إلى جميع النفوس ومنها نفس النبي ﷺ وكذلك نفوس المجاهدين المقاتلين فالجهاد لا يقرّب أجلاً وتركه لا يبعد أجلاً والأجل القطعي مكتوب معلوم في علم الله ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣] فلا يتم ما ذكره القرآن الكريم نقلاً من جماعة من ٱلْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٤] وكذلك نقلاً منهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾[٥]. فلماذا ترك المؤمنون الجهاد وقعودا عنه أو تركوا معركة القتال والجهاد في

---

١. صحيح البخاري ٨/ ١٤٩؛ صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٠؛ مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٢٨١، ٥/ ٤٨، ٥٠.

٢. راجع إن شئت صحيح البخاري ٨/ ١٤٨-١٥٠؛ وصحيح مسلم ١/ ٢١٧، ٤/ ١٧٩٤-١٧٩٦؛ سنن الترمذي ٤/ ٦١٥-٦١٦؛ سنن ابن ماجه ٢/ ١٠١٦؛ مسند أحمد ١/ ١٥٤، ٤٠٢، ٤٣٩، ٤٥٥، ٣/ ٢٨، ١٠٢، ٥/ ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤١٢؛ صحيح ابن خزيمة ١/ ٧؛ مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٤-٣٦٥؛ صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ١٨٢؛ الموطأ / ٢٣. مختصر إتحاف السادة المهرة ١٠/ ٥٩٤؛ مسند ابن أبي شيبة ١/ ٨٦، ٩٤.

٣. سورة الأعراف / ٣٤ ونظيرها في سورة يونس / ٤٩.

٤. سورة آل عمران / ١٥٤.

٥. سورة آل عمران / ١٥٦.

أُحد وغيره؟! تعريض لهم وتقبيح لفعلهم وتحريض وتحريك إلى القتال والجهاد.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة.

﴿لِنَفْسٍ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم كان. قال الأخفش[١]: «ل» في قوله ﴿لِنَفْسٍ﴾ منقولة من ﴿تَمُوتَ﴾ فتقديره: «ما كانت نفس لتموت».

﴿أَن تَمُوتَ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى النفس، اسم مؤخر كان.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء، ومع ﴿مَا﴾ النافية قبلها تدلّ على الحصر بأنّ الموت لا يتحقّق لأيّ نفس كانت إلّا بأمر الله تعالى وإذنه والأجل مكتوب عنده تعالى.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه: قال الشيخ: «يحتمل أمرين: أحدهما: إلّا بعلمه. والثاني: إلّا بأمره»[٢]. ثمّ نقل عن أبي عليّ الجباعي قوله: «الآية تدلّ على أنّه لا يقدر على الموت غير الله، كما لا يقدر على ضده من الحياة إلّا الله، ولو كان من مقدور غيره لم يكن بإذنه لأنّه عاص لله في فعله»[٣].

وفي التفسير الكاشف: «وتسأل: الذي نشاهده أنّ للموت أسباباً خاصة، كالقتل والغرق والوباء وما إليه، وهذا ينافي أن يكون الأجل محدوداً بعلم الله؟

وقد أجاب عن ذلك الشيخ محمّد عبده ـ كما في تفسير المنار[٤] ـ بأنّه ليس هناك أسباب للموت غير الأجل المقدر عند الله، فإنّ الوباء قد يعم، ومع ذلك يفتك بالشاب القوي، ويترك الشيخ الهزيل، وكم من ضربة قتلت هذا دون ذاك، ولو كانت هذه اسباباً مُطَّرِدَةً لظهر أثرها في الجميع دون استثناء.

سؤال ثانٍ: على هذا ينبغي ان يكون القاتل غير مسؤول أمام الله، مع أنّه قال عزّ من قائل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ

---

١. نقل عنه الثعلبي في تفسيره ٣/ ١٧٨؛ وأبو الفتوح الرازي في تفسيره ٥/ ٩٧.
٢. التبيان ٣/ ٨.
٣. التبيان ٣/ ٨.
٤. راجع المنار ٤/ ١٣٧، الطبعة المصرية عام ١٩٩٠م.

وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]؟

الجواب: إنّ المقتول مات بأجله المعين، والقاتل استحق العقاب: لأنّه أقدم على ما نهى الله عنه، مع قدرته على أن يجتنبه، ويدع المعتدى عليه يموت بسبب آخر... وبتعبير ثانٍ هنا قضيتان: الأولى: كلّ من باشر الحرام متعمداً فهو مسؤول. الثانية: للمعتدى عليه أجل معين، وقد تواردت القضيتان على مورد واحد، فكان لكلٍّ منهما حكمه وأثره»[2].

﴿كِتَٰبًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف دلّ عليه أوّل الآية ونعلم بأنّ كلّ ما كان بإذن الله فقد كتبه الله فتقديره «كتب الله ذلك ﴿كِتَٰبًا﴾.

﴿مُّؤَجَّلًا﴾ نعته، أي الكتاب كان مؤجلاً ومؤقتاً بأجلٍ وتوقيتٍ. وهذا البيان يجري بالنسبة إلى الأجل المعلَّق والأجل المحتوم والقطعي بلا فرق وبإطلاق الآية الشريفة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَن﴾ مبتدأ جازم.

﴿يُرِدْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر، خبره. أي يريد ويسعى.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. ونعمها وملكها وثروتها وقدرتها ومكنتها و... .

﴿نُؤْتِهِۦ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلّة ومفعول به وفاعله ضمير مستتر «نحن». أي نحن نعطيه.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور. أي من الدنيا. و«مِن» للتبعيض أي نصل إلى بعض ما يريده لا كلّه. لأنّ الوصول إلى كلِّ ما يريده الإنسان في الدنيا محالٌ عقلاً، والوجه في ذلك أنّ آمال الإنسان غير متناهية واراداته متواترة لا نهاية له ولا غاية عنها.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ مرّ إعرابه. أي ومن أراد الآخرة وثوابها ونعميها وجنّتها وسعي لها سعيه يعطيه الله تعالى بعض مراتبها إن شاء الله تعالى.

والمراد بالآية الشريفة يأتي تفصيلاً في سورة ٱلإِسْراء في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ

---

١. سورة النساء / ٩٣.
٢. التفسير الكاشف ٢/ ١٧٢.

يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[١].

أو قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٢].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿سَ﴾ حرف استقبال.

﴿نَجْزِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ مفعول به. بالنسبة إلى من أراد الآخرة وسعى لها سعيه فيكون تعليلاً للجملة الأخيرة ولكن قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «ثمّ خصّ الشاكرين بالذكر بإخراجهم من الطائفتين فقال: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وليس إلّا لأنّهم لا يريدون إلّا وجه الله لا يشتغلون بدنيا ولا آخرة»[٣] وفيه تأمل.

**الروايات**

قال الطبرسي: «روى أبان بن عثمان عن أبي جعفر عليه السلام أنّه أصاب عليّاً عليه السلام يوم أُحد ستون جراحة وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أم سليم وأم عطية أن تداوياه فقالتا: إنّا لا نعالج منه مكاناً إلّا أنفتق مكان آخر وقد خفنا عليه، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلي وأعذر، وكان القرح الذي يمسحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلتئم، فقال عليٌّ عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفر ولم أولي الدبر، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤] من الرزق في الدنيا ﴿وَسَنَجْزِى

---

١. سورة الإسراء / (٢١-١٨).
٢. سورة الشورى / ٢٠.
٣. الميزان ٤/ ٤٠.
٤. سورة آل عمران / ١٤٤.

ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ١»).٢

**وقد مرّت رواية في هذا المجال في ذيل الآية ١٤٠ فراجعها.**

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: الأعمال بالنيّات وإنّما لكلِّ امرىءٍ مانَوىٰ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها وامرأةٍ ينكِحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.٣

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : مَن طلب الدنيا بعمل الآخرة فماله في الآخرة من نصيب.٤

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: لكلِّ قدرٍ أجلاً ولكلِّ أجلٍ كتاباً.٥

وعنه عليه السلام : إنّ لكلِّ أجلٍ وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه.٦

وعنه عليه السلام : إنّ الأجل جُنَّةٌ حصينة.٧

وعنه عليه السلام : كفى بالأجل حارساً.٨

وعنه عليه السلام : نَفَسُ المَرْء خُطَاهُ إلى أجَلِهِ.٩

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾

تصريح وتأكيد بأنّ الجهاد في سبيل الله هو حكم ثابت في الشرائع الماضية ولا يختص بالأُمّة المحمّدية المرحومة فلابدّ للمؤمنين أن يجاهدوا في إقامة الشريعة ولا

---

١. سورة آل عمران / ١٤٥.
٢. مجمع البيان ٢/ ٥١٥.
٣. صحيح ابن حبان ٢/ ١١٣؛ الكشف والبيان ٣/ ١٧٩؛ روض الجنان ٥/ ٩٨.
٤. روض الجنان ٥/ ٩٨.
٥. نهج البلاغة، خطبة ١٨٣.
٦. نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.
٧. نهج البلاغة، حكمة ٢٠١.
٨. نهج البلاغة، حكمة ٣٠٦.
٩. نهج البلاغة، حكمة ٧٤.

يهنوا ولا يحزنوا.

﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿كَأَيِّن﴾ اسم مركب من كاف التشبيه وأيّ المنوَّنة ـ كما أنّ أصل «كذا»، ذا دخلت عليها كاف التشبيه وصارت كلمة واحدة ـ يجوز الوقف عليها بالنون ولذلك رُسمت في المصحف بالنون وتفيد معنى كم الخبرية فهي تُفيد مثلها التكثير كما توافقها في الإبهام والافتقار إلى التمييز والبناء ولزوم التصدير، ومحلّها الرفع على أنّها مبتدأ.[١]

﴿مِّن نَّبِيّ﴾ جار ومجرور، تمييزه و«من» بيانية.

﴿قَـٰتَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من باب مقاتلة. قال الشيخ: «وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ﴿قَـٰتَلَ﴾، والباقون «قُتِلَ» فمن قرأ «قُتِلَ» نفى الوهن عمن بقي. ومن قرأ ﴿قَـٰتَلَ﴾ نفاه عمّن ذكر»[٢].

﴿مَعَهُۥ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى النبي. أي في جوار النبي وفي ركابه. فيمكن أن يكون مفعول فيه ومضاف إليه.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ فاعله. والجملة خبر. ﴿رِبِّيُّونَ﴾ جع رِبي وهو المنسوب إلى الرَّبَّ، وهو مَنْ اختص بربّه تعالى فلم يشتغل بغيره كما يقال ربانيّ.

قال السبزواري﵀: «وقيل: إنّ الكلمة مشتقّة من (رِبَة) بكسر الراء، أو رِبَوة وهي الجماعة، ثمّ اختلفوا في عددها.

فقيل: إنّها الجموع الكثيرة، قيل: إنّها ألوف.

وقيل: إنّها عشرة آلاف.[٣]

وقيل: إنّها أُلوف الأُلوف[٤]، وقد وردت في القولين الأخيرين روايتان.

يمكن أن يكون المراد بذلك كمّية خاصّة اتّصفوا بالربّانية، فيختلف عددهم حسب اختلاف الأزمنة، فلا نزاع في البين.

---

١. راجع موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٥٤٥.
٢. التبيان ٣/ ١٠.
٣. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام كما في التبيان ٣/ ١١.
٤. أو هو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام كما في تفسير العياشي ١/ ٣٤٢، ح١٥٤.

وكيف كان، فنسبة الربّي إلى الربوة يحتاج إلى تصرّف زائد بقلب الواو ياءً، ثمّ حذف الياء، مع أنّ ظاهر الآية الشريفة التوبيخ لأصحاب النبيّ ﷺ المنهزمين في أُحد، فلو كان لمجرّد بيان العدد فلا يستفاد منه التوبيخ ولا موقع له، يُضاف إلى أنّه تعالى وصفهم بأوصاف حميدة وجليلة، ممّا يدلّ على عدم وجودها في كلّ أحد.

والمعنى: وكم من نبيّ قاتل معه في جهاده في إقامة الحقّ ونصرة دين الله تعالى مَن كان منتسباً إلى الربّ وتخلق بأخلاق الله تعالى وتربّى بتربيته الرسول الكريم والنبيّ العظيم فصبروا. فلماذا فررتم عن سيِّد الأنبياء ﷺ ولم تصبروا؟! وقد وصف الله تعالى الربّيين بأوصاف تدلّ على جلالة قدرهم»[1].

﴿كَثِيرٌ﴾ نعت. ﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿وَهَنُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. الوهن: هو الضعف الباطني فيكون في العزيمة والقصد بقرينة ما بعده، وهو الوصف الأوّل للربيين المقاتلين في خدمة أنبياء الله تعالى.

﴿لِمَآ﴾ جار ومجرور.

﴿أَصَابَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَا﴾، أي ورد عليهم من المصائب والشدائد.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. وشروع في الوصف الثاني لهم. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿ضَعُفُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. في أبدانهم وجيوشهم وعساكرهم. الضعف الظاهري.

﴿وَ﴾ حرف عطف، شروع في الوصف الثالث. ﴿مَا﴾نافية.

﴿ٱسْتَكَانُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. الاستكانة: التضرع والخضوع والذلّة. أي إنّهم لم يظهروا هذه الأُمور في قبال عدوّهم الكافر.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. خبره.

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٣٨١.

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ مفعول به. مدحهم الله تعالى بصبرهم في الجهاد والقتال والمبارزة وأنّه تعالى يحبّهم لصبرهم وكفاهم فخراً أنّ الله يحبهم و ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

## الروايات

عن منصور بن الوليد الصيقل أنّه سمع أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام قرأ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ قُتِلَ ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال: ألوف وألوف، ثمّ قال: إي والله يُقْتَلُون.[٢]

وفي كتاب الاختصاص، المنسوب إلى الشيخ المفيد نقلاً من كتاب ابن دأب في شأن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام قال: ... ثمّ ترك الوهن والاستكانة، أنّه انصرف من أُحد وبه ثمانون جراحة يدخل الفتائل من موضع ويخرج من موضع فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائداً وهو مثل المضغة على نطع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى فقال له: إنّ رجلاً يصيبه هذا في الله لحقٌّ على الله أن يفعل به ويفعل، فقال مجيباً له وبكى: بأبي أنت وأمّي الحمد لله الذي لم يرني ولّيتُ عنك ولا فررتُ، بأبي وأمّي كيف حرمتُ الشهادة؟ قال: إنّها من ورائك إن شاء الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ أباسفيان قد أرسل موعدة بيننا وبينكم حمراء الأسد، فقال: بأبي أنت وأمّي والله لو حملت على أيدي الرجال ما تخلّفت عنك، قال: فنزل القرآن ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ ونزلت الآية فيه قبلها ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

ثمّ ترك الشكاية في ألم الجراحة (وَ) شكت المرأتان[٣] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يلقى وقالتا: يا رسول الله قد خشينا عليه ممّا تدخل الفتائل في موضع الجراحات من موضع إلى موضع. وكتمانه ما يجد من الألم، قال: فَعُدَّ ما به مِنْ أثر الجراحات عند

---

١. سورة الزمر / ١٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٤٢، ح١٥٤.
٣. إحداهما أُم سليم والأُخرى أُم عطية وَكانَتا تتصديان لِمعالجَةِ أمير المؤمنين عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

خروجه من الدنيا فكانت ألف جراحة مِنْ قرنه إلى قدمه صلوات الله عليه.[١]

وقال الطوسي: ... فبيّن الله تعالى أنّه [رسول الله ﷺ] لو قُتل لما أوجب ذلك أن تهنوا وتضعفوا، كما لم يهن مَنْ كان مَنْ الأنبياء بقتلهم. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.[٢]

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

بعد ما ذكر الله تعالى أفعال الربانيين وأحوالهم تعرض في هذه الآية الشريفة لأقوالهم وأدعيتهم، لتعلّم الأُمة المرحومة المحمّدية منهم والاقتداء بهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة.

﴿قَوْلَهُمْ﴾ خبر كان جاء مُقَدَّماً والضمير مضاف إليه يرجع إلى الربيّون. وما بعدها دعائهم عند لقائهم العدو. وقرأ الحسن البصري ﴿قَوْلُهُمْ﴾ بالضم على أنّه اسم كان.

﴿إِلَّآ﴾ حرف استثناء. ﴿أَن﴾ حرف نصب.

﴿قَالُواْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. اسم كان. وعلى قِراءة الحسن يصير خبر كان. والقراءتانِ متقاربتان في المعنى لأنّ المبتدأ والخبر إذا كان معرفتين يتخير القارئ في جعل أيّهما شاء اسماً وأيّهما شاء خبراً. نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ...﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ...﴾[٤].

«ومن المعلوم أنّهم قد كانوا يقولون أقوالاً غير هذا، لكن لما كان هذا

---

١. الاختصاص / ١٥٨.
٢. التبيان ٣/ ١١.
٣. سورة الأعراف / ٨٢.
٤. سورة الجاثية / ٢٥.

[الاستغفار] هو الأكثر لم يعتد بذلك. وقيل: معناه وما كان قولهم حين قتل نبيّهم إلّا هذا القول انقطاعاًالي الله وطلباً لمغفرته»[١]. ولكن الظاهر أنّ هذه المقالة كانت دعائهم.

قال القاضي: «إنّما قدّموا قولهم ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ لأنّه تعالى لمّا ضمن النصرة للمؤمنين فإذا لم تحصل النصرة وظهر أمارات استيلاء العدو، دلّ ذلك ظاهراً على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فلهذا المعنى يجب عليهم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة، فبيّن تعالى أنهم بدؤا بالتوبة عن كل المعاصي»[٢] ولذا قالوا:

﴿رَبَّنَا﴾ منادى ومضاف إليه. وفي التعبير بالربّ نوع من الخضوع والتواضع والإقرار بالربوبية، والظاهر إنّ هذا دعاء كلّهم أو غالبهم حيث يأتون بضمير الجمع.

﴿ٱغۡفِرۡ﴾ فعل أمر في مقام الدعاء والحاجة وفاعله أنت يا ربنا. ومن المعلوم أنّ الربيين أناس عاديون فيرتكبون المعاصي ويستغفرون من ربّهم.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور. ﴿ذُنُوبَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي كلّ الذنوب.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿إِسۡرَافَنَا﴾ معطوفه ومضاف إليه. الإسراف: هي الإفراط والتجاوز عن الحدود الألهي قد يتفق لبعض الربيين وقد مرّ أنّهم غير معصومين. ويمكن أن يختص بالكبائر قال الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[٣].

﴿فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، فهم يعترفون بعدم وفائهم بشؤون العبودية.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ثَبِّتۡ﴾ فعل أمر في مقام الدعا وفاعله أنت يا ربنا. أي: «أعنّا وألطف لنا بما تثبت معه أقدامنا وإن كان ثبوت القدم من فعل العباد لكن لما كان بلطفه ومعونته جاز

---

١. التبيان ٣/ ١٢.
٢. التفسير الكبير ٩/ ٢٨ للفخر الرازي.
٣. سورة الزمر / ٥٣.

نسبته إليه مجازاً»[١].

﴿أَقْدَامَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. في جميع الأحوال على الصراط المستقيم في الدين لاسيّما عند الجهاد والطاعة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱنصُرْنَا﴾ فعل أمر في مقام الدعاء والضمير مفعول به وفاعله أنت يا ربنا. والنصرة هي الظفر والفتح.

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ جار ومجرور ونعته. لأنّهم فاسدين من حيث الاعتقاد والعمل.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤٨﴾

يذكر الله تعالى في هذه الآية الشريفة تعظيمهم وأعطاهم الله تعالى في الدنيا النصرة والفتح وفي الآخرة الغفران والجنة.

﴿فَ﴾ حرف عطف وتفريع على أعمالهم وأقوالهم وأدعيتهم وتواضعهم لله تعالى واتهام نفوسهم واقرارهم بالذنب والأسراف، يقربهم إلى الله تعالى.

﴿ءَاتَىٰهُمُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به. والضمير يرجع إلى ﴿رِبِّيُّونَ﴾[٢]. أي أعطاهم بالنسبة إلى ﴿رِبِّيُّونَ﴾ الذين يقاتلون مع الأنبياء السلف وبالنسبة إلى شهدائنا وأمّا بالنسبة إلى الجيل الحاضر سيؤتيهم على قياس قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[٣] أي سيأتي أمر الله.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. وثواب الدنيا هو الفتح والظفر والغلبة على الكفار في القتال والجهاد وأخذ الغنيمة منهم وأعطى الله لهم نعم الدنيوية

---

١. التبيان ٣/ ١٣.
٢. تَرَكَناها علىٰ أصل سياقِها في الآية وَهُوَ ما يُصْطَلَحُ عليه بِـ(الحكاية).
٣. سورة النحل / ١.

والمادية، والزيادة في الرزق. وإشارة إلى أنّ ما أعطهم الله هو ثواب أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وأدعيتهم. والثواب: «هو النفع الخالص المستحق الذي يقارنه تعظيم وتبجيل»[١]. وذكره من دون «من» تبعيض.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿حُسْنَ﴾ معطوف، وصف الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن دون الدنيا تعظيماً لها وارتفاع منزلتها وقدرها بالنسبة إلى نعيم الدنيا.

﴿ثَوَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. خبر.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به. اشارة إلى إنّهم ٱلْمُحْسِنُوْنَ لأنفسهم ولغيرهم. ثمّ اعترفوا بِالْإِساءَةِ في الآية السابقة، فَأَدْخَلَهُمُ اللهُ في المحسنين في هذه الآية.

**روايةٌ**

قال الحافظ أبونُعَيم الأصفهاني: روي عن محمّد بن بشير عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: أُوحى الله إلى الدنيا أن أخدمي مَنْ خَدَمَني وأتعبي مَنْ خَدَمَكِ.[٢]

وفي نقل الصدوق: أن أتعبي مَنْ خدمكِ وأخدمي مَنْ رفضكِ، الحديث.[٣]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

هذه الآية الشريفة وما بعدها نزلت في غزوة أُحد وفيها ترغيب إلى الإيمان بالله العظيم والاعتقاد التام بأنّه تعالى مولى المؤمنين ينصرهم ويكفيهم وقد أمرهم

---

١. التبيان ٣/ ١٣.

٢. حلية الاولياء ٣/ ١٩٤، ونقل عنه في كشف الغمة ٣/ ٢٠١ من الطبعة الحديثة.

٣. أمالي الصدوق، المجلس السابع والأربعون، ح٩/ ٣٥٣، رقم ٤٣٢.

بالإعراض عن الكافرين وعدم الهزيمة في مقابلهم وأنّها لم تصدر إلّا من قبلهم وتعديهم حدود ما أمرهم الله به ودعاهم الرسول ﷺ إليه.

﴿يَٰٓ﴾ حرف ندا. ﴿أَيُّهَا﴾ منادى وحرف التنبيه وهي «ها». ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل.

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. وَهُوَ تمهيدٌ لما بعده بأنّ الإيمان بالله تعالى يقتضي طاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ ورفض طاعة الكافرين.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُطِيعُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله شرط. أتى بفعل مضارع لاستمرار اقتضاء طاعة الكفار هو الكفر والخسران. «والطاعة: موافقة الإرادة المرغبة في الفعل وبالترغيب ينفصل من الإجابة، وإن كان موافقة الإرادة حاصلة، وفي الناس من قال: الطاعة هي موافقة الأمر، والأوّل أصح، لأنّ من فعل ما يقتضي العقل وجوبه أو حسنه يقال: إنه مطيع لله، وإنْ لم يكن هناك أمر على أنّ مَنْ امتثل الأمر إنّما سمي مطيعاً لموافقة الإرادة المرغبة من حيث أنّ الأمر لا يكون أمراً إلّا بإرادة المأمور به، والطاعة تكون بمتابعة الواجب والندب معاً، لأنّ الإرادة تتناولهما»[١].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به.

﴿كَفَرُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والمرادُ بهم اليهودُ والنصارىٰ، أو ٱلْمُنافِقُوْنَ لأنّهم في الحقيقة كفارٌ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٢].أو مُشْرِكُوْ قريش وعلى رأسهم أبوسفيان لعنه الله كما قال شيخ الأزهر الشيخُ مُصْطفىٰ المراغي: «المراد بالذين كفروا أبوسفيان لأنّه شجرة الفتن»[٣]. تبعاً للسُّدِّيِّ.[٤]

والظاهر أنّ الكافرين يلقون بَيْنَ المؤمنين التفرقة والتنازع ولِيَصُدُّوْهُمْ عن المقاومة والقتال والجهاد، والله تعالى يَنْهاهُمْ عن طاعتهم واتباعهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. جواب الشرط. والرد:

---

١. التبيان ٣/ ١٤.

٢. سورة المنافقين / ٣.

٣. تفسير المراغي ٤/ ٩٥، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ونقل عنه في التفسير الكاشف ٢/ ١٧٦.

٤. نقل عنه الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٩/ ٣٠.

هو الرجوع.

﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. مادة عقب تدلّ على التأخر، فالردّ على الأعقاب: هو الرجوع إلى الوراء. وكان في وراءِهم الكفر والشرك. والضلالة.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع.

﴿تَنقَلِبُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. معطوف على ﴿يَرُدُّوكُمۡ﴾. والمراد بالانقلاب هو الرجوع إلى الوراء وهو الكفر.

﴿خَٰسِرِينَ﴾ حال. إذا رجعوا إلى الكفر والشرك فهذا يوجب. خسرانهم في الدنيا والآخرة ولا خسران أعظم من تبديل الإيمان بالكفر والجنة بالنار.

**روايةٌ**

عن علي عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: «ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم»[١].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾

﴿بَلِ﴾ للاضراب «عن الأوّل إلى الثاني سواء كانا موجبين أو نفيين أو أحدهما موجباً والآخر نفياً»[٢].

﴿ٱللَّهُ﴾ في أعرابه احتمالات: الأوّل: مبتدأ. الثاني: خبرمقدم. الثالث: منصوب بفعل مقدر وهو اطيعوا ﴿ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ كما قاله الفراء.[٣]

﴿مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ خبر أو مبتدأ مؤخر أو بدل ومضاف إليه. والمولى هو الأولىٰ بالطاعة والنصرة فهو أولىٰ بأن تُطِيْعُوْه وهو أولىٰ بنصرتكم. «والأصل فيه ولي الشيء الشيء من غير فصل بينه وبينه فالولاية إيلاء النصرة ويجوز لأنّه يتولىٰ فعل النصرة وإن

١. الكشف والبيان ٣/ ١٨٣؛ مجمع البيان ٢/ ٥١٨.
٢. التبيان ٣/ ١٥.
٣. كما نقل عنه الشيخ في التبيان ٣/ ١٥.

لم يكله إلى غيره لأنّ من فعل شيئاً فقد تولّى فعله»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى الله تعالى.

﴿خَيْرُ﴾ خبره. والخير هنا يدلّ على التعيين لا التفضيل نحو قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢] أو قوله تعالى: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[٣] ولقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٤]

﴿ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ مضاف إليه. ومن كان الله ناصره فلا يحتاج معه إلى وليّ ولا ناصر.

فمفاد الآية الشريفة مفاد قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[٥].

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

ذكر الله تعالى أحد وجوه نصرة المؤمنين وهو إِلقاءُ الرُّعب في قلوب الذين كفروا. ووعد لهم بأنّ الله سينصرهم بالرعب.

وقال السُّدّي في شأن نزول الآية الشريفة: إنّ أباسفيان وأصحابه همّوا بالرجوع بعد أُحد لاستئصال المسلمين عند أنفسهم فألقى الله الرعب في قلوبهم حتّى انقلبوا خائبين عقوبة على شركهم.[٦]

﴿سَ﴾ حرف استقبال.

﴿نُلْقِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. يرجع إلى الله تعالى. أتى بالضمير

---

١. التبيان ٣/ ١٥.
٢. سورة النمل / ٥٩.
٣. سورة يوسف / ٣٩.
٤. سورة آل عمران / ١٢٦.
٥. سورة الأنفال / ٤٠.
٦. التبيان ٣/ ١٦؛ الكشف والبيان ٣/ ١٨٣.

الجمع تشريفاً. «الإلقاء: حقيقته في الأعيان كقوله ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾[١] واستعمل في الرعب مجازاً ومثل قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[٢]»[٣]. سنلقي: أي سنقذف.

﴿فِى قُلُوبِ﴾ جار ومجرور. وهو ظرف الإلقاء.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مضاف إليه. ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ مفعول به، أي الخوف والفزع والوحشة.

﴿بِ﴾ حرف جر. للسببية. أي بسبب إشراكهم بالله تعالى أو بمجازاته أو ببدله.

﴿مَآ﴾ مصدرية. ﴿أَشْرَكُوا۟﴾ فعل ماض وفاعله. أي بِشِرْكِهِمْ بالله.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. أتى باسم الجلالة لبيان أنّ الذّاتَ ٱلْمُسْتَجْمِعَةَ لجميع صفات الكمال والجمال لا يمكن أن يوجد لَها مثل ولا مثيل ولاندّ ولا شريك. وبيان لاستحالة الذاتي لشريكه تعالى ونظيره وتعدده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤] و ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٥].

﴿مَا﴾ مفعول به. نكرة موصوفة أي: شيئاً ما أنزل الله به من سلطان.

﴿لَمْ﴾ حرف جزم ونفي.

﴿يُنَزِّلْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر. أي لم يوجد.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى ما جعله بعض شريكاً للواجب تعالى عن ذلك.

﴿سُلْطَـٰنًا﴾ مفعول به. أي برهاناً وحجةً وبياناً ودليلاً وعذراً. أصل السلطان: القوة، سُمّي البرهان سلطاناً لقوته على دفع الباطل ولإثبات التسلّط على الخصم.

فيُستفادُ من الآية الشريفة إلى هنا أُمُوْرٌ:

**الأوّل:** ليس لشريك الباري دليل ولا برهان وكلّ ما زعموه في إثباته موهوم

---

١. سورة الأعراف / ١٥٠.
٢. سورة طه / ٣٩.
٣. التبيان ٣/ ١٦.
٤. سورة القصص / ٦٨.
٥. سورة الأسراء / ٤٣.

وباطل.

**الثاني:** ليس لنفي الباري والصانع دليل ولا برهان فمن أسند الخلق أو التدبير أو التأثير إلى غيره تعالى كالدهر أو المادة لا طريق لإثبات مقاله أَبَداً.

**الثالث:** الآية الشريفة تنفي النزول والوجود معاً، أي ليس لشريك الباري وُجُوْدٌ وَثُبُوْتٌ حتّى ينزل حجةً وبرهاناً.

**الرابع:** ليس دليل الذين يقولون بشريك الباري إلّا التقليد لِأَسْلافِهِم وآبائهم ولذا ينقل الله تعالى عن المشركين في جواب أنبياء الله عليهم السلام الذين يدعونهم إلى التوحيد: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[١] وكذلك قال المشركون في جواب النبي صالح عليه السلام: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[٢].

**الخامس:** «كلُّ مَنْ قال بمذهب لا برهان له فمبطلٌ بدلالة الآية»[٣].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. «المأوى: هو المكان الذي يأمن إليه ليستريح فيه ويحتمي به»[٤].

﴿ٱلنَّارُ﴾ خبره. وفيه اشارة لطيفة إلى سوء عاقبتهم وأنّه لا مأوى لهم غير النار.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف.

﴿بِئْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ جامِدٌ لإنشاء الذم وحُذِفَ المخصوصُ بالذَّمِّ لدَلالةِ الكلامِ عليه، كما أنّ نِعْمَ للحمد.

﴿مَثْوَى﴾ فاعله. ومعناه المنزل. «وأصله الثواء: وهو طول الإقامة»[٥]. واستعمل في جهنم هنا.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مضاف إليه. ولعلّ وَصْفَهُمْ بالظلم تعليل لورودهم جهنم وأنّه

---

١. سورة إبراهيم / ١٠.
٢. سورة هود / ٦٢.
٣. التبيان ٣/ ١٧.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٤٠١.
٥. التبيان ٣/ ١٧.

ليس إلّا ظلمهم و ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١] و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢].

## الروايات

الصدوق بإسناده عن أبي امامة قال: قال رسول الله ﷺ فُضِّلْتُ بأربعٍ: جعلتُ لأُمّتي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيّما رجل من أُمّتي أراد الصلاة فلم يجد ماءً ووجد الأرض فقد جُعلت له مسجداً وطهوراً، ونُصِرْتُ بالرعبِ مسيرة شهرٍ، يسير بين يدي، وأُحِلَّت لأُمَّتِي الغنائم، وأُرْسِلْتُ إلى الناس كافَّة.[٣]

وبإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : أُعطيتُ خَمْساً لم يعطها أحدٌ قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّ لي المغنم، وأُعطيتُ جوامعَ الكلم، وأُعطيتُ الشفاعة.[٤]

**والسند لا بأس به على القول باعتبار أبي الجارود.**

وبإسناده عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ في حديث: ... ومَنَّ عليَّ ربّي، وقال: يا محمّد صلى الله عليك قد أرسلتُ كلّ رسولٍ إلى أمّته بلسانها وأرسلتك إلى كلِّ أحمر وأسود من خلقي، ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً، وأحللت لك الغنيمة، ولم تحل لأحد قبلك، وأعطيت لك ولأُمّتك كنز من كنوز عرشي فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة، وجعلت لك ولأُمّتك الأرض كلّها مسجداً وترابها طهوراً. وأعطيت لك ولأُمّتك التكبير، وقرنت ذكرك بذكري، حتّى لا يذكرني أحد من أمّتك إلّا ذكرك مع ذكري، طوبى لك يا محمّد ولامتك.[٥]

ورفعه إلى النبي ﷺ أنّه قال: أعطيتُ خمساً لم يعطها أحد قبلي: جُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّ لي المغنم، وأُعطيتُ جوامع

---

١. سورة لقمان / ١٣.
٢. سورة النساء / ١١٦.
٣. الخصال ١/ ٢٠١، ح١٤.
٤. الخصال ١/ ٢٩٢، ح٥٦.
٥. الخصال ٢/ ٤٢٥، ح١.

الكلم، وأُعطيتُ الشفاعة.[١]

قال الطوسي: وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر.[٢]

**والرواية مروية من طرق الفريقين.**

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾

«ذكر ابن عباس، والبراء بن عازب، والحسن، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والربيع، وابن إسحاق: أنّ الوعد المذكور كان يوم أُحُد، لأنّ المسلمين كانوا يقتلون المشركين قتلاً ذريعاً حتّى أخل الرماة بمكانهم الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بملازمته، فحينئذ حمل خالد ابن الوليد من وراء المسلمين، وتراجع المشركون، وقتل من المسلمين سبعون رجلاً ثمَّ هزموا، وقد نادى مناد: قُتل محمّد، ثمّ مَنَّ الله على المسلمين، فرجعوا وقويت نفوسهم، ونزل الخذلان بعدوِّهم، حتّى ولّوا عنهم، ومعنى ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم»[٣].

﴿وَ﴾ حرف قسم. ﴿لَ﴾ حرف جواب. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿صَدَقَكُمُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به، ويتعدى إلى مفعولين. جواب القسم.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿وَعْدَهُۥٓ﴾ مفعول به ثانٍ. وما وعدهم الله هو النصر ولكنّه مشروط بشرطين وهما الصبر والتقوى كما مرّ ثمّ ذكر الله بعده مصداق النصر وهو غلبة المؤمنين في بداية

---

١. الفقيه ١/ ٢٤٠، ح٧٢٤ وننقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١١/ ٣٥٢.
٢. التبيان ٣/ ١٧؛ مجمع البيان ٢/ ٥١٩؛ روض الجنان ٥/ ١٠٦.
٣. التبيان ٣/ ١٧ و ١٨.

غزوة أُحد.

﴿إِذۡ﴾ مفعول فيه.

﴿تَحُسُّونَهُم﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. حسّه يحسّه: إذا قتله لأنّه أبطل حسّه بالقتل، فالحسّ هو القتل على وجه الاستئصال. تحسونهم أي تستأصلونهم بالقتل. والحسيس: هو القتيل وزناً وَمَعْنَىً.

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ومعناه بعلمه أو بلطفه أو بقوّته.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف ابتداء، بيان إلى أنّ وعد الله تعالى بالنصر كان مستمراً إلى أن يظهر منهم ما ظهر من ترك الرماة موضعهم، ويمكن عدّه جواباً لإذا محذوف والتقدير منعكم الله نصره، ويمكن جعل جوابه ﴿عَصَيۡتُم﴾ وعدّ ﴿وَ﴾ قبله زائدة. ثلاثة وجوه كلٌ محتمل.

﴿إِذَا﴾ مفعول فيه.

﴿فَشِلۡتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، والفشل: الجبن وضعف الرأي.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. التنازع: الاختلاف، وهو الذي حصل على ارتفاع أُحُد بين عبدالله بن جبير رئيس الرماة ومَنْ تبعه ـ وهم دون العشرة ـ والباقي منهم في النزول لأخذ الغنيمة.

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ جار ومجرور. وهو الغنيمة الدنيوية هنا أخفاها ستراً عليهم وعفواً منه تعالى لهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿عَصَيۡتُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. بترك ارتفاع أُحد أو بفراركم من عند رسول الله ﷺ والدفاع عنه وصعودكم إلى جبل أُحد.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾ جار ومجرور. ﴿مَآ﴾ مصدرية.

﴿أَرَىٰكُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر. ونظرتم ووجدتم ما وعدكم الله من النصر والفتح والغلبة وانهزام المشركين.

﴿مَّا﴾ مفعول به ثان.

﴿تُحِبُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. جاء به لاستمرار حبّ الفتح والظفر والغلبة لِلْمُؤْمِنِيْنَ على الكافرين.

﴿مِنكُم﴾ جار ومجرور، و«مِنْ» للتبعيض، خبر مقدم، أي من الرماة أو المقاتلين المجاهدين أو المؤمنين.

﴿مَّن﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر، يدلّ على الاستمرار.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول به. والغنيمة منها.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وثوابها وجنتها ونعيمها و«من» للتبعيض كما مرّ.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿صَرَفَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

والصرف: هو الكف. لأنّ الأفعال الأهلية على وفق سننه وقوانينه ومصالحه التي يراها الله ومنها: إيكال الناس إلى أنفسهم إذا صدر منهم العصيان والتنازع والفشل أو أحدها.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى المشركين الكافرين.

﴿لِ﴾ حرف نصب وغاية أي لأجل.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به وفاعله ضمير مستتر. الابتلاء: الاختيار والامتحان. ويوجب تمييز المؤمن عن المنافق وترفيع درجات المؤمنين.

﴿وَ﴾ حرف قسم. ﴿لَ﴾ حرف جواب. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿عَفَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. أي صفح وغفر.

﴿عَنكُمْ﴾ جار ومجرور أيُّها الرماةُ ٱلتّارِكُوْنَ المرتفع أو ٱلْمُجاهِدُوْنَ ٱلْمُقاتِلُوْن ٱلْفارُّوْنَ من غزوه أُحد ومن حول رسول الله ﷺ أو أيها ٱلْمُؤْمِنُوْنَ على نحو الاطلاق.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿ذُو﴾ خبره.

﴿فَضْلٍ﴾ مضاف إليه والتنوين فيه للتفخيم. أي منّ ونعمة بنعم الدنيا والدين وبغفران ذنوبهم وبقائهم وحياتهم.

﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور. والوصف مشعر بالعلية بأنّ علة فضل الله عليهم هي إيمانهم.

## روايةٌ

قال الطبرسي: روىٰ الواحديُّ[١] بإسناده عن سهل بن سعد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمه عليها السلام بنته تغسل عنه الدم وعلي بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجن، فلّما رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدم إلّا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتّى إذا صار رماداً ألزمته الجرح فاستمسك الدم.[٢]

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾

خطاب للذين فَرُّوْا يوم أُحُدٍ وكانُوا يصعدون إلى الجبل ولا يستجيبون دعوة الرسول ﷺ حيث يقول: هلمَّ إليّ عباد الله... أنا رسول الله... مَنْ تُكِرُّ فله الجنة و....

﴿إِذْ﴾ مفعول فيه، ظرف زمان. متعلَّق بمحذوفٍ نحو: اذكروا، أو يجوز أن يكون متعلِّقاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ... إِذْ تُصْعِدُونَ﴾. أو بيان للصرف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي في الوقت الذي كنتم تنهزمون فيه. أو متعلّق بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.

﴿تُصْعِدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «والقراء كلّهم على ضم التاء من الإصعاد. وقرأ الحسن بفتح التاء والعين من الصعود، وقيل: الإصعاد في مستوي

---

١. من العامَّة وَهُوَ صاحِبُ كتاب «أسباب ٱلنُّزول».
٢. مجمع البيان ٢/ ٥٢٠.

الأرض، والصعود في ارتفاع... ووجه ذلك أنّ الإصعاد إبعاد في الأرض كالإبعاد في الارتفاع وعلى ذلك تأويل ﴿تُصۡعِدُونَ﴾ أي أصعدوا في الوادي يوم أُحد عن قتادة والربيع. وقال ابن عباس والحسن أنّهم صعدوا في أُحد في الجبل فراراً فيجوز أن يكون ذلك بعد أن أصعدوا في الوادي»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَا تَلۡوُۥنَ﴾ حرف نفي وفعل مضارع وفاعله. أي لا تَعْرُجُون، أصله من لي العنق ولا يستعمل إلّا في النفي، «يُقال: ذهب فلانٌ فلم يَلْو على شيء ولم يَلْبَثْ على شيءٍ ولم يَعْرُجْ على شيءٍ إذا مضى على وجهه لا يُقيم على شيءٍ»[٢].

و «يقال: مرّ لا يلوي إلىٰ أحد، أي: لا يلتفت ولا يعطف ولا ينتظر ولا يبالي»[٣].

والمراد: إنّهم في فرارهم لا يلتفتون على أحد سواء كان مؤمناً أو مشركاً محارباً لشدّة الخوف والوحشة.

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ جار ومجرور، نكرة يمكن أن يكون معناه ما مرّ، والشيخ ابوالفتوح قال: «يعني رسول الله ﷺ»[٤].

﴿وَ﴾ حالية.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مبتدأ، وهو الرسول الأعظم ﷺ صاحب الرسالة والنبوة الخاتمة.

﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ فعل مضارع ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الرسول ﷺ. خبر، أي يناديكم من خلفكم بقوله: «إلَيَّ عباد الله ارجعوا، إلَيّ عباد الله ارجعوا»[٥].

قال الشيخ أَبوالفتوح الرازي ٱلۡخُزَاعِيُّ رحمه الله ما نصه بالفارسية: «هر كه باز آيد

---

١. التبيان ٣/ ٢٠.
٢. روض الجنان ٥/ ١١٠.
٣. مواهب الرحمن ٦/ ٤٠٨.
٤. روض الجنان ٥/ ١١٠.
٥. تفسير الطبري ٤/ ١٦٩.

بهشت او را. يا عجب اگر آن كه باز آيد او را بهشت رسد، آن كه خود او برود او را چه رسد؟ او را قسمت از ميان دوزخ و بهشت رسد. لله دَرُّ قائلٍ:

عليٌّ حُبُّهُ جُنَّةٌ قَسيمُ النارِ والجَنَّةِ

وَصِيُّ المصطفى حقّاً إمامُ الإنسِ والجِنَّة»[١]

﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. «الأُخرى مقابل الأولى وكون الرسول ﷺ يدعو وهو في أُخْراهُمْ يدلّ على أنّهم تفرقوا عنه ﷺ وهم سواد ممتد على طوائف أُولاهُمْ مبتعدون عنه ﷺ وأُخْراهُمْ بقرب منه، وهو يدعوهم من غير أن يلتفت إليه لا أُولاهُمْ ولا أُخْراهُمْ فتركوه ﷺ بين جموع المشركين وهم يُصْعِدُوْنَ فراراً من القتل»[٢].

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع.

﴿أَثَٰبَكُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. أي جازاكم ورجع إليكم. «ومادة «ثوب» تدلّ على رجوع الشيء إلى حالته الأُولى حقيقة أو اعتباراً... وتستعمل في الخير والشر»[٣].

﴿غَمّٗا﴾ مفعول به ثانٍ. وهو ما حصل للصحابة الفارِّين المنهزمين التاركين معركة القتال.

﴿بِغَمّٖ﴾ جار ومجرور. والباء: للبدلية: أي متصلاً بغم أو بدل بغم وهو ما حصل للرسول ﷺ .

أو أنّ الغَمَّيْنِ حصلا للصحابة بل غَشِيَتْهُمْ غُمومٌ كثيرةٌ من فرارهم ومعصيتهم وقتل إخوَانِهم وانتصار المشركين في أُحُدٍ و... .

أو يوماً لهم (وهو يوم بدر) ويوماً عليهم (وهو يوم أُحد).

ولكن هذا الغم يعدّ نعمة من الله تعالى بدليل قوله تعالى:

﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ﴾ حرف جر وحرف نصب وحرف نفي وفعل مضارع

---

١. روض الجنان ٥/ ١١١.
٢. الميزان ٤/ ٤٤.
٣. مواهب الرحمن ٦/ ٤٠٩.

منصوب بحذف النون وفاعله، بيان لقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾.

﴿عَلَىٰ مَا﴾ جار ومجرور.

﴿فَاتَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَآ﴾. ومافات هو الغلبة والنصرة والظفر على المشركين وحصول الغنائم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي. ﴿مَآ﴾ معطوف.

﴿أَصَٰبَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَآ﴾. وما أصاب هو الفِرارُ والعصيانُ والقتلُ وَٱلْهَزِيْمَةُ وغلبةُ العَدُوِّ. وَما أَصابَهُمْ بِهاتِيْكَ ٱلْمَعاطِبِ ٱلْفَوادِحِ وَٱلْخَسائِرِ ٱلْقَوادِحِ إلّا بسبب الإثم والعصيان ومخالفة الرسول ﷺ.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿خَبِيرٌۢ﴾ خبره. أي عليهم بما ظهر وبطن. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ولا يخفى عليه أعمالكم ونيّاتكم وفيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية.

## روايةٌ

عن رسول الله ﷺ: الايمانُ بالقَدَرِ يُذْهِبُ ٱلْهَمَّ والحُزْنَ.[١]

**الروايات الواردة حول الغم كثيرة فإن شئت راجع موسوعتي[٢] وكذا ما ورد حول الحزن فراجعها[٣] أيضاً.**

---

١. روض الجنان ٥/ ١١٥.
٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٨/ ١٧٢.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٣/ ١٣١.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿١٥٤﴾

المقاتلون المجاهدون في أُحُد كانوا على طائفتين: الأولىٰ: المؤمنون النادمون ٱلْجَازِمُوْنَ بالاسلام وأنّه سوف يَنْتَصِرْ ويُظهره الله على جميع الأديان تصديقاً بالنبي ﷺ . الثانية: المنافقون ٱلْفَارُّوْنَ منهم عبدالله بن أُبيّ ومتعب بن قشير وأتباعهما وأمثالهما. والآيةالشريفة تشير إلى الطائفتين.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿أَنزَلَ﴾ فُعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿عَلَيْكُم﴾ جار ومجرور متعلّق به ﴿أَنزَلَ﴾.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. وقد مرّ معنى الغمّ في الآية السابقة.

﴿أَمَنَةً﴾ مفعول به. مصدر وهو بمعنى الأمن. ويحتمل[1] أن تكون ﴿أَمَنَةً﴾ جمع آمن كطالب وطلبة، وهو حينئذٍ حال من ضمير ﴿عَلَيْكُم﴾.

﴿نُّعَاسًا﴾ بدل. نوم خفيف أو ما يتقدّم على النوم من الفتور، والنعاس هو الأمنة.

﴿يَغْشَىٰ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى النعاس ومن قرأ بالتأنيث أرجع ضميره إلى الأمنة. الغشيان: الإحاطة.

---

١. ذكره في الميزان ٤/ ٤٦.

﴿طَآئِفَةً﴾ مفعول به. فالنعاس يغشى طائفة منهم وهو الطائفة الأولى المؤمنون النادمون.

﴿مِّنكُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى الصحابة المؤمنين النادمين الفارّين.

﴿وَ﴾ حرف استئناف ويمكن أن تكون حالية.

﴿طَآئِفَةٌ﴾ مبتدأ. شروع في ذكر الطائفة الثانية وهي المنافقون.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَهَمَّتْهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث ومفعول به، أي اهتمامهم لم يكن إلّا بـ .

﴿أَنفُسُهُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه، والجملة ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ في موضع الحال.

﴿يَظُنُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر مبتدأ ﴿طَآئِفَةٌ﴾.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. ﴿غَيْرَ﴾ مفعول مطلق. ﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه.

﴿ظَنَّ﴾ نائب مفعول مطلق. والمراد به هنا الاعتقاد.

﴿ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ مضاف إليه. فيكون هذا الظن كظنون الجاهلية ٱلْباطِلَة.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، هذه مقالتهم الأولى.

﴿هَل﴾ حرف استفهام، والاستفهام هنا إِنكارِيٌّ.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ جار ومجرور، والمراد بالأمر هو الحقّ والحقّانية ومصداقها عندهم هو الظفر والغلبة.

﴿مِن شَىْءٍ﴾ جار ومجرور. قد يقال بأنّ ﴿مِن﴾ زائد. و ﴿شَىْءٍ﴾ يكون مبتدأ مؤخر.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت خطاباً للرسول الأعظم ﷺ .

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿ٱلْأَمْرَ﴾ اسمه، مرّ معناه. ﴿كُلَّهُۥ﴾ تأكيد ومضاف إليه.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿إِنَّ﴾. فأخبرهم بواسطة النبي ﷺ ـ إعراضاً لهم ـ بأنّ الحقّ والحقّانية والغلبة والظفر كلّها من الله تعالى بل يختص به. لأنّه هو الحقّ المطلق.

﴿يُخۡفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله وهم الطائفة الثانية. تأكيد لظنّهم الباطل.

﴿فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿مَّا﴾ مفعول به. وهو الشك والنفاق والشقاق وتكذيب مواعيد الرسول ﷺ والتشكيك فيها وبالجملة الكفر.

﴿لَا﴾ حرف نفي. ﴿يُبۡدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿لَكَ﴾ جار ومجرور. وضمير الخطاب يرجع إلى رسول الله ﷺ .

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، هذه مقالتهم الثانية وتشكيك منهم في قالب برهان.

﴿لَوۡ﴾ حرف شرط. ﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور، خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿مِنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ جار ومجرور، قد مرّ معنى الأمر. ﴿شَيۡءٞ﴾ اسمه.

﴿مَّا﴾ حرف نفي. ﴿قُتِلۡنَا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله.

﴿هَٰهُنَا﴾ حرف تنبيه. ﴿هُنَا﴾ مفعول فيه (ظَرْفُ مَكانٍ). اشارة إلى معركة أُحد.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله أنت، يرجع إلى رسول الله ﷺ لم يتكلّم الله تعالى معهم إعراضاً لهم.

﴿لَّوۡ﴾ حرف شرط. ﴿كُنتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة. والضمير اسمه.

﴿فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبره.

﴿لَ﴾ حرف جواب. ﴿بَرَزَ﴾ فعل ماض. البروز: الظهور.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعله. ﴿كُتِبَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول. أي قُدر.

﴿عَلَيۡهِمُ﴾ جار ومجرور. ﴿ٱلۡقَتۡلُ﴾ نائب فاعل.

﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. المضاجع: جمع مضجع وهو في المقام المصرع الذي قُدر القتل فيه.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو مقحمة.

﴿لِ﴾ حرف نصب وما بعده بيان لإحدى وجوه ما وقع لهم.

﴿يَبۡتَلِيَ﴾ فعل مضارع منصوب، الابتلاء: الامتحان، أضافه إلى الله تفخيماً

لشأنه.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَا﴾ مفعول به.

﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لِ﴾ حرف نصب ومابعده بيان آخر للثانية من وجوه ما وقع لهم.

﴿يُمَحِّصَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر. التمحيص: التخليص. من سوء الاعتقاد والأعمال.

﴿مَا﴾ مفعول به. ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبره.

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. وفيه تَحْذِيْرٌ وترغيب.

وَيستفاد من الآية الشريفة أمور:

الأوّل: إبطال زعمهم بأنّ الحقّ لابدّ أن لا يغلب، وأنّ المؤمن لابدّ أن يكون حليفه النصر دائماً، فإنّ مقادير الأُمور وتدبيراتها كلّها بيد الله ﷻ، وأنّ النصر والظفر ـ كسائر الأُمور ـ إنّما تدخل تحت سنّة إلهية، وهي جريان الأُمور بأسبابها.

الثاني: أنّ مَن قُتل في المعركة إنّما كان بتقدير الله تعالى وقضائه، وليس قتله كان لأجل عدم كونه على الحقّ وعدم الأمر له، بل لأنّ القضاء الإلهي إذا تعلّق بذلك فلا رادّ لقضائه ولا مناص من وقوعه، فلو لم يخرج أحد من بيته لبرز مَن تعلّق قضاؤه بمصرعه إلى مضجعه، بل لو لم يخرجوا إلى القتل وكتب الله عليهم القتل والموت، لماتوا وقُتلوا وهم في بيوتهم، لفرض تَعَلُّقِ القضاء والقدر بذلك.

الثالث: أنّ تلك سنّة إلهية محكمة تتعلّق بالإنسان، لأجل الاختبار والامتحان والتمحيص وتمييز الحقّ عن الباطل.[1]

## روايتان

في تفسير الحبري: نزلت في عليٍّ عليه السلام غشية النعاس يوم أُحُدٍ.[2]

عن الحسين بن أبي‌العلاء عن أبي‌عبدالله عليه السلام وذكر يوم أُحُد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١. مواهب الرحمن ٦/ ٤١٥.

٢. تفسير الحبري / ٢٤٩.

كُسِرَت رَبَاعِيته[١] وإنّ الناس وَلوّا مُصْعِدين في الوادي، والرسول يدعوهم في أخريهم، فأثابهم غمّاً بغمّ، ثمّ أنزل عليهم النُّعاس.

فقلت: النُّعاس ما هو؟ قال: الهَمّ فلما استيقظُوا قالوا: كَفَرنا[٢]، وجاء أبوسفيان فَعَلا فوق الجبل بآلهه هُبَل فقال: أُعْلُ هُبَل. فقال رسول الله ﷺ يومئذ: الله أعلى وأجل، فَكُسِرَت رَبَاعِية رسول الله واشْتَكَت[٣] لَثّته وقال: نَشَدْتُك يا ربّ ما وعدتني فإنّك إن شئت لم تُعْبَد.

وقال رسول الله ﷺ : يا عليّ أين كنت؟ فقال: يا رسول الله لَزِقْتُ بالأرض[٤]، فقال: ذاك الظنُّ بك، فقال: يا عليّ ائتني بماءٍ أغْسِلُ فمي، فأَتاهُ في صَحْفَةٍ[٥] فإذا رسول الله قد عافَهُ، وقال: ائتني في يدك فأتاه بماءٍ في كَفّه، فَغَسَل رسول الله عن لحيته.[٦]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾

الآية نزلت في شأن الذين فرّوا من غزوة أُحُد وتستفاد منها دروسٌ كثيرةٌ.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، جاء للتأكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه.

﴿تَوَلَّوْاْ﴾ خبره، في يوم أُحُد؛ إِذْ فَرُّوا مِن ساحة القِتالِ في ذلك الموقف العصيب وَتَوَلَّوا مُدْبِرِيْنُ مُصْعِدِيْنَ لا يَلْوُوْنِ علىٰ شيءٍ وَفَرَّ بعضهم إلىٰ المدينة، ومن المعلوم المُقرّر في الشّرع الشريف المُطهّر أَنَّ الفِرار من الزَّحْفِ من الكبائر بِلا خِلاف.

---

١. الرَبَاعِية: السِنُّ التي بين الثَنِيّة والناب.

٢. قال العلّامة المجلسي ﷺ في بحارالأنوار ٢٠/ ٩١، ح٢٠، قوله: «النعاس ما هو؟» أي ما سببه؟ وقوله: «قالوا: كفرنا» أي بما تكلموا في نعاسهم من كلمة الكفر، أو بتقصيرهم في إعانة الرسول ﷺ .

٣. لعل الصواب: وشُكَّت.

٤. أي لم أفِرّ ولم أبرح مكاني.

٥. الصحفة: القصعة الكبيرة.

٦. تفسير العياشي ١/ ٣٤٢، ح١٥٥.

﴿مِنكُمۡ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى المسلمين المؤمنين المجاهدين المقاتلين يوم أُحد.

﴿يَوۡمَ﴾ مفعول فيه.

﴿ٱلۡتَقَى﴾ فِعْلٌ ماضٍ من باب افتعال فمصدره الالتقاء.

﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ فاعله. وهما جمع من المسلمين وجمع من المشركين في معركة أُحُد.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر وما بعدها العلّة المنحصرة لتولي الفارين من غزوه أُحُد.

﴿ٱسۡتَزَلَّهُمُ﴾ فعل ماض من باب الاستفعال، ومفعول به. الاستزلال: هو طلب الوقوع في الزلل والخطيئة والعصيان والانحراف.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فاعله. استزلال الشيطان إيّاهم هو إرادته وقوعهم في الزّلّة.

﴿بِ﴾ الباء للسببية. «وأمّا احتمال كونها للآلة وكون ما كسبوا عين توليهم يوم الالتقاء فبعيد من ظاهر اللفظ فإنّ ظاهر ﴿مَا كَسَبُواْ﴾ تقدّم الكسب على التولي والاستزلال»[١].

﴿بَعۡضِ﴾ مجرور الباء. يأخذهم الشيطان ببعض سيئاتهم لا كلّها لأنّ البعض يكفيه ويفيده في مطلوبه وهو استزلال المؤمنين.

﴿مَا﴾ مضاف إليه.

﴿كَسَبُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ليس ﴿مَا كَسَبُواْ﴾ إلّا الإثم والعصيان والذنب فاكتساب هذه الأُمور يوجب استزلال الشيطان لهم لأنّ السيئات يدلّ بعضها على البعض والآثم والمذنب ينتقل من الصغير إلى الكبير ومن القليل إلى الكثير إلى حدّ يبلغ إلى التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[٢].

قال الشيخ: «قيل في الكسب الذي أداهم إلى الفرار الذي اقترفوه قولان:

أحدهما: محبّتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة، وفي ذلك الوجه عمّا يؤدي إلى الفتور فيما يلزم من الأُمور على قول الجبائي.

---

١. الميزان ٤/ ٥١.

٢. سورة الروم/ ١٠.

والثاني: ذكره الزجاج، استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم، فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها، والخروج من المظلمة فيها»[١].

﴿وَ﴾ حرف قسم. ﴿لَ﴾ حرف جواب. ﴿قَدۡ﴾ حرف تحقيق.

﴿عَفَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ، لأنّ المؤمنين الفارين تابوا واستغفروا من ذنبهم وفرارهم.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَنۡهُمۡ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى المؤمنين الذين فرّوا لا المنافقين الفارين الذين كانوا في الواقع من الكافرين. فالعفو الوارد في الآية الشريفة ليس بمطلق حتّى يشمل جميع من تولّىٰ يؤمئذ كما في الميزان.[٢]

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿غَفُورٌ﴾ خبره، عفا الله عنهم لأنّه غفور حليم. فالجملة في مقام التعليل لما قبله.

﴿حَلِيمٌ﴾ خبره الثان. «أصل الحلم: الإناة وهي ترك العجلة، فالإمهال بفعل النعمة بدلاً من النقمة كَالأَناة بترك العجلة»[٣].

قال الشيخ: «وفي الآية دليل على فساد قول المجبرة: من أنّ المعاصي من الله، لأنّه تعالى نسب ذلك في الآية إلى استزلال الشيطان»[٤].

## الروايات

وفي تفسير العياشي رفعه عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أحدهما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ فهو في عُقبة بن عثمان وسعد بن عثمان.[٥]

**وهما أخوان من الأنصار فأقاما خارج المدينة ثلاثاً ثمّ رجعا فقال لهما رسول الله ﷺ ومعهما**

---

١. التبيان ٣/ ٢٥.
٢. الميزان ٤/ ٥١.
٣. التبيان ٣/ ٢٥.
٤. التبيان ٣/ ٢٦.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٤٣، ح١٥٦.

**عثمان بن عفان: «لقد ذهبتم فيها عريضة»[١].**

وعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحُد نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ الله قد وَعَدني أن يُظْهِرَني على الدِّينِ كلِّه، فقال له بعض المنافقين وسمّاهما: فقد هُزِمنا وتَسْخَر بنا.[٢]

وعن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ قال: هم أصحاب العَقَبة.[٣]

رُوي عن عمر أنّه قال: رأيتني أصعد في الجبل كأنّي أرْوَىٰ.[٤]

**أرْوَىٰ: ضأن الجبل جمعه أروية.**

وفي تفسير الطبري بإسناده إلى كُلَيب قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها فلمّا انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ قال: لما كان يوم أُحُد هُزمنا ففررتُ حتّى صعدتُ الجبل فلقد رأيتني أنزو كأنّني أرْوَىٰ... .[٥]

وفي تفسير الثعلبي: جاء رجلٌ إلى ابن عمر فسأله عن عثمان أ كان شهد بدراً؟ قال: لا، قال: أ كان شهد بيعة الرضوان؟ قال: لا، قال: أ فكان من ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ قال: نعم، ... .[٦]

وقال الشيخ: وعثمان انهزم فلم يرجع إلّا بعد ثلاثة أيّام فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لقد ذهبت فيها عريضة.[٧]

«واتفق جميع المفسرين وأهل السير والتاريخ على أنّ الإمام [أميرالمؤمنين] علي

---

١. تاريخ الطبري ٢/ ٥٥٢؛ وتفسير الطبري ٤/ ١٨٤؛ والتفسير الكبير ٩/ ٥٠ للفخر الرازي؛ والدر المنثور ٢/ ٣٥٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٤٤، ح١٥٧.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٤٤، ح١٥٨.
٤. التبيان ٣/ ٢٦؛ مجمع البيان ٢/ ٥٢٤.
٥. تفسير الطبري ٤/ ١٨٢.
٦. الكشف والبيان ٣/ ١٨٨.
٧. التبيان ٣/ ٢٦؛ مجمع البيان ٢/ ٥٢٤.

بن أبي طالب عليه السلام كان مع الثابتين»[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾

في الآية الشريفة إشارةٌ إلىٰ إشاعة الأسف والحسرة ٱلْوارِدَيْنِ في قلوب المؤمنين بالنسبة إلى فقدان ذَوِيْهِمْ في غزوة أُحُد توسط المنافقين الذين كانوا في الواقع كفاراً والجواب عنه.

﴿يَا﴾ حرف نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ منادى وها التنبيه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدله.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. المخاطَب في الآية الشريفة المؤمنين الذين فقدوا النفس والنفيس في غزاة أُحُد. نهاهم الله أن يكونوا مثل الذين كفروا في مقالتهم.

﴿لَا تَكُونُواْ﴾ فعل نهي من الأفعال الناقصة وفاعله ٱسْمُ كان.

﴿كَٱلَّذِينَ﴾ جار ومجرور خبر كان.

﴿كَفَرُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. وهم عبدالله بن أُبي بن سلول وأصحابه كما في تفسير القمي[٢] ونقله الشيخ[٣] عن مجاهد والسُّدّي. ومن المعلوم أنّه رأس المنافقين في المدينة وهو من الأنصار وأكثر الشهدا والجَرْحي كانوا منهم وما قُتل من المهاجرين إلّا أربعة «وهذا يقوي الحدس أنّ معظم المقاومة كانت من ناحية الأنصار وأنّ الهزيمة أسرعت إلى المهاجرين قبلهم»[٤].

تذكر الآية المنافقين بعنوان الكفار لأنّهم منهم وهذه المقالة مقالتهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿قَالُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. وهذه المقالة من الكافرين.

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٨٤.
٢. تفسير القمي ١/ ١٢١.
٣. التبيان ٣/ ٢٦.
٤. الميزان ٤/ ٥٤.

﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه والضمير يرجع إلى الكفار. واللام للشأن أي في شأنهم أو تعليلية أي لأجلهم. والتعبير بالأخوة بجهة أنّ المنافقين يدّعون الإيمان.

﴿إِذَا﴾ مفعول فيه، أي حين.

﴿ضَرَبُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله يرجع إلى الإخوان، أي سافروا في الأرض للتجارة أو طلب المعيشة. والضرب في الأرض: السير فيها.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جار ومجرور. ﴿أَوۡ﴾ حرف عطف.

﴿كَانُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة وفاعله اسمها.

﴿غُزًّى﴾ خبر كان. جَمْعُ غازٍ كطالب وَطُلَّب، وشاهد وشُهَّد. وهو المجاهد والمقاتل في سبيل الله.

﴿لَّوۡ﴾ حرف شرط. ﴿كَانُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة وفاعله اسمه.

﴿عِندَنَا﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. وجملة ﴿كَانُواْ عِندَنَا﴾ شرط.

﴿مَا مَاتُواْ﴾ حرف نفي وفِعْلٌ ماضٍ وفاعله يرجع إلى المسافرين.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَا قُتِلُواْ﴾ حرف نفي وفعل ماض مجهول ونايب فاعله يرجع إلى المقاتلين. وجملة ﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ جواب الشرط.

﴿لِ﴾ حرف نصب. ومتعلقة بـ ﴿لَا تَكُونُواْ﴾ كهؤلاء الكفار في هذا القول منهم ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ دونكم. هذا هو قول الفَرّاء. والثاني: أنّها [اللام] للعاقبة أي قالوا ذلك ليجعله حسرة وهذا قول أبي علي.[١]

والثالث: أنّها [اللام] للغاية من قبيل وضع المغيّىٰ موضع الغاية ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً﴾ أي ليعذبهم بها.[٢]

والرابع: انّها [اللام] لام كي والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها.[٣]

---

١. راجع التبيان ٣/ ٢٧.
٢. راجع الميزان ٤/ ٥٥.
٣. التفسير الكاشف ٢/ ١٨٥.

﴿يَجْعَلَ﴾ فعل مضارع منصوب. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعول به، يرجع إلى هذا الاعتقاد وهذه المقالة.

﴿حَسْرَةً﴾ مفعول به ثانٍ. يعذّبهم الله بها، ولكن قال الشيخ: «والحسرة عليهم في ذلك من وجهين:

أحدهما: الخيبة فيما أملوا من الموافقة لهم من المؤمنين، فلمّا لم يقبلوا منهم كان ذلك حسرة في قلوبهم.

والآخر: ما فاتهم من عزّ الظفر والغنيمة»[١].

أو الحسرة على فقدان ذَوِيْهِمْ وأهلهم وإخوانهم وعشيرتهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الكفار.

﴿وَ﴾ حرف استئناف، والجملة ما بعده بيان لواقعية الأمر الذي أخطأ فِيْهِ ٱلْمُنَافِقُوْنَ ٱلْكَافِرُوْنَ الذين مرّت مقالتهم وفِيْها من الاحتجاج عَلَيْهِم ما لا يَخْفىٰ.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يُحْيِۦ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يرجع إلى الله خبر. يدلّ على الاستمرار.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يُمِيتُ﴾ معطوف، وهذا الموت عام يشمل الموت العادي والقتل. فالله تعالى هو الذي ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ لا الضرب في الأرض ولا الغزىٰ ولا البقاء عند الأهل والحضر، فالقرب والبعد من ٱلْأُسْرَة والوطن ليس بمحيي ومميت بل إنّهما يختصان بالله تعالى وبالجملة: الآجال كلّها بيد الله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف، وما بعدها في موضع التعليل لقوله: ﴿لَا تَكُونُواْ﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿بَصِيرٌ﴾ خبر. أي مبصرٌ أو عليمٌ.

«وفي الآية الشريفة كمال الترهيب عن المعصية والترغيب في الطاعة، والتهديد للمؤمنين عن المماثلة مع الكفّار، فليتّقوا الله في تركها»[٢].

---

١. راجع التبيان ٣/ ٢٧.

٢. مواهب الرحمن ٦/ ٤٢٩.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

بيّنت الآية الشريفة جواباً آخر من مقالة الكافرين المنافقين وهو:

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف. ﴿لَ﴾ للقَسَم. ﴿إِن﴾ شرطية.

﴿قُتِلْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجزوم محلّاً بإنْ شرطيةٌ جازِمةٌ، مجهول، والضمير نائب فاعله. قدم القتل على الموت؛ لأنّ القتل في سبيل الله أقرب من المغفرة بالنسبة إلى الموت.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. «وكلّ من دافع عن الحقّ أو عن نفسه بسيفه أو قلمه أو لسانه وقُتل فقد قُتل في سبيل الله»[1].

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿مُتُّمْ﴾ معطوفه فِعْلٌ ماضٍ مجزوم محلّاً والضمير فاعله. وكلّ من كافح وقاوم وناضل من أجل الدين أو أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم أو العلم أو مقاومة العدوّ أو الدفاع عن الوطن أو ما ينفع الناس ومات فقد مات في سبيل الله.

﴿لَ﴾ جواب للقسم، وجواب إن الشرطية محذوف يدلّ عليه جواب القسم.

﴿مَغْفِرَةٌ﴾ مبتدأ، غفران الذنوب والصفح عنها والعفو.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور والمغفرة لا تكون إلّا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿رَحْمَةٌ﴾ معطوف على ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ والمراد بها الثواب والجنة.

﴿خَيْرٌ﴾ خبر. ﴿مِّمَّا﴾ جار ومجرور.

﴿يَجْمَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد به هو المال لأنّه هو غاية آمال أهل الدنيا والذين يريدون البقاء فيها ولم يخرجوا للسفر أو القتال والجهاد. وإن كان كلّ شيءٍ من المقاصد الدنيوية يدخل في إطلاق ﴿مِّمَّا﴾.

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٨٦.

## الروايات

في تفسير العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألتُهُ عن قول الله: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ قال لي يا جابر أتدري ما سبيل الله؟ قال: لا أعلم إلّا أنْ أسمعه منك، فقال سبيل الله عَلِيٌّ وذُرِّيَّتُهُ عليهم السلام، ومَنْ قُتل في ولايتهم قُتل في سبيل الله، ومن مات في ولايتهم مات في سبيل الله..[١]

**رواها الصدوق مسنداً في معاني الأخبار[٢].**

وعن عبدالله بن المغيرة عمّن حدّثه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئل عن قول الله: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ قال: أتدري يا جابر ما سبيل الله؟ فقلت: لا والله إلّا أنْ أسمعه منك.

قال: سبيل الله عَلِيٌّ وذُرِّيَّتُهُ، فمن قُتِل في ولايته قُتِل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله، ليس مَن يُؤمن من هذه الأُمّة إلّا وله قَتْلةٌ ومِيتةٌ، قال: إنّه من قُتِل يُنْشَر حتّى يَمُوت، ومن مات يُنْشَر حتى يُقْتَل.[٣]

**رواها الحسن بن سليمان الحلي في مختصر البصائر[٤] مسنداً.**

**قال السَّيِّدُ السبزواري: «هذا من باب التطبيق وذكر أحد المصاديق، لأنّه ورد من الموت في سبيل الله، الموت في طريق الحجّ والجهاد، كما ورد أيضاً في الموت في سبيل الله الموت في تعلّم الأحكام وتحصيلها، والموت في المشي إلى الصلاة»[٥].**

وقال عليه السلام: من مات غريباً مات شهيداً.[٦]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤٤، ح١٥٩.
٢. معاني الأخبار / ١٦٧، ح١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٤٥، ح١٦٢.
٤. مختصر البصائر / ١١١، ح٣١.
٥. مواهب الرحمن ٦/ ٤٣٣.
٦. روض الجنان ٥/ ١٢٢.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَ﴾ للقَسَم أو للتأكيد. ﴿إِن﴾ شرطية وجازمة.

﴿مُّتُّمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجزوم محلّاً. قدّم الموت لأنّ الطبيعة الأوّلية عليه وهو أعم من القتل.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿قُتِلْتُمْ﴾ معطوف، فِعْلٌ ماضٍ مجهول مجزوم محلّاً والضمير نائب فاعله.

﴿لَ﴾ جواب للقسم وجواب إن الشرطية محذوف كما مرّ في الآية السابقة لأنّ جواب القسم يدلّ عليه. هذا بناءً على أنّ «اللام» في أوّل الآية للقسم، وأمّا إذا كان للتأكيد فيكون هذا «اللام» جواباً للشرط.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ جار و مجرور.

﴿تُحْشَرُونَ﴾ فعل مضارع مجهول والضمير نائب فاعله. أي يُرجعون إلى الله. فكل مَنْ يموت يُحشر إلى الله تعالى فيعامله بعفوه ورحمته ومغفرته كما مرّ في الآية السابقة إذا كان مؤمناً إن شاء الله تعالى.

ولكن قال الشيخ: «معنى الآية الحث على الجهاد وترك التقاعد. ويقال أن الله يحشر العباد ليجزي كلّ واحد على ما يستحقه: المحسنُ على إحسانه والمسيءُ على إساءته سواء قُتل أو مات كيف تصرفت به الحال»[١].

**الروايات**

في تفسير العياشي عن زُرارة قال: كَرِهت أن أَسْأَلَ أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة واْسْتَخْفَيتُ ذلك، قلت: لَأَسْأَلَنَّ مسألة لطيفةً أبْلُغُ فيها حاجتي، فقلتُ: أخبرني عمّن قُتل أمات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، قلتُ: ما أحد يُقْتَلُ إلّا وقد مات؟ فقال: قول الله أصدق من قولك، فرق بينهما في القرآن فقال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[٢]

---

١. التبيان ٣/ ٣٠.

٢. سورة آل عمران / ١٤٤.

وقال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ وليس كما قلتَ يا زرارة الموت موت والقتل قتل.

قلت: فإنَّ الله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١] قال: مَنْ قُتل لم يُذِق الموت، ثمّ قال: لابُدَّ من أن يَرْجِع حتّى يَذُوقَ الموت.[٢]

**رواها الشيخ الحسن بن سليمان الحلي في مختصر بصائر الدرجات[٣] للشيخ سعد بن عبدالله الأشعري القمي بسند صحيح.**

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ وقد قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؟

فقال أبوجعفر عليه السلام: قد فَرَّق اللهُ بينهما.

ثمّ قال: أكنتَ قاتلاً رجلاً لو قَتَل أخاك؟ قلت: نعم، قال عليه السلام: فلو مات موتاً أكنتَ قاتلا به أحدا قلت: لا، قال: الا ترى كيف فَرّق الله بينهما.[٤]

**قال السَّيِّدُ السبزواري: «لا ريب في اختلاف أصناف الموت وأنواعه، ولا ربط لأحد الأصناف والأنواع بالآخر، فذات الموت شيء والقتل شيء آخر، وإن كان الأخير سبباً له، وهو عليه السلام يبيِّن منشأ الخلاف، وَٱلرَّاوِيْ تمسَّك بذكر جنس الموت كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.**

**ويحتمل أن تكون هذه الرواية إشارة إلى تعدّد الموت والقتل بحسب تعدّد العوالم، فمَن مات في هذا العالم يمكن أن يُقتل في عالم الرجعة، والعكس بالعكس، كما وردت به روايات متعدِّدة يأتي ذكرها في الآيات المناسبة لها إن شاء الله تعالى»**[٥].

ونُسب إلى الإمام سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام أنّه أنشأ:

فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَبْدانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ ... فَقَتْلُ ٱمْرِئٍ بالسَّيْفِ في الله أَفْضَلُ[٦]

---

١. سورة آل عمران / ١٨٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٤٤، ح١٦٠.
٣. مختصر البصائر / ٩٢، ح٧.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٤٥، ح١٦١.
٥. مواهب الرحمن ٦/ ٤٣٣.
٦. مجمع البيان ٢/ ٥٢٦.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾

خطاب إلى الرسول الخاتم ﷺ يوضّح ما منّ الله عليه من صفاته الكريمة ويبيّن فضله العظيم وَيَشْتَمِلُ على أهمّ الأُمور التي لابدّ لِـمَنْ يتصدى لِلْأَمْرِ من المؤمنين أن يعفو عنهم ويشاورهم ويتوكّل على الله إذا عزم في الأُمور كلّها. وفي الآية التفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب النبي ﷺ لأنّهم بعد ما صدر عنهم لا يستحفون الخطاب الإلهي.

﴿فَ﴾ حرف استئناف، أو حرف عطف «لترتيب مضمون الكلام على ما سبق»[١].

﴿بِ﴾ حرف جر وهي للسببية.

﴿مَا﴾ حرف زائد «بإجماع المفسرين ذهب إليه قتادة والزَّجّاج والفَرّاء وجميع أهل التأويل. ومثله قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ﴾[٢] فجاءت ﴿مَا﴾ مؤكدة للكلام وسبيل دخولها لحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر، وكلّ ذلك تأكيد ليتمكن المعنى في النفس فجرىٰ مجرىٰ التكرير.

قال الحُسين[٣] بن علي المغربي عندي أن معنى ﴿مَا﴾ أيّ وتقديره فبأيّ ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف»[٤].

وذهب جماعة إلى أنّ ﴿مَا﴾ نكرة بمعنى شيء و ﴿رَحْمَةٍ﴾ بدل منها.

وجماعه أُخرى إلى أنّ ﴿مَا﴾ لتفخيم قدر الرحمة التي لانَ بها لهم.

---

١. مواهب الرحمن ٧/ ٦.

٢. سورة المؤمنين / ٤٠.

٣. وهو الوزير المغربي المتوفى عام ٤١٨، العالم الأديب النحوي وهو ابن بنت النّعماني صاحب كتابِ «الغيبة» فيصير سبطه ﷺ راجع تكملة أمل الآمِل ٢/ ٤٩٠، رقم ٥٨٢.

٤. التبيان ٣/ ٣١.

وثالثة إلى أنّ ﴿مَا﴾ استفهامية للتعجّب والتقدير والتنوين في ﴿رَحْمَةٍ﴾ للتفخيم.

فهذا خمسة أقوال في معنى ﴿مَا﴾.

﴿رَحْمَةٍ﴾ مجرور حرف جر إذا كان ﴿مَا﴾ زائد، ولو رفعت كان جائزاً على تقدير فبما هو رحمة. وقد مرّ باقي الأقوال فيها. لأنّ رحمة الله واسعة ورحمته وسعت كلّ شيءٍ وسبقت رحمته غضبه و «لا يشغله غضب عن رحمته» ولذا جعل رسوله ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور.

﴿لِنتَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. من أصل لَيَنَ ومعناه: ضد الخشونة والصلابة والشدّة. وقد قال الله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط.

﴿كُنتَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجزوم من الأفعال الناقصة والضمير المتصل فاعله واسم كان.

﴿فَظًّا﴾ خبر كان. الفظ: الجافي والغليظ القلب القاسي، وأصل الفظاظة: الجفوة. «رجلٌ فَظٌّ: ذو فظاظة أي فيه غِلَظٌ في منطقه وتَجَهُّمٌ. والفَظَظُ: خُشُونةٌ في الكلام»[٣].

﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ خَبَرٌ ثانٍ لكان ومضاف إليه. والمراد به عدم رقّة القلب ورأفته. ولعلّ الثاني ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ سبب للأوّل ﴿فَظًّا﴾.

قال الشيخ: «إنّما جمع بين الصفتين مع اتفاقهما في المعنىٰ لإزالة التوهم أنّ الفظاظة في الكلام دون ما ينطوي عليه القلب من الحال وهو وَجْهٌ من وجوه

---

١. سورة الأنبياء / ١٠٧.
٢. سورة التوبة / ١٢٨.
٣. كتاب العين / ٧٤٨ للخليل بن أحمد.

التأكيد»[١].

﴿لَ﴾ حرف جواب.

﴿ٱنفَضُّواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والضمير يرجع إلى المؤمنين. الانفضاض: التفرق. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[٢].

﴿مِنْ حَوْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. فالآية ترشد إلى أنّ أهم ما يجب على من تصدىٰ للزعامة والقيادة هي اللينة وعدم كونه ﴿فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ بالنسبة إلى أتباعه والمؤمنين به.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع.

﴿ٱعْفُ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلّة وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ. أمر من الله تعالى بالنسبة إلى ٱلْعَفْوِ عَنِ المؤمنين الخاطئين الفارين من أُحُد وغير أُحُد. ثمّ الأمر الثاني لمن تصدّي للزعامة هو العفو عن الخاطئين الذي يُسَمّى اليوم بالعفو العام.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى المؤمنين. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ، يمكن أن يقال بأنّ هذا الأمر يختص بالرسول الخاتم ﷺ لا غيره لقوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٣].

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى المؤمنين المذنبين من المعلوم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٤].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿شَاوِرْهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ ومفعول به.

---

١. التبيان ٣/ ٣١.
٢. سورة الجمعة / ١١.
٣. سورة النور / ٦٣.
٤. سورة النساء / ٦٤.

وهذا هو الأمر الثالث الذي يجب لمن تصدّىٰ للزعامة وهو المشاورة مع المؤمنين وحيث أمر الله رسوله ﷺ بالمشاورة فَحِسابُ غيره واضح.

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ جار ومجرور. والمراد به الأُمور الدنيوية التي لم يرد فيها حكم شرعي أو أنّ الحكم فيها هو الإباحة بالمعنى الأعم، لا الأحكام الدينية ولا الأحكام الدنيوية التي ورد فيها حكم شرعي.

فالأمر لا يختص بالقتال والحرب ولقاء العدوّ بل يشمل كلّ ما ذكرته.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع. ﴿إِذَا﴾ مفعول فيه.

﴿عَزَمۡتَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والعزم: عقد القلب وأخذ التصميم على اتيان الفعل. والخطاب يختص بالنبي ﷺ يعني هو بعد المشورة يأخذ التصميم النهائي وبعده الإمام عليه السلام يفعل هكذا. ومن يجلس مقامه.

﴿فَ﴾ حرف ربط.

﴿تَوَكَّلۡ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ . التوكل: هو تفويض الأمر إليه تعالى فإنّه أعلم بمصالح العباد وللثقة بحسن تدبيره عزّ وجلّ. وأصله الاتكال: وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج إليه بمن يسند إليه.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف ٱلۡمُشَبَّهَةِ بالفعل، جاء للتأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. خبره.

﴿ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ مفعول به. أي إنّ الله يريد ثوابهم على توكّلهم وإسناد أُمورهم إلى الله تعالى.

## الروايات

في تفسير العيّاشي عن صفوان قال: استأذنتُ لمحمّد بن خالد على الرضا أبي الحسن عليه السلام وأخبرته أنّه ليس يقول بهذا القول، وأنّه قال: والله لا أُريدُ بلقائه إلّا لَأَنْتَهِيَ إلى قوله، فقال: أَدْخِلْهُ فَدَخَل، فقال له: جُعِلتُ فِداك، إنّه كان فَرَطَ منّي شيءٌ وأَسْرَفْتُ على نفسي، وكان فيما يَزْعُمون أنّه كان يُعيبه، فقال: وانا أستغفرُ الله مما كان منّي، فأُحبُّ أن تَقْبَلِ عُذري وتغفر لي ما كان منّي.

فقال: نَعم أقبلُ إن لم أقبل كان إبطال ما يقول هذا وأصحابه ـ وأشار إليَّ بيده ـ ومصداق ما يقول الآخرون ـ يعنى المخالفين ـ، قال الله لنبيه عليه وآله السلام ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ ثمّ سأله عن أبيه فأخبره أنّه قد مضى واسْتَغْفَرَ له.[١]

وفي رواية صَفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام وعن سعد الإسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء أعرابيّ ـ أحد بني عامر ـ فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يَجِده فقالوا: هو بِقُزَح[٢] فطلبه فلم يَجِده، قالوا: هو بِمنى قال: فطَلَبه فلم يَجِده، فقالوا: هو بعَرَفة فطلبه فلم يَجده، فقالوا: هو بالمَشْعَر قال: فَوَجَده في المَوْقِف، قال: حَلُّوا[٣] لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال الناس: يا أعرابيّ، ما أنكَرَك! إذا وَجَدْت النبيّ وسط القوم وَجَدْته مُفَخّماً. قال: بل حَلُّوه لي حتّى لا أسأل عنه أحداً.

قالوا: فإنّ نبيَّ الله أطول من الرَّبْعَة[٤]، وأقْصرَ من الطويل الفاحش، كأنَّ لونَهُ فِضّة وذَهَب، أرْجَل[٥] الناس جُمَّةً[٦]، وأوسع الناس جبهةً، بين عينيه غُرَّة، أقنىٰ الأنف[٧] واسع الجَبين، كثّ اللّحية، مُفلَّج الأسنان، على شَفَته السُّفلى خَالٌ، كأنّ رَقَبَته إبريق فِضَّة، بعيد ما بين مُشَاشَة[٨] المَنْكِبين، كأنَّ بَطْنَه وصَدْرَه سواء، سَبْط البِنان، عظيم البَرَاثن[٩]، إذا مشى مشى مُتَكَفّياً[١٠]، وإذا التفت التفت بأجمعه، كأنّ يَدَه من لِينها مَتْنُ

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤٥، ح١٦٣.
٢. قُزَح: اسم جبل بالمزدلفة، راجع معجم البلدان ٤/ ٣٨٨.
٣. أي اذكروا أوصافه.
٤. الرَّبعة: الوسيط القامة.
٥. الشعر الرَّجِل: الذي بين السبوطة والجُعودة.
٦. الجُمّة: مجتمع شعر الناصية.
٧. القَنَا في الأنف: طُوله ورِقّة أرنبته مع حَدَبٍ في وَسَطه.
٨. المُشَاشَة: واحدة المُشَاش، وهي رءُوس العِظام اللَّينة.
٩. البراثن: جمع بُرثُن، وهو الكفّ مع الأصابع.
١٠. أي: متمايلاً إلى قُدّام.

أرنب، إذا قام مع انسان لم يَنْفَتِل[١] حتّى يَنْفَتِل صاحبُه، وإذا جلس لم يَحْلُل حَبْوَتَه حتّى يَقُوم جَليسه.

فجاءِ الأعرابي، فلمّا نَظَر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعَرَفُه، قال بمِحْجَنِهِ[٢] على رأس ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذَنَب ناقَتِهِ، فأقبلت الناس تقول: ما أجرأك يا أعرابيّ! قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : دَعُوه فإنَّه أديب.

ثمّ قال: ما حاجَتُك؟

قال: جاءتنا رُسُلُك أن تُقيموا الصلاة، وتُؤتوا الزكاة، وتَحُجُّوا البيت، وتغتسلوا من الجَنَابة، وبعثني قومي إليك رائداً أبغي أن أسْتَحْلِفَك وأخشى أن تَغْضَب.

قال: لا أغضب، إنّي أنا الذي سَمّاني الله في التوراة والإنجيل: محمّد رسول الله، المجتبى المصطفى، ليس بفاحش، ولا سخّاب[٣] في الأسواق ولا يتبع السيِّئة السيِّئة، ولكن يتبع السيِّئة الحسنة، فسلني عمّا شِئت، وأنا الذي سَمّاني الله في القرآن ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ فسَل عَمّا شئت.

قال: إنَّ الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ هو أرسلك؟ قال: نعم هو أرسلني. قال: بالله الذي قامت السماوات بأمره، هو الَّذي أنزل عليك الكتاب، وأرسلك بالصلاة المفروضة، والزكاة المعقولة؟ قال: نعم. قال: وهو أمرك بالاغتسال من الجَنَابة، وبالحدودِ كُلِّها؟ قال: نعم. قال: فَإِنّا آمنّا بالله ورسله وكتابه، واليوم الآخر، والبعث والميزان والموقف، والحلال والحرام، صغيره وكبيره، قال: فاستغفر له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له.[٤]

وعن أحمد بن محمّد عن عليّ بن مهزيار قال: كتب إليّ أبوجعفر عليه السلام أن سل فلاناً أن يُشير عليَّ ويتَخيّر لنفسه، فهو يعلم ما يَجُوز في بَلَده، وكيف يُعامل السَّلاطين،

---

١. انفتل: انصرف.
٢. المِحْجَن: عصا معقوفة الرأُس كالصّولَجَان، ولعل المعنى: مال أو أشار بمحجنه.
٣. السّخَب: الصياح.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٤٦، ح١٦٤.

فانّ المَشُورة مباركة، قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في محكم كتابه ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ فإنْ كان ما يَقُولُ ممّا يَجُوز كتبت أُصوّب رأيه، وإن كان غير ذلك رَجَوتُ أن أضعه على الطريق الواضح إن شاء الله ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ قال: يعني الاستخارة.[١]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: من استبدَّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.[٢]

وعنه عليه السلام: ... الاستشارةُ عين الهداية وقد خاطر مَنِ ٱسْتَغْنىٰ برأيه، الحديث.[٣]

ورُوي عن جعفر الصادق عليه السلام: فإذا عَزَمْتُ ـ بالضَّمِّ ـ بمعنىً إذا عزمتُ لك على شيءٍ وأرشدتُك إليه فتوكَّلْ عليَّ ولا تشاوِر بعدَ ذلكَ أحداً»[٤].

**الروايات الواردة في المشاورة كثيرة جداً ذكرت أرْبَعِيْنَ رِوايَةً منها في موسوعة أحاديث أهل البيت[٥] عليهم السلام.**

**وكذلك الروايات الواردة في التوكل فراجع موسوعتي[٦] وقد ذكرت منها عِشْرِيْنَ رِوايَةً.**

## تذكيرٌ في سرّ عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

«خرج أبوه عبدُالله في تجارة إلى الشام، وأُمّه حامل به، وفي عودة أبيه من الشام مرّ بأخواله بني النَّجّار في المدينة، فَمَرِضَ هناك، ومات فقيراً لم يترك لولده شيئاً سوى خمسة من الإبل، وقطيع من الغنم، وجارية هي بركة الحبشية، تُكنى أم أيمن، كانت دايته، ومن جملة حواضنه. ولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمكة عام الفيل في شهر ربيع الأول الموافق شهر آب سنة ٥٧٠ ميلادية كما قيل.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤٨، ح١٦٥.
٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٥١.
٣. نهج البلاغة، الحكمة ٢٠١.
٤. جوامع الجامع ١/ ٢١٦؛ مجمع البيان ٢/ ٥٢٧.
٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٢٦٠.
٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩٤.

**مُرضعته وكافله:** أرضعته أيّاماً ثُوَيْبَةُ مولاة عمّه أبي لهب، ثمّ أرضعته حليمة السعدية.. وعاش ٦٣ عاماً، منها ٥٣ قضاها بمكة، و ١٠ بالمدينة، ماتت أُمّه وهو ابن ٦، ومات جدّه وهو ابن ٨، فكفله عمّه أبوطالب، ودافع عنه، حتّى النفس الأخير، وعاش معه ٤٢ سنة.

**أوصافه:** ليس بالطويل ولا بالقصير، كبير الرأس، بوجهه استدارة، عريض الجبين، يوشك حاجباه أن يلتقيا، بينهما عرق إذا غضب انتفخ وأحمرّ، أسود العينين، طويل رموش العين، في أنفه تقوس، حسن الثغر، كبير الفم، عظيم اللحية، متموّج شعر الرأس، طويل العنق، عريض الصدر، طويل الذراعين، دقيق الساقين، أبيض اللون، مشرب بحمرة، مشدود العضلات، ليس في جسده استرخاء ولا ترهل.

كان إذا غضب اُحْمَرَّ وجهه، وإذا حزن أكثر من لمس لحيته، وإذا تكلم أشار بكفه كلّها، وإذا تعجب قلبها، وإذا استغرق في الحديث ضرب راحة يده اليمنى ببطن إبهامه اليسرى، وإذا رأى ما يكره أشاح بوجهه، وإذا عطس غطى وجهه، وكان يضحك، حتّى تبدو نواجذه، وكان أكثر الناس تبسماً. وكان في طعامه لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، وإذا لم يجد الطعام صبر، حتّى انّه ليربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان يمرّ عليه الشهر لا يجد ما يخبزه، وبعث يشتري من يهودي على أن يؤجلٍ الدفع، فرفض، وقال: ما لمحمّد زرع ولا ضرع، فمن يسدد؟

ولم يملك قميصين معاً، ولا رداءين، ولا إزارين، ولا نعلين.. وكانت له حصيرة ينام عليها في الليل، ويبسطها في النهار، فيجلس عليها، ونام عليها، حتّى أثرت في جنبه، وله مخدة من جلد، حشوها ليف، وكان إذا نام يضع يده تحت خدِّه، وينام على جنبه الأيمن، وكان يخصف النعل، ويرقع القميص، ويركب الحمار، هذا وثروة الجزيرة العربية طوع أوامره... ولكنّه كان يعطي كلّ ما يصل منها إليه عطاء من لا يخشى الفقر، كما وصفه أعرابيّ.

**النبي والفقر:** وليس معنى هذا أنّه كان يحب الفقر، ويرضى به.. كلّا، بل كان يستعيذ منه، ويقول: اللهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة والذلّة... وأعوذ بك من العجز والكسل... وأعوذ بك من أن أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ... لم يكن النبيُّ يحبُّ الفقر،

ويرضى به... ولكن ما دام يعيش في مجتمع فيه فقراء فخير الأنظمة، والحال هذه، هو النظام الذي يجعل الحاكم في جانب الفقراء، ويساوي بينه وبينهم في المأكل والملبس والمسكن... ولا شيء أعظم ظلماً وجريمة من أن يشبع الحاكم، وفي رعيته جائع واحد... قال أميرالمؤمنين عليٌّ: إنّ اللهَّ فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره، أي لا يهيج به ألم الفقر فيهلكه. وقال: أ اقنع من نفسي بأنْ يُقال: أميرالمؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر.

**مراتب دعوته:** أنذر النبيُّ أوّل مَنْ أنذر عشيرته الأقربين، وذلك حين نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] فأولم لهم ودعاهم، وقال لهم فيما قال: «فأيكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم». فأحجموا جميعاً إلا عليّ بن أبي طالب قال: أنا يا نبي الله. فأخذ برقبته، وقال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ثمّ دعا النبي ﷺ قومه العرب، ثمّ كلّ مَنْ بلغه الدعوة من الأوّلين والآخرين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٢]. أما غيره من الأنبياء فقد أُرْسِلَ إلى قومه، أو أهل زمانه... ومِنْ ثَمَّ كان نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى وغيرهم يخاطبون الذين يدعونهم إلى الايمان بـ «يا قوم». أمّا محمّد ﷺ فقد خاطب جميع الناس على اختلاف أنواعهم ولغاتهم في كلِّ مصر وعصر: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٣]. ولقد كتب الرسول الأعظم ﷺ إلى ملوك الأرض، وفي طليعتهم كسرى وقيصر، وأرسل إليهم رسله يدعوهم إلى الإيمان برسالته.

**سر عظمته:** كان محمّد ﷺ بَشَراً، ومن وصفه بشيء من صفات الخالق الرازق فقد كفر بالله وبه، ولكن البشر، كلّ البشر من آدم إلى آخر أبنائه ليسوا كمحمّد... والعظيم منهم من اعترف له محمّد بالعظمة والفضيلة... اعترف له بالنص

---

١. سورة الشعراء / ٢١٤.
٢. سورة سبأ / ٢٨.
٣. سورة الأعراف / ١٥٨.

وتعيين الاسم بالذات، أو بالوصف العام الشامل، كقوله: «خير الناس أنفع الناس للناس». أما السر لعظمة محمّد ﷺ فيكمن في أنّه كان يحمل هموم الناس جميعاً، ولا يكلّف قريباً أو بعيداً بشيء من همومه.. كان يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي حاجتهما، ولا يحول دون مقابلته حاجب، وما من أحد صديقاً كان أو عدُوّاً إلّا ويجد عنده الاهتمام به، والعطف عليه، والرعاية له. وليس قولي هذا من وحي العاطفة، ولا من وحي البيئة والتربية... كلّا، إنّه من وحي الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. ومعنى هذا أنّ عطفه واهتمامه ليس وقفاً على عشيرته الأقربين، ولا أتباعه الموالين.. بل هُوَ مُشاع للناس أجمعين أعداء وأولياء... أنّها تماماً كالماء والهواء... كسر قومه رباعيته، وشجّوا وجهه، فقال: اللهم اهد قومي إنّهم لا يعلمون... فلم يكتف أن سأل الله لهم الهداية، حتّى اعتذر عنهم بالجهل وعدم العلم.

ولا غرابة إذا لم يغضب محمّد ﷺ لنفسه، ولم يحتجز لها شيئاً من أعراض الدنيا، وإنّما الغريب أن يغضب لها ويحتجز... إنّ هذا الخُلْق هو حتم وفرض لمن بعث ليتمَّم مكارم الأخلاق، ودعا الناس، كلّ الناس، لتصديقه والإيمان برسالته، ولا معنى لتصديقه إلّا تصديق العدل والإحسان، ولا للإيمان به إلّا الإيمان بالحقِّ والإنسانية، لا بشخصه وذاته.

ناداه رجل: يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا... فقال: لا يستهوينكم الشيطان... أنا محمّد عبدالله ورسوله... والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي... وكان أصحابه إذا رأوه قادماً لم يقوموا له، وهو أحبّ الناس إليهم، لأنّهم يعرفون كراهيته لقيامهم... وكان يكره أن يمشي أصحابه وراءه، ويأخذ بيد من يفعل ذلك، فيدفعه إلى السير بجانبه.

هذه هي أخلاق محمّد ﷺ ... وليس كلّ الناس كمحمّد.. ما في ذلك ريب.. ولكن أخلاقه تعبير وانعكاس عن حقيقة الإسلام... فأيُّ داعٍ إلى الإسلام لم يقتدِ[2]

---

١. سورة الأنبياء / ١٠٧.

٢. كذا في المصدر، والوجه: «لا يقتدي» لإفادة الاستمرار في الحكم.

بسيرة نبيّه، ويتجاوب مع سنته فهو مخادع محتال، سواء أشعر ذلك من نفسه، أم ظنّ هو وظنّ الناس معه أنّه قدس الأقداس»[١].

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾

الآية الشريفة جملة مستأنفة وخطاب للمؤمنين تشريفاً لهم وترغيباً إلى طاعة الله التي يستحقون بها النصرة وتحذيراً لهم من معصية الله التي يستحقون بها الخذلان وتدعوهم إلى التوكل على الله الذي ﴿هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٢] و ﴿مَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[٣].

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ فعل مضارع مجزوم بحرف شرط جازم ومفعول به وفاعله. كما نصركم في غزوة بدر.

﴿فَ﴾ حرف ربط ومابعده جواب الشرط.

﴿لَا﴾ نافية للجنس. ﴿غَالِبَ﴾ اسم لا.

﴿لَكُمۡ﴾ جار ومجرور، خبره. أي فلا أحدَ يَغْلِبُكم وإن كثر عددهم وقلّ عددكم.

وإذا جاء نصر الله فالمغلوب يصير غالباً ولذا دعا نوح النبي عليه السلام ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[٤].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ فعل مضارع مجزوم ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله

---

١. التفسير الكاشف ٢/ (١٩٣-١٩٠).
٢. سورة التوبة / ١٢٩.
٣. سورة الطلاق / ٣.
٤. سورة القمر / ١٠.

تعالى. أي يخذلكم بمعصيته ثمّ يمنعكم عونه ونصرته ويخل بينكم وبين أعدائكم.

﴿فَ﴾ حرف ربط وما بعد جواب للشرط.

﴿مَن﴾ مبتدأ، استفهام إنكاريٌ. ﴿ذَا﴾ خبر. ﴿ٱلَّذِى﴾ بدله.

﴿يَنصُرُكُم﴾ فعل مضارع ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. النصرة يختص بالله تعالى لأنّه تعالى يحكي عن نوح النبي عليه السلام مقالته لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾[١] وكذلك ينقل عَنْ مؤمن آل فرعون مقالته دفاعاً عن موسى النبي عليه السلام ومخاطباً لفرعون ومن تبعه: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾[٢]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، أي من بعد خذلانه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور.

﴿فَ﴾ حرف ربط. ﴿لْ﴾ حرف جزم.

﴿يَتَوَكَّلِ﴾ فعل مضارع مجزوم [أمر غائب]، والكسرة الظاهرة لسهولة القرأة كما هو الواضح. أمر المؤمنين بالتوكل بوضع سببه موضعه وتنبيه على وجوب التوكل.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فاعله. «أي إيمانهم بالله الذي لا ناصر ولا معين إلّا هو»[٥] سبب لتوكّلهم على الله تعالى.

## روايةٌ

في الحديث عن الصادق عليه السلام: ... ومتى خَلّى [الله] بينه [أي بين العبد] وبين تلك المعصية فلم يَحُلْ بينَهُ وبينها حتّى يرتكبَها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفِّقْهُ.[٦]

---

١. سورة هود / ٣٠.
٢. سورة غافر / ٢٩.
٣. سورة آل عمران / ١٢٦.
٤. سورة الروم / ٤٧.
٥. الميزان ٤ / ٥٧.
٦. التوحيد / ٢٤٢ للشيخ الصدوق رحمه الله.

## تنبيهٌ: في التوكل وحقيقته وشروطه ودرجاته وثمراته

«التوكّل مشتق من الوكالة، يُقال: وكّل فلان الأمر إلى غيره، أي: فوّضه إليه واكتفى به لاعتماده عليه أنّه ينجزه ووثق به، ويسمّى المفوّض إليه متّكلاً ومتوكِّلاً عليه.

والتوكّل على الله تعالى هو تفويض الأمر إليه ﷻ، والاكتفاء به، ويشبه التوكّل التفويض من هذه الجهة، فهما يشتركان في تسليم الأمر إليه ﷻ، قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، أي أسلّم الأُمور إليه ﷻ، فهو الذي يكفيكها.

وفي الحديث أنّ النّبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللّهم إنّي أسلمت نفسي وَفَوَّضْتُ أمري إليك».

لكن التوكّل يزيد على التفويض في أنّه يتضمّن طلب النصرة منه، والوثوق بأنّه ينجزها، ويحفظ مَن يكل إليه أمره، والرضاء بفعل الله ﷻ بعد الاعتراف بالعجز، ولقصوره أمام عظمته وكبريائه.

**حقيقة التوكل:**

التوكّل على الله تعالى هو الاعتماد عليه ﷻ قلباً، واطمئنان النفس به، والوثوق بأنّه لم يهمله، بعد الاعتراف بعجز الإنسان أمام قدرته وعلمه وإحاطته وقيموميّته، والاعتقاد بأنّه تعالى هو الفاعل لا غيره، وأن لا ربّ غيره، فيعلم علماً قطعيّاً بأنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله، يضع الأشياء في مواضعها بحكمته، وهو القادر على كلّ شيء في السماوات والأرض.

ومن ذلك يظهر السرّ في ذكره ﷻ العزّة والحكمة في قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، لأنّ الاعتقاد بأنّه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، وعزيز قادر لا يمتنع عليه شيء إذا أراد، فلا محالة يذعن المؤمن بأنّه تعالى ناصره ومعينه، وهو حسبه وكافيه، ويحصل له الاعتقاد بأنّ كلّ ما يسوقه إليه ربّه هو

---

١. سورة غافر / ٤٤.
٢. سورة الأنفال / ٤٩.

طيّبٌ وكريم وحسن وخير، ويعتمد عليه في جميع أُموره، وتحصل الثقة بالله العظيم فيتوكّل عليه ﷻ.

فالتوكّل إنّما هو ارتباط عالم الشهادة المتناهية من كلّ جهة، بعالم الغيب غير المتناهي كذلك، ولذا نرى أنّه والتوحيد قرينان [وَلا يَنْفَكُّ أَحَدُهُما عَنِ ٱلآخرِ بِحالٍ مِن الْأَحوالِ] لا يتحقّق أحدهما من دون الآخر، فمَن لا توحيد له لا توكّل له، ومَن لا توكّل له لا إيمان له، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[١].

بل يمكن أن يُقال بأنّ التوكّل طريق لمعرفة إيمان المؤمن، بل هو محقّق له، لأنّه لا يرى لغير الله تعالى أثراً، فالجميع مسخّر تحت إرادته، وإنّما جعل لها نظاماً معيَّناً أقام أُمور العالم به، فتجري وفق قانون الأسباب والمسبّبات، خاضعة له لا تتخلّف عنه، إلّا أنّها عاجزة عن أي نفع وضرر؛ لأنّها لا تفعل شيئاً إلّا بإرادته ومشيئته ﷻ، والمؤمن يذعن بهذا النظام الذي أقام الله تعالى هذا العالم به، ويطلب كلّ شيء عن طريق سببه، ويعمل ويكافح على إيجاد الأسباب الظاهريّة المنوطة بها المسبّبات، ويطلبها وفق ما أمره الله تعالى طلباً تكوينيّاً أو تشريعيّاً، ولكنّه يعترف بالعجز أمام قدرة الله تعالى، ويذعن بالجهل أمام المقادير التي قدّرها ﷻ، ويعلم بأنّ الأسباب الظاهريّة التي عمل لأجلها شيء، والمقادير والقضاء والقدر والأسباب الخفية التي يجهلها شيء آخر، وجميعها خاضعة له ﷻ، مسخّرة أمام إرادته ومشيئته، وهو عاجز عنها فيوكِّل أمره إليه معتقداً بأنّه حسبه وناصره ومُعينه.

ومن جميع ذلك يعلم بأنّ التوكّل لا ينافي الأسباب الظاهريّة، بل الاعتقاد بها، والعمل عليها من جلة أساسيات فضيلة التوكّل، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

**شروط التوكّل:**

للتوكّل على الله تعالى شروط لا يتحقّق إلّا بها، تظهر من التمعّن في ما ذكرناه في

---

١. سورة المائدة / ٢٣.
٢. سورة الشورى / ٣٦.

حقيقة التوكّل، وهي:

**الأوّل:** الاعتقاد بالله تعالى، وأنّه الربّ القيوم المدبّر لجميع ما سواه، وأنّه العزيز لا يمنعه شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها عَلىٰ وَفْقِ إرادةٍ وعِلْمٍ بجميع الخصوصيّات.

**الثاني:** الاعتقاد بأنّه لا فاعل في هذا العالم إلّا الله تعالى، وأنّ ما سواه مربوب له ومقهور تحت قهّاريته العظمى، فهو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

**الثالث:** الإذعان بأنّ هذا العالم ينتظم بقانون خاص لا يمكن التخلّف فيه، وأنّ الله تعالى هو الذي جعل هذا القانون، وهو قانون الأسباب والمسبّبات، ولا يمكن فيه التغيير والتبديل ولا التخطّي عنه.

**الرابع:** تحصيل الأسباب والمعدّات والمقتضيات التي تقع تحت تصرّف الإنسان والسعي في تهيئتها وإعدادها، وأمّا غيرها من الأُمور الخفية التي لا يعلمها إلّا الله تعالى، فلابدّ من الرجوع فيها إليه تعالى والتضرّع لديه في تحقيقها، كما عرفت.

**الخامس:** حسن الظنّ بالله تعالى، واستسلام القلب له ﷻ، والخضوع لديه في رفع الموانع والعوائق في ترتّب النتيجة على المقدّمات والمسبّب على الأسباب.

**السادس:** أن يكون التوكّل على من يكن قادراً على جيمع الأُمور مستجمعاً لجميع الشرائط، وهو ينحصر في الله تعالى، قال ﷻ في عدّة موارد من كتابه الكريم: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾[١].

وقال تعالى محكياً عن المؤمنين: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٢]، فينحصر التوكّل عليه ﷻ، قال سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾[٣].

**السابع:** تفويض الأمر إلى الله تعالى وتوكيله في جميع الأُمور والشؤون، فإنّه القادر على تحقيقها، يضعها وفق حكمته المتعالية؛ لأنّه العالم بحقائق الأُمور وجميع خصوصيّاتها.

---

١. سورة الأحزاب / ٣.
٢. سورة آل عمران / ١٧٣.
٣. سورة النساء / ٨١.

وإذا تحقّقت جميع هذه الشروط تحصل للإنسان راحة نَفْسِيَّة واطمئنان قلبي، فتحصل له حالة التوكّل عليه ﷻ، ويدخل في زمرة المتوكّلين الذين يحبّهم الله تعالى، كما ورد في جملة من الآيات الشريفة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١].

وقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

**درجات التوكّل:**

للتوكّل درجات ومنازل تختلف حسب شدّة اليقين وضعفه، وحسب كثرة الأُمور المُتَوَكَّل فيها وقلّتها، وهي:

**الأُولى:** أن يكون المتوكّل على درجة كبيرة من اليقين والثبات في العقيدة والخضوع والطاعة لله تعالى، بحيث لا يرى شيئاً إلّا يرى الله تعالى معه يثق بكرمه وعنايته، ويعبّر بعض علماء الأخلاق عن هذه الدرجة بتوكّل خاصّ الخاصّ، وفي هذا المنزل يفوض المتوكّل جميع أُموره إلى الله تعالى ويرضى بحكمه، فيكون بين يديه تعالى كالميّت الملقى بين يدي الغاسل، ولعلّ الآية المباركة تشير إلى هذه الدرجة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[٣]، فإنّ مَن اتّقى الله تعالى ووثق به ﷻ وتوكّل في جميع أُموره عليه ﷻ، اطمأنت نفسه بأنّ الله ناصره وهو حسبه، وهذه المرتبة عزيزة الوجود في الناس، تختصّ بالأنبياء وأولياء الله تعالى المخلصين له، وقد حكى الله جلّ شأنه عن الأنبياء والمرسلين في كتابه الكريم ما يشهد لذلك.

**الثانية:** أن لا يكون على [تِلْكَ] الدَّرَجة من اليقين والثبات في العقيدة والاطمئنان بما قسمه الله تعالى لعباده، ولكن يعتمد في أُموره على الله تبارك وتعالى، يفزع إليه ويعتمد عليه، ولا يترك الدُّعاء والتضرّع في كلّ مسألة وأمر، مثل الصبي الذي يفزع إلى أُمّه ويتعلّق بها وقد فنى في أُمّه ولا يرى غيرها، وفي هذه الحالة ينفى

---

١. سورة آل عمران / ١٥٩.
٢. سورة المائدة / ٢٣.
٣. سورة الطلاق ٢-٣.

المتوكّل في الموكّل عليه ولا يلاحظ الواسطة، ويعبّر بعض علماء الأخلاق عن هذه الدرجة بتوكّل الخواص.

وتفترق هذه الدرجة عن الدرجة السابقة، في أنّ المتوكّل في الأُولى لا يرى شيئاً إلّا الله تعالى، قد وثق بكرمه ولطفه وعنايته، فربما يترك الدُّعاء والمسألة وثوقاً منه به ﷻ في قضاء الحوائج، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»، وفي هذه الدرجة لا يترك الدُّعاء والمسألة والتضرّع، وإلى هذه الدرجة يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [١]، فقد توكّلوا في جميع أُمورهم عليه ﷻ، وأفنوا جميع حيثيّاتهم في الله تعالى وقد أعرضوا عن غيره.

**الثالثة:** أن يكون كثير الاعتناء بالأسباب، فيرى للتدبير والاختيار في تهيئة الأُمور الأثر الكبير، ولكن لا يترك التوكّل عليه ﷻ، وهو يعتمد على توكّله ويلتفت إليه دائما في أُموره لا يغضّ النظر عنه، وهذا هو الشغل الصارف عن الموكل إليه، ولأجل ذلك اختلفت هذه الدرجة عن سابقتها، في أنّ ٱلْمُتَوَكِّلِيْنَ في الدرجة الثانية يعتمدون على المتوكّل عليه وحده، كما يعتمد على التضرّع لديه بالدّعاء والابتهال إليه ﷻ. وإلى هذه الدرجة يشير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

وتختلف أيضاً عن السابقة في أنّ هذه الحالة قد تدوم أيّاماً كثيرة أو في جميع الحالات لدى المؤمنين، بينما في الدرجة الثانية لا تدوم إلّا أيّاماً قليلة.

وقد عبّر بعض العلماء رحمة الله تعالى عليه عن هذه الدرجة بتوكّل العامي، وربّما يكون توكّلهم في جميع الأُمور وربما يكون في بعضها.

**وبالجملة:** إنّ درجات التوكّل تختلف باختلاف قوّة الإيمان بالله ﷻ والاعتقاد به تعالى، وتفويض الأُمور إليه، والتسليم بقضائه وقدره، والرضا بما قسمه على عباده، كما أنّها تختلف باختلاف تفويض جميع الأُمور أو بعضها، وشدّة الإعتماد على الأسباب وقوّة الاعتقاد بها.

---

١. سورة آل عمران / ١٥٩.
٢. سورة آل عمران / ١٦٠.

**ثمرات التوكّل:**

إذا حصل التوكّل على الله تعالى فإنّه يخلّف آثاراً كبيرة على المتوكّل، نحن نذكر بعضاً منها:

**الأوّل:** التوكّل يحقّق معنى الإيمان ويزيد فيه ويثبت دعائمه في المؤمن، ويثبّت عقيدة التوحيد في قلبه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[١].

**الثاني:** التوكّل سبب [أَكِيْدٌ مِنْ أسباب] النصر والفوز بالمراد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[٢].

**الثالث:** التوكّل يفتح أمام صاحبه طريقاً إلى الجنّة فيدخل ويُرزَق فيها بغير حساب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ * ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣].

**الرابع:** إنّ التوكّل يورث محبّة الله تعالى والرضا الإلهي للمتوكّل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤]، وكفى بذلك فخراً.

**الخامس:** التوكّل يجعل كلّ ما يسوقه الله تعالى إلى العبد حسناً طيِّباً وخيراً.

**السادس:** التوكّل يورث الاطمئنان في قلب المتوكِّل والراحة في نفسه»[٥]

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ ﴿١٦١﴾

تدلّ الآية الشريفة على أنّ الأنبياء كلَّهم معصومون لايمكن أن يَقَعَ منهم إثم أو خطأ أو خيانة.

---

١. سورة المائدة / ٢٣.
٢. سورة الطلاق / ٣.
٣. سورة العنكبوت / ٥٨-٥٩.
٤. سورة آل عمران / ١٥٩.
٥. مواهب الرحمن ٧/ (٣١-٢٢) بتلخيص منّا.

«وقال ابنُ عبّاسٍ وسَعِيد بْنُ جُبَيْرٍ: سبب نزول هذه الآية أنّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم: لعلّ النبي ﷺ أخذها»[١]. وهو مروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

وقال مقاتل: «نزلت في الذين طلبوا الغنيمة يوم أُحد وتركوا المركز، وقالوا: إنّا نخشىٰ أن يقول النبي ﷺ: مَنْ أخذ شيئاً فهو له، ونحن هاهنا وقوف. فلمّا رآهم النبي ﷺ قال: ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا من المركز حتّى يأتيكم أمري؟ قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال النبي ﷺ: ظننتم أنّا نَغُلّ، فنزلت»[٢].

«وفي رِوايَةِ الضحاك عنه إنّ رجلاً غلّ بمخيط أي بإبرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية»[٣].

«وقيل: نزلت في أداء الوحي كان النبي ﷺ يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسبّ آلهتم فسألوه أن يطوي ذلك فأنزل الله الآية»[٤].

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة.

﴿لِنَبِيٍّ﴾ جار ومجرور، خبر كان أو متلعّق بمحذوف هو خبرها وتقديره: ما كان الغل حاصلاً أو صفة لنبيٍ. والنكرة في سياق النفي يفيد العموم. أي لا يليق بساحة أيّ نبيٍّ من الأنبياء.

﴿أَن﴾ حرف نصب.

﴿يَغُلَّ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى النبي، اسم كان.

الغَلّ: الخيانة، غَلّ الرجل: خان فهو غلولٌ.

الغُلّ: الطوق والعطش. الغِلّ: الغش والحقد.

والمراد به في الآية الشريفة السرقة مِن غنيمة الحرب قبل القسمة.

قُرئ مبنيّاً للفاعل كما في الكتابة ﴿يَغُلَّ﴾ أي إنّ النبي لا يخون في الغنيمة ولا في

---

١. التبيان ٣/ ٣٤.
٢. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٢٠٠.
٣. مجمع البيان ٢/ ٥٢٩.
٤. مجمع البيان ٢/ ٥٢٩.

غيرها. قُرئ مبنيّاً للمفعول «يُغَلّ» أي لا يجوز لأحدٍ أن يخون النبي في الغنيمة[1] ويدلّ على عظم خيانة النبي على خيانة غيره.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَن﴾ مبتدأ جازم لأنّه اسم شرط.

﴿يَغۡلُلۡ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر، شرط وخبر.

﴿يَأۡتِ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلّة وهو «ي». جواب الشرط. أي يأتي به حاملاً على ظهره كما في الرواية أو يعاقب عليه لأنّه لم يُكَفّرْ عنه وهو غير المغفور.

﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية. ﴿مَا﴾ مجروره، مَوْصُوْلة.

﴿غَلَّ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَا﴾.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطفف للترتيب.

﴿تُوَفَّىٰ﴾ فعل مضارع مجهول. ﴿كُلُّ﴾ نائب فاعله.

﴿نَفۡسٖ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّا﴾ مفعول به، مقدم على فعله.

﴿كَسَبَتۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى النفس.

﴿وَ﴾ حالية أو بيانية. ﴿هُمۡ﴾ مبتدأ.

﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴾ حرف نفي وفعل مضارع مجهول مرفوع بثبوت النون ونائب فاعله ضمير «واو» المتصل. خبر.

أي لا ينقص أحد مقدار ما يستحقه من الثواب ولا يزاد أحد عن مقدار ما استحقه من العذاب، وبيان لتمامية الوفاء من كلِّ جهة.

وفي الآية الشريفة دلالة على فساد قول المجبرة لأنّه تعالى نسب الجزاء إلى ما كسبت كلّ نفس، فكل نفس مختارةٌ في ما كسبت.

## الروايات

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: وصدق الله لم يكن الله ليجعل نبيّاً غالّاً ﴿مَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا

---

١. راجع التفسير الكاشف ٢/ ١٩٥.

غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ومَنْ غلّ شيئاً راه يوم القيامة في النار ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النار ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.١

عن سماعة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الغَلُوْلُ كلُّ شيءٍ غُلَّ عن الإمام وأكل مال اليتيم شُبهةً والسحت شبهة.٢

الصدوق بإسناده إلى علقمة عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث: ... ألم يَنْسُبوه يوم بدر إلى أنّه أخذ لنفسه من المغنم قطيفةً حمراء؟ حتّى أظهره الله عزّ وجلّ على القطيفة وبرأ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم من الخيانة وأنزل بذلك في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.٣

رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان إذا غنم مغنماً بعث منادياً: ألا لا يغلّنّ أحدٌ مخيطاً فما دونه، ألا لا يغلّنّ أحد بعيراً فيأتي به على ظهره له رغاء، ألا لا يغلّنّ أحد فرساً فيأتي به يوم القيامة على ظهره له حمحمة.٤

وفي المجمع زيادة: فيقول: يا محمّد يا محمّد، فأقول: قد بلغتُ قد بلغتُ لا أملك لك من الله شيئاً.٥

روى في خبر آخر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر منادياً ينادي في الناس ردّوا الخيط والمخيط فإنّ الغلول عارٌ وشنار يوم القيامة فجاء رجلٌ بكبة شعر، فقال: إنّي أخذتها لأخيط بردعة بعيري، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمّا نصيبي منها فهو لك، فقال الرجل: أمّا إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها.٦

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الغُلُولُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ.٧

---

١. تفسير القمي / ٦٦ (١/ ١٢٢).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٤٩، ح١٦٦.
٣. أمالي الصدوق، المجلس الثاني والعشرون ح٣/ ١٦٤، رقم ١٦٣.
٤. التبيان ٣/ ٣٥.
٥. مجمع البيان ٢/ ٥٣٠.
٦. مجمع البيان ٢/ ٥٣٠.
٧. روض الجنان ٥/ ١٣٧.

**وفي تفسير الثعلبي[١] عدة روايات عاميات حول الغلول ترجمها إلى الفارسية الشيخ أبوالفتوح الرازي في روضة[٢] فراجعها إن شئت.**

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۡ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

قال الشيخ: «قيل في مَعْنىٰ الآية ثلاثة أقوال أحدها: قال الحسن، والضحاك معناها، أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول، وهو اختيار الطبري قال: لأنه أشبه بما تقدم.

الثاني: قال ابن إسحاق ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ في العمل بطاعته على ماكره الناس ﴿كَمَنۡ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في العمل بمعصيته على ما أحبوا.

الثالث: قال الزَّجّاجُ، وأبو علي: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بالجهاد في سبيله ﴿كَمَنۡ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالفرار منه رغبة عنه. وسبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بالخروج إلى أُحُد قعد عنه جماعة من المنافقين، فأنزل الله فيهم هذه الآية»[٣].

﴿أَ﴾ استفهام إنكاريٌ. ﴿فَ﴾ حرف استئناف. ﴿مَنِ﴾ مبتدأ.

﴿ٱتَّبَعَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَنِ﴾. والآية تدعو إلى اتباع ﴿رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وجعلها هدفهم الأساسي والرئيسي والأصلي.

﴿رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والرضوان «بكسر الراء وضمها لغتان، وقرأ بالضم حفص بن عاصم على ما حكيناه عنه فالضم على وزن الكُفران. والكسر على وزن حِسبان»[٤].

وهي إمّا مصدر كالرضا مصدر رضي أو اسم مصدر لأنّ فيه زيادة في مَعْنىٰ

---

١. الكشف والبيان ٣/ ١٩٧ و ١٩٨.
٢. روض الجنان ٥/ (١٣٤-١٣٦).
٣. التبيان ٣/ ٣٦.
٤. التبيان ٣/ ٣٦.

الرضا ولذا قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[٢].

﴿كَمَنْ﴾ جار ومجرور، خبر.

﴿بَآءَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَنِ﴾. أي رجع واستقر.

﴿بِسَخَطٍ﴾ جار ومجرور. السخط: الغضب العظيم.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. والمراد من سخط الله هو الدخول في ما يوجب غضبه تعالى ويوجب إرادة عقابه بمستحق العقاب ولعنه.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَأْوَىٰهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. أي: أنّ المأوى الذي يريد أن يأوي إليه ليستريح فيه.

﴿جَهَنَّمُ﴾ خبر. ﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف.

﴿بِئْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ جامد لإنشاء الذمّ.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ فاعله. أي: قد ساء ذلك المصير الذي يصار إليه.

«والمصير: انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير الطين خزفاً ولم يرجع خزفاً لأنّه لم يكن قبل ذلك خزفاً»[٣].

## الروايات

خبر عمار الساباطي قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٤] فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع [الله] لهم الدرجات العُلىٰ.[٥]

**ونحوها في تفسير العياشي عن عمار بن مروان ولكن فيه زيادة: أمّا قوله يا عمار: ﴿كَمَنْ بَآءَ**

---

١. سورة التوبة / ٧٢.
٢. سورة الحشر / ٨.
٣. التبيان ٣/ ٣٦.
٤. سورة آل عمران / ١٦٢ و ١٦٣.
٥. الكافي ٢/ ٤٠٨، ح٨٤ (١/ ٤٣٠).

**بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ إلى قوله: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ فهم والله الذين جَحَدوا حق علي بن أبي طالب عليه السلام وحق الأئمة منّا أهل البيت فباءوا لذلك بسخطٍ من الله.**[١]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: شتّان ما بين عملين: عملٌ تذهب لذتُهُ وتبقى تبعتُهُ، وعمل تذهب مؤُونَتُهُ ويبقى أَجرُهُ.[٢]

وقال عليه السلام: إنّ الحق ثقيلٌ مرىءٌ وإنّ الباطل حفيفٌ وَبِيءٌ.[٣]

**مريءٌ: هَنيء حميد العاقبة. وَبِيءٌ: وخيم العاقبة، من الوباء وهو المرض العام.**

وقال عليه السلام: لِكُلِّ امريءٍ عاقبةٌ حُلْوَةٌ أو مُرَّةٌ.[٤]

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾

﴿هُمْ﴾ مبتدأ، الضمير يرجع إلى الموصول الأوّل في الآية السابقة ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿دَرَجَٰتٌ﴾ خبر، الدرجة: الرتبة، أي إنّ الذين اتبعوا رضوان الله تعالى لهم درجات مختلفة وهم أهلها، ولايعلم خصوصياتها إلّا الله تعالى وإطلاقُها يَشْمَلُ درجات الدنيا والآخرة.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. في هذا التعبير عناية خاصة لا تستفاد من غيره.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿بَصِيرٌۢ﴾ خبره، أي عليم. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. لأنّ ليس عند الله تعالى سرّ وخفاء فلا يفوته الصغير والحقير من الخير أو الشر فَعَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِيْنَ أَلّايَتَسامَحُوا في اتباع رضوانه أو

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٤٩، ح١٦٧.
٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٢١.
٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٦.
٤. نهج البلاغة، الحكمة ١٥١.

البوء بسخطه.

## روايةٌ

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه ذكر قول الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فَقالَ: الدرجة ما بين السماء إلى الأرض.[١]

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤)

تبيّن الآية الشريفة أفضل وأحسن طريق من طرق الوصول إلى رضوانه تعالى وتذكر أظهر مصاديق ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ وأفضلهم وأتمّهم وأكملهم بل قائدهم وإمامهم ورسولهم وهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيها التفات من الخطاب إلى الغياب لأنّها في مقام الامتنان على المؤمنين لصفة إيمانهم والوصف مشعر بالعلّيّة.

﴿لَ﴾ حرف قسم. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿مَنَّ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. «أصل المنّ: القطع. منّه يمنّه منّاً: إذا قطعه. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٢] أي غير مقطوع والمنّ: النعمة، لأنّه يقطع بها عن البلية...»[٣].

«والمنة: هي النعمة العظيمة التي تفاجئ الإنسان من دون سبق سئوال»[٤].

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور. بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منّة على جميع الخلائق لا المؤمنين فقط ولكن الله يذكرهم لأنّهم ينتفعون به صلى الله عليه وآله وسلم أكثر وأعظم من غيرهم في دنياهم وأُخراهم.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٥٠، ح١٦٨.
٢. سورة فصلت / ٨؛ سورة الانشقاق / ٢٥؛ سورة التين / ٦.
٣. التبيان ٣/ ٣٨.
٤. مواهب الرحمن ٧/ ٤١.

﴿إِذْ﴾ مفعول فيه. ﴿بَعَثَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله ﷻ.

﴿فِيهِمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿رَسُولاً﴾ مفعول به. والمراد به خاتم رسله محمّد المصطفى ﷺ. والنعم والمنن المذكورة في الآية الشريفة أَرْبَعٌ:

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المؤمنين. وهذه هي المنّة الأُوْلى.

قال الشيخ: «قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من أنفسهم ليكون ذلك شرفاً لهم، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الإِيمان.

الثاني: من أنفسهم، لسهولة تعلّم الحكمة عليهم، لأنّه بِلِسانِهِمْ.

الثالث: من أنفسهم، ليتيسر عليهم عِلْمُ أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة. وقال الزجاج: من عليهم إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم من الأميين، لا يتلو كتاباً ولا يخط بيمينه، فنشأ بين قوم يخبرونه ويعرفونه بالصدق والأمانة وأنّه لم يقرأ كتاباً ولا لقنه، فتلا عليهم أقاصيص الأُمّم السالفة، فكان ذلك من أدل دليل على صدقة فيما أتى به»[١].

﴿يَتْلُواْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الرسول ﷺ. أي يقرأ. يدل على الاستمرار وكذا أخواته. وهذه هي المنّة الثانية.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور.

﴿ءَايَـٰتِهِۦ﴾ مفعول به ومضاف إليه. آيات جمع آية. والمراد بها: الوحي القرآني والكتاب السماوي.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى النبي ﷺ. وهذه هي المنّة الثالثة.

قال الشيخ: «يحتمل ثلاثة أوجه:

---

١. التبيان ٣/ ٣٩.

أحدها: يشهد لهم بأنّهم أزكياء في الدين، فَيَصِيْرُوْنَ بهذه المنزلة الرفيعة في الخلق.

الثاني: يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين سالكين سبيل المهتدين.

الثالث: قال الفراء: يأخذ منهم الزكاة التي يطهّرهم بها»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يُعَلِّمُهُمُ﴾ فعل مضارع ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى النبي ﷺ. وهذه هي المنّة الرابعة.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به ثانٍ. والمراد به القرآن الكريم. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ معطوفه. وقد مرّ[٢] معنى الحكمة بأنّها معرفة الأشياء كما هي والعلم بواقعياتها وحقائقها والعمل على طبقها.

﴿وَ﴾ حالية، ما بعدها يذكر حالهم قبل البعثة.

﴿إِن﴾ مخفّفة من المثقّلة أي «إنّ»، مبني على السكون لا محل له من الإعراب. فأُهملت وجوباً إذا جاء بعدها فعل ناسخ.

﴿كَانُوا۟﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة. و «واو» فاعله اسم كان.

﴿مِن﴾ حرف جر.

﴿قَبْلُ﴾ مجروره ولكن محلّاً، والمراد به «القبلية الرتبية أي قبل العمل بالشريعة فيشمل ما بعد البعثة وقبلها»[٣].

﴿لَ﴾ فارقة: وهي تلازم «إنْ» مخفّفة إذا أُهملت ويقع بعدها وتفرّق بين «إن» المخفّفة و «إن» النافية. وهي «لـ» الفارقة حرف مبني علىٰ الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿فِى﴾ حرف جر.

﴿ضَلَٰلٍ﴾ مجروره. خبر كان والمراد بالضلال هو الكفر والشرك.

---

١. التبيان ٣/ ٣٩.

٢. ذيل الآية ٢٦٩ من سورة البقرة فراجع أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ (٩٦-٩١).

٣. مواهب الرحمن ٧/ ٤٤.

﴿مُبِينٍ﴾ نعت. أي واضح.

وفي تفسير القمي: فهذه الآية لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .١

**وقد مرّ مدلول الآية في سورة البقرة آيه ١٢٩ و ١٥١ وكذا الرويات الواردة حولها.**

«فقد تضمنت هذه الآية الشريفة الأمور التالية:

١ـ إِنَّ الرسول إِحسان من الله إلى الخلق، لأن الرسول ينقلهم من الجهل إلى العلم، ومن المذلة إلى الكرامة، ومن معصية الله وعقابه إلى طاعته وثوابه.

٢ـ إِنَّ هذا الاحسان قد تضاعف على العرب بالخصوص لأن محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم، يباهون به جميع الأمم.

٣ـ إنّه يتلو عليهم آيات الله الدالة على وحدانيته، وقدرته وعلمه وحكمته.

٤ـ إنّه يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية، ومن الأساطير والخرافات، والتقاليد الضارَّةِ، والعادات القبيحة.

٥ـ يعلّمهم الكتاب أي القرآن الذي جمع كلمتهم، وحفظ لغتهم، وحثّهم على العلم ومكارم الأخلاق، ويعلّمهم الرسول أيضاً الحكمة، وهي وضع الأشياء في مواضعها، وقيل: ان المراد بها هنا الفقه... وخير تفسير لهذه الآية ما قاله جعفر بن أبي طالب لنجاشي الحبشة:

«أيها الملك. كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف... فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إِلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله وحده لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».

وَبِاخْتِصارٍ إِنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي منح العرب وجودهم الإنساني والدولي

---

١. تفسير القمي / ٦٦ من طبع الحجري.

والحضاري، ولولاه لم يكن لهم تاريخ يذكر، ولا أثر يشكر»[١].

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

هذه الآية وما بعدها من تتمة الآيات النازلة في غزوة أُحُد وَٱلْكاشِفَةِ عن شبهات المنافقين وكيدهم في إضلال المؤمنين عن القتال.

﴿أ﴾ استفهام إنكاري.

﴿وَ﴾ حرف عطف. والمعطوف عليه محذوف والتقدير أفعلتم ما فعلتم ﴿وَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم...﴾ أو أتدرون ومن أين ﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾ ما ﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾.

﴿لَمَّآ﴾ مفعول فيه. ظرف بمعنى «حين» أو «إذ» ومحلّها نصب بـ ﴿قُلْتُمْ﴾.

﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث والضمير مفعول به. وجملة ﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾ محلّاً مجرورة بإضافة ﴿لَمَّآ﴾.

﴿مُّصِيبَةٌ﴾ فاعله. في يوم أُحد. لأنّه قُتل من المسلمين سبعون رجلاً.

﴿قَدْ أَصَبْتُم﴾ حرف تحقيق وفِعْلٌ ماضٍ وفاعله. صفة لـ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ وقيل: في محل نصب على أنّه حال في يوم بدر.

﴿مِّثْلَيْهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. لأنّ المسلمين قتلوا من المشركين سبعين وأسروا منهم سبعين في يوم بدر، فأنتم تواردون مثليها عليهم.

والمراد: «أتدرون لماذا أصابكم تلك المصيبة فإنّها كانت من عند أنفسكم نتيجة حتميّة لأعمالكم، لإنّكم خالفتم أوامر الرسول ﷺ وفشلتم واختلفتم وتنازعتم فكان ذلك سبباً في إفساد الفتح والظفر اللذين كانا من نصيبكم»[٢].

﴿قُلْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. حكاية عن المسلمين بالقاء من المنافقين.

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ١٩٧ و ١٩٨.
٢. مواهب الرحمن ٧/ ٥٠.

﴿أَنَّىٰ﴾ مفعول فيه. أو هنا بمعنى «كيف» أو بمعنى «مِنْ أين» ومحلّها الرفع خبر مقدم. أي من أين أصابنا هذا؟ أو كيف أصابنا هذا؟ سئوال عن سبب المصيبة.

﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ مفعول ﴿قُلْتُمْ﴾. أو جواب ﴿لَمَّآ﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. أي سبب المصيبة وعلّتها. ﴿مِّنْ عِندِ﴾ جار ومجرور. خبره.

﴿أَنفُسِكُمْ﴾ مضاف إليه. والضمير يضاف إليه ويرجع إلى المسلمين.

والمراد: يصيبكم ما أصابكم بسبب أعمالكم وأفعالكم ومخالفتكم لأوامر رسول الله ﷺ.

قال الشيخ: «قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال قتادة، والربيع: لأنّهم اختلفوا في الخروج من المدينة للقتال يوم أُحُد وكان دعاهم النبي ﷺ إلى أن يتحصّنوا بها ويدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها، فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية، ونحن في الإسلام، وأنت يا رسولَ الله نبيّنا أحقّ بالامتناع وأعزّ.

والثاني: روي عن عليٍّ عليه السلام وعبيدة السلماني أنّ الحكم كان في أسرى بدر القتل، فاختاروا هم الفداء، وشرط عليهم أنّكم إن قبلتم الفداء قُتل منكم في القابل بعدِّتهم، فقالوا رضينا بذلك، فإنّا نأخذ الفداء وننتفع به. وإذا قُتل منّا فيما بعد كنّا شهداء. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

الثالث: لخلاف الرماة يوم أُحُدٍ لما أمرهم به النبي ﷺ من ملازمة موضعهم»[1].

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾ جار ومجرور. ﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. أنّه تعالى قادر على نجاحكم وظفركم ونصرتكم على المشركين عند الإطاعة والصبر والاستقامة والإيمان. وقرن مرارة الهزيمة بحلاوة

---

١. التبيان ٣/ ٤٠.

الوعد بالانتصار.

وفي الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة لأنّه تعالى نسب المعصية إلى أنفسهم ولم ينسبها إلى الله تعالى.

**روايتان**

قال الطبري: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني إسماعيل، عن ابن عون، عن محمّد، عن عبيدة السلماني؛

وحدثني حجاج عن جرير، عن محمّد، عن عُبيدة السلماني، عن عليّ عليه السلام، قال: جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: يا محمّد إنّ الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين، أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدّتهم. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس، فذكر ذلك لهم. فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا، لا بل نأخذ فداءهم فنتقوّى به علىٰ قتال عدوّنا ويستشهد منّا عدّتهم، فليس في ذلك ما نكره! قال: فقُتل منهم يوم أُحد سبعون رجلاً عدّة أسارى أهل بدر.[١]

وفي تفسير العياشي عن محمّد بن أبي حمزة عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾.

قال: كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً، قَتَلوا سبعين رجلاً، وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أُحد أُصيب من المسلمين سبعون رجلاً، قال: فاغتمُّوا بذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾.[٢]

---

١. تفسير الطبري ٤/ ٢٠٩؛ الكشف والبيان ٣/ ١٩٩.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٠، ح١٦٩.

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾

هذه الآية وما تليها تبيّن حكمة هزيمة المسلمين في قتال أُحد وتذكّر فيهما وما تأتي بعدهما بعض مقالات المنافقين وردودها.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿مَآ﴾ مبتدأ أوّل.

﴿أَصَـٰبَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَآ﴾ والضمير المفعولي يرجع إلى المسلمين المؤمنين.

﴿يَوْمَ﴾ مفعول فيه، وهو يوم أُحُد. ﴿ٱلْتَقَى﴾ فعل ماض.

﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾ فاعله وهما الفريقان: جند المسلمين وجند المشركين.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع. ﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿إِذْنِ﴾ مجروره.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ متعلَّق بمحذوف، والمحذوف هو مبتدأ ثان وتقديره كائن وموجود ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وجملة «هو كائن وموجود ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾» خبر للمبتدأ الأوّل.

قال الشيخ: «قيل في معناه قولان [بل ثلاث أقوال]:

أحدهما: بعلم الله. ومنه قوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1] معناه اعلموا ومنه قوله: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] أي إعلام. ومنه ﴿ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾[3] يعني أعلمناك.

الثاني: أنّه بتخلية الله التي تقوم مقام الإطلاق في الفعل برفع الموانع، والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف. ولا يجوز أن يكون المراد به بأمر الله، لأنّه خلاف الإجماع، لأنّ أحداً لا يقول: إنّ الله يأمر المشركين بقتل المؤمنين، ولا أنّه يأمر بشيء من القبائح، ولأنّ الأمر بالقبيح قبيح، لا يجوز أن يفعله الله تعالى.

[الثالث]: ويمكن أن يحمل مع تسليم أنّه بأمر الله بأن يكون ذلك مصروفاً إلى المنهزمين المعذورين بعد اخلال مَنْ أخلَّ بالشعب، وضعفهم عن مقاومة عدوِّهم،

---

١. سورة البقرة / ٢٧٩.
٢. سورة التوبة / ٣.
٣. سورة فصّلت / ٤٧.

وان حمل على الجميع أمكن أن يكون ذلك بعد تفرقهم وتبدّد شملهم وانفساد نظامهم، لأنّ عند ذلك أذن الله في الرجوع وألّا يخاطروا بنفوسهم»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لِ﴾ حرف نصب للتعليل.

﴿يَعْلَمَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لِ﴾ أو بِـ (أَنْ) مضمرة. وفاعله ضمير مستتر. يرجع إلى الله تعالى. ولكن استعمل لفظ العلم في معنى المعلوم مجازاً.[٢] لأنّ الله تعالى قبل يوم أحد كان عالماً بهم. أو المراد منه أن يُظهر الله علمه للناس. وهذه هي الحكمة الأُولى للهزيمة.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول به.

قال الشيخ: «فإن قيل: هل يجوز أن يقول القائل: المعاصي تقع بإذن الله، كما قال: ﴿مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ من إيقاع المشركين بكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؟ قلنا: لا يجوز ذلك لأنّ الله تعالى إنّما خاطبهم بذلك على وجه التسليّة للمؤمنين، فدلّ ذلك على أن الإذن المراد به التمكين ليتميّزوا بظهور الطاعة منهم»[٣].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لِ﴾ حرف نصب.

﴿يَعْلَمَ﴾ مرّ. وهذه هي الحكمة الثانية للهزيمة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به. ﴿نَافَقُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿قِيلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول. ونائب فاعله ضمير مستتر. بيان لوجوه نفاقهم.

---

١. التبيان ٣/ ٤١ و ٤٢.
٢. التبيان ٣/ ٤٢.
٣. التبيان ٣/ ٤٢.

والقائل عبدالله أبوجابر الأنصاري كما يأتي في شأن نزول الآية.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى المنافقين.

﴿تَعَالَوْاْ﴾ فعل أمر وفاعله. ويمكن أن يكون جملة ﴿تَعَالَوْاْ﴾ نائباً لفاعل ﴿قِيلَ﴾.

﴿قَـٰتِلُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. بدل اشتمال من جملة ﴿تَعَالَوْاْ﴾.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿أَوِ﴾ حرف عطف.

﴿ٱدْفَعُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿قَـٰتِلُواْ﴾.

﴿قَالُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعل يرجع إلى المنافقين.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط. ﴿نَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

﴿قِتَالاً﴾ مفعول به. ﴿لَ﴾ حرف جواب

﴿ٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعوله. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ. يرجع إلى المنافقين.

﴿لِلْكُفْرِ﴾ جار ومجرور. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه.

﴿أَقْرَبُ﴾ خبره. أي ﴿أَقْرَبُ﴾ إلى الكفر. ﴿مِنْهُمْ﴾ جارو مجرور.

﴿لِلْإِيمَـٰنِ﴾ جار ومجرور.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، يدلّ على أنّهم بالاستمرار يقولون هكذا. وبيان لحالهم. وَٱلْجُمْلَةُ مستأنفة تبيّن حقيقة نفاقهم.

﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. الأفواه: جمع الفُوْه، قال الشيخ: «إنّما ذكر الأفواه، وإن كان القول لا يكون إلّا بالأفواه لِأَمْرَيْنِ:

أحدهما: للتأكيد من حيث يضاف القول إلى الإنسان على جهة المجاز، فيقال: قد قال كذا: إذا قاله غيره ورضي به، وكذلك ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1] أي يتولّونه على غير جهة الأمر به.

والثاني: لأنّه فرق بذكر الأفواه بين قول اللسان وقول الكتاب»[2].

﴿مَّا﴾ مفعول به.

﴿لَيْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة النافية. واسمه ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَّا﴾.

---

١. سورة البقرة / ٧٩.

٢. التبيان ٣/ ٤٤.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبر ليس. مقابلة لما ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿أَعْلَمُ﴾ خبره. أي أعلم من المنافقين الكافرين. ﴿بِمَا﴾ جار ومجروره.

﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يكتم ٱلْمُنَافِقُوْنَ في نفوسهم من النفاق والكفر والفساد وأنّه تعالى عالم بها ويحاسبهم عليها.

## شأن نزولها

ورد في تفسير القمي: «هم ثلاثمأة منافق رجعوا مع عبدالله ابن أبي السلول، فقال لهم جابر بن عبدالله: أُنشدكم في نبيّكم ودينكم وديياركم، فقالوا: والله لا يكون قتال اليوم ولو نعلم أنّه يكون اتّبَعْناكم يقول الله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾»[1].

**ونحوها في التبيان [2]ومجمع البيان[3]. وهذه مقالة كثير من المفسرين ولكن الظاهر أنّ فاعل ﴿قِيلَ﴾ هو عبدالله أبوجابرٍ الأنصاريّ لا ٱبنه جابر. وعبدالله﵁ نفسه كانَ مِنْ شُهَداءِ غزوة أُحُد.**

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾

الآية الشريفة تذكر مقالة المنافقين بالنسبه إلى شهداء المسلمين بعد غزوة أُحُد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ فيه ثلاثة احتمالات من الإعراب: أحدها: أن يكون نصباً على البدل من ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾.

ثانيها: الرفع على البدل من الضمير في ﴿يَكْتُمُونَ﴾.

ثالثها: الرفع على أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف وتقديره: هم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ

---

١. تفسير القمي / ٦٦ من الطبع الحجري (١/ ١٢٢).
٢. التبيان ٣/ ٤٣.
٣. مجمع البيان ٢/ ٥٣٣.

لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾.

﴿قَالُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى المنافقين وهم عبدالله بن أبي وأصحابه.

﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. المنافقون يدّعون أَنَّهُمْ أُخوتهم فالأُخوة هنا ٱدِّعائِيَّةٌ. والمراد بالإخوان شهدآء أُحُد فلا يتم من إنّهم إخوانهم في النسب.[١]

﴿وَ﴾ حالية.

﴿قَعَدُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. حال من الضمير الفاعلي في ﴿قَالُواْ﴾ فيه نوع من التعبير والتأنيب، لانهم ﴿قَعَدُواْ﴾ عن إمداد الذين يدعون أنهم ﴿إِخۡوَٰنِهِمۡ﴾.

﴿لَوۡ﴾ حرف شرط.

﴿أَطَاعُونَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. في قعودنا وتركنا للقتال والفرار من الزحف.

﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿قُتِلُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول ونائب فاعله. هذه طُرُوْحات المنافقين لإيجاد روح الشك والارتياب في قلوب المؤمنين وَٱلإِنْكار للقضاء والقَدَر الإلهيَّيْنِ.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ. ﴿فَ﴾ حرف ربط للتفريع.

﴿ٱدۡرَءُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. أي: ادفعوا. الدرء:الدفع.

﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ﴾ حرف جر ومجروره ومضاف إليه. ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾ مفعول به.

﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كُنتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة والضمير اسمه.

﴿صَٰدِقِينَ﴾ خبر كان قضية شرطية معلّقة على أمر ممتنع فيكون صدقهم ممتنعاً وفي الآية تأكيد على كذبهم.

قال الشيخ: «فإن قيل: كيف يلزمهم دفع الموت عن أنفسهم بقولهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا؟

قيل: لأن مَنْ عَلِمَ الغيب في السلامة مِنْ القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن

---

١. كما عليه السَّيِّدانِ: العلّامة الطباطبائِيُّ في الميزان ٤/ ٦٠؛ والفقيه السبزواريُّ في مواهب الرحمن ٧/ ٥٥.

نفسه الموت فليدفعه، فهو أجدى عليه.

فإن قيل: كيف كان هذا القول منهم كذباً مع أنّه إِخْبارٌ على ما جرت به العادة؟

قلنا: لأنّهم لا يدرون لعلّهم لو لم يخرجوا لدخل المشركون عليهم في ديارهم، فقتلوهم هذا قول أبي علي. وقال غيره معنى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي محقين في تثبيطكم من الجهاد فِراراً من القتل»[1].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

ردّ على مقالة المنافقين بأنّ الشهدا ليسوا أمواتاً ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾. وفيها التفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب رسولِ الله ﷺ.

﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ حرف نهي وفعل مضارع مبني على الفتحة الظاهرة ونون التأكيد الثقيلة وفاعله أنت يا رسولَ الله ﷺ، الخطاب له ﷺ والمراد به جميع المكلفين نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[2]، أو أنّه خطاب لكلِّ عاقل ولكنّه خلاف ظاهر الآية.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به.

﴿قُتِلُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول ونائب فاعله. في يوم بدر وأُحُد وغيرهما من معارك الحقّ والباطل والإِسلام والكفر.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ مفعول به ثان. والمراد به بطلان الشعور والفعل وهو الموت الظاهري.

﴿بَلۡ﴾ حرف اضراب.

---

١. التبيان ٣/ ٤٥.

٢. سورة الطلاق / ١.

﴿أَحْيَآءٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾. حياة طيبة واقعية حقيقيّة معنوية لأنّ حياة الإنسان الواقعية بروحه لا بجسده فقط. وهم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ في الحال حقيقة لا مجازاً. وأمّا كيفيّة حياتهم فلابدّ أن تَكُوْنَ أفضل من الحياة البرزخية وغير الحياة الموجودة في يوم القيامة التي تكون للجميع وأمّا كيف هي؟ فلا نَدْرِيْ ولم يذكرها القرآن الكريم ولم يبيّنها بالتفصيل، فهي بأيّ نحو كانت، عُدّت حياة طيبة حقيقيّة والوجه في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

﴿عِندَ﴾ مفعول فيه. أفضل تكريم للشهداء بأنّهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٢] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[٣].

﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه: غاية تبجيل للشهداء بأن يضاف الربوبية إلى ضمير ﴿هُمْ﴾.

﴿يُرْزَقُونَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله والجملة صفة لـ ﴿أَحْيَآءٌ﴾ لأنّ الارتزاق وهو فعل، والفرح والاستبشار اللذين يأتيان في الآية الآتية يدلان على شعور فهم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ لأنّ لهم الفعل والشعور.

«ولسنا نعرف ديناً أو أُمّة رفعت من شأن الشهداء في سبيل الحقِّ والعدل كما رفعه الإسلام»[٤].

## الروايات

في تفسير العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رجلٌ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال إنّي راغِبٌ نَشيطٌ في الجِهاد، قال: فَجَاهِد في سَبيل الله، فإنَّك إن تُقْتَل كُنتَ حيّاً عند الله تُرْزَق، وإن مُتَّ فقد وَقَع أجْرُك على الله، وإن رَجَعْتَ خَرَجتَ من

١. سورة العنكبوت / ٦٤.
٢. سورة النحل / ٩٦.
٣. سورة آل عمران / ١٩٨.
٤. التفسير الكاشف ٢/ ٢٠٣.

الذُّنوب إلى الله، هذا تفسير ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية.[١]

الكليني بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام في وصاياه للمسلمين إذا حضر الحرب: ... ثمّ إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة وهو الكَرَّةُ فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة وبالرزق غداً عند الربّ والكرامة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ثمّ إنّ الرعب والخوف من جهادِ المستحقِّ للجهادِ والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدنيا مع الذُّلِّ والصغار وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[٢].

فحافظوا على أمر الله عزّ وجلّ في هذه المواطن التي الصبر عليها كرمٌ وسعادةٌ ونجاةٌ في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإن الله عزّ وجلّ لا يعبَأُ بها العباد مقترفون ليلهم ونهارهم، لَطُفَ به علماً وكلّ ذلك ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[٣]، فاصبروا وصابروا واسألوا النصر ووطِّنُوا أنفسكم على القتال واتقوا الله عزّ وجلّ فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٤].[٥]

الكليني بإسناده عن أبي جعفر الثاني: انّ أميرالمؤمنين قال لأبي بكر يوماً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وأشهد [أن] محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله مات شهيداً والله ليأْتِيَنَّكَ، فأيقنْ إذا جاءك فإنَّ الشيطانَ غير مُتَخَيِّلٌ به، فأخذ عليٌّ بيد أبي بكر فأراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا أبابكر آمن بعليٍّ وبأحد عشر من ولده، إنّهم مثلي إلّا النبوة وتب إلى الله ممّا في يدك، فإنّه لا حق لك فيه، قال: ثمّ ذهب فلم يُرَ.[٦]

---

١. التفسير العياشي ١/ ٣٥٠، ح١٧٠.
٢. سورة الأنفال / ١٥.
٣. سورة طه / ٥٢.
٤. سورة النحل / ١٢٨.
٥. الكافي ٩/ ٤٣٣، ح١ (٥/ ٣٧).
٦. الكافي ٢/ ٧٠٠، ح١٣ (١/ ٥٣٣).

**والسند ضعيف بالحسن بن العباس بن الحريش.**

وفي صحيحة أبي بصير قال: قلت: جعلت فداك أرأيتَ الرادَّ علي هذا الأمر فهو كالرادِّ عليكم؟ فقال: يا أبا محمّد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله ﷺ وعلى الله تبارك وتعالى، يا أبا محمّد إن الميت [منكم] على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: وإن مات على فراشه؟ قال: إي والله وإن مات على فراشه حيٌّ عند ربّه يُرْزَقُ.[١]

قال علي عليه السلام لأصحابه في ساعة الحرب بصفين: وأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِه، رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ورَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِه فَشَلًا، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِه الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْه كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِه، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَه مِثْلَه. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[٢] لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، ولَا يُعْجِزُه الْهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِه، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ في غير طاعة الله.[٣]

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قُتل أبي يوم أُحد وترك عليَّ بنات فقال رسول الله ﷺ: «ألّا أُبشرك يا جابر» قلت: بلى يا نبيَّ الله قال: «إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياء الله وكلّمه كلاماً فقال: يا عبدَالله سلني ما شئت قال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانياً، فقال: يا عبدالله إنّي قضيتُ أن لا أعيد خليقة إلى الدنيا. قال: يا ربِّ فمن يبلّغ قومي ما أنا فيه من الكرامة. قال الله تعالى: أنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٤]

---

١. الكافي ١٥/ ٣٥٠، ح١٢٠ (٨/ ١٤٦).
٢. حثيث: سريع في السير.
٣. نهج البلاغة، خطبة ١٢٣.
٤. الكشف والبيان ٣/ ٢٠١؛ تفسير القرطبي ٤/ ٢٦٨.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿فَرِحِينَ﴾ حال من «واو» يرزقون. فيجتمع في حقّهم الرزق والفرح في حال واحدة. ويمكن الرفع على الاستئناف. الفرح: ضد الحزن وهو السرور، أي إنّهم في حالة السرور بما وجدوه من فضل الله عليهم ونعمه التي لا تحصى لهم.

﴿بِمَآ﴾ جار ومجروره. ﴿ءَاتَىٰهُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به. أي أعطاهم.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي من ضروب نعمه وتمتعهم بها، وفوق كلّ هذه النعم رضا الله تبارك تعالى ولهم ﴿وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[1].

﴿وَ﴾ حالية، أو حرف عطف.

﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال آخر من «واو» يرزقون. فيجتمع في حقّهم الرزق والفرح والاستبشار. ويعطف على ﴿فَرِحِينَ﴾ إذا أخذنا ﴿وَ﴾ عاطفة وجاز عطف الفعل على الاسم لأنه يُجعل بمعنى الاسم أي ﴿فَرِحِينَ﴾ ومستبشرين.

والاستبشار: طلب السرور بالبشرىٰ. و «أصل البشارة من البشرة وذلك لظهور السرور بها في بشرة الوجه ومنه البَشَرَ لِظُهُوْرِ بشرته»[2]. و «معنى يستبشرون أي يسرون بالبشارة وأصل الاستفعال طلب الفعل، فالمستبشر بمنزلة مَنْ طلب السرور في البشارة فوجده»[3].

﴿بِٱلَّذِينَ﴾ جار ومجرور.

﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ﴾ حرف جزم وفعل مضارع مجزوم وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين المجاهدين المقاتلين.

---

١. سورة التوبة / ٧٢.
٢. التبيان ٣/ ٤٨.
٣. التبيان ٣/ ٤٨.

﴿بِهِم﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى الشهداء.

﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يظهر منها أن ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقتفون أثر الشهداء في الجهاد والقتال وأنّهم على طريقتهم. استبشارهم بذلك يدلّ على علمهم الكامل بالذين يلحقوا بهم وإشرافهم على هذه الحياة الدنيوية.

﴿أَلَّا﴾ «أن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ضمير الشأن، و «لا» حرف نفي.

﴿خَوْفٌ﴾ مبتدأ. ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ من المستقبل. والنكرة في سياق ٱلنَّفْيِ تدلّ على الاستغراق والعموم. بعدم وجود أيّ خوف عليهم.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور، خبره. وجملة ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبر «إنْ».

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿يَحْزَنُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. خبره. والحزن يصدق بالنسبة إلى الماضي.

قال العلّامة الطباطبائي: «وهذه الجملة أعني قوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كلمة عجيبة كلّما أمعنت في تدبّرها زاد في اتساع معناها على لطف ورقة وسهولة بيان، وأوّل ما يلوح من معناها أنّ الخوف والحزن مرفوعان عنهم، والخوف إنّما يكون من أمر ممكن محتمل يوجب انتفاء شيء من سعادة الإنسان التي يقدر نفسه واجدة لها، وكذا الحزن إنّما يكون من جهة أمر واقع يوجب ذلك؛ فالبليّة أو كلّ محذور إنّما يخاف منها إذا لم يقع بعدُ فإذا وقعت زال الخوف وعرض الحزن فلا خوف بعد الوقوع ولا حزن قبله.

فارتفاع مطلق الخوف عن الإنسان إنّما يكون إذا لم يكن ما عنده من وجوه النعم في مَعْرِضِ الزوال، وارتفاع مطلق الحزن إنّما يتيسر له إذا لم يفقد شيئاً من أنواع سعادته لا ابتداءاً ولا بعد الوجدان، فرفعه تعالى مطلق الخوف والحزن عن الإنسان معناه أن يفيض عليه كلّ ما يمكنه أن يتنعم به ويستلذّه، وأن لا يكون ذلك في مَعْرِضِ الزوال، وهذا هو خلود السعادة للإنسان وخلوده فيها...»[1].

---

١. الميزان ٤/ ٦١.

## الروايات

علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي عبيدة الحَذّاء عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم والله شِيعتُنا إذا دخلوا الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمَنْ لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[١]

**الرواية صحيحة الإسناد.**

وفي معتبرة بُرَيْدٍ العِجْلِيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا واستيقنوا أنّهم كانوا على الحقِّ وعلى دين الله عزّ وجلّ واستبشروا بمن لم يلحق بهم مِنْ إخوانهم مِنْ خلفهم من المؤمنين ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[٢]

عن علي بن موسى الرضا عليه السلام بإسناده قال: حدثني أبي الحسين بن علي عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب النّاس ويحثّهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين إخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله؟ فقال عليٌّ صلوات الله عليه: كنتُ رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته العَضْبَاءِ ونحن [قافلون من غزوة] ذات السلاسل فسألته عمّا سألتني عنه فقال: إنّ الغُزاةَ إذا همّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النّار [فإذا تجهّزوا لغزوهم] باهى الله بهم الملائكة، فإذا وَدَّعَهُمْ أهلُوهم بكت عليهم الحيطانُ والبيوت ويُخْرَجُونَ من ذنوبهم كما تَخْرُجُ الحيّة من سَلْخِها ويُوَكِّلُ اللهُ عزّ وجلّ بهم بكلِّ رجل منهم أربعين ملكاً يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلّا ضُعِّفَتْ له ويُكْتَبُ له كلّ يوم عبادةُ ألف رجلٍ يَعْبُدُ اللهَ ألف سنةٍ كلّ سنة ثلاثمائة وستّون يوماً ـ اليوم مثل عمر الدُّنيا ـ فإذا صاروا بحضرة عدّوهم إنقطع علمُ أهل الدّنيا عن ثواب الله أيّاهم فإذا برزوا لعدوّهم وأشْرِعْت الأسِنّة وفُوّقت السِّهام وتَقَدَمَ الرّجلُ إلى الرّجلِ حفّتهم الملائكة بأجنحتها ويدعون الله تعالى لهم

---

١. تفسير علي بن إبراهيم / ٦٩ من طبع الحجري (١/ ١٢٧).
٢. الكافي ١٥/ ٣٧٣، ح١٤٦ (٨/ ١٥٦).

بالنّصر والتثبيت ونادى مُنادى: الجنّة تحتَ ظِلالِ السّيوفِ فتكون الضّربةُ والطعنةُ على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصّائف.

فإذا أُزِيْلَ الشهيدُ عن فَرَسِهِ بطعنةٍ أو بضربةٍ لم يصل إلى الأرض حتّى يبعث الله ﷻ زوجته من الحور العين فتبشّره بما أعدّ الله ﷻ له من الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحباً بالروح الطّيبة التي أُخرجت من البدن الطّيب إبشر فإنّ لك مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ ويقول الله ﷻ: أنا خليفته في أهله ومن أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني، ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تَسْرَحُ في الجنّة حيث تشاءُ تأكلُ مِن ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش ويُعطى الرجلَ منهم سبعين غُرفةً مِن غُرَفِ الفردوس سُلُوكَ كلّ غرفةٍ ما بين صنعاء والشّام، بملأ نورها ما بين الخافقين، في كلّ غرفة سبعون باباً على كلِ [باب سُتُورٍ مُسْبَلَةٍ] في كلِّ غرفة سبعون خيمة، في كلّ خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها الدُّرُ والزبرجد مرصوسة بقضبان الزّمّرد على كلِّ سرير [أربعون فراشاً على كلِّ فراشٍ زوجة] من الحور العين عرباً أتراباً.

قال ٱلشّابُّ: يا أميرالمؤمنين اخبرني عن العربة[1] ما هي؟

قال: هي الزّوجة الرّضيّة المرضيّة الشّهيّه، لها سبعون ألف وَصِيفٍ وسبعون ألف وصيفةٍ صُفْرِ الحُلِيَّ بِيْضِ الوُجُوه عليهم تيجانُ اللؤلؤ على رقابهم المناديل بأيديهم الأكُوبة والأباريق.

وإذا كان يوم القيامة يَخْرُجُ من قبره شاهراً سيفه تَشْخَبُ أودَاجَهُ دماً، أللّونُ لونُ الدّمِ والرائحةُ رائحةُ المِسْكِ يَحْضَرُ في عَرَصَةِ القيامة.

فوالّذي نفسي بيده لو كان الأنبياءُ على طريقهم لَتَرَجّلُوا لهم ممّا يَرَوْنَ مِن بهائهم حتّى يأتوا على موائدٍ من الجوهر فَيَقْعُدونَ عليها، ويَشْفَعُ الرّجل منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجِيْرَتِهِ حتّى إنّ الجّارَيْنِ يتخاصمان أيُّهما أقْرَبُ جواراً فيقعدون معي ومع

---

١. كذا وَرَدَ، والمعروفُ أَنَّ العُرُبَ جَمْعُ العَرُوْب علىٰ وَزْنِ ٱلْعَرُوْس فَهِيَ ٱلْـمُتَحَبِّبَةُ إلىٰ زَوْجِها والأَتْرابُ: مَنْ كُنَّ في سِنٍّ واحِدَةٍ.

إبراهيم عليه السلام على مائدة الخُلْدِ فينظرون إلى الله تعالى في كلِّ يومٍ بكرةً وعشيّاً.[١]

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «هذا الاستبشار أعمّ من الاستبشار بحال غيرهم وبحال أنفسهم والدليل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّه بإطلاقه شامل للجميع، ولعلّ هذه هي النكتة في تكرار الاستبشار وكذا تكرار الفضل»[٢].

﴿بِنِعْمَةٍ﴾ جار ومجرور. تنكيرها يدلّ على تعميمها لكلِّ نعمة تُتَصَوَّرُ. وفي الميزان: «إنّ النعمة إذا اطلقت في عرف القرآن فهي الولاية الإلهية»[٣].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. لأنّ كلّ النعم يكون من الله تعالى. تأكيد لعظمة النعمة.

﴿وَ﴾ حرف عطف للتفسير.

﴿فَضْلٍ﴾ معطوف على ﴿نِعْمَةٍ﴾. وتنكيره يدلّ على تعميمه وقيل: «ليس المراد منه الموهبة الزائدة على استحقاقهم بالعمل»[٤] والقرينة عليه مابعده. ولكن يمكن أن يقال في جوابه: بأنّ نفي عدم تَضْيِيْعِ الأجر لا يدلّ على عدم وجود الفضل و ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[٥].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿لَا يُضِيعُ﴾ حرف نفي وفعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر، خبر ﴿أَنَّ﴾

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥٣٨؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام / ٩١، ح٢٧؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٠٦؛ روض الجنان ٥/ ١٥٧.
٢. الميزان ٤/ ٦١.
٣. الميزان ٤/ ٦٢.
٤. الميزان ٤/ ٦٢.
٥. سورة الرحمن / ٢٠.

الإضاعة: هي الذهاب والإبطال والفناء.
﴿أَجْرَ﴾ مفعول به. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

قال الشيخ: «ذكر ابن عباس والسُّدِّيّ، وابن إسحاق، وابن جريح، وقتادة: ان سبب نزول هذه الآية ان أباسفيان: صخر بن حرب، وأصحابه لما انصرفوا عن أُحُد، ندموا. وقال بعضهم لبعض: لا محمّداً قتلتم ولا الكواعب اردفتم فارجعوا فاغيروا على المدينة، واسبوا ذراريهم. وقيل: إنّ بعضهم قال لبعض: إنّكم قتلتم عدّوكم حتّى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم. فرجعوا إلى حمراء الأسد وسمع بهم النبي ﷺ فدعا أصحابه إلى الخروج، وقال: لا يخرج معنا إلّا مَنْ حضرنا أمس للقتال، ومن تأخر عنّا، فلا يخرج معنا. وروي أنّه ﷺ أذن لجابر وحده في الخروج ـ وكان خلّفه أبوه على بناته يقوم بهنَّ ـ فاعتل بعضهم بأن قال: بنا جراح، وآلام فأنزل الله تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[1] وقيل نزلت فيهم أيضا ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2] ثمّ استجابوا على ما بهم إلى اتباعهم وألقي الله الرعب في قلوب المشركين، فانهزموا من غير حرب. وخرج المسلمون إلى حمراء الأسد. وهي على ثمانية أميال من المدينة»[3].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ الجر بدلاً من ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أو نعتاً له، أو الرفع على الابتداء وخبره الجملة الفعلية ﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾، أو النصب مفعولاً به

١. سورة آل عمران / ١٤٠.
٢. سورة النساء / ١٠٤.
٣. التبيان ٣/ ٥٠.

بفعل محذوف على المدح والتقدير: أعني ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. استجاب: طلب الإجابة وأجاب: فعل الإجابة. وقيل: أنّهما بمعنى واحد وهي أن تسأل شيئاً فتجاب بالقبول.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور للتعظيم. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلرَّسُولِ﴾ معطوفه. وهو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ جار ومجرور. ﴿مَآ﴾ مصدرية.

﴿أَصَابَهُمُ﴾ فعل ماض ومفعوله به. أي: من بعد مأناهم.

﴿ٱلْقَرْحُ﴾ فاعله. أي: الجراح. وأصله: الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح أي خالص. ويقال للجرح القرح لخلوص ألمه إلى النفس.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجروره في محلّ الجر. متعلّق بخبر مقدم محذوف أو هو بنفسه خبر مقدم. وقصر الوعد على بعض أفراد المستجيبين وهم الذين يكونون محسنيين ومتقين.

﴿أَحْسَنُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. الإحسان: هو النفع الحسن.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور. ومن: بيانية أو تبعيضية بناءً على دلالتها على بعض أفراد المستجيبين. والضمير يرجع إلى المستجيبيين.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله معطوف على ﴿أَحْسَنُواْ﴾. أي: اتقوا معاصي الله.

﴿أَجْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت وصفة.

## الروايات

وفي تفسير الحبري: نزلت في عليّ عليه السلام وتسعة نفرٍ معه، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أثر أبي‌سفيان حين ارتحل، فاستجابوا لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.[١]

قال علي بن إبراهيم القمي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أَيُّ رَجُلٍ يأتينا بخبر القوم؟ فلم يجبه أحدٌ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أتيكم بخبرهم قال: اذهب فإن كانو اركبوا

---

١. تفسير الحبري / ٢٥١.

الخيل وجنبّوا الإبل فهم يريدون المدينة والله لأن ارادوا المدينة لأُنازلنَّ الله فيهم وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبّوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة فمضى أميرالمؤمنين عليه السلام على ما به من الألم والجراحات حتّى كان قريباً من القوم فراهم قد ركبوا الإبل وجنبّوا الخيل فرجع أميرالمؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أرادوا مكّة. فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، نزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: «يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلّا من به جراحة» فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منادياً ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم. فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويراوونها وأنزل الله على نبيّه ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ وهذه الآية في سورة النساء١.٢

في تفسير العياشي عن سالم بن أبي مريم، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث عليّاً عليه السلام في عشرة ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ إلى ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ إنّما نَزَلت في أميرالمؤمنين عليه السلام .٣

**ورواها صاحب شواهد التنزيل٤.**

قال ابن شهرآشوب: روي عن أبي رافع بطرق كثيرة أنّه: لما انصرف المشركون يوم أحد بلغوا الروحاء قالوا: لا الكواعب أردفتم ولا محمّداً قتلتم ارجعوا. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث في اثارهم عليّاً في نفر من الخزرج فجعل لا يرتحل المشركون من منزل إلّا نزله عليٌّ فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾. وفي خبر أبي رافع: أنّ النبيّ تفل على جراحه ودعا له، وبعثه خلف المشركين فنزلت فيه الآية.٥

وقال ابن شهرآشوب: ثمّ كانت غزوة حمراء الأسد: قوله:﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ

---

١. سورة النساء / ١٠٤.
٢. تفسير القمي / ٦٧ من طبع الحجري، (١/ ١٨٢ من طبعة مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٠، ح١٧١.
٤. شواهد التنزيل ١/ ١٣٤، ح١٨٤ و ١٨٥.
٥. المناقب ٣/ ١٤٩.

وَٱلرَّسُولِ﴾ (الآية) ذكر الفلكي المفسر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن أبي رافع أنها نزلت في عليّ عليه السلام وذلك أنّه نادى يوم الثاني من أُحُد في المسلمين فأجابوه، وتقدم عليٌّ براية المهاجرين في سبعين رجلاً حتّى انتهى إلى حمراء الأسد، ليرهب العدوّ، وهي سوق على ثلاثة أميال من المدينة ثمّ رجع إلى المدينة يوم الجمعة وخرج أبوسفيان حتّى انتهى إلى الروحاء فرأى معبداً الخزاعيّ فقال: ما وراءك؟ فأنشده:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيلِ

تـردي بأُسْـدٍ كِـرامٍ لا تنـابلـةٍ ... عِند اللقاء ولا خُرْقٍ مَعازيلِ

فقال أبوسفيان لركب من عبدِ القيسِ[١]: بلّغوا محمّداً أنّي قتلت صناديدكم، وأردت الرجعة لاستأصلكم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قال أبورافع: قال ذلك عليٌّ فنزل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[٢] (الآية).[٣]

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾

«قال قوم من المفسرين: إنّ هذا التخويف من المشركين كان في السنة المقبلة، لِأَنَّ أباسفيان، لما انصرف يوم أُحُد، قال: موعدكم البدر في العام المقبل. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن حضره: قولوا نعم. فلمّا كان العام المقبل خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه، وكان أبوسفيان كره الخروج، فَدَسَّ مَن يُخَوِّفُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَهُ لم يسمعوا منهم، وخرجوا إلى بدر فلمّا لم يحضر أحدٌ من المشركين، رجعوا، وكانوا صادفوا هناك تجارة اشتروها فربحوا فيها، وكان ذلك نعمة من الله. وروى ذلك أبوالجارود عن أبي جعفر عليه السلام».[٤]

---

١. وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ رَبِيْعَةَ بْنِ نِزار.
٢. سورة آل عمران / ١٧٣.
٣. المناقب ١/ ٢٤٥.
٤. التبيان ٣/ ٥٣.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ جرٍ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ أو يكون في محلِّ نصب مفعولاً به بفعل محذوف على المدح تقديره: أعني.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض.

﴿لَهُمُ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وخرجوا معه ﷺ للقتال والجهاد.

﴿ٱلنَّاسُ﴾ فاعله. وهو أفراد الإنسان من حيث عدم أخذ ما يتميّز به بعضهم من بعض.[١] وفي المعني به ثلاثة أقوال[٢]:

الأوّل: إنّهم ركب دسّهم أبوسفيان إلى المسلمين ليجنبوهم من أُحد لمّا ارادوا الرجوع إليهم، قاله ابن عباس وابن إسحاق.

الثاني: هو أعرابي ضُمِنَ له جُعْلٌ على ذلك. عن السُّدِّيّ. وقيل[٣] عنه: إنّهم المنافقون.

الثالث: هو نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُوْدٍ الأشجعي وهو قول أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

إن قلت: علىٰ القول الثاني والثالث فَكَيْفَ عَبَّرَ بلفظ الجميع عن الواحد في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾.

قلت: كما قاله الشيخ: «لأمرين: أحدهما: إنّ تقديره جاء القول من قبل الناس، فوضع كلام موضع كلام ـ ذكره الرُّمّانيُّ ـ.

والثاني: إنّ الواحد يقوم مقام الناس، لأنّ «الانسان» إذا انتظر قوماً فجاء واحد منهم، قد يقال: جاء الناس إمّا لتفخيم الشأن، وإمّا لابتداء الاتيان»[٤].

فظهر بما ذكرنا إمكان التعبير عن الواحد بلفظ الجمع فلا يتم من أنّ «ظاهر الآية كونهم عدّة وجماعة لا واحداً»[٥].

---

١. كما في الميزان ٤/ ٦٤.
٢. راجع التبيان ٣/ ٥٢.
٣. القائل هو الطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٥٤١.
٤. التبيان ٣/ ٥٢.
٥. كما في الميزان ٤/ ٦٤ ومواهب الرحمن ٧/ ٧٢.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل جاء للتأكيد. هذا أوان مقالة ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الأوّل.

﴿ٱلنَّاسَ﴾ اسمه. والمراد بهم المشركون الذين كانوا يأتون لقتال المسلمين وعلي رأسهم أبوسفيان وأصحابه الذين جمعوا جموعاً كثيرة لأجل الحرب مع المسلمين.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿جَمَعُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور. أي لقتالكم وحربكم، والضمير يرجع إلى المسلمين المجاهدين المناضلين وجملة ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿فَ﴾ حرف عطف للترتيب. أي بعد ما ﴿جَمَعُواْ لَكُمْ﴾.

﴿ٱخْشَوْهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. والخشية: خوفٌ يَشُوبُهُ تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشى منه كما في المفردات[1].

﴿فَ﴾ مرّ.

﴿زَادَهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى أمرهم بالخشية ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى المسلمين المجاهدين المقاتلين.

﴿إِيمَـٰنًا﴾ مفعول به ثانٍ أو تمييز منصوب. أي ايمانهم بدينهم وانتصارهم. فالأمر بالخشية لا ينتج لهم إلّا الثبات على دينهم والمقاومة عليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿قَالُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى المجاهدين المؤمنين المقاومين.

﴿حَسْبُنَا﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ومعناه الكِفاية لأنّها بحسب الحاجة وأصله من الحسابِ والإحساب وهو الكفاية.

﴿ٱللَّهُ﴾ خبره والجملة الاسمية ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ في محل نصب مفعول به مقول القول.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿نِعْمَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ جامِدٌ لإنشاء المدح مبني على الفتح.

---

١. المفردات / ١٤٩ للراغب الأصفهاني.

﴿ٱلۡوَكِيلُ﴾ فاعله. ﴿ٱلۡوَكِيلُ﴾: الحفيظ وقيل: هو الولي وأصله القيام بالتدبير.

## روايةٌ

وروي عن ابن عباس أنّه قال آخر كلام إبراهيم عليه السلام حين أُلقِيَ في النار ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ وقال نبيّكم مثلها وتلا هذه الآية.[١]

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾

﴿فَ﴾ حرف عطف للترتيب. أي بعد مقالتهم ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ وتبعيتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم للخروج للجهاد والقتال.

﴿ٱنقَلَبُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى المجاهدين المقاتلين المقاومين المطيعين لله ورسوله. والمراد بالانقلاب هنا هو الرجوع سالماً غانماً.

﴿بِنِعۡمَةٖ﴾ جار ومجرور. والمراد بها هنا العافية وهي النعمة العظمى أو الثبوت على الإيمان.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بصفة محذوفة من ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿فَضۡلٖ﴾ معطوف على ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾. والمراد به هو التجارة وحصول الربح فيها، لأنّه روي أنّهم أقاموا في الموضع ثلاثة أيام فاشتروا أدماً وزبيباً وربحوا فيه.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ﴾ حرف نفي وجزم وقلب وفعل مضارع مجزوم ومفعول به. أي لم يصبهم قتل ولا جرح، والجملة الفعلية في محلِّ نصب حال من ضمير ﴿ٱنقَلَبُواْ﴾.

﴿سُوٓءٞ﴾ فاعله. من القتل والجرح والأسر وغيرها.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥٤١.

﴿ٱتَّبَعُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله معطوف على الجملة الفعلية الحالية ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ هو طاعته التي يحصل بها رضوانه.

﴿وَ﴾ حرف استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ خبره ومضاف إليه وصفته ونعته. أي أنّه تعالى ذو إحسان عظيم على عباده دِيْنِيٍّ ودُنْيَوِيّ.

**روايتان**

في تفسير العياشي عن جابر، عن محمّد بن علي عليه السلام، قال: لمّا وجّه النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وعمّار بن ياسر إلى أهل مكّة، قالوا: بَعَث هذا الصبيّ، ولو بَعَث غيره إلى أهل مكّة، وفي مكّة صَناديد قُريش ورجالها! والله الكُفر أولى بنا ممّا نحن فيه. فساروا وقالوا لهما، وخَوَّفوهما بأهل مكّة، وغَلّظوا عليهما الأمر.

فقال عليٌّ عليه السلام: حَسْبُنا الله ونِعم الوكيل. ومضيا، فلمّا دخلا مكّة، أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وآله بقولهم لعليٍّ عليه السلام وبقول عليٍّ لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله تعالى: ألم تر إلى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

وإنّما نَزَلت: [ألم تَرَ] إلى فلان وفلان[1]، لَقُوا عليّاً وعمّاراً فقالا: إنّ أباسفيان وعبدالله بن عامر وأهل مكّة، قد جَمَعُوا لكم فاخشوهم، وزادهم إيماناً، وقالوا: حَسْبُنا الله ونِعمَ الوَكِيلُ.[2]

قال الطبرسي: قد صحت الرواية عن الصادق عليه السلام أنّه قال: عجبتُ لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فإنّي سمعتُ اللهَ يقول بِعَقِبِها:

---

١. كذا في الأصْلِ وَلَعَلَّ الصَّواب: في فُلانٍ وَفُلانٍ، لَقِيا... إلخ.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٠، ح١٧٢.

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.[١]

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾

«إنّ الشيطان [واتباعه] يلعب دوراً هامّاً[٢] في حياة الإنسان، يتربّص بالمؤمنين الدوائر ويريد إغواءهم ويبثّ أوليائه وأعوانه ليقوموا بهذه المهمّة فينشروا الفساد في الأرض ويروّجوا الضلال، فكان ذلك النداء الشيطاني بالخشية من العدوّ، حفظاً لأوليائه، وحماية للكفر والضلال، وتثبيطاً للمؤمنين عن القتال بإلقاء الرعب والخوف في نفوسهم ليخضعوا لهم»[٣].

﴿إِنَّمَا﴾ حرف توكيد «إنّ» و «ما» الزائدة الكافة التي ابطلت عمل إنّ، وتُستعمل حرف حصر ويأتي محصورها متأخراً دائماً.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ «ذا» اسم اشارة مبتدأ، «ل» للبعد، «ك» حرف خطاب والميم للجمع حُرك بالضم لالتقاء الساكنين للوصل. واسم الاشارة راجع إلى ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأوّل في ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ والشاهد عليه قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بدل من ﴿ذَٰلِكُمُ﴾. اسم عام يطلق على إبليس وأعوانه وأنصاره وجنده ويقال لهم شياطين. والظاهر أنّ المراد به هنا الإنسان الذي يخدم إبليس وأتباعه وهو هنا إمّا إبوسفيان عليه اللعنة أو الذي أرسله أبوسفيان لأجل تخويف المسلمين وهو نعيم بن مسعود.[٤] فكان فعلهما من فعل الشيطان وبإغوائه وتسويله.

﴿يُخَوِّفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر، خبر ومحصورٌ. والتخويف: هو إيجاد الخوف والوحشة وإشاعتهما من العدوِّ الكافر في قلوب المؤمنين المجاهدين حيث

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥٤١.
٢. كذا في الأَصْلِ والصَّواب: مُهِمّاً؛ لِأنّ الهامّ هُوَ ٱلْأَمْرُ ٱلْمُحْزِن، وَلا مَوْضِعَ لَهُ في هذا ٱلسِّياق.
٣. مواهب الرحمن ٧/ ٧٥.
٤. كما ذكره الكلبي في تفسير التسهيل، ونقل عنه في التفسير الكاشف ٢/ ٢٠٧؛ واعترف بالثاني الشيخ في تبيانه ٣/ ٥٤.

يقول لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾.

﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ مَفْعُوْلٌ به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الشيطان. أي إنّ الشيطان خوّف أولياءه فقط وأثّر تخويفه فيهم فقط وهم المنافقون دون أَولياء الله والمؤمنين.

ويمكن أن يكون ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ المفعول الأوّل و «المؤمنين» المحذوف المفعول الثاني فحينئذ التخويف من الشيطان يكون من طريق ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ للمؤمنين المجاهدين.[١]

والأوّل هو الأظهر.

﴿فَ﴾ حرف استئناف.

﴿لَا تَخَافُوهُمْ﴾ حرف جزم ونهي وفعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. نهي من الله تعالى لِلْمُؤْمِنين بِأَنْ لا يَخافُوْا من المشركين المقاتلين لَهُمْ.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿خَافُونِ﴾ فعل أمر وفاعله و «ن» وقاية، «ي» ضمير متصل متكلم محذوف والكسرة دالة عليه. أمر الله سبحانه بأنّ المؤمنين لابدّ وأن يخاف من الله تعالى فقط.

أي الخوف لابدّ أن يكون من الله تعالى فقط والضمير المتصل المتكلم جاء بدلاً من اسمه تعالى اشارة إلى ولاية المؤمنين الخائفين منه تعالى. وقربه تعالى منهم.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنتُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ وشرط وفي محلّ جزم، الضمير اسم كان. ويرجع إلى المخاطبين المؤمنين المجاهدين المقاتلين الخائفين من الله تعالى.

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ خبر كان. والتقدير: إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله فلا تخافوهم بل خافوني.

---

١. وَهٰذا هُوَ ٱلْوَجْهُ الّذي ٱختارَهُ أَبُوْالعبّاسِ المُبَرِّدُ الذي هو من أئمة النُّحاة في مدرسة البصرة كما ذَكَرَ ذٰلِكَ في آخِرِ كتابه «الكامل» علىٰ ما يَخْطُرُ بالبال وَيَعْضُدُهُ السّياقُ بِدَلالة «فلا تخافوهُمْ» فَدَعْوىٰ الظهور في أوّلِ القَوْلَيْنِ مَدْفُوْعة. (عبدالستار الحسني).

## الروايات

الصدوق بإسناده إلى وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: ... يا عليّ مَنْ خاف الله عزّ وجلّ خاف منه كلّ شيءٍ ومن لم يخف الله عزّ وجلّ أخافه الله من كلِّ شيء.[١]

وفيها: ... يا عليّ... وثلاث منجيات... وامّا المنجيات: فخوف الله في السرِّ والعلانية والقصد في الغنى والفقر وكلمة العدل في الرضا والسخط...[٢].

الكراجكي رفعه وقال: رُوي عن الأئمة عليهم السلام: أنّ أصل كلّ خيرٍ في الدنيا والآخرة شيء واحد وهو الخوف من الله تعالى.[٣]

أبو يَعْلىٰ الجعفري رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: اشحنوا قلوبكم من خوف الله تعالى فإن لم تسخطوا شيئاً من صنع الله يلمّ بكم، فاسألوا ما شئتم.[٤]

سبط الطبرسي نقلاً من المحاسن عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: المؤمن لا يخاف غير الله ولا يقول عليه إلاّ الحقّ.[٥]

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾

تسليّة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومواساة له من الحزن الذي أَصابَهُ من هزيمة أُحُدٍ وأَعمال المنافقين وأقوالهم فيه أو قبله أو بعده.

﴿وَ﴾ استئناف.

﴿لَا يَحۡزُنكَ﴾ حرف نهي جازم وفعل مضارع مجزوم بلا الناهية ومفعوله. والضمير المفعولي خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً له وتعظيماً لمقامه صلى الله عليه وآله وسلم تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم

---

١. الفقيه ٤/ ٣٥٧.
٢. الفقيه ٤/ ٣٦٠.
٣. معدن الجواهر / ٢٢.
٤. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر / ٤٦.
٥. مشكاة الأنوار / ١١٧.

عمّا يناله من الغمّ بإسراع قوم إلى الكفر.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع. فاعل.

﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وهم المنافقون أو قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام. ومن المعلوم أنّ السرعة في الكفر والعجلة فيه مذمومة.

﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾ جار ومجرور.

﴿إِنَّهُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل يفيد التأكيد وَلٰكِنْ جاءَ هنا للتعليل، والضمير اسمه، يرجع إلىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

﴿لَن يَضُرُّواْ﴾ حرف نفي ونصب وفعل مضارع منصوب وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إليهم.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به.

﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول مطلق. أو صفة لمصدر محذوف أو نائباً عنه. معناه ضرراً. والجملة الفعلية ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. وهي تعليل عام يعلّل به الخاص وهو ﴿لَا يَحْزُنكَ﴾. «والمعنى: وإنّما قلنا: إنّ هؤلاء المسارعين لا يضرّون الله شيئاً لأنّ الكافرين جميعاً لا يضرّونه شيئاً»[١].

وتنكيره يَدُلُّ على تصغير الضرر يعني أنّهم لا يضرّون الله شيئاً يسيراً.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع. يدلّ على الاستمرار. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿أَلَّا﴾ «أن» حرف مصدري للنصب و ﴿لا﴾ نافية.

﴿يَجْعَلَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مُسْتَتِرٌ يرجع إلى ﴿ٱللَّهُ﴾[٢] تعالى.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور. ﴿حَظًّا﴾ مفعول به.

﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ جار ومجرور. قال الشيخ: «فإن قيل: كيف قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ والإرادة لا تتعلق بألّا يكون الشيء وإنّما تتعلق بما يصح حدوثه؟ قلنا: عنه جوابان:

---

١. الميزان ٤/ ٧٩.

٢. بالرَّفْع علىٰ الحكاية.

أحدهما: قال ابن إسحاق: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من المعاصي والكبائر.

والثاني: إنّ الله يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم، وهو الذي يليق بمذهبنا؛ لأنّ الاحباط عندنا ليس بصحيح.

فإنْ قيل كيف قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ وهذا إخبار عن كونه مُرِيْداً في حال الإخبار، وإرادة الله تعالى لعقابهم تكون يوم القيامة، وتقديمها على وجه يكون عزماً وتوطيناً للنفس لا يجوز عليه تعالى؟

قلنا: جاءَ عنه جوابان:

أحدهما: قال أبوعلي: معناه أنّه سيريد في الآخرة حرمانهم الثواب، لكفرهم الذي ارتكبوه.

والثاني: أنّ الإرادةَ مُتعلِّقةٌ بالحكم بذلك، وذلك حاصل في حال الخطاب»[1].

﴿وَ﴾ استئناف.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم يدلّ على حصر ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عليهم.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ صفة ونعت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٧﴾

تعميم لجميع الكافرين بعد تخصيص الآية السابقة بالمُسارِعِيْنَ في الكفر.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه.

﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. بمعنى الاستبدال. سمّاه شراءً مجازاً.

﴿ٱلْكُفْرَ﴾ مفعول به. ﴿بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾.

﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مرّ في الآية السابقة.

«وإنّما كرر ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ في هذه الآية، لأنّه ذكر في الآية الأولى ـ على طريقة

---

١. التبيان ٣/ ٥٦.

العِلَّةِ ـ لما يجب من التسليّة عن المسارعة إلى الضلالة، وذكر في هذه الآية على وجه العِلَّة لاختصاص المضرّة للعاصي دون المعصىٰ»[١].

وبعبارة أُخرى: «المراد بالآية الأولى كفار قريش الذين جهزوا الجيوش لحرب الرسول ﷺ ومن كان يؤازرهم من المنافقين، والمراد بالآية الثانية كلّ مَنْ كفر من الأوّلين والآخرين محارباً كان أو غير محارب، وعليه يكون ذكر الآية الثانية من باب ذكر العام بعد ذكر الخاص، وهو كثير في كلام العرب، يقولون: فلان قامر بأمواله، فأهلك نفسه. وكلّ مَنْ يفعل فعله فهو من الهالكين»[٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾

بيان لإحدى المصالح والسنن التي اقتضت إملاء الله تعالى للذين كفروا وهي تعلّق إرادة الله بإمهالهم واستدراجهم إلى زيادة الإثم بسوء اختيارهم الكُفْرَ والإثْمَ وإضراراً بأنفسهم جهلاً منهم بهما.

وبعبارة أُخرى: بيّن اللهُ تعالى: أنّه لا ينبغي للكافرين الأثمين العاصين أن يفرحوا بما يجدونه من الإمهالِ والإملاءِ ٱلْإِلٰهِيَّيْنِ فإنّ ذلك يسوقهم بالاستدراج إلى زيادة الإثم والكفر والطغيان ووراء ذلك عذاب مهين وكلّ ذلك قد يُسَمّٰى سنة التكميل والاستدراج.[٣]

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ حرف جزم ونهي.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾ فعل مضارع ونهي مبني على الفتح محلًّا مجزوم «نون» تأكيد الثقلية. أي: لا يظنّن.

---

١. التبيان ٣/ ٥٧.
٢. التفسير الكاشف ٢/ ٢١٠.
٣. راجع الميزان ٤/ ٧٩.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول. فاعل. ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿أَنَّمَا﴾ من الحروف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل و ﴿مَا﴾ موصوله بمعنى الذي[1]، اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿نُمْلِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». من الإملاء: وهو طول المدّة. والملأ: الدهر. والملوان: الليل والنهار. ﴿نُمْلِى لَهُمْ﴾: أي نطول أعمارهم ومدّتهم

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.

﴿لِّأَنفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور مضاف إليه. وجار ومجرور متعلَّق بـ ﴿خَيْرٌ﴾ أو بصفة محذوفة من ﴿خَيْرٌ﴾. و ﴿أَنَّ﴾ و ﴿مَا﴾ عملت فيه من اسمها وخبرها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي «يحسب» لأنّه لا يعمل في ﴿أَنَّمَا﴾ إلّا ما يتعدي إلى مفعولين ويحسب يتعدي إلى مفعولين أو مفعول يسدّ مسدّ مفعولين نحو حسب أن زيداً منطلق وحسبت أن يقوم عمرو. فقوله ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ سدّ مسدّ المفعولين اللذين يقتضيهما ﴿يَحْسَبَنَّ﴾.[2]

﴿إِنَّمَا﴾ كافَّة. تدل على الحصر. بمعنى بل ﴿إِنَّمَا﴾ ولهذا كسرت همزة ﴿أَنَّ﴾ لورودها بعد بل.

﴿نُمْلِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور.

﴿لِ﴾ حرف نصب، أو حرف جر يأتي بعدها «أنْ» مضمرة ناصبة. ورد للتعليل أو العاقبة.

﴿يَزْدَادُوٓاْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. وهو المحصور. ﴿إِثْمًا﴾ تمييز.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مرّ الكلامُ عَلَيْها في الآيتين السابقتين. ويهينهم الله بعذابهم في النار لأنّهم كانوا من الأعِزّة والجبابرة في الدنيا بما لهم من طول العمر وأنواع النعم.

---

١. وَكانَ حَقّ رَسْمِ الْجُمْلَة هُنا: «أَنَّ ما» بِفَصْلِ «أَنَّ» عَنْ «ما» الموصولة بخلافِ «إِنَّما» التي هي أداةُ حَصْرٍ لكن قالوا: خَطّانِ لا يُقاسُ عليهما: المصحفُ والْعَرُوضُ. (عبدالستار الحسني).

٢. راجع التبيان ٣/ ٥٨.

## الروايات

في تفسير العياشي عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلتُ له: أخبرني عن الكافر، الموت خيرٌ له أم الحياة؟ فقال: الموتُ خَيرٌ للمؤمن والكافر.

قلت: ولِمْ؟ قال: لأنّ الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾[١] ويقول: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.[٢]

**المراد بالأبرار في الرواية جميع المؤمنين ـ لا طائفة خاصة منهم ـ لما في كلٍّ منهم شيء من البرِّ.**

وعن يونس، رفعه، قال: قلتُ له: زَوّج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فلاناً؟ قال نعم. قلت: فكيف زوّجه الأُخرى؟ قال: قد فعل، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ﴾ إلى ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.[٣]

وقد ورد في خُطْبَةِ عقيلةِ العرب وَرَبِيْبَةِ بَيْتِ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسالة زينبَ بِنْتِ أميرالمؤمنين عليه السلام في مجلس يزيد الملعون بالشام: ... أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار أنَّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنَّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك[٤] تضرب أصدريك فرحاً[٥] وتنقض مذرويك مرحاً[٦] حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[٧] والأمور لديك متسقة[٨] وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً! أنسيت قَوْلَ الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ إِنَّمَا

---

١. سورة آل عمران / ١٩٨.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥١، ح١٧٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥١، ح١٧٤.
٤. نظر في عطفه، أخذه العجب.
٥. الاصدران: عرقان تحت الصدغين.
٦. المذروان: طرفا الاليتين.
٧. مستوسقة: مجتمعة.
٨. متسقة: مستوية.

نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.[١]

سُئِلَ النبي ﷺ: أيّ الناس خير؟ قال: مَنْ طال عمره وحسن عمله، قال: فأيّ الناس شر؟ قال: مَنْ طال عمره وساء عمله.[٢]

وعنه ﷺ: السعادةُ كلُّ السعادةِ طُولُ العمر في طاعة الله.[٣]

## تبصرة في الكافر وعمل الخير

سؤال: «إنّ بعض الكفار يعملون الخير لوجه الخير، وكلّما طالت أعمارهم ازدادوا نفعاً للإنسانية بعلومهم وجهودهم الخالصة من كلِّ شائبة. وهذا يتنافى مع ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾؟

الجواب: إنَّ سياق الآية يحدّد المراد من الإثم فيها، وأنّه خصوص الكفر، وإنّهم من هذه الحيثية يزدادون كفراً، لا من جميع الجهات، إذ قد يكونون محسنين في بعض أعمالهم.

سؤال ثانٍ: هل يثاب الكافر إذا أحسن ونفع الناس، أم إنّ عمله هذا وعدمه سواء؟.

الجواب: إنَّ الإنسان بالنظر إلى الإيمان والعمل الصالح لا يخلو أن يكون واحداً من أربعة:

١ـ أنْ يؤمن ويعمل صالحاً، وينطبق على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٤].

٢ـ أنْ لا يؤمن ولا يعمل صالحاً... وهذا من الذين: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[٥].

---

١. الاحتجاج ٢/ ٣٠٨.
٢. الكشف والبيان ٣/ ٢١٦؛ روض الجنان ٥/ ١٧٧.
٣. روض الجنان ٥/ ١٧٧.
٤. سورة فصلّت / ٣٠.
٥. سورة المجادلة / ١٩.

٣ـ أنْ يؤمن، ولكنّه لم يعمل صالحاً مدّة حياته... وهذا من حزب الشيطان، تماماً كالثاني... ولو كان مؤمناً حَقّاً لظهرت عليه علامةٌ من علامات الإيمان، قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ينجي إلّا العمل، ولو عَصَيْتُ لَوَهَيْتُ[١].

أما إذا خلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، واعترف بذنبه فتشمله [قوله تعالى]: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

٤ـ أَنْ يعمل صالحاً، ولا يؤمن، كالكافر يُطْعِمُ جائعاً أو يكسو عارياً أو يشق طريقاً أو يبني ميتماً أو مَصحّاً لوجه الخير والانسانية... وقِيْلَ إِنَّ عمله هذا وعدمه سواء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

والكافر ليس من المتقين، إذ ليس بعد الكفر ذنب.

ونجيب أولا: [إِنَّهُ] ليس المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أَنَّ الإنسان إذا عصى الله في شيء لا يقبل منه إذا أطاعه في شيء آخر.. وإلّا لزم ان لا يتقبل إلّا من المعصوم.. وهذا يتنافى مع عدله وحكمته، وإِنّما المراد من الآية أَنَّ اللهَ سبحانه لا يقبل إلّا العمل الخالص من كلِّ شائبة دنيوية، وأنّ من عمل لغير الله والخير يَكِلُهُ إلى من عمل له.. وليس من شك أنّ مَنْ عمل الخير لوجه الخير والانسانية فقد عمل لله، سواء أراد ذلك، أم لم يرد، ومن عمل لله فأجره على الله.

أما المراد مِنْ «ليس بعد الكفر ذنب» فهو إنّ الكفر أكبر الكبائر على الإطلاق، وإنّ الذنب مهما عظم فإنّه دون الكفر بمراتب.. وهذا شيء، وجزاء من أحسن شيء آخر.

ثانياً: إِنَّ الله سبحانه عادل، ومن عدله أن لا يكون المحسن والمسيء لديه سواء، بل للمسيء جزاؤه، وللمحسن جزاؤه، وليس من الضروري أنْ يكون جزاء المحسن

---

١. وفي طريقٍ آخَرَ: لَهَوَيْتُ. (عبدالستار الحسني).
٢. سورة التوبة / ١٠٢.
٣. سورة المائدة / ٢٧.

غير المؤمن في الآخرة.. فقد يكون في الدنيا بكشف الضرّ والبلوى، قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

وأيضاً لا ينحصر جزاء الآخرة بالجنّة، فقد يكون بتخفيف العذاب، أو لا عذاب ولا ثواب، كما هي حال أهل الأعراف.

واختصاراً، إنَّ الإنسان مجزي بأعماله، إنْ خَيْراً فخيرٌ، وإنْ شَرّاً فشرٌّ، والكافر يستحق العقاب على كفره، وقد فعل الخير لوجه الخير، فيستحق عليه الثواب، ولكلٍّ عمل حساب.. أجل، نحن لا ندرك كنه الثواب الذي يثاب به المحسن غير المؤمن، ولا متى وأين؟ أفي الدنيا أو في الآخرة؟ إنّ هذا موكول إلى علم الله وحكمته، وتحديده بشيء معين مُشارَكةٌ لله في علمه، فليتق الله من يؤمن به.

وبهذه المناسبة نذكر كلمة [للفقيهِ الكبير] السيّد كاظم [الطباطبائيّ اليزديّ قدس سره] صاحب «العروة الوثقى»، قالها في ملحقات العروة، باب الوقف، مسألة اشتراط نية القربة، وهذه هي بالحرف: «يمكن أن يقال بترتب الثواب على الأفعال الحسنة، وان لم يقصد بها وجه الله، فإنَّ الفاعل لها يستحق المدح عند العقلاء، وإنْ لم يقصد بفعله التقرب إلى الله، فلا يبعد أن يستحق من الله تعالى التفضل عليه»[1].

فهذا العالم الجليل يقول بكلٍّ وضوح: إنَّهُ من الجائز أن يثيب الله على الأفعال الحسنة وان لم يُقْصَدْ بها وجه الله... إذن، فبالأولى أن يثيب الله فاعلها إذا قصد وجه الخير والإنسانية، وسبقت الإشارة أكثر من مرّة إلى أن العقل لا يأبى أنْ يمن الله بفضله وثوابه على المذنب وإنَّما الذي يأباهُ العقل أن يعاقب الله من لا يستحق العقاب»[2].

---

١. العروة الوثقىٰ ٦/ ٢٨٢، مسألة ٣، طبعة جماعة المدرسين بقم المقدسة.
٢. التفسير الكاشف ٢/ (٢١٣-٢١١).

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾

التفات إلى المؤمنين وَتَبْيِيْنٌ مِنْهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ بأنّ سنة الابتلاء جارية فيهم ليتم تكميلهم ليخلص المؤمن من غيره ويتميّز. الخبيث من الطيب. وأمّا علم الغيب الالهي فيختص به ويستأثر نفسه به أو يعلّم بعضه ببعض رسله وأنبيائه، وحيث لم يكن من الابتلاء والتكميل مَحِيْدٌ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ حتّى تَدْخُلُوْا وَتَسْتَمِرُّوا علىٰ السَّيرِ في طريق الرّشادِ والهُدىٰ ٱلْمُوَطِّأ لَهُ بالأعمال الصالحة.

«وسبب نزول الآية [عَلىٰ] ما قاله السُّدِّيُّ: إنّ المشركين قالوا: إن كان محمّد صادقاً فليخبرنا مَنْ يؤمن منّا، ومَنْ يكفر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قوم: إن كان يعلم المنافقين، فما حاجته إلى اختبارهم؟ فأنزل الله تعالى أنّه يميزهم. وذلك يكون: تارة باختبارهم، وتارة بتعيينهم»[1].

﴿مَّا﴾ نافية. ﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة.

﴿ٱللَّهُ﴾ اسمه. ﴿لِ﴾ لام الجحود أي النفي.

﴿يَذَرَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود. وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ تعالى.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول به. والجملة الفعلية ﴿لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ومعناه: ما كان الله مريداً ترك المؤمنين.

﴿عَلَىٰ﴾ حرف جر. ﴿مَآ﴾ اسم موصول. محلّاً مجرور.

﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ. والضمير يرجع إلى المؤمنين عامة بأنّ فيهم الخبيث والطيب وقبل التميّز.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور. خبر أو متعلّق بخبر محذوف للمبتدأ. والضمير يرجع إلى

---

١. التبيان ٣/ ٦٢.

حال عدم تميّزهم وتجرد الطيبين من الخبيثين.

﴿حَتَّىٰ﴾ حرف نصب للغاية. وما بعدها غاية للنفي السابق.

﴿يَمِيزَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر. ووجه التمييز بإطاعة الأوامر الامتحانية ومنها الجهاد في سبيل الله.

﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ مفعول به. وهو كلّ مَنْ كان منقاداً للشيطان.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ جار ومجرور. وهو كلّ مَنْ كان مطيعاً لله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ معطوف على قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتعرب مثلها إلّا أنّ مفعول به هنا ضمير متصل ﴿كُمْ﴾. أي لا يليق بحكمة الله أن يطلع أحداً من عباده.

﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ جار ومجرور. والمراد به هنا الاطلاع على بواطن النفوس وذوات الأفراد قبل الابتلاء والامتحان.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَٰكِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، للاستدراك.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿يَجْتَبِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ٱللَّهَ﴾.

﴿مِن رُّسُلِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والجملة الفعلية. خبر ﴿لَٰكِنَّ﴾. و ﴿مِن﴾ لتبيين الصفة لا للتبعيض لأنّ الأنبياء كلهم مُجْتَبَوْنَ.

﴿مَن﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. لأجل اطلاعه على الغيب وعرفان الذوات والبواطن. ولذا قال الله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1].

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفريعية.

﴿ءَامِنُوا۟﴾ فعل أمر وفاعله. حتّى تدخلوا بالإيمان في سلك الطيبين وتخرجوا من جماعة الخبيثين.

---

١. سورة الجن / ٢٦ و ٢٧.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، تكرار لفظ الجلالة «ليس إلّا للدلالة على مصدر الجلال والجمال في أمور لا يتصف بها إلّا هو بالوهيته وهي الامتحان والاِطِّلاع على الغيب واجتباء الرسل وأهلية الإيمان به»[١].

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ حرف عطف ومعطوفه ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿تُؤْمِنُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله فعل الشرط.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَتَّقُواْ﴾ معطوفه.

﴿فَ﴾ رابطة لجواب الشرط. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿أَجْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ صفة ونعت.

ويستفاد من الآية الشريفة: سنة الابتلاء والاختبار والامتحان وسنة تكميل النفوس وإيصالها إلى غاياتها من السعادة والشقاوة، والطيب والخباثة يدوران مدار الإيمان والكفر وهما أمران اختياريان وإن نُسبا إلى الذوات، والأجر يتوقف على الإيمان والتقوى والعمل الصالح. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

## الروايات

في تفسير العَيّاشي عن عجلان أبي صالح، قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تمضي الأيام والليالي حتّى ينادي منادٍ من السماء: يا أهل الحقّ اعتزلوا، يا أهل الباطل اعتزلوا، فيُعْزَل هؤلاء من هؤلاء؛ ويُعْزَل هؤلاء من هؤلاء.

قال: قلتُ: أصلحك الله، يُخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النِّداء؟ قال: كلّا، إنّه يقول في الكتاب: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.[٣]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه لَعَهِدَ إليّ النبيُّ الأُمّي أنّه: لا يحبُّك إلّا مؤمنٌ ولا

---

١. الميزان ٤/ ٨٠.
٢. سورة النحل / ٩٧.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٢، ح١٧٥.

يُبْغِضُك إلّا منافق.[١]

وعنه عليه السلام: قضاءٌ قضاه الله تعالى على لسان النبي الأُمِّيّ أنّه: لا يحِبُّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلّا منافقٌ وقد خاب مَن افترى.[٢]

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾

ذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية وما بعدها سنة الإملاء والإمهال في جمع المال وهي تجري بالنسبة إلى الكافر والمسلم الذي يبخل عن إنفاق ماله في سبيل الله تعالى وأداء حقوقه الواجبة من الخُمْس والزكاة والكفّارات وغيرها.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ حرف نهي وجزم وفعل مضارع مجزوم بلا ناهية ونون التأكيد الثقيلة. بيان لحال البخيل وسوء عاقبته وإشارة إلى توهُّم كون البخل خيراً له ولحياته وردّه.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل، والمراد بالموصول الباخلون.

﴿يَبۡخَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. صلة الموصول.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿مَآ﴾ اسم موصول، محلّاً مجرور.

﴿ءَاتَىٰهُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بحال محذوفة من الاسم الموصول ﴿مَآ﴾. وَهٰذا التعبير عن المال إشعار بوجه ذمّهم ولومهم ولكن ﴿ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عام يشمل المال والعلم والجاه وكلّ فضل من الله، والمال من أظهر مصاديقه

---

١. روض الجنان ٥/ ١٨١.
٢. روض الجنان ٥/ ١٨١.

وأغلبها.

﴿هُوَ﴾ ضمير منفصل يرجع إلى البخل، مفعول به أوّل للفعل ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ محلّاً منصوب.

﴿خَيۡرًا﴾ مفعول به ثانٍ له.

﴿لَّهُم﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَيۡرًا﴾ المفعول. والضمير يرجع إلى الباخلين.

﴿بَلۡ﴾ حرف اضراب. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى البخل. ﴿شَرّٞ﴾ خبره.

﴿لَّهُمۡ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿شَرّٞ﴾. والضمير يرجع إلى الباخلين.

﴿سَ﴾ حرف استقبال وتسويف للقريب.

﴿يُطَوَّقُونَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله. من الطوق.

﴿مَا﴾ مفعول به، لما بعده وتقديمه يفيد حصره. ﴿بَخِلُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿مَا﴾. ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف.

﴿ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، مِنْ ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ إلى هنا تعليل لكون البخل شرّاً لهم.

﴿وَ﴾ استئناف. أو حال على قول. ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مِيرَٰثُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حرف عطف ومعطوفه. وما يقال: ﴿لِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حال من يوم القيامة[1].غير تام لعدم اختصاص ملكه وميراثه بيوم القيامة.

﴿وَ﴾ استئناف، أو حال على قول. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور. ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿خَبِيرٞ﴾ خبر. أي ﴿خَبِيرٞ﴾ ﴿بِمَا﴾ تعملونه.

وجملة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ ليس حالاً من ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. لعدم اختصاصِ هذا الكلام بيوم القيامة.

## الروايات

صحيحة محمّد بن مسلم قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

---

١. كما في الميزان ٤/ ٨٠.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقال: يا محمّد ما من أحدٍ يمنع من زكاة ما له شيئاً إلّا جَعَلَ اللهُ ﷻ ذلك يوم القيامة ثعباناً من نارٍ مطوقاً في عنقه يَنْهَشُ من لحمه حتّى يَفْرُغَ من الحساب ثمّ قال: هو قول الله ﷻ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يعني ما بخلوا به من الزكاة.[١]

**ورواها في تفسير العياشي[٢].**

معتبرة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من ذي زكاةِ مالٍ: نخلٍ أو زرعٍ أو كَرْمٍ يمنع زكاة ماله إلّا قَلَّدَهُ الله تُرْبَةَ أرضهِ يُطَوَّقُ بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة.[٣]

**وروى نحوها في تفسير العياشي[٤].**

صحيحة محمّد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: ما من عبدٍ مَنَعَ مِنْ زكاة ماله شيئاً إلّا جعل الله له ذلك يوم القيامة ثُعباناً من نار يُطَوَّقُ في عنقه، يَنْهَشُ من لحمه حتّى يَفْرُغَ من الحساب وهو قول الله ﷻ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: ما بخلوا به من الزكاة.[٥]

خبر أيوب بن راشد قال سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: مانع الزكاة يُطَوَّق بحَيَّةٍ قَرْعَاءَ وتأكُلُ من دِمَاغِهِ وذلك قوله ﷻ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.[٦]

حسنة حريز قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من ذي مالٍ ذهبٍ أو فضةٍ يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله ﷻ يوم القيامة بِقَاعٍ قَرْقَرٍ وسَلَّطَ عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يَحِيدُ عنه فإذا رأى أنّه لا مَخْلَصَ له منه أمكنه من يده فَقَضِمَهَا كما يُقْضَمُ الفَجْلُ ثمّ يصير طوقاً في عُنُقِه وذلك قول الله ﷻ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وما من ذي مالٍ: إبلٍ أو غَنَمٍ أو بقرٍ يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر يَطَؤُه كلُّ

---

١. الكافي ٧/ ٢٣، ح١ (٣/ ٥٠٢).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٢، ح١٧٦.
٣. الكافي ٧/ ٢٥، ح٤ (٣/ ٥٠٣).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٢، ح١٧٧.
٥. الكافي ٧/ ٢٨، ح١٠ (٣/ ٥٠٤).
٦. الكافي ٧/ ٣٢، ح١٦ (٣/ ٥٠٥).

ذاتِ ظِلْفٍ بظلفها ويَنْهَشُهُ كلُّ ذاتِ نابٍ بنابها وما من ذي مال نخل أو كَرْمٍ أو زَرْعٍ يمنع زكاتها إلّا طوقه اللهُ رَيْعَةَ أرضه إلى سبع أرضينَ إلى يومِ القيامةِ.[١]

عن يوسف الطاطري، أنّه سَمِع أباجعفر عليه السلام يقول وذكر الزكاة، فقال: الذي يمنع الزكاة يُحوِّلُ اللهُ مالَهُ يوم القيمة شُجاعاً[٢] من نارٍ له ريمتان، فيطوّقه إيّاه، ثمّ يقال له: الزَمْه كما لَزِمَك في الدنيا، وهو قول الله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ الآية.[٣]

وعنهم عليهم السلام، قال: مانع الزكاة يُطوّق بشُجاع أقْرَع يأكُلُ من لحمه، وهو قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ الآية.[٤]

وعن أبي جعفر عليه السلام: أنّها (الآية) نزلت في مانِعي الزكاة.[٥]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ شجاع أقرع يطوقونه. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.[٦]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما مِنْ ذِيْ رَحِمٍ يأتي ذا رَحِمِهِ يسأله من فضلٍ أعطاه الله إيّاهُ فيبخل به عنه إلّا أخرج الله له من جهنم شجاعاً يتلمظ[٧] بلسانه حتّى يطوقه وتلاهذه الآية.[٨]

**وَمِنْ أَجْلِ ٱلْوُقُوْفِ علىٰ ٱلمَزِيْدِ مِنَ الروايات الواردة حول البخل راجع موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.[٩]**

---

١. الكافي ٧/ ٣٣، ح١٩ (٣/ ٥٠٦).
٢. الشُجاع: الحيّة العظيمة.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٣، ح١٧٨.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٣، ح١٧٩.
٥. التبيان ٣/ ٦٤.
٦. التبيان ٣/ ٦٤.
٧. يَتَلَمَّظُ: يَتَتَبَّعُ بِلِسانِهِ بَقِيَّةَ ٱلطَّعامِ في فَمِهِ وَيُخْرِجُ لِسانَهُ فَيَمْسَحُ بِهِ شَفَتَيْهِ.
٨. مجمع البيان ٢/ ٥٤٦.
٩. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ ١٨.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ﴿١٨١﴾

ردّ على مقالة اليهود حيث نسبوا الفقر إلى الله تعالى وعلى أفعالهم الخبيثة.

﴿لَّ﴾ حرف ابتداء وتأكيد، أو قسم. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿سَمِعَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، ذكر السماع لشناعة القول فهو سماع علم وفيه التهديد والتوعيد لقائله.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿قَوْلَ﴾ مفعول به.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلّ جر بالإضافة. وهم قوم من اليهود، لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1] قالوا: إنّما يستقرض الفقير من الأغنياء فهو فقير ونحن الأَغنياءُ، والقائل لذلك حي بن أخطب وفنحاص بن عازورا اليهوديان[2]. أو أنّهم قالوا ذلك لما رأوا فقر عامة المؤمنين فقالوا ذلك تعريضاً بأنّ ربهم لو كان غنياً لَغارَ لَهُمْ وأغناهم.

﴿قَالُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. يدلّ على التوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿فَقِيرٌ﴾ خبره. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ

﴿أَغْنِيَآءُ﴾ خبره. وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ مقول القول.

﴿سَ﴾ حرف تسويف للقريب. للتأكيد.

﴿نَكْتُبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر والخطاب يدلّ على عظم ما قالوه. والمراد بالكتابة الحفظ والثبت في صحائف أعمالهم لوصول جزائهم إليهم.

﴿مَا﴾ اسم موصول، مفعول به، أو مصدرية فتكون ﴿مَا﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محلِّ نصب مفعولاً به والتقدير: سنكتب قولهم.

---

١. سورة البقرة / ٢٤٥؛ وسورة الحديد / ١١.

٢. التبيان ٣/ ٦٥ نقلاً عَنْ الحسن وقتادة.

﴿قَالُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿قَتْلَهُمُ﴾ مصدر معطوف علي ﴿مَا﴾ قبله أو على مصدر ﴿قَوْلَ﴾، والضمير مضاف إليه. يرجع إلى اليهود. وفيها: «دلالة على أنّ الرضا بقبيح الفعل يجري مجراه في عظم الجرم»[١]. ومقارنة بين قولهم وفعلهم. وهذه المقارنة تدلّ على أنّ قولهم يكون بهتاناً عظيماً.

﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ مفعول به، وهم رسل الله تعالى. عليهم السلام. ﴿بِغَيْرِ﴾ جار ومجرور.

﴿حَقٍّ﴾ مضاف إليه. والمراد بقتل ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، القتل على العلم والعمد دون السهو والخطأ والجهالة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿نَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله. معطوف على ﴿سَنَكْتُبُ﴾.

﴿ذُوقُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. في محلِّ نصب مفعول به ومقول القول. والتعبير بالذوق يفيد أنّهم لا يتخلصون من ذلك.

﴿عَذَابَ﴾ مفعول به.

﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ مضاف إليه. أي المُحْرِق، أو أنّه النار واللهب.

**روايتان**

في تفسير القمي مُضْمَراً: قال: والله ما رأوا اللهَ تعالى فيعلموا أنّه فقير ولكنّهم رأوا اولياء الله فقراء فقالوا: لو كان الله غنيّاً لأغناء أُوليائه فافتخروا على الله بالغنىٰ.[٢]

وفي المناقب: عن الباقر عليه السلام في قوله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ الآية، قال: هم الذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج منهم إلى ما يحملون إليه.[٣]

---

١. التبيان ٣/ ٦٥.
٢. تفسير القمي / ٦٩ (١/ ١٢٧).
٣. المناقب ٤/ ٥٥.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿١٨٢﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم اشارة للبعيد، جاء لِتَعْظِيْمِ عَذابِ الحريق، مبتدأ.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور. خبره. و ﴿مَا﴾ موصولية.

﴿قَدَّمَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث.

﴿أَيْدِيكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الداخلين في العذاب الحريق أعاذنا الله منه. نُسب العمل إلى الأيدي لأنّها آلة التقديم غالباً أو آلة الفعل.

﴿وَ﴾ حرف عطف، يعطف ما بعده علي ﴿مَا﴾.

﴿أَنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿لَيْسَ﴾ من الأفعال الناقصة. واسمه ضمير مستتر فيه. يرجع إلى الله تعالى.

﴿بِ﴾ حرف جَرٍّ جاء للتأكيد.

﴿ظَلَّامٍ﴾ مجروره. محلّاً منصوب لأنّه خبر ﴿لَيْسَ﴾.

والتعبير بالكثرة والمبالغة يدلّ على أنّه تعالى مُنَزَّهٌ عن أيّ ظلم وحيث أنّ مصاديقه كثيرة نفي أيّ ظلم عنه تعالى يدلّ على الكثرة والمبالغة.

ويمكن أن يقال: إنّ الظلم القليل بالنسبة إليه تعالى يعدّ كثيراً فيصير ظلّاماً، فكماله المطلق ونزاهته المقدسة يوجبان نفي، أيّ ظلم عنه تعالى مطلقاً.

﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ جار ومجرور متعلّق ﴿بِظَلَّامٍ﴾. والجملة ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ في محلِّ رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. «وتعليل للكتابة والعذاب، فلو لم يكن ذلك الحفظ والجزاء لكان إهمالاً لأمر نظام الأعمال وفي ذلك ظلم كثير بكثرة الأعمال فيكون ظلّاماً لعباده تعالى عن ذلك»[١].

## روايةٌ

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة أنّه قال: وايْمُ الله مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ولَوْ أَنَّ

١. الميزان ٤/ ٨٣.

النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، الخطبة.[١]

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾

الآية الشريفة ردّ آخر لمزاعم اليهود الفاسدة وهم يزعمون بأنّ ردّهم ورفضهم رسالة رسول الله ﷺ كان بوصية وعهد من الله تعالى، وهم في هذا الردِّ والرفضِ ـ بِدَعْواهُمُ الباطِلَةِ ـ يطيعون الله، تعالى ٱللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ عطف بيان أو بدل لما مرّ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ...﴾[٢] والمراد بهم اليهود خذلهم الله تعالى. وإعرابه كما مرّ في تلك الآية.

﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل ماض وفاعله. صلة الموصول.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. يدلّ على التأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿عَهِدَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير يرجع إلى الله تعالى. أي: أُوصىٰ أو أمر.

«العهد: العقد الّذي يتقدّم به للتوثق وهو كالوصية»[٣].

﴿إِلَيۡنَآ﴾ جار ومجرور. والجملة الفعلية ﴿عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ في محلِّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿أَلَّا﴾ مكونة من «أنْ» مصدرية ناصبة و «لا» نافية لا عمل لها.

﴿نُؤۡمِنَ﴾ فعل مضارع منصوب بأنْ وفاعله ضمير مستتر.

﴿لِرَسُولٍ﴾ جار ومجرور. وإنّما عبروا بلفظ «رسول» مداهنة ومغالطة وإلّا إنّهم لا يعترفون برسالة أحدٍ إلّا بهذه المزعمة الفاسدة التي تأتي.

---

١. نهج البلاغة، خطبة ١٧٨.
٢. سورة آل عمران / ١٨١.
٣. التبيان ٣/ ٦٨.

﴿حَتَّىٰ﴾ حرف غاية وجر بمعنى «إلى أن».

﴿يَأْتِيَنَا﴾ فعل مضارع منصوب بأنْ مضمرة بعد حتّى وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿رَسُولٍ﴾ و ﴿نَا﴾ مفعول به.

﴿بِقُرْبَانٍ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿يَأْتِيَنَا﴾. و﴿قُرْبَانٍ﴾ مصدر على وزن عُدْوان وخُسْران ويطلق على الشيء الذي يتقرَّب به العبد إلى ربّه من صدقة أو برٍّ.

﴿تَأْكُلُهُ﴾ فعل مضارع والضمير مفعول به يرجع إلى ﴿قُرْبَانٍ﴾.

﴿ٱلنَّارُ﴾ فاعله. والجملة الفعلية ﴿تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ في محلّ جر صفة لـ ﴿قُرْبَانٍ﴾ ـ بِناءً علىٰ أَنَّ ٱلْجُمَلَ بَعْدَ ٱلنَّكِراتِ صِفاتٌ ـ.

«لأنّ أكل النار ما قرّبه أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله له، ودلالة على صدق المقرِّب فيما أدعىٰ أنّه حقّ فيما نوزع فيه»[1].

فنزول هذه النار من السماء وإحراق ما يتقرّب به كان على نحو الإعجاز على يد أنبياء بني إسرائيل. فهم يدّعون أنّهم لايُؤْمِنُوْنَ برسول حتّى يأتي لهم بهذا الإعجاز ويزعمون أنّهم يمتثلون أوامر الله تعالى في رفضهم الرسول وعدم إيمانهم به. فطلبهم لهذه المعجزة يكون على سبيل التعنّت والعناد لا الاسترشاد ولذا جاء الردّ عليهم بالتكذيب في بقية الآية.[2]

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسولَ الله محمّد ﷺ لليهود الذين يقولون بهذه المقالة الفاسدة.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَآءَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وضميره مفعول به خطاباً لليهود والمراد جاء أسلافكم.

﴿رُسُلٌ﴾ فاعله. جمع الرسول نحو: زكريا ويحيى وأشعياء على نبينا وآله وعليهم السلام من أنبياء بني إسرائيل.

﴿مِّن قَبْلِى﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿جَآءَكُمْ﴾ أو بحال محذوفة من ﴿رُسُلٌ﴾ أي

---

١. التبيان ٣/ ٦٨.

٢. راجع مواهب الرحمن ٧/ ١٢٧.

محتجين ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾. والمراد بها: الحجج الدالة على صدق نبوّتهم وحقيقة قولهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول محلاً مجرور.

﴿قُلۡتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضميره يرجع إلى اليهود الذين يقولون بهذه المقالة. أي نزول النار من السماء وإحراق ما يتقرّب به العبد إلى ربّه.

﴿فَ﴾ حرف تفريع.

﴿لِمَ﴾ حرف استفهام. مُتَكَوِّنٌ من «لـ» جر و«ما» استفهامية.

﴿قَتَلۡتُمُوهُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. نسب فعل آباءهم إليهم لأنّهم رَضُوْا به.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص وضميره اسمه.

﴿صَٰدِقِينَ﴾ خبره. أي ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في ادعائكم ومقالتكم فلم قتلتم أُنتم وآباؤكم الأنبياء السابقين الذين جاؤوا بهذه البيّنات والمعاجز.

وبالجملة: «فأراد الله أن يُعْلِمَ المؤمنين أَنَّ هؤلاء معاندون متعنتون، وإلّا فهم عالمون بصفات النبي ﷺ وما ذكره الله تعالى في التوراة وأَنّه صادق فيما يدعيه، وإنّما لم ينزل الله ما طلبوه لأنّ المعجزات تابعة للمصالح وليست على الاقتراحات والتعنت.

فان قيل: هلّا قطع الله عذرهم بالذي سألوا من القربان الذي تأكله النار؟

قيل له: لا يجب ذلك لأنّ ذلك اقتراح في الأدلة على الله والذي يلزم من ذلك أن يزيح علتهم بنصب الأدلة على ما دعاهم إلى معرفته»[١].

## الروايات

الكليني بإسناده عن مَرْوَكِ بن عُبيد عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لعن الله القدريّة، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة قال: قلت: لعنت هؤلاء مرّةً مرّةً ولعنت هؤلاء مرّتين؟! قال: إنّ هؤلاء يقولون: إنّ قَتَلَتَنَا مؤمنون فدماؤُنا مُتَلَطِّخَةٌ بثيابهم إلى يوم القيامة، إنّ اللهَ حَكىٰ عن قوم في كتابه: ﴿أَلَّا[٢] نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِى بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلۡتُمۡ فَلِمَ

---

١. التبيان ٣/ ٦٨.

٢. في المصدر: «لن» بدل «ألّا».

قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ قال: كان بين القَاتِلِين والقَائِلِين خمسمائة عامٍ فَأَلْزَمَهُمُ اللهُ القتلَ بِرِضَاهُمْ بما فَعَلُوا.[١]

**ونحوها في تفسير العياشي[٢] عن عمر بن معمر.**

العياشي رفعه عن سَماعة، قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ وقد عَلِم أنّ هؤلاء لم يَقْتُلُوا، ولكن قَدْ كان هواهم مع الذين قَتَلُوا، فسَمّاهم الله قاتلين لمتابعة هواهم ورِضاهم لذلك الفِعل.[٣]

العياشي رفعه عن محمّد بن هاشم، عمَّن حَدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ وقد عَلِم أن قالوا: والله ما قَتَلنا ولا شَهِدنا، قال: وإنّما قيل لهم ابرءُوا من قَتَلتِهم فأبوا.[٤]

العياشي رفعه عن محمّد بن الأرقط، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال لي: تَنْزِل الكوفة؟ قلت: نعم.

قال: فَتَرَون قَتَلَة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟ قال: قلت: جُعِلت فِداك ما بقي منهم أحد. قال: فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قَتَلَ أو من وَلِيَ القتل، ألم تَسْمَع إلى قول الله ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فأيّ رسول قَتَل الذين كان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم؟ ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنّما رَضُوا قَتْلَ أُولئك فسُمّوا قاتلين.[٥]

أبومنصور الطبرسي رفعه عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام في احتجاجه الطويلة على اليهود: وكانت الأُمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأُمَّتِكَ طهوراً، فهذا من

---

١. الكافي ٤/ ١٨٧، ح١ (٢/ ٤٠٩).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٣، ح١٨١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٣، ح١٨٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٤، ح١٨٢.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٥٤، ح١٨٣.

الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِكَ، وكانت الأُمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مثبوراً[1] وقد جعلت قربان أُمّتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مُضاعَفَةَ، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عن عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك، وهي من الآصار التي كانت على الأُمم مَنْ كان مِنْ قبلك، الحديث.[2]

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ ﴿١٨٤﴾

هذه الآية الشريفة تسليّة للرسول الأعظم ﷺ لتكذيب اليهود له.

﴿فَ﴾ حرف استئناف أو تفريع والثاني أظهر. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَذَّبُوكَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به في محلِّ جزم لأنّه فعل شرط. والخطاب للرسول ﷺ.

﴿فَ﴾ حرف ربط لجواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿كُذِّبَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول. تحقيراً لفاعله اليهود وأسلافهم.

﴿رُسُلٌ﴾ نائب فاعله. وهم رسل الله تعالى.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأوّلان متعلقان بصفة محذوفة من ﴿رُسُلٌ﴾، فاليهود يعاودن في تكذيب الرسل.

﴿جَآءُو﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. صفة لـ ﴿رُسُلٌ﴾.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جار ومجرور. وهي الحجج الباهرات والمعجزات الواضحات.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. المثبور: الخائب.

٢. الاحتجاج ١/ ٢٢١.

﴿ٱلزُّبُرِ﴾ معطوفه. «جمع زبور وهو البيّنات وكلّ كتاب فيه حكمة فهو زبور»[١]. يقال: زبرتُ الكتاب: أي كتبته، ومزبور أي مكتوب.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ حرف عطف ومعطوفه. والمراد به كتاب نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل.

﴿ٱلۡمُنِيرِ﴾ صفة ونعت لـ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾. والمُنير: هو «الذي ينير، فينير الحقّ لمن اشتبه عليه وهو حجة له. وإنّما هو من النور والإضاءة»[٢].

## روايةٌ

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ هو كتب الأنبياء بالنبوة ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ المبيّن الحلال والحرام.[٣]

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

الآية الشريفة تتضمن الوعد بالفوز والجنّة للمصدِّق والعقاب والنار للمكذِّب وقد شرع الله تعالى فيها بالحكم العام الصادر منه في حقِّ كلّ ذي نفس وهو الموت.

﴿كُلُّ﴾ مبتدأ. ﴿نَفۡسٖ﴾ مضاف إليه.

﴿ذَآئِقَةُ﴾ خبره، «مجاز لأنّ الموت لا يذاق في الحقيقة، [و] لأنّ ذلك مشهور في كلامهم يقولون: ذاق الموت وشرب بكأس المنون لأنّه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده و... الذوق تقريب جسم المذوق إلى حاسة الذوق...»[٤].

﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾ مضاف إليه. وهذه الفقرة من الآية الشريفة تبيّن بأنّ يكون الموت

---

١. التبيان ٣/ ٦٩.
٢. التبيان ٣/ ٦٩.
٣. تفسير القمي / ٦٩ (١/ ١٢٧).
٤. التبيان ٣/ ٧١.

والانتقال والتبدّل من مقوّمات هذا العالم الفاني وهو دار الدنيا، وهذه القضية قضية طبيعيّة وجدانية ولكن عامّة الناس غافلون عن ترتيب الأثر عليها ولذا قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾١. وقال عزّ من قائل: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾٢.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة، تدلّ على أنّ توفية الأجر تختص بيوم القيامة.

﴿تُوَفَّوۡنَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول والضمير نائب فاعله. والتوفية: عَطاءٌ كاملٌ غيرُ منقوصٍ.

﴿أُجُورَكُمۡ﴾ مفعول به ومضاف إليه. جمع أجر ومعناه واضح والمراد به الثواب أو العقاب.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. وهو المحصور بـ ﴿إِنَّمَا﴾. أي إعطاء أجر العمل على نحو الكمال والتمام يختص بـ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. وأمّا ما نشاهده من جزاء بعض الأعمال في دار الدنيا وبعضها في عالم البرزخ ـ على ما ورد في الروايات ـ فهي ليست التوفية والعطاء الكامل والتام. وإنّما التوفية في الأجر تنحصر بيوم القيامة.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفريعية والثاني أظهر. ﴿مَن﴾ مبتدأ واسم شرط جازم.

﴿زُحۡزِحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول في محلِّ جزم لأنّه فعل شرط ونائب فاعله ضمير مستتر فيه محذوف فاعله تكريماً له وهو الله تعالى. ومعناه: النحي والإبعاد. «وأصله تكرار الجذب بعجلة»٣.

﴿عَنِ ٱلنَّارِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿زُحۡزِحَ﴾. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أُدۡخِلَ﴾ معطوفه. فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر فيه. وحُذف فاعله تكريماً له وهو الله تعالى.

---

١. سورة الأنبياء / ١.
٢. سورة الجمعة / ٨.
٣. الميزان ٤/ ٨٤.

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ مفعول به. ﴿فَ﴾ جواب شرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿فَازَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى من ابتعد عن النار ودخل في الجنة. والجملة الفعلية ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ جواب شرط. «والفوز: الظفر بالبُغية[1]»[2].

قال الشيخ: «أي نجا وظفر بعظيم الكرامة. وكلّ مَنْ لقي ما يغتبط به فقد فاز، ومعنى ﴿فَازَ﴾ تباعد من المكروه، ولقي ما يحبّ. والمفازة: مهلكة. وإنّما سمّوها مفازة أي منجاة كما سمّوا اللديغ سليماً، والأعمى بصيراً»[3].

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية لا عمل لها. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مبتدأ.

﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾. من لذاتها وشهواتها وزينتها ومقاماتها وأموالها وكل ما فيها.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء. مع ﴿مَا﴾ نافية يدل على الحصر.

﴿مَتَٰعُ﴾ خبر. وهو كلّ ما يتمتع به على وجه من الوجوه.

﴿ٱلْغُرُورِ﴾ مضاف إليه. وهو مصدر غرّه: أي خدعه. لأنّ الإنسان يغتر بها وينخدع عنها و ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ كلّ متاع لا بقاء له كالقوارير كما عن عِكْرِمَة.[4]

وهذه الفقرة الأخيرة مبالغة في التغرير من الدنيا وما يتعلّق بها.

**الروايات**

علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة يُدْعىٰ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فيكسى حلّة ورديّة، ثمّ يقام على يمين العرش، ثمّ يدعى إبراهيم عليه السلام فيُكْسىٰ حلّة بيضاء، فيقام على يسار العرش، ثمّ يدعى بعليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين النبيّ، ثمّ يدعى بإسماعيل عليه السلام فيكسى حلّة بيضاء، فيقام على يسار إبراهيم عليه السلام، ثمّ يدعى بالحسن عليه السلام فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين أميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ يدعى

---

١. بِضَمِّ ٱلباءِ وَفَتْحِها.
٢. الميزان ٤/ ٨٤.
٣. التبيان ٣/ ٧٠.
٤. نقله عنه الشيخ في التبيان ٣/ ٧١.

بالحسين عليه السلام فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين الحسن عليه السلام، ثمّ يُدْعىٰ بالأئمة فيكسون حللا ورديّة، فيقام كلّ واحد عن يمين صاحبه، ثمّ يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمّ يدعى بفاطمة عليها السلام ونسائها من ذريّتها وشيعتها فيدخلون الجنّة بغير حساب.

ثمّ ينادي مُنادٍ من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأُفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد، وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك، وهو عليُّ بن أبي طالب ونعم السبطان سبطاك، وهما الحَسَنُ والحُسَينُ، ونعم الجنين جنينك، وهو محسن، ونعم الأئمة الراشدون ذريّتك، وهم فلان وفلان إلى آخرهم، ونعم الشيعة شيعتك. ألا إنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمة من ذرّيته هم الفائزون ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة، وذلك قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾».[١]

صحيحة هِشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما مات النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وقال: إنّ في الله خَلَفاً مِنْ كلِّ هالكٍ، وعزاءً من كلِّ مصيبةٍ، ودَرَكاً ممّا فات، فبالله فَثِقُوا وإيّاه فَارْجُوا وإنّما المحرومُ مَنْ حُرِمَ الثوابَ.[٢]

**ونحوها في الدر المنثور[٣] عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي تفسير العياشي[٤] زيادة: واسْتُرُوا عَوْرَة نبيّكم. فلمّا وَضَعه على السَّرير نُودي: يا عليّ، لا تَخْلَع القَميص، قال: فَغَسَّله عليٌّ عليه السلام في قميصه.[٥]**

خبر الحسين بن المختار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لـمّا قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءَ هُمْ جبرئيل عليه السلام والنبيُّ مُسَجًّى وفي البيت عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ عليهم السلام، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

---

١. تفسير القمي / ٦٩ (١/ ١٢٨).
٢. الكافي ٥/ ٥٥١، ح٤ (٣/ ٢٢١).
٣. الدر المنثور ٢/ ١٠٧.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٦، ح١٨٦.
٥. بحار الأنوار ٢٢/ ٥٢٦، ح٣١.

أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ إنّ في الله ﷻ عزاءً مِنْ كلِّ مصيبةٍ وخَلَفاً مِنْ كلِّ هالك ودَرَكاً لما فات، فبالله فَثِقُوا وإيّاه فارجوا فإنّ المصابَ مَنْ حُرِمَ الثوابَ، هذا آخر وَطْئِي مِنْ الدنيا. قالوا: فَسَمِعْنا الصوتَ ولم نَرَ الشخصَ.[١]

**ونحوها في تفسير العياشي[٢].**

خبر أبي أُسامة زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ جاءت التعزيةُ أتاهم آتٍ يسمعون حِسَّهُ ولا يَرَوْنَ شَخْصَهُ فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ في الله ﷻ عزاءٌ مِنْ كلِّ مصيبةٍ وخَلَفٌ مِنْ كلِّ هالكٍ ودَرَكٌ لما فاتَ، فبالله فَثِقُوا وإيّاه فارجُوا فإنّ المحرومَ مَنْ حُرِمَ الثوابَ والسلامُ عليكم.[٣]

**ونحوها في تفسير العياشي.[٤]**

خبر عبدالله بن الوليد عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ أتاهم آت فوقف بباب البيت فسلّم عليهم ثمّ قال: السلامُ عليكم يا آل محمّد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ في الله ﷻ خَلَفٌ مِنْ كلِّ هالكٍ وعزاءٌ من كلِّ مصيبةٍ ودَرَكٌ لما فاتَ، فبالله فثقوا وعليه فتوكّلوا وبنصره لكم عند المصيبة فارْضَوُا فإنّما المصابُ مَنْ حُرِمَ الثوابَ والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولم يروا أحداً فقال بعضُ مَنْ في البيت: هذا مَلَكٌ من السماء بعثه الله ﷻ إليكم لِيُعَزِّيَكُمْ، وقال بعضهم: هذا الخضرُ عليه السلام جاءَكُمْ يُعَزِّيكُمْ بنبيّكم ﷺ .[٥]

في تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أو منشورة

---

١. الكافي ٥/ ٥٥١، ح٥ (٣/ ٢٢١).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٥، ح١٨٥.
٣. الكافي ٥/ ٥٥٢، ح٦ (٣/ ٢٢١).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٤، ح١٨٤.
٥. الكافي ٥/ ٥٥٣، ح٨ (٣/ ٢٢٢).

[كذا] نُزِل بها على محمّد صلى الله عليه وآله إنّه ليس أحدٌ من هذه الأُمّة إلّا سَيُنْشَرُون، فأمّا المؤمنون فيُنْشَرُون إلى قُرّة عَين، وأمّا الفُجّار فيُنْشَرُون إلى خزي الله إيّاهم.[١]

**الرواية محمولة على التفسير والتوضيح أو التحريف المعنوي لا التحريف بالنقيصة.**

وفيه: عن زرارة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ لم يَذُق الموت مَن قُتِل، وقال عليه السلام: لابدَّ من أن يَرجِع حتّى يَذُوق الموت.[٢]

الصدوق بإسناده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن عليٍّ عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن الله جل جلاله: أنّه قال: أنا الله لا إله إلا أنا، خلقتُ الخلق بقدرتي، فاخترتُ منهم مَنْ شئتُ من أنبيائي، واخترتُ من جميعهم محمّداً حبيباً وخليلاً وصفيّاً، فبعثتُهُ رسولاً إلى خلقي، واصطفيتُ له عليّاً، فجعلته له أخاً ووصيّاً ووزيراً ومؤدّيّاً عنه من بعده إلى خَلْقي، وخليفتي على عبادي، ليبيّن لهم كتابي، ويسير فيهم بحُكمي، وجعلته العَلَم الهادي من الضلالة، وبابي الذي أُوتىٰ منه، وبيتي الذي مَنْ دَخَله كان آمناً من ناري، وحِصْني الذي من لجأ إليه حَصّنه من مكروه الدنيا والآخرة، ووجهي الذي مَنْ توجّه إليه لم أصرِف وجهي عنه، وحُجّتي في السماوات والأرضين على جميع مَنْ فيهنَّ من خلقي، لا أقبل عمل عاملٍ منهم إلّا بالإقرار بولايته مع نبوّة أحمد رسولي، وهو يدي المبسوطة على عبادي، وهو النعمة التي أنعمتُ بها على مَنْ أحببته من عبادي، فمن أحببتُهُ من عبادي وتولّيتُهُ عرفتُهُ ولايته ومعرفته، ومن أبغضتُهُ من عبادي أبغضته لانصرافه عن معرفته وولايته، فبعزّتي حلفتُ، وبجلالي أقسمتُ إنّه لا يتولّىٰ عليّاً عبدٌ من عبادي إلّا زَحْزَحْتُهُ عن النار وأدخلته الجنّة، ولا يُبْغِضُهُ عبدٌ من عبادي ويعدِل عن ولايته إلّا أبغضتُهُ وأدخلتُهُ النار وبئس المصير.[٣]

السَّيِّدُ الشريفُ الرَّضِيُّ رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٥٦، ح١٨٧.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٦، ح١٨٨.
٣. امالي الصدوق، المجلس التاسع والثلاثون ح١٠/ ٢٩١، رقم ٣٢٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٤٩، ح١٩١.

مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[١]، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٢]، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا الله لأَوْلِيَائِه، ولَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِه، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وشَرُّهَا عَتِيدٌ، وجَمْعُهَا يَنْفَدُ، ومُلْكُهَا يُسْلَبُ، وعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ![٣]

السَّيِّدُ الشريفُ الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وعَنَاءٍ وغِيَرٍ[٤] وعِبَرٍ، فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَه[٥]، لَا تُخْطِئُ سِهَامُه، ولَا تُؤْسَى[٦] جِرَاحُه يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، والصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، والنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[٧]، ومِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، ويَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الله، لَا مَالًا حَمَلَ ولَا بِنَاءً نَقَلَ، ومِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، والْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ[٨] وبُؤْساً نَزَلَ.

ومِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِه، فَيَقْتَطِعُه حُضُورُ أَجَلِه، فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، ولَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وأَظْمَأَ رِيَّهَا وأَضْحَى فَيْئَهَا، لَا جَاءٍ يُرَدُّ[٩] ولَا مَاضٍ يَرْتَدُّ[١٠]، فَسُبْحَانَ اللهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِه بِه وأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِه عَنْه! إِنَّه لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُه، ولَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُه، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُه أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِه، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ

---

١. أي تحوّل وارتحال وليست بمستوطنة.
٢. طلبُ الماءِ والكلاءِ.
٣. نهج البلاغة، خطبة ١١٢.
٤. تقلّب الأحوال.
٥. أي جعل لها وتراً وتهيّأ للرمي.
٦. لا تعالج ولا تصلح.
٧. لا يروىٰ.
٨. الزليل والزلول: الذي يمرّ سريعاً.
٩. أراد عليه السلام به الموت.
١٠. أراد عليه السلام به الميت.

أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، ومِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.[١]

السَّيِّدُ الشَّرِيْفُ الرَّضِيُّ رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: أَلَا وإِنَّ هَذِه الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وتَرْغَبُونَ فِيهَا، وأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، ولَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَه ولَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْه، أَلَا وإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ ولَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وهِيَ وإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، ولَا يَخِنَّ[٢] أَحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ[٣] عَنْه مِنْهَا، واسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، والْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِه.

أَلَا وإِنَّه لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وإِنَّه لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْه مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ![٤]

السَّيِّدُ الشَّرِيْفُ الرَّضِيُّ رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ والاِجْتِهَادِ، والتَّأَهُّبِ والاِسْتِعْدَادِ، والتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ. ولَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، والْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا[٥]، وأَصَابُوا غِرَّتَهَا[٦]، وأَفْنَوْا عِدَّتَهَا[٧]، وأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا[٨]، وأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[٩]، وأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، ولَا يَحْفِلُونَ[١٠] مَنْ بَكَاهُمْ، ولَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

---

١. نهج البلاغة، خطبة ١١٣.
٢. البكاء في الأنف.
٣. :قُبض.
٤. نهج البلاغة، خطبة ١٧٣.
٥. : اللبن.
٦. : غفلتها.
٧. عددها.
٨. جعلوا جديدها خلقاً قديماً.
٩. الأجداث: القبور.
١٠. لا يبالون.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا [غَدَّارَةٌ] غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، ولَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، ولَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.[١]

السَّيِّدُ الشَّرِيْفُ الرَّضِيُّ رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: قَالَ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ، إِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِه، ولَا عِقَاباً لأَعْدَائِه، وإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.[٢]

الطوسي رفعه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.[٣]

**ورواها في الدر المنثور[٤].**

الحسن بن سليمان الحلّي نقلاً عن الشيخ سعد بن عبدالله القمي في كتابه بصائر الدرجات بإسناده عن جابر بن يزيد، عَنْ أبي جعفر عليه السلام قال: «ليس من مؤمن إلّا وله قتلة وموتة، إنّه من قتل نشر حتّى يموت، ومن مات نشر حتّى يُقتل» ثمّ تلوت على أبي جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فقال: «ومنشورة». قلت: قولك ومنشورة ما هو؟ فقال: هكذا نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ومنشورة.

ثمّ قال: «ما في هذه الأُمّة أحد بَرٌّ ولا فاجر إلّا ويُنشر، فأمّا المؤمنون فينشرون إلى قرّة أعينهم، وأمّا الفجّار فينشرون إلى خزي الله إيّاهم، ألم تسمع أنّ الله تعالى يقول ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[٥].[٦]

**والرواية محمولة على التحريف المعنوي كما مرّ.**

---

١. نهج البلاغة، خطبة ٢٢٩.
٢. نهج البلاغة، حكمة ٤٠٣.
٣. التبيان ٣/ ٧١.
٤. الدر المنثور ٢/ ١٠٧.
٥. سورة السجدة / ٢١.
٦. مختصر بصائر الدرجات / ٨٧.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

تذكر الآية الشريفة سنة الابتلاء والبلاء لئلا يوهن المؤمنون في عزيمتهم وأنّها تستمر في الأعصار والأمصار. «وترتب هذه الآية على سابقتها من قبيل ترتب المعلول على العلّة أو المُقْتَضىٰ على المُقْتَضِي»[١].

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم مقدَّر.

﴿تُبْلَوُنَّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول حُذف فاعله لشرافته وضمير «واو» نائب فاعله ونون تأكيد ثقيلة. ومعناه: لتمتحنّ وتختبرنّ أي توقع عليكم المحن والشدائد. الإبلاء: الاختبار.

﴿فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بفعل السابق ومضاف إليه.

﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ حرف عطف ومعطوفه.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ حرف عطف وحرف جواب قسم مقدَّر وفعل مضارع معلوم وفاعله «واو» الجمع محذوف ونون تأكيد ثقيلة.

﴿مِنَ﴾ حرف جر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلّ جر.

﴿أُوتُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول، و «واو» نائب فاعله. يرجع إلى اليهود وغيرهم.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به. من الكتب السماوية السابقة.

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. من الأمم السالفة التابعين للأنبياء السابقين من قبل المؤمنين بالرسول الأعظم ﷺ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مِنَ﴾ حرف جرّ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلٍّ جر.

﴿أَشْرَكُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. صلة الموصول من كُفّار قريش وغيرهم من

---

١. مواهب الرحمن ٧/ ١٤٦.

المشركين.

﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ مفعول به وصفته. ﴿أَذًى﴾ اسم جمع يأتي بمعنى الضرر والعدوان

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَصْبِرُوا﴾ فعل مضارع مجزوم فعل الشرط وفاعله.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿تَتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿تَصْبِرُوا﴾ وتُعْرَبُ إِعرابَها.

﴿فَ﴾ جواب شرط والجملة بَعْدَهُ في محلِّ جزم لِكَوْنِها جواباً للشرط.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ اسمه. أشار إلى الصبر والتقوى بالاشارة البعيدة والمفرد إيماءً بعلو درجتهما وتلازمهما.

﴿مِنْ عَزْمِ﴾ جار ومجرور. أي من جزم الأُمور أي مابان رُشْدُهُ وصَوابُه.

﴿ٱلْأُمُورِ﴾ مضاف إليه. وجملة ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ أو متعلَّق بخبر إنّ محذوف نحو: ناتج ومفيد.

## الروايات

في تفسير الحبري: نزلت في رسول الله ﷺ خاصة وفي أهل بيته.[١]

في تفسير العياشي عن أبي خالدٍ الكابُلِيّ، قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: لَوَدَدْتُ أنّه أُذن لي فكَلّمتُ الناس ثلاثاً، ثمّ صَنَع الله بي ما أُحبّ، قال بيده على صدره، ثمّ قال: ولكنَّها عَزْمةٌ من الله أن نَصْبِر، ثمّ تلاهذه الآية ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وأقبل يَرْفَع يده ويَضَعها على صدره.[٢]

**ونحوها في الغيبة[٣] للنعماني.**

الصدوق بإسناده عن محمّد بن سِنانٍ: أنّ عليّ بن موسى عليه السلام كتب إليه في

---

١. تفسير الحبري / ٢٥٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٦، ح١٨٩.
٣. الغيبة / ١٩٨، ح١١.

جواب مسائله في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: في أموالكم بإخراج الزكاة وفي أنفسكم بتوطين الأنفس على الصبر.[١]

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

في هٰذِه الآية الكريمة رجوع إلى أعمال اليهود والنصارى وأخذ الميثاق منهم ونسيانهم ما وثقوا عليه.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعني «حين» مبني على السكون في محلِّ النصب بفعل محذوف تقديره: اذكروا.

﴿أَخَذَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِيثَٰقَ﴾ مفعول به. وهو العهد المؤكّد في تبيين نبوة الرسول الأعظم ﷺ وإعلامه للناس.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.

﴿أُوتُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به. والجملة الفعلية ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلة الموصول. والمراد به الكتب السماوية السابقة.

﴿لَ﴾ حرف واقعة في جواب قسم مقدر.

﴿تُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ فعل مضارع مخاطب منصوب بحذف «ن» وفاعله و «ن» تأكيد ثقيلة ومفعول به. والضمير المفعولي راجع إلى النبي ﷺ في قول سعيد بن جبير والسُّدّي.[٢] أو الكتاب السماوي. والخطاب على تقدير. وقال الله لهم.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٨٩.

٢. كما نقله الشيخ عنهما في التبيان ٣/ ٧٤.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَكْتُمُونَهُۥ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. وقد مرّ وجه تقدير خطابه.

﴿فَ﴾ تفريعية أو استئنافية والأوّل أظهر.

﴿نَبَذُوهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. النبذ: الطرح. «نبذوه وراء ظهره يراد به الترك وعدم الاعتناء»[١].

﴿وَرَآءَ﴾ ظرف مكان ومنصوب. ﴿ظُهُورِهِمْ﴾ مضاف إليه و مضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور.

﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾ نعته. وهو الدنيا ومافيها بجميعها.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفريعية.

﴿بِئْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ لإنشاء الذم وفاعله ضمير مستتر. وحذف المخصوص بالذم لأنّ ما قبله يدلّ عليه.

﴿مَا﴾ تمييز بمعنى شيء. ويمكن أن تكون ﴿مَا﴾ بمعنىٰ الذي في محلّ رفع فاعل ﴿بِئْسَ﴾.

﴿يَشْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. صفة للموصوف ﴿مَا﴾. لأنّهم بدّلوا الزائل الفاني عن الدائم الباقي.

## الروايات

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ وذلك إنّ الله أخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب في محمّد صلى الله عليه وآله ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ إذا خرج ولا يكتمونه ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يقول: نَبَذُوْا عَهْدَ الله ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.[٢]

وعن النبي صلى الله عليه وآله: مَنْ كتم علماً عن أهله أُلجم يوم القيامة بلجام من نار.[٣]

---

١. الميزان ٤/ ٨٤.

٢. تفسير علي بن إبراهيم القمي / ٧٠ (١/ ١٢٨).

٣. روض الجنان ٥/ ٢٠٢؛ والكشف والبيان ٣/ ٢٢٨ للثعلبي.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما أخذ اللهُ على أهل الجهل أن يَتَعَلَّمُوا حتّى أخذ اللهُ على أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوْا.[١]

وعنه عليه السلام: ولقد أحضروا الكتاب كملاً[٢] مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه: حرف ألف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه الله من: أسماء أهل الحقِّ والباطل، وأنّ ذلك إن ظهر نقص ما عهدوه قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا وكذلك قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون.

دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عمّا لا يعلمون تأويله، إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به، ووكّلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألفه على اختيارهم، وما يدلّ للمتأمل له على اختلال تمييزهم وافترائهم وتركوا منه ما قدروا أنه لهم وهو عليهم وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره، الحديث.[٣]

**ولعلّ مراده عليه السلام أنّهم أرادوا أن يفعلوا هذا بكتاب الله ولكنّه لم يوفّقهم لما أرادوا لأنّه تعالى يحفظ كتابه من التحريف والنقيصة، أو تُحمل على التحريف المعنوي وفي مقام العمل بكتاب الله واجرائه.**

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾

تذكر الآية الشريفة بعض صفات الرذائل التي اتصف بها اليهود خاصة وأهل الكتاب عامة ولا تختص بهم بل تعم مَنْ وُجد فيه هذه الصفات الرذائل.

---

١. روض الجنان ٥/ ٢٠٢؛ والكشف والبيان ٣/ ٢٢٨ للثعلبي؛ مجمع البيان ٢/ ٥٥٢.
٢. أيْ كاملاً.
٣. الاحتجاج ١/ ٢٥٧.

﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾ فعل مضارع محلًّا مجزوم بـ ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله ضمير خطاب مستتر «أنت» و «نون» تأكيد ثقلية. والخطاب للرسول الأعظم ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به أوّل، وحذف مفعول به ثانٍ لفعل تحسب اختصاراً وتقديره «ناجين». أو جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به أوّل وقوله: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مفعول به ثاني وتكرير الفعل العامل ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ لجهة الفصل بينهما بجملة معترضة.

﴿يَفْرَحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، صلة الموصول. الفرح: السرور وهو غير محرّم شرعاً وعقلاً، نعم إذا كان على حرام فهو حرام ومذموم. وفرحهم على نحو الأخير.

﴿بِمَآ﴾ جار ومجرور.

﴿أَتَوا۟﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي فعلوا من كتمان الحقّ وتدليس الكتب السماوية وتحريفها وتكذيب الرسول الأعظم ﷺ وأن لا يؤمنوا به ﷺ ونحوها من الأفعال الباطلة.

أو ﴿بِمَآ أَتَوا۟﴾ من المال والبخل به والنعم الإلهية التي أنعم الله بها عليهم وَتَضْيِيْعها وكفرانها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يُحِبُّونَ﴾ معطوفة على ﴿يَفْرَحُونَ﴾ وتعرب إعرابها.

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة، وما بعدها يأول بتأويل مصدر وفي محلِّ نصب مفعول به لفعل ﴿يُحِبُّونَ﴾.

﴿يُحْمَدُوا۟﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾ مبني للمجهول والضمير نائب فاعله. أي ﴿يُحِبُّونَ﴾ أن يمدحهم الناسُ بِما لم يَفْعَلُوْهُ، بَلْ فَعَلُوْا ما هُوَ مَنْتَظِمٌ في سِلْكِ (النَّقيض) مِنْ ضروب المعاصي وأنواع الرّذائل و ﴿يُحِبُّونَ﴾ أن يمدحهم الناس على خلافها كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام[1].

---

١. التبيان ٣/ ٧٦.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور.

﴿لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب وفعل مضارع مجزوم وفاعله. من الأعمال الصالحة. و ﴿يُحِبُّونَ﴾ أن يمدحهم الناس بالدين والفضل والتقوى وحفظ الكتاب وإقامة الشريعة والدين مع أنّهم لم يعملوا بالدين وليس له فضل ولا تقوى ولم يحفظ الكتاب بل يحرّفونه ولم يقم الدين وشريعتهم بل أماته وأبادها.

﴿فَ﴾ تفريعية أو استئنافية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ مرّ إعرابه وضمير ﴿هُم﴾ مفعول به أوّل.

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ جار ومجرور. ويمكن أن يتعلّق بمحذوف وهو مفعول به ثانٍ لـ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ أي بمنجاة. الفوز: النجاة ومفازة اسم مكان الفوز والنجاة.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿مَفَازَةٍ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم أو متعلّق بخبر مقدّم محذوف.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿أَلِيمٌ﴾ صفته ونعته. أي مؤلم موجع. قال في الميزان: «وإنّما هلك هؤلاء لأنّ قلوبهم تعلّقت بالباطل فلا ولاية للحقّ عليهم»[١].

## شأن نزولها

قال علي بن إبراهيم: نزلت في المنافقين الذين يحبون أن يُحْمَدُوْا على غير فعلٍ.[٢]

وقال الشيخ: «روي عن ابن عباس، وسعيد أنّ الآية نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون بإجلال الناس لهم ونسبهم إيّاهم إلى العلم. وقال الضحاك، والسُّدّي: نزلت في اليهود حيث فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبي ﷺ. وقال سعيد بن جبير: فرحوا بما أتى الله آل إبراهيم. وقال ابن عباس: إنّ النبي ﷺ سألهم عن شيء، فكتموه ففرحوا بكتمانهم، وأقوى هذه الأقوال أن يكون قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ يعني بها من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمّد ﷺ، ولا يكتمونه، لان قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ في سياق الخبر عنهم وشبيه

---

١. الميزان ٤/ ٨٤.

٢. تفسير القمي / ٧٠ (١/ ١٢٩).

بقصتهم مع أنّ أكثر أهل التأويل عليه. وقال الجبائي: الآية في المنافقين، لأنّهم كانوا يعطون المؤمنين شيئاً يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة إلى الله بل على وجه الرياء ويفرحون بذلك، ويريدون مع ذلك أن يحمدوا على ذلك ويعتقد أنّهم فعلوه لوجه القربة»[١].

## روايةٌ

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يقول: ببعيد من العذاب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٢]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٨٩﴾

هذه الآية الشريفة كالتعليل للآيات السابقات.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور خبر مقدَّم أو متعلَّق بخبر مقدّم. وتقديمه يفيد الحصر.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر، ولأنّه تعالى خالقٌ فمالكٌ ومَلِكٌ ومُدَبِّرٌ وربٌّ وحافظٌ وبالجملة القوام به تعالى. وتدلّ على تكذيب من قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[٣].

﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. بما فيها وبينها.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ حرف عطف ومعطوفه. وما فيه. ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلَّقان بـ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبره. فلا يعجزه شيءٌ ولا يقهره أحد. وإنّه تعالى قادر على إهلاك من يقول بهذه الكلمة الباطلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾[٤] وعلى تَعْذِيْبِ من يكتم الحقّ ويحرّفه ويصرّفه

---

١. التبيان ٣/ ٧٦ و ٧٧.
٢. تفسير القمي / ٧٠ (١/ ١٢٩).
٣. سورة آل عمران / ١٨١.
٤. سورة آل عمران / ١٨١.

ويكفره ويعناده وإنّما تأخير إهلاكهم وعذابهم لوجود مصلحة في هذا التأخير.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

الآية الشريفة وما بعدها تدعو أصحاب النظر والبحث إلى التفكر والتعقل والتدبّر في خلق السموات والأرض.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل جاء للتأكيد.

﴿فِي خَلْقِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدَّم ﴿إِنَّ﴾ أو متعلّق بخبره المحذوف.

والمراد بـ ﴿خَلْقِ﴾ كيفية إيجادها واستقرارها وآثارها وأفعالها وحالاتها وتحوّلها.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ حرف عطف ومعطوفه.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ حرف عطف ومعطوفه ومضاف إليه وحرف عطف ومعطوفه، والجملة معطوف على ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وتعرب إعرابها. ومعنى اختلافهما: تعاقبهما ومجيء كلّ واحد منهما عَقِيْبَ الآخر بالنظم الخاص والترتيب المعيّن والحساب الدقيق.

﴿لَ﴾ لام المزحلقة.

﴿أَيَٰتٍ﴾ اسم إنّ مؤخر ونصبه بالجر لأنّها ملحق بجمع مؤنث سالم. آيات على وجود خالق الكون وهو الله تعالى.

﴿لِ﴾ حرف جر.

﴿أُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مجروره ومضاف إليه. اللب من كلِّ شيءٍ خيره وخالصه ومن الإنسان عقله.

**الروايات**

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: نَبِّهْ

بالتفكر قلبك وجافِ عن الليل جنبك واتق الله رَبَكَ.[١]

صحيحة معمر بن خلّاد قال: سمعت أباالحسن الرضا عليه السلام يقول: ليس العبادةُ كثرةَ الصلاةِ والصومِ، إنّما العبادةُ التفكُّرُ في أمر الله عزّ وجلّ.[٢]

حسنة رِبْعِيٍّ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: التفكُّرُ يدعو إلى البِرِّ والعملِ بِهِ.[٣]

صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٤] قال: مَنْ لم يَدُلُّهُ خلقُ السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾، قال: فهو عمّا لم يُعاين أعمىٰ وأضَلُّ.[٥]

صحيحة مُعاويةَ بْنِ وَهْبٍ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وذكر صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: كان يؤتى بطهور فيخّمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثمّ ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثمّ قلّب بصره في السماء ثمّ تلا الآيات من آل عمران ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآية ثمّ يستن ويتطهر ثمّ يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قِراءَتِهِ ركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتّى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتّى يقال متى يرفع رأسه، ثمّ يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران وَيُقَلِّبُ بصره في السماء ثمّ يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك، ثمّ يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثمّ يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي

---

١. الكافي ٣/ ١٤٠، ح١ (٢/ ٥٤).
٢. الكافي ٣/ ١٤١، ح٤ (٢/ ٥٥).
٣. الكافي ٣/ ١٤٢، ح٥ (٢/ ٥٥).
٤. سورة الاسراء / ٧٢.
٥. التوحيد / ٤٥٥، ح٦ للشيخ الصدوق.

الركعتين ثمّ يخرج إلى الصلاة.[١]

عن عطاء بن أبي رباح قال: دخلت مع ابن عمر إلى عائشة فقال ابن عمر: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله؟ فبكت فأطالت ثمّ قالت: كلّ أمْرِ رسول الله عجب، أتاني في ليلتي فدخل معي في لحافي حتّى ألصق جلده بجلدي ثمّ قال: يا عائشة هل لك أن تأذني لي في عبادة ربّيﷻ؟ فقلت: والله يا رسول الله إنّي لأحبّ قربك وأحبّ هواك قد أذنت لك، فقام عليه الصلاة والسلام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثمّ قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتّى بلغ الدموع حجره، ثمّ رفع يده فجعل يبكي حتّى رأيت الدموع قد بلت الأرض، فأتاه بِلالٌ بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا بِلالُ أفلا أكون عبداً شكوراً» ثمّ قال: «ومالي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة عليَّ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.الآية. ثمّ قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».[٢]

وعن محمّد [الحنفيّة] بن علي بن أبي طالب عن أبيه عليه السلام: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يسوّك ثمّ ينظر إلى السماء ثمّ يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.[٣]

وعن بريدة الأسلمي أنّ رسول الله ﷺ قال: أشدّ آية في القرآن على الجنِّ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.[٤]

الطبرسي قال: قد اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ إنّه لما نزلت هذه الآيات الخمس [هذه الآية وَٱلْأَرْبَعُ بعدها] قال: ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها.[٥]

**لاك اللقمة: مضغها وأدارها في فمه.**

وقال: ورد عن الأئمة من آل محمّد عليهم السلام الأمر بِقِراءَةِ هذه الآيات الخمس وقت

---

١. التهذيب ٢/ ٣٣٤، ح٢٣٣.
٢. الكشف والبيان ٣/ ٢٣٠؛ روض الجنان ٥/ ٢٠٥.
٣. الكشف والبيان ٣/ ٢٣٠؛ روض الجنان ٥/ ٢٠٦.
٤. الكشف والبيان ٣/ ٢٣١؛ روض الجنان ٥/ ٢٠٦.
٥. مجمع البيان ٢/ ٥٥٤.

القيام بالليل للصلاة.[١]

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

تذكر الآية اوصاف أولي الألباب وتشرح أحوالهم وأقوالهم ومناجاتهم مع ربّهم.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلِّ جر صفة ﴿أُوْلِي﴾ في آخر الآية السابقة ويجوز أن يكون في محلِّ نصب مفعولاً به بفعل مدح محذوف تقديره أعني أو في محلِّ رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هم الذين.

﴿يَذۡكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وهذا أوّل أُوصاف ﴿أُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. فهم أهل الذكر والذكر يشمل اللفظي منه أو الفعلي والعملي.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿قِيَٰمٗا﴾ حال من ضمير فاعلي.

﴿وَقُعُودٗا﴾ حرف عطف ومعطوفه.

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ حرف عطف وجار ومجرور ومضاف إليه، مجموعه معطوف على ﴿قِيَٰمٗا﴾. أي أنّهم ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ في جميع حالاتهم لأنّ الإنسان لا يخلو من الحالات الثلاثة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف على ﴿يَذۡكُرُونَ﴾. وهذا ثاني أُوصافهم.

﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلَّقان بـ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حرف عطف ومعطوفه.

---

١. مجمع البيان ٢/ ٥٥٤.

﴿رَبَّنَا﴾ مُنادىٰ منصوب بأداة النِّداءِ المحذوفة. والضمير مضاف إليه. وهذا شروع في ذكر مقالتهم فهذه مقالتهم الأُولى. وإيماء إلى ٱعترافهم وإقرارهم بأنّ الله تعالى هو رَبُّهُمْ وَمُدَبِّرُ أمورِهم والقائم بِشُؤُوْنِهِمْ.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿خَلَقْتَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿هَـٰ﴾ للتنبيه ﴿ذَا﴾ اسم اشارة، مفعول به. أراد به الخلق.

﴿بَـٰطِلًا﴾ مفعول لأجله. أو حالاً أو نائب مفعول مطلق ـ مصدر ـ محذوف وتقديره: ماخلقت خلقاً باطلاً.

﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أُسّبح، والضمير مضاف إليه. معناه: براءة لك من السوء.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفيد الجزاء بتقدير: إذا سبّحانك ﴿فَقِنَا﴾.

﴿قِنَا﴾ فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله أنت يا سبحان والضمير مفعول به أوّل.

﴿عَذَابَ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه.

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على أنّ الكفر والضلال وجميع القبائح ليست خَلْقاً لله، لأنّ هذه الأشياء كلّها باطلة بلا خلاف. وقد نفى الله تعالى بحكايته عن أولي الألباب الذين رضي أقوالهم بأنّه لا باطل فيما خلقه، فيجب بذلك القطع على أن القبائح كلّها من فعل غيره، وأنّه لا يجوز إضافتها إليه تعالى»[١].

## الروايات

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قال: الصحيحُ يُصَلِّي قائماً وقُعُوداً، المريضُ يُصَلِّي جالساً ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ الذي يكون أضعفَ من المريض الذي يُصَلِّي جالساً.[٢]

**ونحوها في تفسير العياشي[٣].**

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سَمِعتُه يقول في قول الله ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ

---

١. التبيان ٣/ ٨٢.
٢. الكافي ٦/ ٤٣٨، ح١١ (٣/ ٤١١).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٧، ح١٩٢.

ٱللَّهَ قِيَـٰمًا﴾ الأصِحّاء ﴿وَقُعُودًا﴾ يعني المرضى ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قال: أعَلُّ[١] ممَّن يُصلّي جالساً وأوجع.[٢]

صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله عزّ وجلّ قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.[٣]

**ونحوها في تفسير العياشي[٤] وأمالي الطوسي[٥].**

روى الشيباني عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: أنّ هذه الآيات التي [في] أواخر آل عمران نزَلتْ في عليٍّ عليه السلام وفي جماعة من أصحابه، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أمرَه الله تعالى بالمهاجرة إلى المدينة بعد موت عمّه أبي طالب رضي الله عنه، وكان قد تحالفتْ عليه قريش بأن يَكْبِسُوا عليه ليلاً [دارَهُ] وهو نائمٌ، فيَضْربوه ضَرْبَةَ رجلٍ واحد، فلم يُعْلَمْ مَنْ قاتله، فلا يُؤخذ بثاره، فأمر الله بأن يبيّت مكانه ابن عمّه عليّاً عليه السلام، ويخرج ليلاً إلى المدينة، ففعل ما أمره الله به، وبيّت مكانه على فراشه عليّاً عليه السلام، وأوصاه أن يحمل أزواجه إلى المدينة، فجاء المشركون من قريش لِما تعاقدوا عليه وتَحالفوا، فوجدوا عليّاً عليه السلام مكانه فرجعوا القَهْقَرى، وأبطَل الله ما تَعاقدوا عليه وتَحالفوا.

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام حمل أهلَه وأزواجه إلى المدينة فَعَلِم أبوسفيان بخروجه وسيره إلى المدينة فتبعه لِيُرِدَّهم، وكان معهم عبدٌ له أسود، فيه شِدَّةٌ وجرأةٌ في الحرب، فأمَره سيّده أن يَلْحَقَه فيمنعه عن المسير حتّى يلقاه بأصحابه، فلَحِقه، فقال له: لا تَسِرْ بمن معك إلى أن يأتي مولاي. فقال عليه السلام له: ويلك، ارجع إلى مولاك وإلّا قتلتُك. فلم يَرْجِع، فشال عليّ عليه السلام سيفَه وضربه، فأبان عنقه عن جسده، وسار بالنساء والأهل، وجاء أبوسفيان فوجد عبده مقتولاً، فتبع عليّاً عليه السلام وأدركه، فقال له: يا عليّ، تأخُذ

---

١. أَعَلُّ: صِيْغَة تفضيل على المُصْطلح الشائع أَيْ أَشَدُّ عِلَّةً.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٧، ح١٩١.
٣. أمالي المفيد، المجلس السابع والثلاثون، ح١/ ٣١٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٦، ح١٩٠، و ١/ ٣٦٠، ح٢٠٣.
٥. أمالي الطوسي، المجلس الثالث، ح٢٥/ ٧٩، رقم ١١٦.

بنات عمّنا من عندنا من غير إذننا، وتقتل عبدنا! فقال: أَخَذْتُهُنَّ[١] بإذن من له الإذن، فامض لشأنك. فلم يَرْجِع، وحاربه على ردِّهم بأصحابه يومه أجمع، فلم يَقْدِروا على رَدِّه، وعَجَزوا عنه هو وأصحابه، فرجعوا خائبين.

وسار عليٌّ عليه السلام بأصحابه وقد كَلُّوا من الحرب والقتال، فأمرهم عليٌّ عليه السلام بالنزول ليستريحوا ويسير بمن معه، فنزلوا وصلّوا على ما يتمَكّنون، وطرحوا أنفسهم عجزاً يذكرون الله تعالى في هذه الحالات كلّها إلى الصّباح، ويَحْمَدونه، ويَشْكُرونه، ويَعْبُدُ. ثمّ سار بهم إلى المدينة، إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ونزل جبرئيل عليه السلام قبل وصولهم، فحكى للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حكايتهم، وتلا عليه الآيات من آخر آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٢] فلمّا وصل عليه السلام بهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال له: إنّ الله سبحانه قد أنزل فيك وفي أصحابك قرآناً، وتلا عليه الآيات من آخر آل عمران إلى آخرها» والحمد لله رب العالمين.[٣]

عن معاذ بن جَبَل قال: قال رسول الله عليه السلام: «مَنْ أراد أنْ يَرْتِعَ في رياضِ الجنةِ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ الله».[٤]

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ذكر الله تعالى عَلَمُ الإيمان وبُرْءٌ من النفاق وحِصْنٌ من الشيطان وحِرْزٌ من النيران».[٥]

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى! اجعلني منكَ على بالٍ ولا تَنْسَ ذِكْرِي على كلّ حالٍ، وليكن همُّك ذكري فَإِنَّ الطّريق إِلَيَّ.[٦]

## تذكرةٌ

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي ما نصه: «و در اخبار اهل البيت عليهم السلام هست كه: آيت در نماز شب است كه ذكر خداست در اين سه حال: حالت قيام و قعود به

---

١. وفي المصدر: أخذتهم.
٢. سورة آل عمران / ١٩٤.
٣. نهج البيان ١/ ٧٩ ونقل عنه في تفسير البرهان ١/ ٧٢٧، ح٦.
٤. روض الجنان ٥/ ٢٠٨؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٣١؛ مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٧٢.
٥. روض الجنان ٥/ ٢٠٨؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٣١؛ مستدرك الوسائل ٥/ ٢٨٥.
٦. روض الجنان ٥/ ٢٠٨؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٣١.

دعوات، وَعَلى جُنُوبِهِمْ، چون از نماز وَتْر فارغ شود في روايةٍ، و به روايتى ديگر: چون از ركعتي الفجر فارغ شود بر پهلوى راست خُسپد و دست راست در زير روى نهد و اين دعا بخواند: اِسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةِ الله الْوُثْقَى [الَّتي] لَاانْفِصامَ لَها وَاعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ الله الْمَتِينِ وَاَعُوذَ بِالله مِنْ شَرِّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَمِنْ شَرِّ فَسَقَةِ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ سُبْحانَ رَبِّ الصَّباحِ فالِقِ الاِصْباحِ، سه بار بگويد اين كلمه، آنگه گويد: بِسْمِ الله وَضَعْتُ جَنْبي لله آمَنْتُ بِالله فَوَّضْتُ اَمْري اِلَى الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله ماشاءَ اللهُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ اِلّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[1] اِلى قَوْله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2]»[3].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ﴿١٩٢﴾

تذكر الآية المقالة الثانية ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿رَبَّنَآ﴾ منادى بأداة نداء محذوفة والضمير مضاف إليه. ويستفيد من الخطاب بأنّهم يناجون ربّهم هكذا.

﴿إِنَّكَ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محلٍّ نصب مفعول به أوّل مقدَّم فعل ﴿تُدْخِلِ﴾، ويمكن أن يأخذه مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه في محلٍّ رفع خبره.

﴿تُدْخِلِ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿مَن﴾ فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى الربّ.

﴿ٱلنَّارَ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَخْزَيْتَهُۥ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. الضميرالفاعلي يرجع إلى الربّ والمفعولي يرجع إلى ﴿مَن﴾. أي من ناله عذاب النار وما فيها من الذلّ والمهانة فهو

---

١. سورة آل عمران / ١٩٠.
٢. سورة آل عمران / ١٩٤.
٣. روض الجنان ٥/ ٢٠٨.

المخزي. الخزي: هو الافتضاح والإذلال. ودخول النار من أشدّ أنواع الخزي.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ جار ومجرور خبر مقدّم أو متعلَّق بخبر مقدّم محذوف.

﴿مِنۡ﴾ حرف جر يؤكد نفي ﴿مَا﴾.

﴿أَنصَارٍ﴾ مجروره وفي محلّ رفع لأنّه مبتدأ مؤخر.

معني الجملة الأخيرة ليس ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المذنبين ـ لأنّ كلّ ذنب لاأقل ظلم لنفس المذنب ـ من يدفع عنهم على وجه المغالبة والقهر ولا ينافي ذلك الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأنّ الشفاعة هي مسألة وخضوع وَتَضَرُّعٌ إلى الله تعالى وليست من النصرة في شيءٍ كما قاله الشيخ.[١]

## روايةٌ

عن يُونس بن ظِبيان، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ قال: مالهم من أئمّةٍ يُسَمُّوْنَهُمْ بأسمائهم.[٢]

**شاهد لما مرّ بأنّ الشفاعة ليست من النصرة؛ لأنّ النصرة تكون على وجه المغالبة والقهر والشفاعة موجودة في العوالم الثلاثة.**

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾

تذكر الآية مقالتهم الثالثة والرابعة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿رَبَّنَآ﴾ مرّ اعرابه وسرّ تكريره لأنّهم في حال المناجاة وهي نوع من ٱلتَّغَزُّلِ وَٱلتَّعَشُّقِ والحبيب يحبّ أن ينادي محبوبه ولذا كرّر خمس مرّات في هذه الآيات ولعلّ

---

١. التبيان ٣/ ٨٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٧، ح١٩٣.

تكرارها يوجب استجابة الدعاء كما عليه بَعْضٌ. والشاهد عليه ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[1].

﴿إِنَّنَا﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد واسمه.

﴿سَمِعْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿مُنَادِيًا﴾ مفعول به. أي نداءً مناد لأنّ المنادي لا يُسمع. والمنادي هو الرسول الأعظم محمّد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿يُنَادِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى المنادي.

﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ جار ومجرور. معناه إلى الإيمان.

﴿أَنْ﴾ حرف تفسير هنا بمعنى: أي، هذا وما بعدها بيان للنداء.

﴿ءَامِنُوا۟﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿بِرَبِّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ويرشدهم الرسول ﷺ بأنّ الربّ لكلِّ المخاطبين ولا يختص بطبقة دون طبقة.

﴿فَ﴾ تفريع على ﴿سَمِعْنَا﴾. ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله. فلا تدخلنا النار.

﴿رَبَّنَا﴾ مرّ اعرابه وسر تكريره.

﴿فَ﴾ تفريع على الإيمان بالربّ والرسول الأعظم ﷺ.

﴿ٱغْفِرْ﴾ فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله ضمير مستتر «أنت» ﴿رَبَّنَا﴾. أي «استر ذنوبنا علينا ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك»[2].

والغفران قد يكون ابتداءً وقد يكون من سبب نحو التوبة.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور. ﴿ذُنُوبَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف، يعطف جملة ﴿كَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ على ﴿ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

﴿كَفِّرْ﴾ فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله. قد يقال: التكفير لا يكون إلّا من سبب وهو فعل حسن من أفعال العبد.

﴿عَنَّا﴾ جار ومجرور.

---

١. سورة آل عمران / ١٩٥.
٢. التبيان ٣/ ٨٤.

﴿سَيِّـَٔاتِنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي ٱمْحُها بفضلك ورحمتك إيّانا.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿تَوَفَّنَا﴾ فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. أي اقبضنا إليك إذا قبضتنا.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدلّ على المصاحبة.

﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ مضاف إليه. أي: واحشرناه معهم. «والأبرار جمع بَرّ وهم الذين بَرُّوْا الله بطاعتهم إيّاه حتّى أرضوه فرضي عنهم»[١].

## روايةٌ

عن عبدالرحمن بن كَثير، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ قال: هو أميرالمؤمنين عليه السلام، نُودي من السماء؛ أن آمِن بالرسول، فآمَن به.[٢]

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ﴿١٩٤﴾

فهذه المقالة الخامسة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

﴿رَبَّنَا﴾ مرّ.

﴿وَ﴾ حرف عطف، يعطف ما بعده علي ﴿تَوَفَّنَا﴾.

﴿ءَاتِنَا﴾ فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله ومفعول به. أي أعطنا.

﴿مَا﴾ موصولة بمعنى الذي مفعول به ثانٍ.

﴿وَعَدتَّنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به، صلة الموصول.

﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي ﴿عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رُسُلِكَ﴾ وحملته على رسلك من الثواب والجنّة والعفو والرحمة والغفران ودخول الجنّة بغير حساب.

---

١. التبيان ٣/ ٨٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٧، ح١٩٤.

منها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَا تُخْزِنَا﴾ فعل نهي في مقام الدعاء والمسألة وفاعله ومفعول به. وقد مرّ أنّ معنى الخزي هو الذلّة وهنا بإخلاف الوعد ولذا أخلفه بما يأتي.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان.

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. لأنّ فيها الشدائد والأهوال العظيمة الخطيرة.

﴿إِنَّكَ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد واسمه.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿تُخْلِفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت».

﴿ٱلْمِيعَادَ﴾ مفعول به. لأنّك يا ربّ وعدتَ بِالْجَنَّةِ مَنْ آمَنَ بك ونحن آمنا بك فلا تدخلنا النار وأدخلنا الجنة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ ﴿١٩٥﴾

يذكر في الآية الشريفة أنّ العبرة بالعمل لا العامل وجنسيته ونسبه ووطنه وشعبه وقبيلته ثمّ يذكر ثواب بعض الأَعمال وغفران الذنوب بالهجرة والشهادة وثواب الشهداء.

﴿فَ﴾ استئنافية أو للترتيب لترتّب ما بعده على ما قبله تَرَتُّبَ المعلول على العِلَّة.

﴿ٱسْتَجَابَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، أي أجاب دُعاءَهُمْ. وهيئة الماضي تدلّ على تحقق

---

١. سورة التوبة / ٧٢.

الإجابة. «والاستجابة: هي الجواب مع حصول المقصود والمراد بخلاف الإجابة فإنّها تطلق على مجرد الجواب. وهذه الاستجابة تكوينية»[١].

﴿لَهُمۡ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى الذين ﴿أُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

﴿رَبُّهُمۡ﴾ فاعل ومضاف إليه. حيث إنّهم ينادونه بـ ﴿رَبَّنَا﴾ فأجابهم بـ ﴿رَبُّهُمۡ﴾ وفيه اشارة لطيفة إلى وجود الحبّ بينه تعالى وبينهم أو «ثوران الرحمة الإلٰهيّة»[٢]. ولماذا استجاب لهم ربهم؟ وجوابه يأتي في الجملة الآتية.

﴿أَنِّي﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه. أي بـ ﴿أَنِّي﴾ وحذف الباء. وهذا شروع في وجه استجابتهم وتقرير لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿لَآ أُضِيعُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿رَبُّهُمۡ﴾ والجملة ﴿لَآ أُضِيعُ﴾ خبر ﴿أَنِّي﴾. «الإضاعة: الإهلاك. ضاع الشيء يضيع: إذا هلك»[٣].

﴿عَمَلَ﴾ مفعول به. ﴿عَٰمِلٍ﴾ مضاف إليه، والتنكير يدلّ على التعميم.

﴿مِّنكُم﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿عَٰمِلٍ﴾ لأنّ «مِنْ» بيانيٌّ ومفسرة.

﴿مِّن ذَكَرٍ﴾ جار ومجرور. بدل من ﴿مِّنكُم﴾. و ﴿مِّن﴾ بيانية.

﴿أَوۡ﴾ حرف عطف. ﴿أُنثَىٰ﴾ معطوفه. ﴿بَعۡضُكُم﴾ مبتدأ ومضاف إليه.

﴿مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ جار ومجرور خبره أو متعلّق بخبر محذوف. والجملة الاسمية ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ صفة لـ ﴿عَٰمِلٍ﴾ وفي محلّ جرّ. أي بعض العاملين ﴿مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ يعني بعض العمل الذي أمرتم به.

أو تساوي الذكور والإناث في عَدَمِ تَضْيِيْعِ الله أحداً منهم في العمل الذي عمله فبعض المؤمنين في هذا الباب كبعضهم في عدم ٱلتَّضْيِيْع.

أو الذكر ابن الانثى والانثى بنت الذكر والتماثل في المصدر يستدعي التماثل في الحكم والأثر، والكلّ سواء في الإنسانية عند الإسلام.

---

١. مواهب الرحمن ٧/ ١٧٩.
٢. الميزان ٤/ ٨٨.
٣. التبيان ٣/ ٩٠.

﴿وَ﴾ استئنافية أو تفريعية والثاني أظهر لأنّه في مقام تبيين الأعمال الصالحات وثوابها.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿هَاجَرُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، عن قومهم من أهل الكفر في الله إلى إخوانهم المؤمنين.

وفي الميزان: «والظاهر بالمهاجرة ما يشمل المهاجرة عن الشرك [والمعاصي] والعشيرة والوطن لإطلاق اللفظ»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف للتفصيل لا الجمع حتّى يكون ما بعده ثواب المستشهدين فقط.[٢]

﴿أُخۡرِجُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. معطوف على ﴿هَاجَرُواْ﴾، وبقرينة مقابلته مع ﴿هَاجَرُواْ﴾ هو إخراجٌ خاصٌّ وهو ترك الوطن والشاهد عليه ما بعده.

﴿مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلَّق بـ ﴿أُخۡرِجُواْ﴾.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أُوذُواْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿فِي سَبِيلِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿قَٰتَلُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. وقتالهم مع الكفار والمشركين الذين أخرجوهم وآذوهم وقاتلوهم وقتلوهم.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿قُتِلُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. أي استشهدوهم في سبيل الله. وما بعدها يمكن ثواب المهاجرين المستشهدين. ويمكن أن يكون ثواب جميع المذكورين من دون اختصاص بالمستشهدين.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف.

﴿أُكَفِّرَنَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ونون تأكيد ثقيلة.

---

١. كما في الميزان ٤/ ٨٨.
٢. كما في الميزان ٤/ ٨٨.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى المستشهدين.

﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. «ظاهر السيئات في القرآن صغائر المعاصي فهم هاجروا الكبائر بالاجتناب والتوبة»[١]. وفيه تأمل. لأنّ جمع المضاف إلى ضمير الجمع يفيد العموم فيشمل الصغائر والكبائر مع أنّه تعالى هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ، العَفُوُّ ٱلغَفُوْرُ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف.

﴿أُدْخِلَنَّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ونون تأكيد ثقيلة ومفعول به أوّل.

﴿جَنَّتٍ﴾ مفعولٌ به ثانٍ. ﴿تَجْرِى﴾ فعل مضارع، صفة ﴿جَنَّتٍ﴾.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿جَنَّتٍ﴾.

﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾ فاعله.

﴿ثَوَابًا﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر تقديره «لَأُثِيْبَنَّهُمْ» أو حال من ضمير «هم» في ﴿لَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾. أي جميع ذلك كانت نتيجة أعمالهم.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ذكر اسم الجلالة يدلّ على تعظيم هذا الثواب.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عِندَهُۥ﴾ مفعول فيه متعلّق بخبر مقدَّم محذوف، ومضاف إليه.

﴿حُسْنُ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿ٱلثَّوَابِ﴾ مضاف إليه. وجملة ﴿عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ خبر لمبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾.

## الروايات

في تفسير القمي: ثمّ ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام وأصحابه المؤمنين فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـرِهِمْ﴾ يعني أميرالمؤمنين عليه السلام وسلمان وأباذر حين أُخْرِجَ، وَعَمّاراً الذين أُوْذُوْا في الله ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

١. الميزان ٤/ ٨٩.

وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.١

وفي الاختصاص: قال: فما الحفيظة والكرم؟ قالوا: مشى [أمير المؤمنين عليه السلام] على رجليه [في الهجرة إلى مكة] وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الظهر، وكمن النّهار وسار بهنّ اللّيل ماشياً على رجليه، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تعلّقت قدماه دماً ومدة٢، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل تدري ما نزل فيك؟ فأعلمه بما لا عوض له لو بقي في الدّنيا ما كانت الدّنيا باقية، قال: يا عليّ نزل فيك ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ فالذكر أنت والإناث بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.٣

وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما بال الرجال يذكرون، ولا تذكر النساء في الهجرة، فأنزل الله هذه الآية، روي ذلك عن مجاهد، وعمرو بن دينار، ويقال إنَّ القائل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت أم سلمة رضي الله عنها.٤

وفي المناقب: عن عمار بن ياسر في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ قال: فالذكر عليٌّ والأُنثىٰ فاطمة وقت الهجرة إلى رسول الله في الليلة.٥

---

١. تفسير القمي / ٧٠ (١/ ١٢٩).
٢. المِدَّةُ، بِكَسْرِ ٱلْمِيْم: ٱلْقَيْح.
٣. الاختصاص / ١٤٧.
٤. التبيان ٣/ ٨٩.
٥. المناقب ٣/ ٣٦٦، و ١/ ٢٣٥.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلۡبِلَٰدِ﴾ ﴿١٩٦﴾

ورد النهي عن الإغترار بحال الكفار الذين يعيشون في رفاهية وترف الحياة وتسليّة للنبيّ ﷺ والمؤمنين الذين تحمّلوا البلاء والأذىٰ.

﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿يَغُرَّنَّكَ﴾ فعل مضارع مجزوم ونون التأكيد الثقيلة ومفعول به. خطاب للنبي ﷺ والمقصود به الناس. و «مادّة «غرر» تدلّ على الأثر الظاهر في[1] الشيء سواء كان سببه الغفلة أو أمر آخر»[2].

﴿تَقَلُّبُ﴾ فاعله. والتقلُّبُ هو التحوُّلُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ والانتقال من مكان إلى مكان.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول ومضاف إليه.

﴿كَفَرُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والمراد بالكفر هنا أَعَمُّ من الإعتقاديّ والعمليّ بمقابلته ﴿لِّلۡأَبۡرَارِ﴾[3] كما قاله السَّيِّدُ السبزواري.[4]

﴿فِى ٱلۡبِلَٰدِ﴾ جار ومجرور.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ ﴿١٩٧﴾

تعليل للنهي عن التغرير بهم.

﴿مَتَٰعٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلك التقلب متاع، «المتاع: النفع الذي

---

١. وفي الأصل «علىٰ» والصواب: «في» لِأَنَّ الفِعْلَ (أَثَّرَ) ومُشْتَقّاته يتعدّىٰ بِحَرْفِ ٱلجرِّ (في) لا بِـ (علىٰ) كما شاعَ خَطأً.

٢. مواهب الرحمن ٧/ ٢٠٤.

٣. سورة آل عمران / ١٩٨.

٤. مواهب الرحمن ٧/ ٢٠٤.

تتعجّل به اللّذّة إمّا بوجود اللّذّة أو بما يكون به اللّذّة»[١]. أو ما يتمتّع به الإنسان في العاجل.

﴿قَلِيلٌ﴾ نعته، قليل كماً وكيفاً بالنسبة إلى نِعَمِ الآخرة وثوابها، مضافاً إلى عدم دَوامِهِ واستمراره وسرعة زواله وانقطاعه وفنائه.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب أي بعد تنعّمهم وتقلّبهم في البلاد في حياتهم الدنيوية.

﴿مَأْوَىٰهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. أي مصيرهم الذي يَأْوُوْنَ إليه، وهم قد مهّدوه بكفرهم وسوء أعمالهم[٢] وهي:

﴿جَهَنَّمُ﴾ خبره. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿بِئْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ لإنشاء الذم.

﴿ٱلْمِهَادُ﴾ فاعله. أي: المكان الممهّد كالفراش. فالمهاد: الموضع الذي يسكن فيه الإنسان ويَفْتَرِشُهُ كما في التبيان[٣].

## روايةٌ

عن النبي ﷺ: ما الدنيا في الآخرة إلّا كما يَجْعَلُ أحدكم إِصْبَعَهُ[٤] السَّبّابَةَ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟[٥]

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

ثمّ يذكر الله تعالى مصير الأبرار وسعادتهم في مقابل مصير الكفار وشقاتهم.

﴿لَٰكِنِ﴾ حرف استدراك ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

---

١. التبيان ٣/ ٩١.
٢. كما في مواهب الرحمن ٧/ ٢٠٥.
٣. التبيان ٣/ ٩١.
٤. وفي ضَبْطِهِ عِدَّةُ وُجُوه.
٥. الكشف والبيان ٣/ ٢٣٧؛ روض الجنان ٥/ ٢٢٤.

﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، في فعل الطاعة وترك المعصية.

﴿رَبَّهُمۡ﴾ مفعول به، ومضاف إليه. ﴿لَهُمۡ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿جَنَّٰتٌ﴾ مبتدأ مؤخر. وجملة ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٌ﴾ خبر لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿تَجۡرِي﴾ فعل مضارع. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فاعله.

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾. أو من ﴿لَهُمۡ﴾.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

﴿نُزُلاً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره، ينزلون ﴿نُزُلاً﴾.

ٱلنُّزُلُ: ما يُعَدُّ للنازل مِنْ طَعامٍ وَشَرابٍ في أوّل نزوله في المنزِل.

﴿مِّنۡ﴾ حرف جر، بَيانِيّ. ﴿عِندِ﴾ مجروره ﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. وذكر لفظ الجلالة للتعظيم. من الكرامة والحبا وحسن المآب ودوامه واستمراره.

﴿خَيۡرٞ﴾ خبر.

﴿لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بصفة محذوفة من ﴿خَيۡرٞ﴾. مفرده بَرٌّ أو بارٌّ. وقِيْلَ: إِنَّ ٱلْأَبْرارَ جَمْعُ ٱلْبَرّ، وَأَمّا ٱلْبارُّ فَجَمْعُهُ: بَرَرَةٌ.

## روايةٌ

عن الأصبغ بن نُباتة، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في قوله: ﴿ثَوَابًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ قال: أنت الثواب، وأنصارُك الأبرار.[2]

**روىٰ العياشي[3] نحوها أيضاً وفي شواهد التنزيل[4] مثلها.**

---

١. سورة آل عمران / ١٩٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٨، ح١٩٥.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٨، ح١٩٦.
٤. شواهد التنزيل ١/ ١٣٨، ح١٨٩ و ١٩٠.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿١٩٩﴾

هذه الآية تدل على إنصاف القرآن الكريم بالنسبة إلى أهل الكتاب وأنّ بعضهم ـ لاكلّهم ـ يَشْتَرِكُوْنَ مع المؤمنين في الإيمان بالله وحده وبالرسول الخاتم ﷺ وعدم تفريقهم بين أنبياء الله تعالى وأنّهم لا يكتمون ما أنزل الله إليهم ولا يبدّلون به شيئاً وأنّهم لا يشترون بالآيات النازلة إليهم ثمناً قليلاً من متاع الدنيا، وهم الذين يؤمنون بمحمّدﷺ ويسلّمون له وفي طليعتهم من النصارىٰ النجاشي ملك حبشة ومن اليهود عبدالله بن سَلاّم وغيرهما.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد.

﴿مِنْ﴾ حرف جرّ، تبعيضية. أي بعضهم ـ لا كلّهم ـ .

﴿أَهْلِ﴾ مجروره. مجموع جار ومجرور متعلَّق بخبر مقدّم محذوف لـ ﴿إِنَّ﴾ .

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. والمراد به التوراة والإنجيل والمراد بهم اليهود والنصارىٰ.

﴿لَ﴾ مزحلقة للتأكيد. ﴿مَن﴾ اسم موصول، ٱسْمُ ﴿إِنَّ﴾ جاءَ مُؤَخَّراً.

﴿يُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَن﴾، صلة الموصول.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُؤْمِنُ﴾. أي بعضهم ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وحده لا بالتثليث النصارى ولا بالشرك اليهود. هذا وصفهم الأوّل.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَآ﴾ معطوف على لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، اسم موصول.

﴿أُنزِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر فيه.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير الخطاب يرجع إلى المسلمين. يدلّ على أنّهم أسلموا وآمنوا بالرسول الخاتم ﷺ وبكتابه القرآن الكريم وهذا وصفهم الثاني.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ معطوف على جملة ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ وتعرب إعرابها. والمُنْزَل هو التوراة والإنجيل وهذا وصفهم الثالث.

﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من فاعل ﴿يُؤۡمِنُ﴾ لانّه يعود إلى ﴿مَن﴾. الخشوع: الخضوع والتواضع بل فوقهما وهو نوع من انكسار يعرض على القلب وعلى الجوارح في عبادة الله تعالى.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور. وهذا وصفهم الرابع.

﴿لَا يَشۡتَرُونَ﴾ فعل مضارع منفي بـ ﴿لَا﴾ نافية وفاعله، في محل نصب حال آخر من فاعل ﴿يُؤۡمِنُ﴾.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي لا يحرّفون ما أنزل الله في كتبهم مِنْ أَوْصافِ محمّد ﷺ ولا يبدّلونه.

﴿ثَمَنٗا﴾ مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾ نعته، لأنّه زائل وهذا وصفهم الخامس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، أي الذين مرّ أُوصافهم الخمسة.

﴿لَهُمۡ﴾ جار ومجرور. خبر مقدّم أو متعلّق بخبر مقدّم محذوف.

﴿أَجۡرُهُمۡ﴾ مبتدأ مؤخر لخبر ﴿لَهُمۡ﴾، ومضاف إليه. والجملة الاسمية ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبر مبتدأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وفي محلِّ رفع.

﴿عِندَ﴾ ظرف مكان منصوب على الظرفية متعلّق بـ ﴿أَجۡرُهُمۡ﴾. يدلّ على تعظيم الأجر، لا سيّما إذا أُضِيْفَ إِلىٰ بـ ﴿رَبِّهِمۡ﴾.

﴿رَبِّهِمۡ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل للتأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿سَرِيعُ﴾ خبره. ﴿ٱلۡحِسَابِ﴾ مضاف إليه. بالنسبة إلى أعمال العباد وأفعالهم.

قال في الميزان: «والغرض منه أن السعادة الأُخْرَوِيّة ليست جنسية حتّى يمنع منها أهل الكتاب وإن آمنوا بل الأمر دائر مدار الإيمان بالله وبرسله فلو آمنوا كانوا هم والمؤمنون سواء.

وقد نفى عن هؤلاء الممدوحين من أهل الكتاب ما ذمّهم الله به في سَوابِقِ الآيات وهو التفريق بين رسل الله، وكتمان ما أخذ ميثاقهم لبيانه اشتراءاً بآيات الله ثمناً

قليلاً»[١].

وفي تفسير القمي: «فهم قوم من اليهود والنصارى دخلوا في الإسلام منهم النَّجاشِيُّ وأصحابه»[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

الآية الختامية لسورة آل عمران تتضمّن تلخيص ما ورد فيها وخطوطها الرئيسة وَبَيان نَتائِجِها.

﴿يَٰٓ﴾ أداة نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ أيُّ منادىٰ في محلِّ نصب، «ها» للتنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلِّ نصب بدل من «أيُّ».

﴿ءَامَنُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. صلة الموصول. ورد الخطاب إلى المؤمنين لاغيرهم.

﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. وبقرينة المقابلة مراده الصبر الفردي وهو الصبر في الطاعة وعن المعصية وعلى الشدائد وفي المصائب وكلِّها من صفات المؤمن الواقعي ولذا خاطبهم في صدر الآية.

والصبر من أهم رموز وَأَسْبابِ نجاح الإنسان وموفّقيته وهو أُمّ فضائله السامية وخصاله الحميدة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿صَابِرُواْ﴾ فعل أمر وفاعله من باب المفاعلة أي المصابرة وهي المغالبة في الصبر أي الصبر الجماعي ووجود هذه الصفة الممدوحة ـ أي الصبر ـ في مُجْتَمَعِ المؤمنين. ولا يصل الاجتماع إلى أهدافها إلّا بوجود التعاون في الصبر والمعاونة فيه وهذا هو المصابرة. وهو الذي يُسَمّىٰ اليوم بـ «المقاومة» في قبال العدوّ لأجل الوصول إلى

---

١. الميزان ٤/ ٨٩.
٢. تفسير القمي/ ٧٠ (١/ ١٢٩).

الأهداف في المجتمع.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿رَابِطُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. الربط: الشدّ. المرابطة: الملازمة والثبات والمواظبة. وهي من الارتباط بين أفراد المجتمع وقواهم وأفعالهم في شؤونهم الدينيّة والدنيويّة لأجل الوصول إلى الأهداف. تشمل بإطلاقها حتّى وجود الارتباط مع العدوّ من عرفانه وعرفان مختصاته وقواه وفي مواقع اللازم حتّى لقائه والمذاكرة والمصالحة معه.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱتَّقُواْ﴾ فعل امر وفاعله. ولعلّ هذا الأخير هو قوام الثلاثة الماضية.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿لَعَلَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، ذكره بداعي الترغيب.

﴿كُمْ﴾ اسمه، يرجع إلى الذين عملوا بالأوامر الأربعة.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبره. والعاملين بألاوامر يصلون إلى مرتبة الفلاح الواقعي إن شاء الله تعالى وهو الفوز بالجنّة ورضوان الله رزقنا الله وإيّاكم، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

وفي تفسير الحبري[1]: نزلت في رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وحمزة بن عبدالمطلب.

وفي غاية المرام[2]: السيّد الفاضل الحسين بن مُساعِدٍ [الحُسَينيُّ الحائِريُّ النّسّابَةُ] في كتابه [تحفة ٱلْأَبْرار في مناقب الأئمة الأطهار، مخطوط] قال من طريق المخالفين: إنّ الآية نزلت في رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام وحمزة.

**الروايات**

صحيحة ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على المصائب ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على الفرائض ﴿وَرَابِطُواْ﴾ على الأئمة عليهم السلام.[3]

موثقة الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام قال: إذا كان يَوْمُ القيامة يُنادي مُنادٍ اين

---

١. تفسير الحبري / ٢٥٢.
٢. غاية المرام ٢/ ٢٣، الباب السبعون.
٣. تفسير القمي / ٧٠ (١/ ١٢٩).

الصابرون؟ فيقوم فِئامٌ من الناس، ثمّ ينادي واين المتصبّرون؟ فيقوم فِئامٌ من الناس، قلت: جعلت فداك وما الصابرون؟ قال: على أداء الفرائض والمتصبّرون على ٱجتناب المحارم.[١]

**الفِئامُ: الجَماعات.**

معتبرة أو موثقة عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال: اصبروا على الفرائض.[٢]

**ونحوها في تفسير العياشي[٣].**

خبر أبي السَّفَاتِجِ عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال: اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة عليهم السلام.

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي السفاتج وزاد فيه: فاتقوا الله ربَّكُمْ فيما افترض عليكم.[٤]

خبر أبان بن أبي مسافر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال: اصبروا على المصائب.

وفي رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صابروا على المصائب.[٥]

عن مَسْعَدة بن صَدَقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ يقول: عن المعاصي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على الفرائض، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: آمُروا بالمعروف وانْهَوا عن المُنْكَر.

ثمّ قال: وأيّ مُنكرٍ أنكر من ظُلم الأُمَّة لنا، وقتلهم إيّانا! ﴿وَرَابِطُواْ﴾ يقول: في سبيل الله، ونحن السبيل فيما بين الله وخَلْقِهِ، ونحن الرِّباط الأدنى، فمن جاهَدَ عنّا فقد جاهَدَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من عندالله ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ لعلَّ الجنَّة تُوجب لكم إن فَعَلْتُم ذلك، ونظيرها من قول الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

١. تفسير القمي / ٧٠ (١/ ١٢٩).
٢. الكافي ٣/ ٢٠٩، ح٢ (٢/ ٨١).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٨، ح١٩٨.
٤. الكافي ٣/ ٢٠٩، ح٣ (٢/ ٨١).
٥. الكافي ٣/ ٢٣٨، ح١٩ (٢/ ٩٢).

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١] ولو كانت هذه الآية في المؤذّنين ـ كما فسرّها المُفسّرون ـ لفاز القَدَريّة وأهل البِدَع معهم.[٢]

عن يعقوب السرّاج قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: تبقى الأرض يوماً بغير عالمٍ منكم، يَفْزَع الناس إليه؟

قال: فقال لي: إذاً لا يُعْبَد الله. يا أبا يوسف، لا تَخْلُو الأرض من عالمٍ منّا، ظاهر يَفْزَع الناس إليه في حلالهم وحرامهم، وإنَّ ذلك لمبيَّن في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على دينكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ عدوّكم ممَّن يُخالفكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ إمامكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما أمَرَكم به وافترض عليكم.[٣]

وفي رواية أُخرى عنه: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على الأذى فينا، قلت: فصابروا؟ قال: على عدوَّكم مع وليِّكم. قلت: ﴿وَرَابِطُواْ﴾؟ قال: المقام مع إمامكم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قلت: تنزيل؟ قال: نعم.[٤]

عن أبي الطّفيل[٥]، عن أبي جعفر عليه السلام، في هذه الآية، قال: نزلت فينا، ولم يكن الرِّباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك، يكون من نَسْلنا المُرابط، ومن نَسْل ابن ناثِل[٦] المُرابط.[٧]

---

١. سورة فصلّت / ٣٣.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٥٨، ح١٩٧.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٥٩، ح١٩٩.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٥٩، ح٢٠٠.
٥. عامرِ بْنِ واثِلَة اللَّيْثيّ الكِنانيّ.
٦. في البحار ٢٤/ ٢١٨، ح١٢ ابن ناتل وقال العلامة المجلسي رحمه الله في ذيله: «ابن ناتل، كناية عن ابن عباس، والناتل: المقدم والزاجر، أو بالثاء المثلّثة كناية عن أُم عباس: نثيلة، فقد وقع في الأشعار المنشدة في ذمّهم نسبتهم إليها، والحاصل أن من نسلنا من ينتظر الخلافة، ومن نسلهم أيضاً، ولكن دولتنا باقية، ودولتهم زائلة».
وصدق الله العلي العظيم إذْ يقولُ في محكم كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد / ١٧].
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٥٩، ح٢٠١.

عن بُريد، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ يعني بذلك عن المعاصي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ يعني التقيَّة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ يعني الأئمَّة.

ثمّ قال: تدري ما يعني البُدُوا ما لَبَدْنا، فإذا تَحَرّكنا فتحرَّكوا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ما لَبَدْنا ربّكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

قال: قلت: جُعِلتُ فِداك، إنّما نقرؤها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قال: أنتم تقرؤنها كذا، ونحن نقرؤها كذا.[١] [٢]

خبر بُرَيْدِ بْنِ مُعاوِيَةَ العِجْلِيّ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾، فقال: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على أداء الفرائض، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ عدوّكم، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ إمامكم المنتظر.[٣]

خبر أبي الطفيل، عن أبي جعفر محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام: إنّ ابن عباس بعث إليه مَنْ يسأله عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ فغضب عليّ بن الحسين عليه السلام، وقال للسائل: وددتُ أن الذي أمرك بهذا واجهني به، ثمّ قال: نزلت في أبي وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد وسيكون ذلك ذرّيّة من نسلنا المرابط، ثمّ قال: أما إنّ في صُلْبِهِ ـ يعني ابن عباس ـ وديعة ذُرِئَتْ[٤] لنار جهنم، سيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً، وستصبغ الأرض بدماء فراخ من فراخ آل محمّد عليهم السلام، تنهض تلك الفراخ في غير وقت، وتطلب غير مدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون ويصابرون حتّى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.[٥]

خبر يعقوب السرّاج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: تخلو الأرض من عالم منكم حيّ ظاهر، يفزع إليه الناس في حلالهم وحرامهم؟ فقال: «لا يا أبا يوسف وإنّ ذلك لبيّن في كتاب الله عزّ وجلّ وهو قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾:

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٦٠، ح٢٠٢.

٢. قال العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٢٤/ ٢١٨، ذيل ح١٣: «قوله عليه السلام: «نحن نقرؤها كذا» يحتمل أن يكون لفظ الجلالة زيد من النسّاخ، ويكون: واتقوا ما لبدنا ربّكم، كما يومئ إليه كلام الراوي».

٣. الغيبة / ٢٠٦، ح١٣، و ص٣٤ للنعماني.

٤. ذُرِئَتْ: خُلِقَتْ.

٥. الغيبة / ٢٠٥، ح١٢ للنعماني.

﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على دينكم، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ عدوّكم، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ إمامكم فيما أمركم وفرض عليكم».[١]

وعن عليٍّ عليه السلام: ﴿رَابِطُواْ﴾ الصَّلَواتِ أي انتظروها واحدة بعد واحدة.[٢]

وَعَنْ أبي جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على المصائب ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على عَدُوِّكُمْ ﴿وَرَابِطُواْ﴾ عَدَوَّكُمْ.[٣]

---

١. مختصر البصائر / ٦٣، ح٣١.
٢. التبيان ٣/ ٩٥.
٣. التبيان ٣/ ٩٦.

# سُوْرَةُ النِّساء

سورة النساء مَدَنِيَّةٌ كلّها إلّا آيتين وهما[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾[2] و ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾[3]، وآياتها ١٧٦، وسميت النِّساء لأنّها افتتحت بذكرهنّ وفيها كثير مِنْ أحكامهنّ وابتدأت بخلق الإنسان وأنّه خُلق من نفس واحدة لِاسْتِئْصالِ مادَّةِ الخِلافِ بين الناس ومقدمة لأحكام الزواج والأسرة واليتامى والمواريث.

**فضلها**

الصدوق بإسناده عن زرّ بن حُبيش عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: من قرأ سورة النساء في كُلِّ جمعة أُومِنُ مِنْ ضَغْطَةَ القَبْر.[4]

**رواها العياشي في تفسيره[5].**

وفي مصباح الكفعمي عنه عليه السلام: من قرأها فكأنّما تصدَّق على كلِّ من ورث ميراثاً وأُعطي من الأجر كمن اشترىٰ محرراً وبُرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم.[6]

قال عَمُّنا آيةالله الشيخ محمّدتقي آقا النَّجَفِيُّ رحمه الله: و از حضرت امام جعفر صادق عليه السلام منقول است: اگر كسى با ايمان، «سورهٔ مباركهٔ نساء» را به جهت موافقت زن و شوهر، با نيّت خالص و توجّهِ به خدا و معنى آن و با حالِ وضو بخواند،

---

١. ذكر الشيخ الطوسي في التبيان ٣/ ٩٧ الأُولى منهما والطبرسي في مجمع البيان ٣/ ١ كليهما.
٢. سورة النساء / ٥٨.
٣. سورة النساء / ١٢٧.
٤. ثواب الأعمال / ١٣١.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٦١، ح١.
٦. المصباح / ١٥٩؛ مجمع البيان ٣/ ١؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٤١؛ روض الجنان ٥/ ٢٣١.

مقصود حاصل شود و زن و شوهر بهم مهربان گردنند.[١]

ونيز منقول است: چون كسى «سورهٔ مباركهٔ نساء» را با نيّت خالص و توجّهِ به خدا و معنيِ آن بنويسد و چهل روز در خانه نگاه دارد، بعد از آن، آن را بيرون برد و در ديوار خانه پنهان كند، هركس را كه صاحب خانه نخواهد تا در آن خانه باشد، بزودى از آن خانه جلاى وطن كند.[٢]

١. خواص الآيات / ٤٥ من الطبعة الحروفية الحديثة.
٢. خواص الآيات / ٤٥ من الطبعة الحروفية الحديثة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾

في هذه الآية الشريفة أُمور تأتي عند ذكرها.

﴿يَا﴾ أداة نداء ﴿أَيُّهَا﴾ مُنادىٰ وهاء التنبيه.

﴿ٱلنَّاسُ﴾ عطف بيان أو نعت لـ ﴿أيّ﴾. اسم لجنس البشر واسم جنس للإنسان. خطاب عام لكلِّ أفراد البشر وفيه إشارة إلى أنّ دين الإسلام دين الإنسانية ورسوله ﷺ مرسَل إلى كافة البشر. وتوْطِئة إلى أنّ ما ورد في هذه السورة يَرْتَبِطُ بسعادة جنس البشر.

﴿ٱتَّقُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. والتقوى: هو أساس سعادة الفرد والمجتمع.

﴿رَبَّكُمُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول، صفة للمفعول به.

﴿خَلَقَكُم﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

﴿مِّن نَّفْسٍ﴾ جار ومجرور يتعلقان بـ ﴿خَلَقَكُم﴾. والمراد بها آدم أبوالبشر عليه السلام. وبيان لإتحاد أفراد الإنسان من حيث الحقيقة وأنّهم على كثرتهم واختلافاتهم اشتقوا من أصل واحد.

﴿وَٰحِدَةٍ﴾ صفة ﴿نَّفْسٍ﴾. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿خَلَقَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿خَلَقَكُم﴾.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور. أي من نوعها وجنسها، وأنّهما متماثلين متشابهين.

﴿زَوْجَهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. الزوج: اسم لكلٍّ واحد من القرينين.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿بَثَّ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله معطوف على ﴿خَلَقَ﴾. البث: هو التفريق بالإثارة والنشر والسعة.

﴿مِنْهُمَا﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى آدم عليه السلام وزوجته حواء ولا يدّل على أنّ ابني آدم نكحا ابنتيه ـ كما قيل ـ بل انهما نكحا حورية أو جنيّة أو بقايا ٱلْآدَمِيِّيْنَ السابقين الذين يُسَمَّوْنَ بالنسناس كما وردت الروايات بذلك.

﴿رِجَالاً﴾ مفعول به. ﴿كَثِيرًا﴾ نعته. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿نِسَآءً﴾ معطوفة على ﴿رِجَالاً﴾. والمراد: أنّ أفراد البشر جميعهم من ذريتهما. ولايدلّ على أنّ تَزْوِيْجَ بني آدم كانَ مِنْ بَناتِه، خلافاً لما في الميزان.[1]

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱتَّقُواْ﴾ فعل أمر وفاعله، أمر آخر بالتقوى وتكراره يدلّ على اهميتها.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿ٱللَّهَ﴾.

﴿تَسَآءَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد بالتساءل سؤال بعض الناس بعضاً بالله بالإقسام به تعالى في مهمات الأُمور.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿ٱللَّهَ﴾.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ معطوف على ﴿ٱللَّهَ﴾، أي: اتقوا الأرحام. ولا بأس بنسبة التقوى إلى ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ ويدلّ على اهميتها واهتمام التام بأمرها.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وناقص والضمير المستتر فيه اسمه.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور، متعلَّق بخبر ﴿كَانَ﴾.

---

١. الميزان ٤/ ١٣٧.

﴿رَقِيبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. وجملة ﴿كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

الرقيب: الحفيظ، والمراقبة: المحافظة. وأنّه تعالى رقيبٌ؛ لأنّه يحفظ على العباد أعمالهم لِيَجْزِيَهُمْ بها.

## الروايات

خبر خالد بن إسماعيل، عن رجل من أصحابنا من أهل الجبل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكرت له المجوس وأنهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم وأَنَّهُمْ يُحاجُّونا بذلك فقال: أما أنتم فلا يحاجونكم به لما أدرك هبة الله قال: آدم يا رب زوج هبة الله فأهبط الله عزّ وجلّ له حوراء فولدت له أربعة غلمة ثم رفعها الله فلما أدرك وُلْدُ هبة الله قال: يا رب زوج ولد هبة الله فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يخطب إلى رجل من الجن وكان مسلما أربع بنات له على ولد هبة الله فزوجهن فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوة وما كان من سفه أو حدة فمن الجن.[١]

عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنَّ آدم ولد أربعة ذُكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحُور العِين، فزَوّج كُلّ واحدٍ منهم واحدةً فتوالدوا، ثمّ إنَّ الله رَفَعَهنّ، وزوّج هؤلاء الأربعة أربعةً من الجِنّ، فصار النَّسل فيهم، فما كان من حِلمٍ فمن آدم، وما كان من جمالٍ من قِبَل الحُور العِين، وما كان من قُبحٍ أو سُوءِ خُلق فمن الجِنّ.[٢]

عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال لي: ما يقول الناس في تزويج آدم ولده؟ قال: قلت: يقولون: إنّ حَوّاء كانت تَلِد لآدم في كلّ بطنٍ غُلاماً وجاريةً، فتزوّج الغُلام الجارية التي من البطن الآخر الثاني، وتزوَّج الجارية الغُلام الذي من البطن الآخر الثاني حتّى توالدوا.

فقال: أبوجعفر عليه السلام: ليس هذا كذلك، يُحَجّكم المَجُوس، ولكنَّه لمّا ولد آدم هِبَة الله وكبُر، سأل الله أن يُزوِّجه، فأنزل الله له حوراء من الجنَّة فزوَّجها إياه، فولدت له أربعة بنين، ثمّ وُلِدَ لآدم ٱبْنٌ آخر، فلمّا كَبُر أمره فَتَزوّج إلى الجانّ، فولد له أربع بنات،

---

١. الكافي ١١/ ٣١٥، ح٥٨ (٥/ ٥٦٩).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٢، ح٥.

فتزوَّج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمالٍ فمن قبل الحُور العِين، وما كان من حِلم فمن قِبَل آدم، وما كان من حِقْدٍ فمن قِبَل الجانّ، فلمّا تَوَالَدُوا صَعِدت الحوراء إلى السماء.[١]

عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام: من أيّ شيء خَلَق الله حَوّاء؟ فقال: أيَ شيءٍ يقول هذا الخلق؟ قلت: يقولون: إنّ الله خَلَقَها من ضِلع من أضلاع آدم. فقال: كَذَبوا، أكان الله يُعْجِزه أن يَخْلُقها من غير ضِلعه؟

فقلت: جُعِلت فِداك، يا بن رسول الله: من أيّ شيءٍ خَلَقها؟ فقال أخبرني أبي عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله تبارك وتعالى قَبَض قَبْضةً من طِين، فخلطها بيمينه ـ وكِلتا يديه يمين ـ فَخَلَقَ منها آدم، وفضلت فَضْلَةٌ من الطِّين، فَخَلَق منها حَوّاء.[٢]

خبر زُرارة قال: سُئل أبوعبدالله عليه السلام كيف بَدْءُ النسل من ذرية آدم عليه السلام فإنَّ عندنا أُناساً يقولون: إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أنْ يزوج بناته من بنيه وإنّ هذا الخلق كلّه أصله من الأُخوة والأخوات؟ قال أبوعبدالله: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، يقول من يقول هذا إن الله عزّ وجلّ جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله وحججه والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر والطاهر الطيب والله لقد نُبِّئْتُ أنّ بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزا عليها ونزل كُشِفَ له عنها وعلم أنها أخته أخرج غُرْمُوْلَهُ[٣] ثمّ قبض عليه بأسنانه ثم قلعه ثمّ خر ميتاً. قال زرارة: ثم سُئل عن خلق حواء وقيل له ان أناسا عندنا يقولون إن الله عزّ وجلّ خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى؟ قال سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، أيقول من يقول هذا إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه، وجعل لمتكلم من أهل التشنيع سبيلا إلى الكلام، يقول إن آدم كان ينكح

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٦٢، ح٦.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٣، ح٧.
٣. غُرْمُوْلَهُ: أَيْ ذَكَرَهُ.

بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم، ثمّ قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من الطين وأمر الملائكة فسجدوا له ألقى عليه السُّباتَ ثمّ أبتدع له خلقا، ثم جعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعا للرجل، فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فلما انتبه نوديت ان تنحى عنه فلما نظر إلى إليها نظر إلى خلق حسن تشبه صورته غير أنها أنثى فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها من أنت؟ فقالت خلق خلقني الله كما ترى، فقال آدم عند ذلك يا رب من هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قُرْبُهُ والنظر إليه؟ فقال الله: هذه أَمَتِيْ حَوّاء أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك؟ قال: نعم يا رب ولك بذلك الحمد والشكر ما بقيت، فقال الله تبارك وتعالى فاخطبها إلى فإنها أمتي وقد تصلح أيضا للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة وقد علمه قبل ذلك المعرفة، فقال يا رب فإني أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ فقال رضائي أَنْ تُعَلِّمَها معالم ديني، فقال ذلك لك يا رب أن شئت ذلك، قال: قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها إليك، فقال: أقبلي، فقالت بل أنت فاقبل إلي، فأمر الله ﷻ آدم ان يقوم إليها فقام، ولولا ذلك لكان النساء هن يذهبن إلى الرجال حتى خطبن على أنفسهن، فهذه قصة حواء صلوات الله عليها.[1]

خبر زُرارة قال: سُئل أبوعبدالله ﷺ عن بَدْءِ النسل من آدم كيف كان وعن بَدْءِ النسل عن ذرية آدم فإِنَّ أناسا عندنا يقولون إِنّ الله ﷻ أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه وان هذا الخلق كله أصله من الاخوة والأخوات؟ فقال أبو عبدالله ﷺ : تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا يقول من قال هذا بان الله ﷻ خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب، فوالله لقد نُبِّئْتُ ان بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها فلما علم أنها أخته أخرج غُرْمُوْلَهُ ثم قبض عليه بأسنانه حتى قطعه فخر ميتا، وآخر تنكرت له أمه ففعل هذا بعينه فكيف الإِنسان في إِنْسِيَّتِهِ وفضله وعلمه، غيران جيلا من هذا الخلق الذي

---

١. علل الشرائع / ١٧، ح١.

ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدء ان خلق الله ما خلق وما هو كاين أبدا، ثمّ قال ويح هؤلاء أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق ان الله ﷻ أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كاين إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام وان كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم في كلها تحريم الأخوات على الاخوة مع ما حرم وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، أنزلها الله عن اللوح المحفوظ علىٰ رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها التوراة على موسى عليه السلام والزبور على داود عليه السلام والإنجيل على عيسى عليه السلام والقرآن على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى النبيين عليهم السلام، وليس فيها تحليل شيء من ذلك، حَقّاً أقول ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجوس فما لهم قاتلهم الله، ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بَدْءُ النسل من آدم وكيف كان بَدْءُ النسل من ذرية، فقال: ان آدم عليه السلام ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعا قطعه عَنْ إتيان النساء فبقي لا يستطيع ان يغشى حَوّاءَ خمسمائة عام ثم تخلى ما به من الجزع عليه فَغَشِيَ حَوّاءَ فوهب الله له شِيْثاً وحده ليس معه ثانٍ، واسم شيث هبة الله وهو أول من أوصى إليه من الآدميين في الأرض، ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثانٍ فلما أدركا وأراد الله ﷻ ان يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم الله ﷻ من الأخوات على الاخوة انزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله ﷻ آدم ان يزوجها من شيث فزوجها منه، ثم أنزل بعد العصر حوراء من الجنة اسمها (مُنْزَلَةُ) فأمر الله تعالى آدم ان يزوجها من يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولدت ليافث جارية فأمر الله ﷻ آدم حين أدركا ان يزوج بنت يافث من ٱبْنِ شيث ففعل فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الأُخوة والأُخوات.[١]

---

١. علل الشرائع / ١٨، ح٢.

خبر بُرَيْد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها أَحَدَ ٱبْنَيْهِ، وتزوج الآخر إلى الجن فولدتا جميعا فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته.[١]

روي عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ حواء خُلقت من فضل طينة آدم عليه السلام.[٢]

صحيحة جميل بن دَرّاج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جل ذكره: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ قال: فقال: هي أرحام الناس، إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى أنه جعلها منه.[٣]

**رواها الحسين بن سعيد الأهوازي[٤] بسنده الصحيح، والعياشي في تفسيره[٥].**

معتبرة أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾.[٦]

خبر محمّد بن الفضيل الصيرفي، عن الرضا عليه السلام قال: إن رحم آل محمّد الأئمة عليهم السلام لمعلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ثم هي جارية بعدها في أرحام المؤمنين، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾.[٧]

خبر دلهاث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: إِنَّ الله عز وجل أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى، أمر بالصلوة والزكاة، فمن صلى ولم يُزَكِّ لم يقبل منه صلوته، وأمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر بِاتِّقاءِ الله وصلة الرحم،

---

١. علل الشرائع / ١٠٣، ح١، باب ٩٢.
٢. التبيان ٣/ ١٠٠ و نحوها في ص٩٩؛ ومجمع البيان ٣/ ٢.
٣. الكافي ٣/ ٣٨٥، ح١ (٢/ ١٠٥).
٤. كتاب الزهد / ٣٩، ح١٠٥.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٦٤، ح٩ و ١٠.
٦. الكافي ٣/ ٣٩٧، ح٢٢ (٢/ ١٥٥).
٧. الكافي ٣/ ٤٠٠، ح٦٢ (٢/ ١٥٦).

فمن لم يصل رحمه لم يتق الله ﷻ.[١]

وعن أبي جعفر عليه السلام: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.[٢]

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود الرقيب: الحفيظ.[٣]

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢﴾

خطاب لأوصياء اليتامى يَأْمُرُهُمُ اللهُ بِأَنْ يَعْطُوْا اليتامى أموالهم إذا بلغوا الحلم وَأُوْنِسَ منهم الرشد.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ءَاتُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿ٱتَّقُواْ﴾ في الآية السابقة. خطاب لأوصيائهم الذين أموالهم بأيديهم أن يأتوا أموالهم بعد استيناس الرشد منهم كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[٤].

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾ مفعول به أوّل. جمع يتيم وهو الصغير الذي مات أبوه لأنّ اليُتم في اللغة العرب هو: «انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه»[٥].

﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. وجمع المضاف إلى ضمير الجمع يفيد العموم. أي جميع أموالهم. وهذه الجملة تمهيد للجملتين الآتيتين.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَتَبَدَّلُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ ٱلنّاهِيَة وفاعله. التبديل: جَعْلُ شَيءٍ مَكانَ آخر.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٥٨، ح١٣.
٢. التبيان ٣/ ١٠٠؛ مجمع البيان ٣/ ٣.
٣. تفسير القمي / ٧١ من طبع الحجري.
٤. سورة النساء / ٦.
٥. المفردات / ٥٥٠ للراغب؛ لسان العرب ١٢/ ٦٤٥ لابن منظور.

﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾ مفعول به. وهو ما تتنفّر عنه الطبائع والمراد به هنا الحرام.

﴿بِ﴾ حرف جر، تفيد هنا البدلية وتدخل على المبدل منه وهو خير من البدل في مقام النهي.

﴿ٱلطَّيِّبِ﴾ مجروره، وهو ما تَرْغَبُ فيه الطبائع. والمُرادُ به هنا الحلال.

وغاية المقصود به هنا أنّ أموالهم الشخصية طيّبة وأموال اليتامي خَبِيْثَةٌ ـ بالنسبة إليهم ـ فلا تأكلوا أموالهم بدلاً من أموالكم الطيبة الطاهرة.

وفي كل مورد لا تتبدّلوا الحرام بالحلال ولا تختاروا الحرام بدلاً من الحلال في جميع الأمور والموارد.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ «لا» ناهية وفاعله.

﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿إِلَىٰٓ﴾ جارة يمكن أن تكون بمعنى «مع».

﴿أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ مجروره ومضاف إليه. وهذه الجملة ذكر خاص بعد عام النهي عن تبديل الخبيث الحرام بالطيب الحلال.

﴿إِنَّهُۥ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى أكل أموال اليتامى والتصرفات المحرّمة فيها.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ[1] ناقص واسمه ضمير مستتر فيه.

﴿حُوبٗا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. وجملة ﴿كَانَ حُوبٗا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. الحوب: الذنب والإثم.

﴿كَبِيرٗا﴾ نعته.

## الروايات

وعن سَماعة بن مِهران، عن أبي عبدالله عليه السلام، أو أبي الحسن عليه السلام، أنّه قال: ﴿حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ قال: هو مِمّا تُخرِج الأرض من أثقالها.[2]

قال الشيخ: «قال الحسن: لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى، فَشَقَّ ذلك عليهم، فَشَكَوْا ذلك إلى رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ قُلۡ إِصۡلَاحٞ

---

١. بِحَسَبِ ٱلصِّيغة، لكنَّ مَعْناهُ ٱمْتِدادِيٌّ.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٤، ح١١.

لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[١] وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام»[٢].

قال الشيباني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ قال ابن عباس: لا تتبدلوا الحلال من أموالكم بالحرام من أموالهم لأجل الجودة والزيادة فيه، قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.[٣]

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ ﴿٣﴾

في الآية الشريفة يبيّن اللهُ تعالىٰ قوانين الأُسرة الَّتي يَنْبَغي أَنْ يَتَّبِعَها المجتمع البشري وأنّ استمرار الحياة في هٰذِهِ الدُّنْيا منوط بالنكاح ثمّ حدّد النكاح وأمر تعالى بمراعاة العدل بين الزوجات مع مراعاة اليتامى في أمر نكاحهنّ.

قال الشيخ: «واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ستة أقوال:

أولها: ما روي عن عائشة أنها قالت: نزلت في اليتيمة التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها، وأمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى الأربع ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ من سواهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ومثل هذا ذكر في تفسير أصحابنا. وقالوا: انها متصلة بقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[٤] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم

---

١. سورة البقرة / ٢٢٠.
٢. التبيان ٣/ ١٠٢، ونحوها في مجمع البيان ٣/ ٤.
٣. نهج البيان ١/ ٨١ مخطوط، ونقل عنه البحراني في البرهان ٢/ ١٦، ح٢.
٤. سورة النساء / ١٢٧.

مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد»[١]. ... «وما رويناه أوّلاً عن عائشة وأبي جعفر عليه السلام»[٢].

وللباقي من الأقوال راجع التبيان[٣].

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿خِفْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. في محلّ جزم بـ ﴿إِنْ﴾ لأنّه فعل شرط. تعليق على الخوف لا العلم، لأنّ العلم في هذه الأمور لا يحصل غالباً فتفوت المصلحة.[٤]

﴿أَلَّا﴾ «أن» مصدرية ناصبة بانضمام «لا» نافية لا عمل لها.

﴿تُقْسِطُواْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» وفاعله. أي لا تعدلوا ولا تنصفوا. من الإقساط وهو العدل والإنصاف، وَٱلْقُسُوْطُ أَوْ القِسْطُ هو الجَوْرُ. ومن الأوّل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٥] ومن الثاني ﴿وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٦].

وقيل[٧]: قسطاً وقسوطاً: جار وعدل فهو من الأضداد.

«أن» المصدرية وما بعدها: بتأويل مصدر في محلّ نصب مفعول به ﴿خِفْتُمْ﴾.

﴿فِي ٱلْيَتَامَىٰ﴾ جار ومجرور. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب شرط.

﴿ٱنكِحُواْ﴾ فعل أمر وفاعله في محل جزم لأنّه جواب شرط، أي دعوا اليتيمات وانكحوا غيرهن من النساء حتّى طاب لكم نفوسكم.

بعبارة أُخرى: إن لم تطب لكم نكاح اليتيمات لعدم مراعاة القسط فانكحوا ما طاب لكم غيرهنّ كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.[٨]

﴿مَا﴾ موصولة. في محل نصب مفعول به وقال المبرد: ﴿مَا﴾ هاهنا للجنس

---

١. التبيان ٣/ ١٠٣.
٢. التبيان ٣/ ١٠٤.
٣. التبيان ٣/ ١٠٣.
٤. الميزان ٤/ ١٦٨.
٥. سورة الممتحنة / ٨.
٦. سورة الجن / ١٥.
٧. والقائل ابن القطاع كما في إعراب القرآن الكريم ٢/ ٢٧٧.
٨. التبيان ٣/ ١٠٤.

كقول القائل: ما عندك؟ فنقول: رجل أو أمراة.[١]

﴿طَابَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر. جملة ﴿طَابَ﴾ صلة الموصول.

«قال المغربي: معني ﴿مَا طَابَ﴾ أي بلغ من النساء كما يقال: طابت الثمرة: إذا بلغت، وقال: المراد المنع من تزويج اليتيمة قبل البلوغ لئلا يجري عليها الظلم. فإنّ البالغة تختار لنفسها»[٢].

﴿لَكُم﴾ جار ومجرور.

﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جار ومجرور. ﴿مِّنَ﴾ ـ هُنا ـ : بَيانِيَّةٌ. وأنّها متعلّقان بحال محذوفة من الاسم الموصول ﴿مَا﴾. أي حال كونهم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

﴿مَثْنَىٰ﴾ حال من فاعل ﴿طَابَ﴾، ومعدولة عن عدد مكرر أي اثنتين اثنتين. لأنّ الخطاب متوجه إلى أفراد المسلمين فيصير بالاضافة إلى الجميع ﴿مَثْنَىٰ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، يدل على التخيير.

﴿ثُلَٰثَ﴾ معطوفة على ﴿مَثْنَىٰ﴾. وكذلك معدولة. أي ثلاثاً ثلاثاً. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رُبَٰعَ﴾ معطوفة ومعدولة أي أربعاً أربعاً. ومن ضروريات الفقه الإسلامي عدم جواز نكاح أكثر من أَرْبَعِ حَرائِرَ دواماً.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ شرطية. ﴿خِفْتُمْ﴾ فعل شرط.

﴿أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ «أن» مصدرية ناصبة «لا» نافية وفعل مضارع منصوب وفاعله والمراد بالعدالة هنا الإنفاق ومراعاة العدل فيه. لا في الحبّ والمودّة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب شرط.

﴿وَٰحِدَةً﴾ مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره فانكحوا ﴿وَٰحِدَةً﴾.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة. ﴿مَلَكَتْ﴾ فعل ماض.

﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فاعله والضمير مضاف إليه. مِنْ إمائكم. أي إنْ أَحَبَّ أَنْ يزيد في العدد ـ مع الخوف ـ فعليه بالإماء من دون مراعاة العدد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. «اشارة إلى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور

---

١. نقل عنه الشيخ في التبيان ٣/ ١٠٥.
٢. نقل عنه الشيخ في التبيان ٣/ ١٠٤.

فيما زاد عليها أو الاقتصار على ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾»[١].

﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ خبره، بمعنى أقرب. ﴿أَلَّا﴾ «أن» مصدرية ناصبة و «لا» نافية.

﴿تَعُولُواْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي ألّا تجوروا. وقال قوم ألّا تفتقروا وقال آخرون: ألا تكثر عيالكم ورأي الشيخ[٢] أَنَّ ٱلۡأَخِيرَيۡنِ خَطَأٓان. وهذا التعليل يدلّ على أنّ أساس تشريع أحكام النكاح في الشريعة المقدسة هو القِسط والعدل ونفي الجور والإجحاف في الحقوق.

## الروايات

صحيحة نوح بن شعيب ومحمّد بن الحسن قال: سأل ابن أبي العوجاء هشام بن الحكم فقال له: أليس الله حكيما؟ قال: بلى وهو أحكم الحاكمين، قال: فأخبرني عن قوله ﷻ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ أليس هذا فرضاً؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن قوله ﷻ: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾[٣] أي حكيم يتكلم بهذا فلم عنده جواب فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا هشام في غير وقت حج ولا عمرة؟ قال: نعم جعلت فداك لأمر أهمني إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء قال: وما هي؟ قال: فأخبره بالقصة فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أما قوله ﷻ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ يعني في النفقة وأما قوله: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾[٤] يعني في المودة، قال: فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال: والله ما هذا من عندك.[٥]

**روى القمي مثلها في تفسيره[٦].**

---

١. التبيان ٣/ ١٠٨.
٢. التبيان ٣/ ١٠٩ و ١٠٨.
٣. سورة النساء/ ١٢٩.
٤. سورة النساء/ ١٢٩.
٥. الكافي ١٠/ ٦٧٣، ح١ (٥/ ٣٦٢).
٦. تفسير القمي ١/ ١٣٠.

صحيحة زرارة ومحمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا جمع الرجل أربعاً فطلق إحداهنَّ فلا يتزوّج الخامسة حتّىٰ تنقضي عدّة المرأة التي طلق، وقال: لا يجمع الرجل ماءه في خمس.[١]

**المراد: دواماً لا انقطاعاً.**

العياشي عن يونس بن عبدالرحمن، عمَّن أخبره، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: في كلّ شيء إسراف إلّا في النساء، قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ وقال: وَأُحِلّ لَكُم ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٢].[٣]

وعن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لا يَحِلّ لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعِ[٤] أرحام من الحرائر.[٥]

في علل محمّد بن سنان: انّ الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله علة تزويج الرجل أربع نسوة وتحرم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد لان الرجل إذا تزوج أربع نسوة كان الولد منسوبا إليه والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو إذ هم المشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف.

قال محمّد بن سنان[٦]: ومن علل النساء الحرائر وتحليل أربع نسوة لرجل واحد لأنهن أكثر من الرجال فلما نظر والله أعلم لقول الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فذلك تقدير قدره الله تعالى ليتسع فيه الغني والفقير فيتزوج الرجل على قدر طاقته، وسع ذلك في ملك اليمين ولم يجعل فيه حَدّاً لأنهن مال وجلب فهو يسع أن يجمعوا من الأموال، وعلة تزويج العبد اثنتين لا أكثر انه نصف رجل حُرٍّ في الطلاق والنكاح، لا يملك نفسه ولا له مال إنما ينفق عليه مولاه وليكون ذلك فرقا

---

١. الكافي ١٠/ ٨٤٦، ح١ (٥/ ٤٢٩).
٢. سورة النساء/ ٢٤.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٦٤، ح١٣.
٤. في الأصل «من أربعة» ولعلّه مَن الراوي أو النّاسخ.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٦٥، ح١٤.
٦. من هنا مقالة محمّد بن سنان وليست من الرواية الشريفة.

بينه وبين الحر، وليكن أقل لاشتغاله عن خدمة مواليه.[١]

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

تذكر الآية الشريفة أحد الأُصول التي يَقُوْمُ عليها نظام الأسرة وهي مهور النساء وعدم جواز تَصَرُّفِ أُولياء البنات في مهورهنَّ بلا فرق بين الأب وغيره.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَاتُواْ﴾ فعل أمر وفاعل. أي أعطوا.

﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ مفعول به أوّل.

﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. صَدُقات: جمع صَدُقَة لغة أهل الحجاز. وهي وصَدَقَة والصَداق والصِداق كلّها: المَهْر.

قال الفيومي: «صَـدَاقُ المرأة فيه لغات أكثرها فتح الصاد والثانية كسرها والجمع صُدُقٌ بضمتين.

والثالثة لغة الحجاز صَدُقَةٌ وتُجمع صَدُقاتٍ على لفظها وفي التنزيل ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾.

والرابعة: لغة تميم صَدْقَةٌ والجمع صُدُقَاتٌ مثل غُرْفَةٍ وغُرُفَاتٍ في وجوهها.

وصَدْقَةٌ. لغة خامسةٌ وجمعها صُدَقٌ مثل قَرْيَةٍ وقُرىً. وأصْدَقْتُهَا بالألف: أعطَيْتُهَا صَـدَاقَهَا. وأصْدَقْتُهَا: تَزَوَّجْتُهَا على صَـدَاقٍ»[٢].

﴿نِحْلَةً﴾ مفعول مطلق لأنّها مصدرٌ ومنصوب بفعل محذوف تقديره: انحلوا نحلةً. ويمكن أن تكون حالاً من فاعل ﴿ءَاتُواْ﴾ بمعنى ناحلين.

والنحلة: العطية من غير معاوضة. والمراد بها هنا: العطية التي فرضها الله على الزوج، عبّر بها للترغيب في الإعطاء، وفيها تلميح بأنّها ليست معوّضاً عن الاستمتاع

---

١. علل الشرائع ٢/ ٥٠٤، ح١، باب ٢٧١.
٢. المصباح المنير / ٣٣٥.

خلافاً لصاحب الميزان[١]. فيجب على الزوج إعطاء مهر زوجته وعدم منعها منه.

﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿إِن﴾ شرطية، «ولعل إمكان توهم عدم جواز تصرف الزوج في المهر أصلاً حتّى برضىٰ من الزوجة هو الموجب للإتيان بالشرط»[٢].

﴿طِبْنَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. في محلِّ جزم لأنّه فعل شرط. مِنْ طاب.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿طِبْنَ﴾. والضمير يرجع إِلىٰ الأزواج.

﴿عَن شَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿طِبْنَ﴾.

﴿مِّنْهُ﴾ جار ومجرور. متعلَّق بصفة محذوفة من ﴿شَيْءٍ﴾. و﴿من﴾ التبيين الجنس لا للتبعيض والضمير يرجع إلى المهر.

﴿نَفْسًا﴾ تمييز لفاعل ﴿طِبْنَ﴾، أي «فإن طابت نفوسهنّ بهبة شيءٍ من الصداق»[٣].

﴿فَ﴾ واقعة في جواب شرط.

﴿كُلُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومَفْعُوْلُهُ في محل جزم لأنّه جواب شرط. والضمير يرجع إلى ﴿شَيْءٍ﴾.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ صفة للمفعول المطلق ـ المصدر ـ المحذوف أي «أكلاً» ويمكن أن يكون حالاً من الضمير المفعولي في ﴿كُلُوهُ﴾. والهنيء: شفاءٌ من المرض ويفيد معنى دواء، أو طيبٌ مساغٌ لا ينقصه شيء. الهناء: «سهولة الهضم وقبول الطبع ويستعمل في الطعام والشراب»[٤].

وقيل[٥]: الهنيء: النعمة بلا نكد ولا تعب.

﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ صفة أُخرى للمفعول المطلق المحذوف أو حالاً آخر من ضمير

---

١. الميزان ٤/ ١٦٩.
٢. الميزان ٤/ ١٦٩.
٣. مجمع البيان ٣/ ٧.
٤. الميزان ٤/ ١٦٩.
٥. القائل هو السيّد السبزواري في مواهب الرحمن ٧/ ٢٦٦.

﴿كُلُوهُ﴾. المريء: التّامُّ الهَضْمِ الذي لا يَضُرُّ ولا يُؤْذِيْ، والمحمود العاقبة.

«والمريء: من الري وهو في الشراب كالهَنِيء في الطعام»[١]، إذا استُعْمِلا معاً اختص الهناء بالطعام والري بالشراب.

قيل[٢]: المريء: السائغة بلا غصة.

## الروايات

صحيحة سعيد بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك امرأة دفعت إلى زوجها مالاً من مالها ليعمل به وقالت له حين دفعت إليه: أنفق منه فإن حدث بك حدث فما أنفقت منه حلالا طيبا فإن حدث بي حدث فما أنفقت منه فهو حلال طيب، فقال: أعد علي يا سعيد المسألة فلما ذهبت أعيد المسألة عليه اعترض فيها صاحبها وكان معي حاضراً فأعاد عليه مثل ذلك فلما فرغ أشار بإصبعه إلى صاحب المسألة فقال: يا هذا إن كنت تعلم أنها قد أفضت بذلك إليك فيما بينك وبينها وبين الله عزّ وجلّ فحلال طيب ـ ثلاث مرات ـ، ثمّ قال: يقول الله جل اسمه في كتابه، ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.[٣]

**رواها العياشي في تفسيره[٤].**

صحيحة زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنما الصدقة محدثة إنما كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينحلون ويهبون، ولا ينبغي لمن اعطى لله عزّ وجلّ شيئاً أن يرجع فيه قال: وما لم يعط لله وفى الله فإنه يرجع فيه، نحلة كانت أو هبة حِيْزَتْ أو لَمْ تُحَزْ ولا يرجع الرجل فيما يهب لامرأته ولا المرأة فيما تهب لزوجها حيز أو لم يحز أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾[٥] وقال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ وهذا يدخل في الصداق والهبة.[٦]

---

١. الميزان ٤/ ١٦٩.
٢. القائل هو السيّد السبزواري في مواهب الرحمن ٧/ ٢٦٦.
٣. الكافي ٩/ ٧٢١، ح١ (٥/ ١٣٦).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٦٥، ح١٧.
٥. سورة البقرة/ ٢٢٩.
٦. الكافي ١٣/ ٣٩٥، ح٣ (٧/ ٣٠).

**رواها العياشي في تفسيره[١] مختصراً.**

عن سَماعة بن مِهران، عن أبي عبدالله عليه السلام، أو أبي الحسن عليه السلام، قال: سألتُهُ عن قول الله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ قال: يعني بذلك أموالَهُنَّ التي في أيديهنّ ممّا مَلَكْنَ.[٢]

عن حُمران، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: اشتكى رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: له سَل من امرأتك دِرْهَماً من صَدَاقها، فاشْتَرِ به عَسَلاً، فاشْرَبه بماء السماء؛ ففعل ما أمره به فَبرِئ، فسُئِل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، أشيء سَمِعتَه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، ولكنّي سَمِعتُ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٣] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾[٤] فاجتمع الهَنيء والمَريء والبَرَكة والشِّفاء، فرَجَوت بذلك البُرْء.[٥]

**ونحوها مرسلة عبدالله بن القداح[٦].**

أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: هذا خطاب للأولياء، لأنّ الرجل منهم كان إذا زوّج أَيِّمَة[٧] أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية.[٨]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٦٦، ح١٩.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٥، ح١٦.
٣. سورة النحل / ٦٩.
٤. سورة ق / ٩.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٦٦، ح١٨.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٦٥، ح١٥.
٧. الأَيِّمُ وَالأَيِّمَة مَنْ لا زَوْجَ لها.
٨. التبيان ٣/ ١١٠؛ مجمع البيان ٣/ ٧.

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾

فيها تبيين بالتحفظ على المال الذي به معاش الناس ولولاه لاختلّ نظام العباد الموجب لاختلال المعاد.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تُؤْتُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، خطاب إلى آحاد الناس لأنّهم مخاطَبون في بداية السورة الشريفة، وهذه الآحاد وليّاً كان أو غيره.

﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ مفعول به أوّل. السفهاء: جمع سفيه، والسفه: الخفة في العقل على نحو لا يضع الأُمور مواضعها. أو خفيف الرأي في الأُمور الدنيوية أو الأُخروية. والمراد بهم الرجال من السفهاء أو النساء أو اليتامىٰ والأطفال.

﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. وضمير ٱلْمُخاطَبِ يرجع إلى فاعل ﴿لَا تُؤْتُواْ﴾. وظاهرها: «نهي عن الإكثار في الإنفاق على السفهاء وإعطائهم من المال أزيد من حاجاتهم الضرورية في الإرتزاق»[1]. من الأموال المنفق عليهم أو أموالهم التي كانت بأيدي أوليائهم وضمير الخطاب لاينصرفها عن الثاني لأنّ المراد به أموال المجتمع.

﴿ٱلَّتِى﴾ اسم موصول. في محل نصب نعت لـ ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾. والجملة الفعلية ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ صلته.

﴿جَعَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، والمراد به الجعل التكويني في المجتمع الإنساني. والضمير المفعولي محذوف أي «جعلها». وهو العائد إلى الموصول.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور.

﴿قِيَـٰمًا﴾ مفعول مطلق لأنّه مصدر لفعل محذوف وتقديره: «التي تقومون بها قياماً». أو مفعول به ثانٍ لِـ ﴿جَعَلَ﴾. «أصل القيام القِوام فقلبت الواو ياءً للكسرة التي

---

١. الميزان ٤/ ١٧٠.

قبلها... ومنه: فلانٌ قوام أهله وقيام أهله. ومنه قوام الأمر وملاكه وهو اسم والقيام مصدر»[١]. القيام: العماد. الذي أقام به صلبه وظهره.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ٱرۡزُقُوهُمۡ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله. أي ينفق صاحب المال من ماله أو من مالهم على مَنْ يتصدّىٰ إنفاقه من السفهاء رجالاً كانوا أو نساءً. في أمر التغذية وغيرها من أُمور معاشهم بقدر احتياجاتهم.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ﴾، وقال: ﴿فِيهَا﴾ لا «منها»: «حتّى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق»[٢].

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ٱكۡسُوهُمۡ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله. معطوف على ﴿ٱرۡزُقُوهُمۡ﴾. أي أَلْبِسُوْهُم اللباس المناسب ممّا يَقِيْهِم الحرّ والبرد.

وفي الميزان: «إن لفظ الرزق والكسوة في عُرْفِ القرآن... كالكناية تكنىٰ بها عن مجموع ما ترتفع به حوائج الإنسان المادية الحيوية فيدخل فيه سائر ما يحتاج إِليه الإنسان كالمسكن ونحوه»[٣].

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُولُواْ﴾ معطوفه. ﴿لَهُمۡ﴾ جار ومجرور.

﴿قَوۡلٗا﴾ مفعول مطلق لأنّه مصدر قام مقام مفعول به.

﴿مَّعۡرُوفٗا﴾ نعت. «القول المعروف: هو المعاملة الحسنة»[٤]. «والمعاشرة الممدوحة غير المذمومة كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[٥]»[٦].

فالقول المعروف وإن يشمل الكلام الحسن والقول الجميل ولكن لا يختص به. وأمر من الله تعالى بالتلطف بهم.

---

١. التبيان ٣/ ١١٤ و ١١٥.
٢. الكشاف ١/ ٤٧٢.
٣. الميزان ٤/ ٧٢.
٤. مواهب الرحمن ٧/ ٢٦٨.
٥. سورة البقرة/ ٨٣.
٦. الميزان ٤/ ٧٢.

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على وجوب الوصية، إذا كان الورثة سفهاء، لان ترك الوصية بمنزلة إعطاء المال في حال الحياة إلى من هو سفيه»[١].

وفي هذه الآية الشريفة «دليل قاطع على أَنّ الدين لا ينفصل عن الحياة، وانه شُرّعَ من أجل حياة لا إشكال فيها ولا تعقيد... ومَنْ فصل الدين عن الحياة، ونظر إليه على أنّه مجرّد طقوس وشعارات، وزهد ومغيبات فهو إِمّا جاهل أخذ الدين ممن يتكسبون به، وَإِمّا معاند للحقِّ والبديهية»[٢].

## الروايات

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾: «فالسفهاء: النساء والولد، إذا عَلِمَ الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة، وولده سفيه مفسد، لا يَنْبَغي له أن يُسَلِّطَ واحداً منهما على ماله الذي جعل الله له قياماً، يقول: معاشاً، قال: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ فالمعروف: العُدّة».[٣]

صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: شارب الخمر لا تصدقوه إذا حدث، ولا تزوجوه إذا خطب، ولا تعودوه إذا مرض، ولا تحضروه إذا مات، ولا تأتمنوه على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فأهلكها فليس على الله أن يخلفه عليه، ولا أن يأجره عليها، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ وأي سفيه أسفه من شارب الخمر؟!».[٤]

صحيحة حريز قال: كانت لإسماعيل[٥] بن أبي عبدالله عليه السلام دنانير وأراد رجل من قريش أن يخرج إلى اليمن فقال إسماعيل: يا أبت إن فلاناً يريد الخروج إلى اليمن وعندي كذا وكذا دينار أفَتَرَىٰ أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: يا بني أما بلغك أنه يشرب الخمر؟ فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس،

---

١. التبيان ٣/ ١١٦.
٢. التفسير الكاشف ٢/ ٢٥٥.
٣. تفسير القمي / ٧١ (١/ ١٣١).
٤. تفسير القمي / ٧١ (١/ ١٣١).
٥. هو الذي تُنْسَبُ إليه الطّائِفَةُ الإسماعيليةُ وقد ماتَ في حياةِ أبيه وذلِكَ من الأَدِلّة علىٰ بُطلانِ مُعْتَقَدِهِمْ بِزَعْمِ كَوْنِهِ هُوَ الإمامَ بعد أبيه. وللتفصيل مَوْضِعٌ آخَر.

فقال: يا بني لا تفعل، فعصى إسماعيل أباه ودفع إليه دنانيره فاستهلكها ولم يأته بشيء منها فخرج إسماعيل وَقُضِيَ أن أبا عبدالله عليه السلام حج وحج إسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت ويقول: اللهم أجرني وأخلف علي فلحقه أبو عبدالله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه فقال له: مه يا بني فلا والله مالك على الله [هذا] حجة ولا لك أن يأجرك ولا يخلف عليك وقد بلغك أنه يشرب الخمر فائتمنته فقال إسماعيل: يا أبت إني لم أره يشرب الخمر إنما سمعت الناس يقولون، فقال: يا بني إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] يقول: يصدق الله ويصدق للمؤمنين فإذا شهد عندك المؤمنون فصدقهم ولا تأتمن شارب الخمر فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ فأيُّ سفيهٍ أَسْفَهُ من شارب الخمر إن شارب الخمر لا يزوج إذا خطب ولا يشفع إذا شفع ولا يؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي ائتمنه على الله أن يأجره ولا يخلف عليه.[2]

خبر حماد بن بشير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شرب الخمر بعد أن حرمها الله تعالى على لساني فليس بأهل أن يزوج إذا خطب ولا يصدق إذا حَدَّث ولا يشفع إذا شفع ولا يؤتمن على أمانة فمن ائتمنه على أمانة فأكلها أو ضيعها فليس للذي ائتمنه على الله عز وجل أن يأجره ولا يخلف عليه، وقال أبو عبدالله عليه السلام : إني أردت أن أستبضع بضاعة إلى اليمن فأتيت أبا جعفر عليه السلام فقلت له: إنني أريد أن أستبضع فلاناً بضاعة فقال لي: أما علمت أنه يشرب الخمر فقلت: قد بلغني من المؤمنين أنهم يقولون ذلك فقال لي صدقهم فإن الله عز وجل يقول: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، ثم قال: إنك إن استبضعته فهلكت أو ضاعت فليس لك على الله عز وجل أن يأجرك ولا يخلف عليك فاستبضعته فضيعها فدعوت الله عز وجل أن يأجرني، فقال: يا بني مه ليس لك على الله أن يأجرك ولا يخلف عليك قال: قلت له: وَلِمْ؟ فقال لي: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ فهل تعرف سفيهاً أَسْفَهَ من شارب الخمر، قال: ثمّ قال عليه السلام : لا يزال العبد في فسحة من الله عز وجل حتّى

---

١. سورة التوبة / ٦١.
٢. الكافي ١٠/ ٤٩٨، ح١ (٥/ ٢٩٩).

يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله ﷻ عنه سرباله وكان وليه وأخوه إبليس لعنه الله وسمعه وبصره ويده ورجله يسوقه إلى كل ضلال ويصرفه عن كل خير.[١]

**رواها العياشي في تفسيره[٢].**

عن يونس بن يعقوب، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ قال: مَنْ لا تَثِقُ به.[٣]

عن إبراهيم بن عبدالحميد، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، قال: كُلُّ من يَشْرَب المُسْكِر فهو سَفيهٌ.[٤]

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألتُهُ عن قول الله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، قال: هم اليتامى، لا تُعطوهم أموالهم حتّى تَعْرِفوا منهم الرُّشد.

قلتُ: فكيف تَكُوْنُ أموالهم أموالنا؟ فقال: إذا كنت أنت الوارث لهم.[٥]

وفي رواية عبدالله بن سنان، عنه، قال: لا تُؤْتوها شُرّابَ الخمر والنساء.[٦]

معتبرة السكوني عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرأة لا يُوْصىٰ إليها لِأَنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾.[٧]

وفي خبر آخر سُئِل أبوجعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ قال: لا تؤتوها شارب الخمر ولا النساء، ثمّ قال: وأي سفيه أسفه من شارب الخمر.[٨]

عن انس بن مالك قال: جاءت امرأة سوداء جريّة المنطق ذات ملح إلى رسول الله فقالت: بأبي أنت و أمي يا رسول الله قل فينا خير امرة واحدة فإنّه بلغني

---

١. الكافي ١٢/ ٦٧٥، ح٩ (٦/ ٣٩٧).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٧، ح٢١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٦٧، ح٢٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٦٨، ح٢٢.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٦٨، ح٢٣.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٦٨، ح٢٤.
٧. الفقيه ٤/ ٢٢٦، ح٥٥٣٣.
٨. الفقيه ٤/ ٢٢٦، ح٥٥٣٤.

إنّك تقول فينا كلّ شرٍّ! قال: أيُّ شيءٍ قلتُ لكن.

قالت: سمّيتنا السفهاء.

قال: الله سماكن السفهاء في كتابه.

قالت: وسمّيتنا النواقص!

فقال: وَكفى نقصاناً أنْ تدعن مِنْ كلِّ شهرٍ خمسة أيّام لا تصلين فيها.

ثمّ قال: أما يكفي إحداكنَّ أنّها إذا حملت كان لها كأجر المرابط في سبيل الله، فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله، فإذا ارضعت كان لها بكلِّ جرعةٍ كعتق رقبة من ولد إسماعيل، فإذا سهرت كان لها بكلِّ سهرةٍ تسهرها كعتق رقبة من ولد إسماعيل، وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللآتي لا يكفرن العشيرة[١].

قال: قالت السوداء: يا له فضلاً لو لا ما يتبعه من الشرط.[٢]

وعن النبي ﷺ انّه قال: نِعْمَ المالُ الصّالِحُ للرَّجُلِ الصّالِح.[٣]

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ ٦

خطاب لأولياء اليتامى بأنّ يختبروا عقولهم وأفهامهم ورشدهم وصلاحهم في أديانهم واصلاح أموالهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ٱبۡتَلُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. الابتلاء: الإختبار والامتحان.

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ مفعول به. ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف غاية للإبتداء.

---

١. لا يكلفن العسير نسخة بدلٍ.

٢. مجمع البيان ٣/ ٧.

٣. مجمع البيان ٣/ ٨.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلَّق بجوابه.

﴿بَلَغُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله في محلِّ جَرٍّ لوقوعه بعد الظرف ﴿إِذَا﴾. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ﴾.

﴿ٱلنِّكَاحَ﴾ مفعول به. أي «حتّى يبلغوا الحدّ الذي يقدرون على مجامعة النساء وينزل، وليس المراد الاحتلام، لان في الناس من لا يحتلم، أو يتأخر احتلامه، وهو قول أكثر المفسرين: مجاهد، وَالسُّدِّيّ، وابن عباس، وابن زيد. ومنهم من قال: إذا كمل عقله، وأونس منه الرشد، سلم إليه ماله، وهو الأقوى. ومنهم من قال: لا يسلم إليه حتّىٰ يكمل له خمس عشرة سنة، وإن كان عاقلاً، لإنّ هذا حكم شرعي، وبكمال العقل تلزمه المعارف لا غير، وقال أصحابنا: حد البلوغ إما بلوغ النكاح، أو الإنبات في العانة، أو كمال خمس عشرة سنة»[1].

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ شرطية جازمة.

﴿ءَانَسْتُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. في محل جزم لأنّه فعل الشرط. الإيناس: الإبصار والمشاهدة وفيه شَوْبٌ من معنى الأُلفة لأنّ مادّته الأُنس كما يظهر من الميزان.[2]

﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَانَسْتُم﴾.

﴿رُشْدًا﴾ مفعول به. «واختلفوا في معنى الرشد، فقال السدي، وقتادة: معناه عقلاً وديناً وصلاحاً. وقال الحسن، وابن عباس: معناه: صلاحاً في الدين، وإصلاحاً للمال. وقال مجاهد، والشعبي: معناه العقل. قال: لا يدفع إلى اليتيم ماله، وإن أخذ بلحيته، وإن كان شيخاً، حتّىٰ يؤنس منه رشده: العقل. وقال ابن جُرَيْج: صلاحاً، وعلماً بما يصلحه. والأقوى أن يحمل على أن المراد به العقل، وإصلاح المال، على ما قال ابن عباس، والحسن، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام، لِلْإِجْماع على أن من يكون كذلك لا يجوز الحجر في ماله، وإن كان فاجراً في دينه، فإذا كان ذلك إجماعاً فكذلك إذا بلغ، وله مالٌ في يد وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله، وجب عليه أن يُسَلِّمَ إليه ماله، إذا كان عاقلاً، مصلحاً لماله، وإن كان فاسقاً في دينه. وفي الآية دلالة على جواز

---

١. التبيان ٣/ ١١٦ و ١١٧.
٢. الميزان ٤/ ١٧٢.

الحجر على العاقل، إذا كان مُفْسِداً في ماله، من حيث أنه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مُفْسِداً له، فكذلك في حال كمال العقل إذا صار بحيث يفسد المال، جاز الحجر عليه، وهو المشهور في أخبارنا»[١].

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿ٱدۡفَعُوٓاْ﴾ فعل أمر وفاعله. جواب شرط في محلّ جزم. ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ جار ومجرور.

﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

وجملتا فعل الشرط ﴿ءَانَسۡتُم﴾ وجوابه ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ﴾ وقعتا جواباً لِـ ﴿إِذَا بَلَغُواْ﴾ ولكن لا محلّ لهما لأنّهما جواب شرط غير جازم.

أقول: الذي يَظْهَرُ من كلام الشيخِ لزومُ توفُّرِ الشرطين لدفعِ أموالهم وَهْما: البلوغُ والرُّشَد كما صرح في كلامه الأخير وهو ظاهر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره[٢] وتبعهما جماعة، منهم: القطب الراوندي في فقه القرآن[٣] والطبرسي في مجمع البيان[٤] وأبوالفتوح الرازي في روض الجنان[٥] وكما يظهر ذلك من الفاضل المقداد في كنز العرفان[٦] والفيض في تفسيريه الصافي[٧] والأصفىٰ[٨].

وذهب جماعة من العامّة إلى هذا القول منهم: الثعلبي في تفسيره[٩].

ولكنَّ هناكَ قولاً آخَرَ: وهو أنّ البلوغ في الآية غاية لِلابتلاء، كما صَرَّحَ به القُطْبُ الراونديُّ وقال: «وقت الإختبار يجب أن يكون قبل البلوغ»[١٠] وأمّا، تمام الموضوع لدفع أموالهم فهو الرشد فقط من دون بلوغ كما يظهر هذا القول من جماعة

---

١. التبيان ٣/ ١١٧ و ١١٨.
٢. تفسير القمي / ٧١ من الطبع الحجري، ١/ ١٣١ من الطبع الحروفي.
٣. فقه القرآن ٢/ ٧٣.
٤. مجمع البيان ٣/ ٩.
٥. روض الجنان ٥/ ٢٥٤.
٦. كنز العرفان ٢/ ١٠٣ و ١٠٤.
٧. الصافي / ١٠٨ من طبع الحجري.
٨. الأُصفىٰ / ١٣٨ و ١٣٩.
٩. الكشف والبيان ٣/ ٢٥٤.
١٠. فقه القرآن ٢/ ٧٣.

من المفسرين منهم: الزمخشريُّ في الكَشّاف[١] والطبرسيُّ في جوامع الجامع[٢] والبيضاويُّ في أنوار التنزيل[٣] والمشهديُّ في كنز الدقائق[٤].[٥]

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَأْكُلُوهَآ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، والمراد به مطلق الاستيلاء.

﴿إِسْرَافًا﴾ حال من فاعل ﴿لَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أي: مسرفين أعني بغير ما أباحه الله لكم. «وأصل الإسراف تجاوز الحدّ المباح إلى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان في التقصير، غير أنّه إذا كان في الإفراط يقال منه: أسرف يسرف إِسرافاً، واذا كان في التقصير يقال: سرف يسرف سرفاً»[٦].

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِدَارًا﴾ معطوفه. البِدارُ والمبادرة مَصْدَرانِ. أي: مبادرين «وأصل البدار الامتلاء ومنه: البدر القمر لامتلائه نوراً، والبدرة: لامتلائها بالمال والبيدر: لامتلائه بالطعام»[٧].

﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ حرف نصب ومصدري وفعل مضارع منصوب وفاعله. «و ﴿أَن﴾ المصدرية وما بعدها: بتأويل مصدر في محلِّ جر بحرف جر محذوف والتقدير: من ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ أو في محلّ نصب ببدار أو بمعنى: قبل ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ فيتسلموها منكم»[٨]. أو ينتزعوها من أيديكم.

«وقوله: ﴿بِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ في معنى حذر ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ فلا يدعوكم أن تأكلوا وحذف النفي أو ما في معناه قَبْلَ «أَنْ» قِياسِيٌّ على ما ذكره النُّحاةُ قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

---

١. الكشاف ١/ ٤٧٣ و ٤٧٤.
٢. جوامع الجامع ١/ ٢٣٧.
٣. أنوار التنزيل / ٩٠ من الطبع الحجري.
٤. كنز الدقائق٢/ ٣٥٠.
٥. الآراء الفقهية ٥/ ١٨ و ١٧.
٦. التبيان ٣/ ١١٩.
٧. التبيان ٣/ ١١٩.
٨. اعراب القرآن الكريم ٢/ ٢٨١.

لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾[1] أي لئلا تضلوا أو حذر أن تضلوا»[2].

وبعبارةٍ أُخرى: «قد يبادر الولي ويستعجل ببعض التصرفات في أموال اليتيم مخافة أن يكبر وينتزع أمواله من الولي فنهىٰ الله سبحانه عن مثل هذا التصرف»[3].

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَن﴾ مبتدأ، اسم شرط جازم.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر فيه.

﴿غَنِيًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي: لا يحتاج في معاشه إلى أكل مال ٱلْيَتِيْم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لْ﴾ لام الأمر.

﴿يَسْتَعْفِفْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لْ﴾ الأمر وفاعله. جواب الشرط. وجملتا فعل الشرط ﴿كَانَ﴾ وجوابه ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ جميعاً خبر مبتدأ ﴿مَن﴾. أي: ليطلب طريق العِفّة وليلزمه فلا يأخذ من أموالهم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ الجملة الاسمية معطوفة على ﴿مَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ وتُعْرَبُ إعرابَها والمُرادُ بالأكل في مقابل أُجرة مِثْلِ عمله لا من دون عَمَل.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَأْكُلْ﴾ أي بالقدر المعروف أو متعلّق بصفة محذوفة أي أكلاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. أي: على ما جرت به العادة في أمثاله.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفريعية. ﴿إِذَا﴾ ظرفية، مفعول فيه، متضمن معنى الشرط.

﴿دَفَعْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله فعل الشرط في محل جر لوقوعه بعد الظرف. خطاب لاولياء الأيتام أي إذا سلّمتم.

﴿إِلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿دَفَعْتُمْ﴾. والضمير يرجع إلى الأيتام.

﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَشْهِدُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. أمر إرشادي محض رفعاً لغائلة الخلاف والنزاع وتحكيماً للأمر.

---

١. سورة النساء / ١٧٦.
٢. الميزان ٤ / ١٧٣.
٣. التفسير الكاشف ٢ / ٢٥٧.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَفَىٰ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿بِ﴾ حرف جر زائد جاء للتأكيد.
﴿ٱللَّهِ﴾ فاعله في محل رفع ومجرور حرف ﴿بِ﴾.
﴿حَسِيبًا﴾ تمييز. أي محاسباً. فعيل بمعنى فاعل. أو بمعنى شهيداً أي شاهداً. بالنسبة إلى جميع التصرفات والدفع والاستشهاد.

## الروايات

موثقة سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فقال: من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه فهو يتقاضى أموالهم ويقوم في ضَيْعَتهم فليأكل بقدر ولا يُسْرِفْ وإن كان ضيعتهم لاتشغله عمّا يعالج لنفسه فَلايَرْزَأَنَّ[1] من أموالهم شيئاً.[2]

**رواها العياشي في تفسيره[3].**

صحيحة عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال: المعروف هو القوت وإنما عنى الوصي أو القيم في أموالهم وما يصلحهم.[4]

صحيحة أبي الصباح الكِناني، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فقال: ذلك رجل يحبس نفسه. عن المعيشة فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلا فلا يأكل منه شيئا. قال: قلت أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[5] قال: تخرج من أموالهم بقدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه. قلت: أرأيت إن كانوا يتامى صغارا وكبارا وبعضهم أعلا كسوة من بعض وبعضهم آكل من بعض ومالهم جميعا؟ فقال: أما الكسوة فعلى كل إنسان منهم ثمن كسوته وأما [أكل] الطعام فاجعلوه جميعاً فإنْ

---

١. أي فَلا يَأْخُذَنَّ.
٢. الكافي ٩/ ٦٩٧، ح١ (٥/ ١٢٩).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٦٩، ح٣٠.
٤. الكافي ٩/ ٦٩٩، ح٣ (٥/ ١٣٠).
٥. سورة البقرة/ ٢٢٠.

الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير.[١]

عن يونس بن يعقوب، قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ أيّ شيءٍ الرُّشد الذي يُؤنَس منهم؟ قال: حِفْظُ مالِهِ.[٢]

**رَواهُ الصدوق في الفقيه[٣] مرسلاً.**

عن عبدالله بن المغيرة، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام، في قول الله: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾، قال: فقال: إذا رَأَيْتُمُوْهُمْ يُحبّونَ آلَ محمّد، فارفعوهم درجةً.[٤]

**رَواهُ الصدوق في الفقيه[٥] مسنداً عن ابن المغيرة عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام.**

**وقال الصدوق في توضيحه: «... وكذلك إذا أُونس منه الرشد في قبول الحقّ اُختبر به، وقد تنزل الآية في شيءٍ وتجري في غيره»[٦].**

عن أبي أُسامة، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ في قوله: ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾. فقال: ذلك رجلٌ يَحْبِس نفسه على أموال اليتامى، فيقوم لهم فيها، ويقوم لهم عليها، فقد شَغَل نفسه عن طَلَب المعيشة، فلا بأس أن يأكُل بالمعروف، إذا كان يُصْلِح أموالهم، وإن كان المال قليلاً، فلا يأكُل منه شيئاً.[٧]

عن محمّد بن مسلم، قال: سألتُهُ عن رجل بيده ماشيةٌ لابن أخٍ يتيم في حِجْره، أيَخْلُط أمرها بأمر ماشيته؟ فقال: إن كان يُليط حِياضها[٨]، ويقومُ على هنائها[٩]، ويَرُدُّ شارِدَها فليَشْرَبْ من ألبانها غَيْرَ مُجتهدٍ للحِلاب، ولا مُضرّ بالولد، ثمّ قال: ﴿وَمَن كَانَ

---

١. الكافي ٩/ ٧٠٠، ح٥ (٥/ ١٣٠).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٦٨، ح٢٦.
٣. الفقيه ٤/ ٢٢٢، ح٥٥٢٣.
٤. التفسير العياشي ١/ ٣٦٩، ح٢٧.
٥. الفقيه ٤/ ٢٢٢، ح٥٥٢٤.
٦. الفقيه ٤/ ٢٢٢، ذيل ح٥٥٢٤.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٦٩، ح٢٩.
٨. لاط الحوض بالطين: طلاه وملْسه به.
٩. الهِنَاء: القَطِران تُطلى به الإبل مِنَ ٱلْجَرَب.

غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[١]

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

فقال: هذا رجلٌ يَحْبِس نفسه لليتيم على حَرْثٍ أو ماشيةٍ، ويَشْغَل فيها نفسه، فليأكُل منه بالمعروف، وليس ذلك له في الدنانير والدراهم التي عنده موضوعة.[٢]

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألتُهُ عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

قال: ذلك إذا حَبَس نفسه في أموالهم، فلا يَحْتَرِفْ لنفسه[٣]، فليأكُل بالمعروف من مالهم.[٤]

معتبرة هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «انقطاع يتم اليتيم الاحتلام وهو أشده، وإن احتلم ولم يُؤْنَسْ منه رُشْدُهُ وكان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليه ماله».[٥]

**رواها الكليني بسنده الصحيح في الكافي[٦].**

معتبرة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن يتيم قد قرأ القرآن وليس بعقله بأس، وله مالٌ على يَدَيْ رَجُل فأراد الذي عنده المال أن يعمل به حتّى يحتلم ويدفع إليه ماله، قال: وإن احتلم ولَمْ يَكُنْ له عقل لم يدفع إليه شيء أبدا».[٧]

**وروي نحوها الكليني بسنده المرسل عن أبي بصير في الكافي[٨].**

صحيحة عيص بن القاسم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن اليتيمة متى يُدْفَعُ إليها مالُها؟ قال: إذا عَلِمْتَ أَنّها لا تُفْسِدُ ولا تُضَيِّعُ، فسألته إن كانت قد

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٦٩، ج٢٨.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٠، ح٣١.
٣. إحترف لنفسه: كسب و طلب.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٧٠، ح٣٢.
٥. الفقيه ٤/ ٢٢٠، ح٥٥١٧.
٦. الكافي ١٣/ ٤٩٨، ح٢ (٧/ ٦٨).
٧. الفقيه ٤/ ٢٢٠، ح٥٥١٨.
٨. الكافي ١٣/ ٤٩٩، ح٣ (٧/ ٦٨).

تزوجت؟ فقال: إذا تزوجت فقد انقطع ملك الوصي عنها».[١]

**قال الصدوق: يعني بذلك إذا بلغت تسع سنين.**

**ورواها الكليني في الكافي[٢].**

صحيحة عبدالله بن سنان قال: سُئِلَ أبوعبدالله عليه السلام وأنا حاضر عن ٱلْقَيِّم لليتامى في الشراء لهم والبيع فيما يصلحهم أ له ان يأكل من أموالهم؟ فقال: لا باس ان يأكل من أموالهم بالمعروف كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هو القوت، وإنما عنى فليأكل بالمعروف الوصي لهم والقيم في أموالهم ما يصلحهم.[٣]

في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ عن أبي جعفر عليه السلام: هو أن يأخذه قرضاً على نفسه فيما لابدّ له منه ثمّ يقضيه.[٤]

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿٧﴾

شروع في تشريع أحكام الإرث وقد بيّن الله عزّ وجلّ بِأَنَّ لِلنِّساءِ نَصِيْباً وَسَهْماً كما للرجال.

قال الشيخ: «اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فقال قتادة، وابن جريج، وابن زيد: إن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث، فنزلت هذه الآية رَدّاً لقولهم. وقال الزجاج: كانت العرب لا تورث إلا من طاعن بالرماح، وذاد عن الحريم والمال، فنزلت هذه الآية ردا عليهم، وبين أن للرجال نصيبا مما ترك الوالدان

---

١. الفقيه ٤/ ٢٢١، ح٥٥٢٠.
٢. الكافي ١٣/ ٥٠٠، ح٤ (٧/ ٦٨).
٣. التهذيب ٩/ ٢٤٤، ح٤٢.
٤. التبيان ٣/ ١١٩؛ مجمع البيان ٣/ ٩.

والأقربون، «وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا» يعني حَظّاً مَفروضاً، قال الزّجّاج»[١].

﴿لِّلرِّجَالِ﴾ جار ومجرور. خبر مقدَّم. والمراد بهم مطلق الذكر وجنس الرجل السواء كان كبيراً أو صغيراً.

﴿نَصِيبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، ومعناه الحظ والسهم. «وأصله من النصب بمعنى الإقامة لأنّ كل سهم عند القسمة ينصب على حدته حتّى لا يختلط بغيره»[٢].

﴿مِّمَّا﴾ مكونة من «من» حرف جر و «ما» موصولة في محل جر. متعلّق بـ ﴿نَصِيبٌ﴾ أو بصفة محذوفة للنكرة من ﴿نَصِيبٌ﴾.

﴿تَرَكَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. «التركة: اسم لكلِّ ما يخلّفه الميت ومابقي من ماله كأنّه تركه وارتحل»[٣].

﴿ٱلْوَالِدَانِ﴾ فاعله والجملة الفعلية ﴿تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ﴾ صلة الموصول لا محلّ لها مِنَ الإِعْراب. والضمير العائد إلى الموصول ضمير محذوف منصوب محلّاً لأنّه مفعول به. والتقدير: «ممّا تركه الوالدان» أي: الأب والأُمّ. و ﴿ٱلْوَالِدَانِ﴾ بِهٰذا المَعْنىٰ علىٰ التغليب أي تغليب لَفْظِ «الوالد» علىٰ لَفْظِ «الوالدة» كَما هُوَ مُطَّرِدٌ في كلامِ ٱلْعَرَب.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ٱلْأَقْرَبُونَ﴾ معطوفه. اسم عام يشمل كُلَّ ذي رَحمٍ ولكن المراد به هنا القرابة القريبة على فرض وجودها، قال في الميزان: «اختيار هذا اللَّفظِ على مثل الأقرباء وأولي القربى ونحوهما لا يخلو من دلالة على أنّ الملاك في الإرث أقربية الميت من الوارث»[٤].

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الجملة الاسمية معطوف على الجملة الاسمية قبلها بـ ﴿وَ﴾ عاطفة وتعرب إعرابها. والمراد بـ ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ جنسها

---

١. التبيان ٣/ ١٢٠.
٢. الميزان ٤/ ١٩٩.
٣. مواهب الرحمن ٧/ ٣٠٣.
٤. الميزان ٤/ ١٩٩.

ومطلق الأناث سواء كانت كبيرة أو صغيرة.

وهذه الجملة تدل على بُطْلانِ السنة الجاهلية من حرمان الإناث والذكور الصغار من الإرث عندهم بل عند بعض الأُممّ الراقية فعلاً، قبل قرنين كما في أُروبّا.

﴿مِمَّا﴾ من ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾.

﴿قَلَّ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الموصول. أي كان ماترك قليلاً.

﴿مِنْهُ﴾ جارٌّ ومجرورٌ متعلّق بـ ﴿قَلَّ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿مَّا تَرَكَ﴾.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿كَثُرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر.

﴿نَصِيبًا﴾ حال، أو مفعول به منصوب على الاختصاص أو المدح بفعل محذوف تقديره: أعني.

﴿مَّفْرُوضًا﴾ نعت. أي مقطوعاً وواجباً من الله تعالى وكانت تسمية المواريث بالفرائض عند المسلمين لأجل هذا التعبير.

قال الشيخ: «وفي الآية دليل على بطلان القول بِالْعَصَبَة؛ لِأَنَّ الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء، فلو جاز أن يقال: النساء لا يرثن في موضع، لجاز لآخرين أن يقولوا: والرجال لا يرثون، والخبر ٱلْمُدَّعىٰ في العصبة خبر واحد، لا يترك له عموم القرآن، لأنه معلوم، والخبر مظنون، وقد بَيَّنّا ضعف الخبر في كتاب تهذيب الأحكام، فمن أراده وقف عليه من هناك»[1].

«واستدل الشيعة بهذه الآية على بطلان التعصيب الذي أثبته السنة، ونفاه الشيعة ومؤداه توريث الرجال دون النساء في بعض الحالات، منها إذا كان للميت بنتٌ وٱبْنُ أخٍ، وَبِنْتُ أخٍ فإن السنة يعطون النصف للبنت، والنصف الآخر لابن الأخ، ولا شيء لأُخته، مع أَنّها في درجته ومساوية له، ومنها إذا كان له أخت وعمّ وعمّة فإنهم يُوَزِّعُوْنَ التركة بين البنت والعم، ويحرمون العمة... فالقرآن يورث النساء والرجال، وهم يورثون الرجال، دون النساء.

---

١. التبيان ٣/ ١٢١.

أما الشيعة فإنهم يعطون التركة كلّها للبنت في الصورة الأولى و[للأخت في الصورة] الثانية، [فَرْضاً وَرَدّاً] لأنها أقرب إلى الميت من أخيه وابن أخيه، بالأولى [وبالثانية الأخت أقرب إلى الميت] من عمّه [وعمّته]»[١].

وقال الشيخ: «وفي الآية أيضاً دلالة على أن الأنبياء يورثون، لأنه تعالى عم الميراث للرجال والنساء، ولم يخص، نبيّاً من غيره، وكما لا يجوز أن يقال: النبي لا يَرِثُ، لأنه خلاف الآية، فكذلك لا يجوز أن يقال: لا يورث، لأنه خلافها، والخبر الذي يروون أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، خبر واحد، وقد بَيَّنّا ما فيه، في غير موضع، وَتَأوّلْناهُ، بعد تسليمه»[٢].

**أقول: تكلّمت حول هذه الرواية الموضوعة في بعض محاضراتي وَطُبِعَتْ[٣] بَعْدُ فراجعها إِنْ شِئْت.**

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٨﴾

تَذْكِيْرٌ أخلاقي للورثة بأنّ كلّ مَنْ حضر قسمة ماترك من أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم فلاتيئسوهم وأعطوهم شيئاً منه بمقدار ما طابت نفوس الورثة ورَضُوا به على نحو الندب لا الفرض، فالآية ليست بمنسوخة كما إِنَّ عَدَمَ نَسْخِها مَرْوِيٌّ عن أبي جعفر[٤] عليه السلام وقال الشيخ: «هذه الآية عندنا محكمة وليست بمنسوخة»[٥].

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِذَا﴾ ظرف، متضمن معنى الشرط. ﴿حَضَرَ﴾ فعل ماض. ﴿ٱلْقِسْمَةَ﴾ مفعول به مقدَّم. أي تقسيم ماترك بعد وفاة الميت أو تقسيمه بتوسط

١. التفسير الكاشف ٢/ ٢٥٩.
٢. التبيان ٣/ ١٢١.
٣. طبعت باسم «پنج گفتار در برائت» في عام ١٤٣٣ق.
٤. مجمع البيان ٣/ ١١.
٥. التبيان ٣/ ١٢٢.

مالكه بين الورثة قبل وفاته بالوصية أو غيرها.

﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فاعل ومضاف إليه لِأَنَّهُ كَلِمَتانِ. بِلا فَرْقٍ بين فُقَرائِهِمْ وغيرهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ معطوفه، ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ من ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أو غيرهم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ٱلْمَسَـٰكِينُ﴾ معطوفه، من ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أو غيرهم. كلّها لإطلاق الكلمات الثلاثة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿ٱرْزُقُوهُم﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله. خطاب للورثة أو المورّثين في زمن حياتهم حين الوصية والقسمة. أمر يدلّ على الندب بالقرينة وهي إجماع الإمامية كما ذكره الفقيه السبزواري[1].

والمرادُ بِالرِّزْقِ هنا شيءٌ مِنَ المالِ يبقى لهم وَيَدُرُّ منه رِزْقُهُمْ، وليس شَيْئاً يأكلونه فيتمّ.

﴿مِّنْهُ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿مَّا تَرَكَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُولُواْ﴾ معطوف على ﴿ٱرْزُقُوهُم﴾.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى اولي ﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ﴾.

﴿قَوْلاً﴾ مفعول مطلق ـ مصدر ـ سدّ مسدّ مفعول به. ﴿مَّعْرُوفًا﴾ نعت.

## الروايات

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾.

قال: نسختها آية الفرائض.[2]

وفي رواية أُخرىٰ، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألتُهُ عن قول الله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال: نَسَخَتها آية الفرائض.[3]

---

١. مواهب الرحمن ٧/ ٣٠٦.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٠، ح٣٤.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧١، ح٣٦.

وفي رواية أُخرى، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾، قلت: أمنسوخة هي؟ قال: لا، إذا حَضَرُوْكَ فأعْطِهم.[1]

**أقول: يمكن الجمع بين الطائفتين بحمل النسخ على نفي الوجوب وبحمل عدم النسخ على بقاء الاستحباب كما جمعها السيّد البحراني هكذا في برهانه[2]. فليس ـ هُناك ـ علىٰ هٰذا القَوْلِ طَرْحٌ لِإِحْدىٰ الطّائِفَتَيْنِ.**

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ ﴿٩﴾

في الآية الشريفة دلالة على عدم الإِجحاف بالنسبة إلى الورثة في الوصية وأن يترك المورِّث لهم شيئاً خوفاً من الفقر والضياع، ولا يوصي بما يضرّ بورثته ويوجب تضييع أموالهم لاسيّما إذا كانوا ضعفاءً اقتصادياً علىٰ ٱصْطِلاحِ ٱلْمُتَأَخِّرِيْنَ.

وتمثيل للرحمة والرأفة عليهم، والتهديد والتخويف المستفاد منها ليس مخصوصاً بمن له ذرية ضعفاءً بالفعل بدلالة كلمة قوله تعالى: ﴿لَوْ تَرَكُواْ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لْ﴾ لام الأمر.

﴿يَخْشَ﴾ مضارع مجزوم بلام الأمر. الخشية: خَوْفٌ خاصٌّ وهو تأثر قلبي لما يُخافُ نزوله ويُرْجىٰ منه الأمل.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، حرف امتناع لامتناع.

﴿تَرَكُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. فعل شرط وجملة ﴿لَوْ تَرَكُواْ﴾ صلة الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿تَرَكُواْ﴾ أو بحال محذوفة من ﴿ذُرِّيَّةً﴾ لأنّها

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٧١، ح٣٥.
٢. البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٢٨.

صفة مقدمة عليها. والضمير مضاف إليه يرجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾. أي من بعد موتهم. وهذا التصريح مبالغة في تهويل الحالة.

وحذف مفعول ﴿لَيَخْشَ﴾ اختصاراً لأنّ ما بعده ﴿لَيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ دال عليه.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ مفعول به. «والذُّرِّيّة: على وزن فُعْلِيَّة، منسوبة إلى الذَّر، ويجوز أن يكون أصلها ذرورة، لكن الراء أبدلت ياء، وأدغمت الواو فيها، وهي بضم الذال، ويجوز فيها كسرها، وقد قرئ به في الشواذ، ومن كسر الذال فلكسرة الراء، كما قالوا في عَتِيّ عِتي، [وعَصَيْ] عِصي»[1].

﴿ضِعَـٰفًا﴾ نعت، والضعاف: جمع ضعيف وضعيفة. كظريف وظريفة وظراف. وفي هذا الوصف ترغيب للترحم عليهم وتبيين لغاية الرحمة والرأفة عليهم وتثير الشفقة عليهم.

﴿خَافُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. جواب شرط.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾. أو جملة ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ صفة ثانية لِـ ﴿ذُرِّيَّةً﴾ في محل نصب.

﴿فَ﴾ تفريعية. أو تكون في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿لْ﴾ لام الأمر.

﴿يَتَّقُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفاعله.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به. أي معاصي الله. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لْ﴾ لام الأمر.

﴿يَقُولُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفاعله. معطوف على ﴿لَيَتَّقُواْ﴾.

ويمكن ان يكون القول هنا كناية عن الفعل والملازمة بينهما شائع في اللسان.

﴿قَوْلاً﴾ مفعول مطلق سدّ مسدّ مفعول به.

﴿سَدِيدًا﴾ نعت. أي صواباً مستقيماً. وأصل السديد من سدّ الخلل.

«إن ظاهر السداد في القول كونه قابلاً للاعتقاد والعمل به»[2]. والمراد به الجري العملي أو الرأي والاعتقاد.

«قيل في مَعْناهُ أربعة أقوال:

---

١. التبيان ٣/ ١٢٤.

٢. الميزان ٤/ ٢٠١.

أحدها: النهي عن الوصية بما يُجْحِفُ بالورثة، وَيُضِرُّ بهم، هذا قول ابن عباس في بعض الروايات، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والسُّدِّيّ، والضَّحَاك، ومجاهد.

الثاني: قال الحسن: كان الرجل يكون عند الميت فيقول: أَوْصِ بأكثر من الثلث من مالك، فنهاه الله عن ذلك.

الثالث: روي عن ابن عباس: أنه خطاب لولي مال اليتيم، يأمره بأداء الأمانة فيه، والقيام بحفظه، كما لو خاف على مخلفيه، إذا كانوا ضعافاً، وأحبَّ أن يفعل بهم.

الرابع: قال مقسم: هي في حرمان ذوي القربى أن يُوْصىٰ لهم، بأن يقول الحاضر للوصية: لا توص لأقاربك، ووفِّر على وَرَثَتِكَ»[1].

## الروايات

موثقة سماعة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: أوعد الله عزوجل في مال اليتيم بعقوبتين: إحداهما عقوبة الآخرة النّار وأمّا عقوبة الدُّنيا فقوله عزوجل: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني ليخش أن أخلفه في ذرّيّته كما صنع بهؤلاء اليتامى.[2]

**رواها العياشي في تفسيره[3].**

خبر عبدالأعلى مولى آل سام قال: قال أبوعبدالله عليه السلام ـ مبتدئاً ـ: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقب عقبه، قلت: هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه؟! فقال: إن الله عزوجل يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾.[4]

**رواها العياشي في تفسيره[5].**

خبر علل محمّد بن سنان إنّ أباالحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما

---

١. التبيان ٣/ ١٢٤.
٢. الكافي ٩/ ٦٩٢، ح١ (٥/ ١٢٨).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧١، ح٣٨.
٤. الكافي ٤/ ٢٧، ح١٣ (٢/ ٣٣٢).
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٧١، ح٣٧.

كتب من جواب مسائله حرم الله ﷻ قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب ونفي الولد وإبطال المواريث وترك التربية وذهاب المعارف، وما فيه من المساوئ والعلل التي تودي إلى فساد الخلق.[١]

الطوسي رفعه وقال: نهى النبي ﷺ أن يُوْصىٰ بأكثر من الثُّلُثِ، وقال: «والثُّلُثُ كثير».[٢]

وقال ﷺ لسعد: «لَأَنْ تدع ورثتك أغنياء أَحَبّ إِلَيَّ من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم».[٣]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾

في هٰذِهِ ٱلۡآية الشَّرِيْفَةِ دلالةٌ واضحةٌ ونهيٌ شديدٌ عن أكل أموال اليتامى وبيانٌ لشدّة عذاب آكلِها وحرمة تحريم صغار الورثة من الإرث وردع الناس عن هضم حقوق اليتامي.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. تأكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول. اسمه.

﴿يَأۡكُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي يتصرفون على وجه غير الاستحقاق نحو أخذ أُجرة المِثْلِ إذا كان فقيراً أو قرضاً على نفسه. وفي هاتين الصورتين لا يصدق عنوان أكل مال اليتيم واقعاً.

قال الشيخ: «وأكل مال اليتيم على وجه الظلم، وغصبه متساويان في توجّه الوعيد إليه، ولا يدلّ على مثل ذلك في غير مال اليتيم، لأنّ الزواجر عن مال اليتيم أعظم».[٤]

---

١. علل الشرائع / ٤٨٠، ح١.
٢. التبيان ٣/ ١٢٥.
٣. التبيان ٣/ ١٢٥.
٤. التبيان ٣/ ١٢٧.

﴿أَمْوَالَ﴾ مفعول به. ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ مضاف إليه.

﴿ظُلْمًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَأْكُلُونَ﴾. فلا يكون أكل مال اليتيم إلّا ظلماً وفيه نوع من البيان والتأكيد.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. أداة حصر.

﴿يَأْكُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿إِنَّ﴾. دلالة على تجسم الأعمال وأنّ لها صور برزخية وأُخروية في مقابل صورها الدنيوية.

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿نَارًا﴾ مفعول به. بالواقع والحقيقة وبالصورة الأُخروية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿سَ﴾ حرف استقبال قريب.

﴿يَصْلَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. معطوف على ﴿يَأْكُلُونَ﴾ الثانية.

الصلا: لزوم النار للإحراق أو التسخن. شاة مصلية: أي مشوية.

﴿سَعِيرًا﴾ مفعول به. من صيغ المبالغة والسعير بمعنى مسعورة. السعر: إشعال النار والتهابها. أي ناراً متأججّة ملتهبة. وهو من أسماء نار الآخرة. أعاذنا الله وإيّاكم منها بحق محمّد ﷺ وآله عليهم السلام الطاهرين.

## الروايات

صحيحة هِشام بْنِ سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسولُ الله ﷺ: لَـمّا أُسْرِيَ بي إلى السماء رأَيتُ قوماً تقذف في أفواههم النار وتخرج من أدبارهم. فقلت: مَنْ هؤلاء، يا جبرئيلُ؟ فقال: هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾.[١]

صحيحة عجلان أبي صالح قال: سَأَلْتُ أبا عبدالله عليه السلام عن أكل مال اليتيم، فقال: هو كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، ثمّ قال عليه السلام من غير أن أسأله: مَنْ عالَ يتيماً حتّىٰ ينقطع يُتْمُهُ أو يستغنيَ بنفسه أوْجَبَ اللهُ عزّ وجلّ له الجَنَّةُ كما أوْجَبَ النّارَ لِـمَنْ أَكَلَ مالَ اليتيم.[٢]

---

١. تفسير القمي / ٧٢ (١/ ١٣٢).
٢. الكافي ٩/ ٦٩٣، ح٢ (٥/ ١٢٨).

**رواها العياشي في تفسيره[١].**

خبر أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل يكون في يده مالٌ لِأيتامٍ فيحتاج إليه فيمد يده فيأخذه وينوي أن يرده؟ فقال: لا ينبغي له أن يأكل إلّا القصد، لا يسرف فإن كان من نيته أن لا يرده عليهم فهو بالمنزل الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾.[٢]

**رَواهُ العيّاشي في تفسيره بإختلاف مع هذه الزيادة:**

قلت له: كم أدنى ما يكون من مال اليتيم إذا هو أكله وهو لا ينوي ردّه حتّى يَكون يأكُل في بطنه ناراً؟ قال: قليله وكثيره واحد، إذا كان من نفسه ونيَّته أن لا يَرُدَّه إليهم.[٣]

خبر محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: وأنزل في مال اليتيم من أكله ظلما ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ وذلك أن آكل مال اليتيم يجيئ يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتّى يخرج لهب النار مِنْ فيه حتّى يعرفه كلّ أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم.[٤]

صحيحة ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ أخرج كلّ من كان عنده يتيم، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إخراجهم فأنزل الله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾.[٥،٦]

عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، إنَّ في كتاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنَّ آكل مال اليتيم ظُلماً سيُدرِكه وَبَال ذلك في عَقِبه من بعده، ويَلْحَقه وبال ذلك [في الآخرة].

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٧٣، ح٤٤.
٢. الكافي ٩/ ٦٩٥، ح٣ (٥/ ١٢٨).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٣، ح٤٢.
٤. الكافي ٣/ ٨٦ (٢/ ٣١).
٥. سورة البقرة/ ٢٢٠.
٦. تفسير القمي/ ٧٢؛ وسائل الشيعة ١٧/ ٢٥٥، ح٥.

أمّا في الدنيا فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾[١] الآية، وأمّا في الآخرة فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[٢]

عن محمّد بن مسلم، عن أَحَدِهما عليهما السلام، قال: قلتُ: في كم يَجِبُ لِأَكْلِ مال اليتيم النار؟ قال: في دِرْهَمين.[٣]

عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام، أو أبي الحسن عليه السلام، قال: سألتُهُ عن رجلٍ أكل مال اليتيم، هل له تَوبة؟ قال: بردّه إلى أهله، قال: ذلك بأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[٤]

عن أبي إبراهيم، قال: سألتُهُ عن الرجل يكون للرجل عنده المال، إمّا ببيع أو بقرض، فيموت ولم يَقْضِه إيّاه فيَتْرُك أيتاماً صِغاراً، فيبقى لهم عليه فلا يَقْضِيهم، أيكون ممَّن يأكُلُ مال اليتيم ظُلماً؟ قال: إذا كان ينوي أن يُؤدّي إليهم فلا.

قال الأحول: سألتُ أبا الحسن موسى عليه السلام: إنّما هو الذي يأكُله ولا يُريد أداءه، من الذين يأكُلون أموال اليتامى؟ قال: نعم.[٥]

عن عُبَيْدِ بْنِ زُرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألتُهُ عن الكبائر، فقال: منها أكلُ مال اليتيم ظُلماً، وليس في هذا بين أصحابنا اختلاف والحمد لله.[٦]

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: يُبْعَث أُناس من قُبُورهم يوم القيامة، تُؤجَّج أفواههم ناراً، فقيل له: يا رَسُوْلَ الله، مَنْ هؤلاء؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[٧]

---

١. سورة النساء / ٩.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٢، ح٣٩.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٢، ح٤٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٧٢، ح٤١.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٧٣، ح٤٥.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٧٤، ح٤٦.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٧٤، ح٤٧.

عن أبي بصير، قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، ما أيسر ما يَدْخُل به العبدُ النارَ؟ قال: مَنْ أَكَل من مال اليتيم دِرْهَماً، ونحن اليتيم.[١]

أبو منصور الطبرسي رفعه إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الغدير أنّه قال بعد ذكر عليّ عليه السلام وأُولاده: ألا إنّ أعداءَهُمْ يصلون سعيراً.[٢]

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

في هٰذِهِ ٱلآية الكريمة شروع في كيفية تقسيم الميراث بعد أن ثبت في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾[٣] وشروع في بيان هذا النصيب المفروض.

﴿يُوصِيكُمُ﴾ فعل مضارع ومفعول به. أي فرض عليكم لأنّ الوصية من الله فرض وتشريع. والإيصاء والتوصية هو العهد والأمر ومنه الوصية المعروفة وإليه يرجع ما ذكره الراغب في معناها: «الوصيةُ: التقدُّمُ إلى الغير بما يَعْمَلُ به مقترناً بوعظ»[٤].

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٧٤، ح٤٨.
٢. الاحتجاج ١/ ٦٣.
٣. سورة النساء / ٧.
٤. المفردات / ٥٦٢.

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. الأولاد: هم من يُوْلَدُوْنَ من الرجل ونسله من واسطة أو بدونها ويشمل الذكور والإناث والصغار والكبار. وابتدأ الله بهم في مقام التشريع لأنّهم أقرب الأفراد رَحِماً إلى الميت من غيرهم.

قال في الميزان: «وفي العدول عن لفظ الأبناء إلى الأولاد دلالة على أن حكم السهم والسهمين مخصوص بما ولده الميت بلا واسطة، وأما أولاد الأولاد فنازلاً فحكمهم حكم من يتصلون به فلبنت الابن سهمان ولابن البنت سهم واحد إذا لم يكن هناك من يتقدم على مرتبتهم كما أن الحكم في أولاد الإخوة والأخوات حكم من يتصلون به، وأما لفظ الإبن فلا يقضي بنفي الواسطة كما إنَّ الأب أعَمُّ من الوالد»[1].

﴿لِلذَّكَرِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بخبر مقدم محذوف. «الـ» للجنس. شروع في تفاصيل الأرث بعد بيان حكمه الإجمالي.

وجعل الأصل في القانون التوريث النساء وبيّن حكم الرجال بالقياس معهنّ. وفي هذا التعبير اشعار بردّ عدم توريث النساء.

وقال في الميزان: «وربّما أيد ذلك بأنّ الآية لا تتعرض بنحو التصريح مستقلاً إلّا لسهام النساء وإن صرحت بشيء من سهام الرجال فمع ذكر سهامهنَّ معه كما في الآية التالية والآية التي في آخر السورة»[2].

﴿مِثۡلُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿حَظِّ﴾ مضاف إليه.

﴿ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ مضاف إليه ثان و «الـ» يدل على الجنس. والجملة الاسمية ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ في محلِّ نصب مفعول به ـ مقول القول ـ بفعل مقدر محذوف. وتفسير وتبيين لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنَّ﴾ فِعْلٌ ماضٍ في محل جزم لأنّه فعل شرط. والضمير المؤنث «ن» يرجع إلى الأُولاد، اسم كان.

﴿نِسَآءً﴾ خبره. أي الأُولاد إذا كانوا من جنس الأُناث فقط.

---

١. الميزان ٤/ ٢٠٧.
٢. الميزان ٤/ ٢٠٧.

﴿فَوْقَ﴾ ظرف. وخبر ثان لـ ﴿كُنَّ﴾ أو صفة لـ ﴿نِسَآءً﴾. أي زائدات يعني الفوقية في العدد والزيادة فيه.

﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ نعت مجرور لمحذوف لوضوحه وتقديره: فوق بنتين اثنتين.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَ﴾ حرف جر.

﴿هُنَّ﴾ مجرور. كلاهما متعلّق بخبر مقدم محذوف. ﴿ثُلُثَا﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مَا﴾ موصولة. في محل جر بالاضافة. أو مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالاضافة والتقدير: ثلثا التركة.

﴿تَرَكَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله يرجع إلى المتوفى.

والجملة الاسمية ﴿لَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ في محلِّ جزم جواب شرط.

والباقي ممّا ترك وهو الثلث الآخر «يُرَدُّ على مَنْ اجتمع معهنّ مع تساوي الدرجة [كالأبوين أو الزوج أو الزوجة]، أو يرد عليهنّ إذا لم يكن معهنّ أحد في نفس الدرجة»[١].

قال الشيخ: «فالظاهر يقتضي أن الثنتين لايستحقان الثلثين، وإنّما يُسْتَحَقُّ الثلثان إذا كُنَّ فوق اثنتين، لكن أجمعت الأُمّة أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات، فتركنا له الظاهر. وقال أبو العباس المبرد، واختاره إسماعيل بن إسحاق القاضي[٢]: إنّ في الآية دليلاً على أن للبنتين الثلثين، لأنّه إذا قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وكان أول العدد ذَكَراً وأنثى، للذكر الثلثان وللأنثى الثلث علم من ذلك أن للبنتين الثلثين، وأعلم الله أن ما فوق البنتين لهن، الثلثان. وحكى الزجاج عمّن قال: ذلك معلوم، بقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾[٣] فجعل للأخت النصف، كما جعل للبنت النصف، ثم قال: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ﴾[٤] فأعطيت البنتان الثلثين، كما

---

١. مواهب الرحمن ٧/ ٣٢٤.
٢. المالكيّ مذهباً.
٣. سورة النساء / ١٧٦.
٤. سورة النساء / ١٧٦.

أعطيت الأختان الثلثين وأعطي جملة الأخوات الثلثين، فكذلك جملة البنات»[١].

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَتۡ﴾ فعل ماض في محلٍّ جزم لانّه فعل الشرط. والضمير المستتر «هي» ترجع إلى الوارثة اسم كان.

﴿وَٰحِدَةً﴾ خبره. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر مقدم محذوف.

﴿ٱلنِّصۡفُ﴾ مبتدأ مؤخر. «الـ» فيه عوض عن المضاف إليه أي: نصف ماترك: والنصف الباقي يقسم كما يقسم الثلث الباقي في الصورة السابقة.

قال الشيخ: «يدلّ على أن فاطمة عليها السلام كانت مستحقة للميراث، لأنه عامٌّ في كلِّ بنت، والخبر المدعي في أنّ الأنبياء لا يورثون خبر واحد، لا يترك له عموم الآية لأنّه معلوم لا يترك بمظنون»[٢].

﴿وَ﴾ عاطفة، في عطف حكم الأبوين على الأولاد دلالة على وحدة طبقتهما.

﴿لِأَبَوَيۡهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿لِكُلِّ﴾ جارٌّ ومجرورٌ بدل من ﴿لِأَبَوَيۡهِ﴾. ﴿وَٰحِدٍ﴾ مضاف إليه.

﴿مِّنۡهُمَا﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿وَٰحِدٍ﴾.

﴿ٱلسُّدُسُ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مِمَّا﴾ حَرْفُ جَرٍّ «من» و «ما» موصولة. متعلَّقان بـ ﴿ٱلسُّدُسُ﴾.

﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿تَرَكَ﴾ المتوفى. ﴿إِن﴾ شرطية.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ، فعل الشرط، وحذف جوابه لما مرّ معناه.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور. خبر مقدم ﴿كَانَ﴾. ﴿وَلَدٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ شرطية. ﴿لَّمۡ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَكُن﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمۡ﴾.

﴿لَّهُۥ﴾ جار ومجرور. خبر مقدم ﴿لَّمۡ يَكُن﴾.

---

١. التبيان ٣/ ١٢٩ و ١٣٠.

٢. التبيان ٣/ ١٣٠.

﴿وَلَدٌ﴾ اسمه المؤخر. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿وَرِثَهُۥٓ﴾ فعل ماض ومفعول به.
﴿أَبَوَاهُ﴾ فاعله ومضاف إليه. أي انحصر الوارث فيهما.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لِأُمِّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر مقدم.
﴿ٱلثُّلُثُ﴾ مبتدأ مؤخر. أي ثلث ماترك. ويظهر أنّ الثلثين الآخرين لأبيه.
﴿فَ﴾ استئنافية.
﴿إِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ يعرب أعراب ﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾. وبيان لصورة الحجب وأن الأخوة تحجب الأُمّ عن الثلث.
﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم لمبتدأ محذوف أي قسمة هذه السهام ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾.
﴿وَصِيَّةٖ﴾ مضاف إليه، قدّم الوَصِيَّةَ للتنبيه على أهمية إِجْرائِها والعمل بها.
﴿يُوصِي﴾ فعل مضارع وفاعله والجملة الفعلية ﴿يُوصِي﴾ في محل جر نعت لـ ﴿وَصِيَّةٖ﴾.
﴿بِهَآ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُوصِي﴾، إشعار إلى أنّ العمل بوصية الميت فيه نوع من الإِكرام والإِحترام له.
﴿أَوۡ﴾ عاطفة وفي مقام الإضراب والترقي.
﴿دَيۡنٍ﴾ معطوف على ﴿وَصِيَّةٖ﴾. ولكن ٱلدَّيۡنَ مقدّم على الوصية وحيث تقديمه واضح قدّم الوصية لِأَهميتها كما مرّ.
﴿ءَابَآؤُكُمۡ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الورثة. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿أَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ معطوفه. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿تَدۡرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
﴿أَيُّهُمۡ﴾ مبتدأ و مضاف إليه. ﴿أَقۡرَبُ﴾ خبره.
﴿لَكُمۡ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَقۡرَبُ﴾.
﴿نَفۡعٗا﴾ تمييز. والجملة الاسمية ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ في محل نصب مفعول به لفعل ﴿تَدۡرُونَ﴾.
﴿فَرِيضَةٗ﴾ مفعول مطلق. لفعل محذوف تقديره: فرض ذلك فرضاً أو خذوا أو

﴿ٱلْزَمُوْا﴾. وتأكيد بأنّ السهام المذكورة فرضة ومفروزة ومعينة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. متعلّق بصفة محذوفة لـ ﴿فَرِيضَةً﴾.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. تأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ واسمها ضمير مستتر فيه. ﴿عَلِيمًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿حَكِيمًا﴾ نعته أو خَبَرٌ ثانٍ لِـ ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية ﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

## الروايات

صحيحة الأحول قال: قال لي ابن أبي العوجاء: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ قال: فذكر بعض أصحابنا لأبي عبدالله عليه السلام فقال: إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة وإنّما ذلك على الرجال ولذلك جعل للمرأة سهماً واحداً وللرجل سهمين.[١]

معتبرة يونس بن عبدالرحمن عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك كيف صار الرجل إذا مات وولده من القرابة سواء ترث النساء نصف ميراث الرجال وهنَّ أضعف من الرجال وأقل حيلة؟ فقال: لِأَنَّ الله عزّ وجلّ فَضَّلَ الرجال على النساء بدرجة ولِأَنَّ النِّساءَ يَرْجِعْنَ عِيالاً على الرجال.[٢]

صحيحة محمّد بن مسلم قال: أقرأني أبو جعفر عليه السلام صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَخَطُّ عليّ عليه السلام بيده فوجدت فيها رجل ترك ابنته وأمّه للإبنة النصف ثلاثة أسهُمٍ وللأمّ السدس سهم، يقسم المال على أربعة أسْهُمٍ فما أصاب ثلاثة أَسْهُمٍ فللإبنة وما أصاب سهماً فهو للأُمّ. قال: وقرأت فيها رجل تَرَكَ ابنته وأباه فللإبنة النصف ثلاثة أَسْهُمٍ وللأب السدس سهم، يقسم المال على أربعة أَسْهُمٍ فما أصاب ثلاثة أسْهُمٍ فللإبنة وما أصاب سهماً فللأُمّ. قال محمّد: ووجدت فيها رجل ترك أبويه وابنته فللإبنة النصف ثلاثة أسْهُمٍ وللأبوين لكلِّ واحد منهما السدس [لكلِّ واحد منهما سهم] يقسم المال على خمسة أسْهُمٍ فما أصاب ثلاثة فللإبنة وما

---

١. الكافي ١٣/ ٥٣٩، ح٣ (٧/ ٨٥).

٢. الكافي ١٣/ ٥٣٧، ح١ (٧/ ٨٤).

أصاب سهمين فللأبوين.[١]

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في رجل مات وترك أبويه قال: للأب سهمان وللأم سهم.[٢]

صحيحة أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا ترك الميت أخوين فهم إخوة مع الميت حجبا الأُمَّ عن الثلث وإن كان واحداً لم يحجب الأُمَّ، وقال: إذا كن أربع أخوات حجبن الأُمّ عن الثلث لأنهنَّ بمنزلة الأخوين وإن كن ثلاثاً لم يحجبن.[٣]

صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تحجب الأمّ من الثلث إذا لم يكن ولد إلا أخوان أو أربع أخوات.[٤]

خبر زرارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا زرارة ما تقول في رجل ترك أبويه وإخوته من أمّه؟ قال: قلت: السدس لأُمّه وما بقي فللأب، فقال: من أين قلت هذا؟ قلت: سمعت الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ فقال: ويحك يا زرارة أولئك الإخوة من الأب فإذا كان الإخوة من الأُمّ لم يحجبوا الأُمّ عن الثلث.[٥]

موثقة عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الاخوة من الأُمّ لا يحجبون الأُمّ عن الثلث.[٦]

صحيحة فضل أبي العباس البقباق، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تحجب الأُمّ عن الثلث إلا أخوان أو أربع أخوات لأب وأم أو لأب.[٧]

معتبرة ثقة من أصحابنا قال: تزوجتُ بالمدينة فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت؟ قلت: ما رأى رجل من خير في امرأة إلّا وقد رأيته فيها ولكن خانتني، فقال: وما هو؟ قلت: ولدت جارية، قال: لعلك كرهتها، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ

---

١. الكافي ١٣/ ٥٦٠، ح١ (٧/ ٩٣).
٢. الكافي ١٣/ ٥٥٣، ح١ (٧/ ٩١).
٣. الكافي ١٣/ ٥٥٦، ح٢ (٧/ ٩٢).
٤. الكافي ١٣/ ٥٥٧، ح٤ (٧/ ٩٢).
٥. الكافي ١٣/ ٥٥٩، ح٧ (٧/ ٩٣).
٦. الكافي ١٣/ ٥٥٨، ح٦ (٧/ ٩٣).
٧. الكافي ١٣/ ٥٥٨، ح٥ (٧/ ٩٢).

لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾.١

عن أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليهما السلام ، قال: إنَّ فاطمة صلوات الله عليها انطلقت إلى أبي بكر فطلبت ميراثها من نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: إنَّ نبيّ الله لا يُورَث، فقالت: أكفرت بالله، وكَذّبت بكتابه، قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾.٢

عن سالمٍ الأَشَلّ، قال: سَمِعْتُ أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى أدخل الوالدين على جميع أهل المواريث، فلم يُنْقِصهما عن السُّدس.٣

عن بُكَيْرِ بْنِ أعْيَنَ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: الولدُ والإخوة هُم الذين يُزدادون ويُنْقَصُون.٤

عن أبي العباس، قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا يَحْجُب عن الثُّلث الأخ والأُخت حتّى يكونا أخوين أو أخاً أو أُختين، فانَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾.٥

عن الفضل بن عبدالملك، قال: سألتُ أباعبدالله عليه السلام عن أُمّ وأُختين، قال عليه السلام : للأُمّ الثُّلُث، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ ولم يَقُل: فإن كان له أخوات.٦

عن زُرارة، عن أبي جعفر عليه السلام ، في قول الله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ يعني إخوةً لأبٍ وأُمّ وإخوةً لأب.٧

عن محمّد بن قيس، قال: سَمِعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول في الدَّين والوَصيّة، فقال عليه السلام : إن الدّين قبل الوَصيَّة، ثمّ الوصيَّة على أثر الدَّين، ثمّ المِيراث، ولا وَصيَّة

---

١. الكافي ١١/ ٣٣٤، ح١ (٦/ ٤).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٤، ح٤٩.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥٠.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥١.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥٢.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥٣.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥٤.

لِوارِث.[١]

عن سالمٍ الأشلّ، قال: سَمِعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أدخل الزوج والمرأة على جميع أهل المواريث، فلم يُنْقِصهما من الرُّبع والثُّمن.[٢]

عن بُكير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لو أنَّ امرأة تَرَكت زوجها وأباها وأولاداً ذكوراً وإناثاً، كان للزوج الرُّبع في كتاب الله، وللأبوين السُّدسان، وما بقي فللّذكر مثل حَظّ الأُنثيين.[٣]

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوّل شيءٍ يبدأ به من المال الكفن ثمّ الدَّين ثمّ الوصية ثمّ الميراث.[٤]

**رواها الشيخ في التهذيب[٥] بسنده المعتبر.**

صحيحة محمّد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الدين قبل الوصية ثمّ الوصية على أثر الدين ثمّ الميراث بعد الوصية، فإنّ أُولى القضاء كتاب الله عزّ وجلّ.[٦]

مرسلة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال في امرأة توفيت وتركت زوجها وأمّها وأباها وإخوتها قال: هي من ستة أسهم للزوج النصف ثلاثة أسهم وللأب الثلث سهمان وللأُمِّ السدس، وليس للاخوة شيء نقصوا الأُمّ وزادوا الأب؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾.[٧]

صحيحة إسماعيل بن عبدالرحمن الجُعْفِيّ عن أبي جعفر عليه السلام في زوج وأبوين قال: للزوج النصف وللأم الثلث وما بقي فللأب.[٨]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٧٥، ح٥٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٦، ح٥٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٦، ح٥٧.
٤. الفقيه ٤/ ١٩٣، ح٥٤٣٧.
٥. التهذيب ٩/ ١٧١، ح٤٤.
٦. الفقيه ٤/ ١٩٣، ح٥٤٣٨.
٧. التهذيب ٩/ ٢٨٣، ح١١.
٨. التهذيب ٩/ ٢٨٤، ح٢.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

تبيّن الآية الشريفة إِرْثَ الزوج والزوجة وأنّهما يرثان من الآخر مع جميع طبقات الإرث.

قال الشيخ: «لا خلاف أنّ للزوج نصف ما تترك الزوجة إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع أيضاً بلا خلاف سواء كان الولد منه أو من غيره، وإن كان ولد لا يرث لكونه مملوكاً، أو كافراً، أو قاتلاً، فلا يحجب الزوج من النصف إلى الربع، ووجوه كعدمه. وكذلك حكم الزوجة، لها الربع إذا لم يكن للزوج ولد، على ما قلناه في الزوجة سواء، فإن كان له ولد، كان لها الثمن، وما تستحقه الزوجة إن كانت واحدة فهو لها، وإن كن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهنّ أكثر من ذلك بلا خلاف، ولا يستحق الزوج أقل من الربع في حال من الأحوال، ولا الزوجة أقل من الثمن على وجه من الوجوه، ولا يدخل عليهما النقصان»[١].

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم، والضمير الخطاب يرجع إلى الأزواج الذكور.

﴿نِصْفُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿مَا﴾ موصولة في محل جرّ بالإضافة.

---

١. التبيان ٣/ ١٣٤.

﴿تَرَكَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿أَزْوَاجُكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾ حرف شرط وجزم وقلب.

﴿يَكُن﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾. فعل الشرط، وحذف جواب الشرط لتقدّم معناه.

﴿لَّهُنَّ﴾ جار ومجرور، خبر كان مقدم، أي للزوجات.

﴿وَلَدٌ﴾ اسم كان مؤخر، أي منهنّ بلا فرق بين أن يكون من هذا الزوج أو من غيره. وبلا فرق بين الذكور والأُناث.

﴿فَ﴾ اسْتِئْنافِيَّة. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة. فعل الشرط في محلٍّ جزم.

﴿لَهُنَّ﴾ جار ومجرور، خبر كان مقدم، أي للزوجات.

﴿وَلَدٌ﴾ اسم كان مؤخر، من الذكور أو الأُناث ومن هذا الزوج أو من غيره. لكن بشرط أن يكون وارثاً لها فلا يكون كافراً أو قاتلاً أو من الزنا لأنّهم لا يرثون من المورِّث المسلم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَكُمُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، أي للأزواج الذكور.

﴿ٱلرُّبُعُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية ﴿لَكُمُ ٱلرُّبُعُ﴾ جواب شرط في محلّ جزم.

﴿مِمَّا﴾ «مِنْ» حرف جر و «ما» اسم موصول. أو مصدرية.

﴿تَرَكْنَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير المفعولي محذوف. «تركنه» يرجع إلى ﴿مَّا﴾ موصولة. أو ﴿مَّا﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جر بـ «مِنْ». وتقديره: من التركة.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره: التقسيم.

﴿وَصِيَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿يُوصِينَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِهَآ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُوصِينَ﴾. والجملة الفعلية ﴿يُوصِينَ بِهَآ﴾ في محل جر نعت لـ ﴿وَصِيَّةٍ﴾.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿دَيْنٍ﴾ معطوف على ﴿وَصِيَّةٍ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُنَّ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، أي للزوجات، التفات من الخطاب إلى الغياب لعلّ للإرشاد إلى تستر النساء.

﴿ٱلرُّبُعُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور.

﴿تَرَكْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الأزواج الذكور.

﴿إِن﴾ حَرْفُ شَرْطٍ جازم. ﴿لَّمْ﴾ حرف شرط وجزم وقلب.

﴿يَكُن﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف لتقدّم معناه.

﴿لَّكُمْ﴾ جار ومجرور. خبر كان مقدم. أي للأزواج الذكور.

﴿وَلَدٌ﴾ اسم كان مؤخر. أي منكم ومن أصلابكم بلا فرق بين أن يكون من هذه الزوجة الوارثة أو من غيرها.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ من الأفعال الناقصة. فعل الشرط في محل جزم.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر كان مقدم. أي للأزواج الذكور.

﴿وَلَدٌ﴾ اسم كان مؤخر. من الذكور أو الأناث من هذه الزوجة أو من غيرها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَهُنَّ﴾ جار ومجرور. خبر مقدم. أي للزوجات.

﴿ٱلثُّمُنُ﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة الاسمية ﴿لَهُنَّ ٱلثُّمُنُ﴾ جواب شرط في محلّ جزم.

﴿مِمَّا﴾ مرّ اعرابه.

﴿تَرَكْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير المفعولي محذوف كما مرّ في ﴿تَرَكْنَ﴾.

﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾ مَرَّ إعرابه. ﴿وَصِيَّةٍ﴾ مضاف إليه.

﴿تُوصُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ مَرَّ إعرابه.

﴿وَ﴾ عاطفة، من هنا بيان لبعض أحكام الطبقة الثانية وهم الإخوة والأجداد.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص. فعل الشرط في محل جزم. أو ﴿كَانَ﴾ تامة.

﴿رَجُلٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. وفي فرض تمامية ﴿كَانَ﴾ ﴿رَجُلٌ﴾ يكون فاعله.

﴿يُورَثُ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر. خبر كان في محل نصب. أو نعت لـ ﴿رَجُلٌ﴾ في محل رفع على فرض تمامية ﴿كَانَ﴾.

﴿كَلَٰلَةً﴾ حالاً من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾. ﴿كَلَٰلَةً﴾ مصدرٌ من كلّ يكلّ ومعناه الإِحاطة. ومنه الإكليل وهو التاج لإحاطته بالرأس.

قال الشيخ: «وعندنا أنّ الكلالة هم الإِخْوَةُ[1] والأَخوات، فمن ذكر في هذه الآية هو من كان من قِبَلِ الأُمّ، ومن ذكر في آخر السورة فهو من قِبَلِ الأب والأُمِّ، أو من قبل الأب»[2].

﴿أَوِ﴾ عاطفة. ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ معطوفة على ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، والضمير يرجع إلى ﴿رَجُلٌ﴾ اكتفاء به عن ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾ لاشتراكهما في الحكم.

﴿أَخٌ﴾ مبتدأ مؤخر، فقط. ﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿أُخْتٌ﴾ معطوفة على ﴿أَخٌ﴾. فقط.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جواب الشرط في محلِّ جزم.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿وَٰحِدٍ﴾ مضاف إليه.

﴿مِّنْهُمَا﴾ جار ومجرور. متعلّق بصفة محذوفة من ﴿وَٰحِدٍ﴾.

﴿ٱلسُّدُسُ﴾ مبتدأ مؤخر. أي الأخ الواحد أو الأُخت الواحدة فله أو لها السدس.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿إِن﴾ شرطية.

﴿كَانُوٓاْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه. فعل الشرط. ﴿أَكْثَرَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿مِن ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَكْثَرَ﴾. أي أكثر من أَخٍ واحدٍ أو أُختٍ واحدة. أي أخوين فَصاعِداً أو أُخْتَيْنِ كذلك أَوْ هُما معاً.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. وما بعدها جواب الشرط.

---

١. ٱلإِخْوَةُ: بِضَمِّ ٱلْهَمْزَةِ وَكَسْرِها.
٢. التبيان ٣/ ١٣٥.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿شُرَكَآءُ﴾ خبره.

﴿فِي ٱلثُّلُثِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿شُرَكَآءُ﴾. أي يقتسمون ثلث ماترك بينهم بالسوية من دون تفاضل بين الذكر والأُنثى.

ولفظ ﴿كَلَٰلَةً﴾ و ﴿أَخٌ﴾ و ﴿أُخْتٌ﴾ وإن تشمل الإِخوة من طرف الأُمّ ومن طرف الأبوين ومن طرف الأب ولكن اشتراكهم في الثلث يدلّ على أنّ المراد كلالة الأُمّ فقط لإجماع المسلمين على ذلك ويشهد له الجمع بين هذه الآية وما ورد في آخر هذه السورة[1]. كما مرّ كلام الشيخ آنفاً.

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ مرَّ إعرابها. ﴿يُوصَىٰ﴾ فعل مضارع مجهول نائب فاعله ضمير مستتر.

﴿غَيْرَ﴾ حال من ﴿وَصِيَّةٍ﴾.

﴿مُضَآرٍّ﴾ مضاف إليه. المُضارَّة: هِيَ الإِضرار. وهُوَ يجري بالنسبة إلى الوصية. ويمكن جريانه بالنسبة إلى الدَّيْن أيضاً نحو عكس المعاملات المحاباتية بأنّ يشتري شيئاً بأضعاف قيمته ويَصير مَدْيُوْناً بالبائع.

﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: يوصيكم بذلك.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة للتعظيم من ﴿وَصِيَّةً﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ خبران له.

## الروايات

معتبرة بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: امرأة تركت زوجها و إخوتها لأُمّها وإخوتها وأخواتها لأبيها فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم وللأُخوة من الأُمّ الثلث الذكر والأنثى فيه سواء وبقي سهم فهو للأُخوة والأخوات من الأب للذكر مثل حظ الأنثيين لأنّ السهام لا تعول ولا ينقص الزوج من النصف ولا الإِخوة من الأُمّ من ثلثهم؛ لِأَنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ وإن كانت واحدة فلها السدس والذي عنى الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَإِن

---

١. سورة النساء / ١٧٦.

كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ إنّما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأُمّ خاصة، قال في آخر سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾[1] (يعني أختا لام وأب أو أختا لأب) ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[2] فهم الذين يزادون وينقصون وكذلك أولادهم الذين يزادون وينقصون ولو أن امرأة تركت زوجها وإخوتها لأمها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم وللاخوة من الام سهمان وبقي سهم فهو للأختين للأب وإن كانت واحدة فهو لها لان الأختين لأب لو كانتا أخوين لأب لم يزادا على ما بقي ولو كانت واحدة أو كان مكان الواحدة أخ لم يزد على ما بقي ولا يزاد أنثى من الأخوات ولا من الولد على ما لو كان ذكرا لم يزد عليه.[3]

صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما تقول في امرأة ماتت وتركت زوجها وإخوتها لأمها وإخوة وأخوات لأبيها؟ فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم ولاخوتها لامها الثلث سهمان الذكر والأنثى فيه سواء، وبقي سهم فهو للاخوة والأخوات من الأب للذكر مثل حظ الأنثيين لان السهام لا تعول وإن الزوج لا ينقص من النصف ولا الاخوة من الام من ثلثهم لان الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ وإن كان واحداً فله السدس وإنما عنى الله في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ إنما عنى بذلك الأُخوة والأخوات من الام خاصة، وقال: في آخر سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾[4] (يعني بذلك أُختاً لأب وأم أو أُختاً لأب) ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن

---

١. سورة النساء / ١٧٦.
٢. سورة النساء / ١٧٦.
٣. الكافي ١٣ / ٥٧٩، ح٤ (٧/ ١٠١).
٤. سورة النساء / ١٧٦.

لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[1] وهم الذين يزادون وينقصون قال: ولو أن امرأة تركت زوجها وأختيها لامها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم ولأختيها لامها الثلث سهمان ولأختيها لأبيها السدس سهم وإن كانت واحدة فهو لها لان الأختين من الأب لا يزادون على ما بقي ولو كان أخ لأب لم يزد على ما بقي.[2]

عن بُكير بن أَعْيَن، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: الذي عنى الله في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ إنّما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأُمّ خاصّة.[3]

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: ما تقول في امرأةٍ ماتت وتركت زوجها وإخوتها لأُمّها، وإخوة وأخوات لأبيها؟ قال: للّزوج النصف ثَلاثة أسْهُم، ولإخوتها من الأُمّ الثُّلث سَهْمان، الذكر والأُنثى فيه سَواء، وبقي سَهْمٌ للإخوة والأخوات من الأب، للذكر مثل حظّ الأُنثيين، لأنّ السّهام لا تَعُول[4]، ولأنّ الزَّوج لا ينقص من النِّصف، ولا الإخوة من الأُمّ من ثُلُثهم، فإن كانوا أكثر من ذلك، فهم شُركاء في الثُّلُث، وإن كان واحِداً فله السُّدس، وأمّا الذي عنى الله تعالى في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ إنّما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأُمّ خاصّة.[5]

---

١. سورة النساء / ١٧٦.
٢. الكافي ١٣/ ٥٨٤، ح٦ (٧/ ١٠٣).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٦، ح٥٨.
٤. عالَت الفَريضة: إذا ارتفعت وزادت سِهامها على أصل حِسابها الحاصِل عن عدد وارثيها.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٧٦، ح٥٩.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾

في هذه الآية المُبارَكَة تنبيهٌ لأهمية ما بيّنه الله تعالى في أموال اليتامى والمواريث والفرائض وغيرهما وتحريض للعمل على طبقها وبيان في أنّ الطاعة هو العمل بحدود الله تعالى.

﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة للبعيد، مبتدأ. أتي بها للتعظيم. إشارة إلى ما بيّنها في أموال اليتامى والميراث.

﴿حُدُودُ﴾ خبره. جمع حدّ: وهو الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ويوجب التمايز بينهما. الحد: الفصل والمنع.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. إضافة تشريفية.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ.

﴿يُطِعِ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿مَن﴾ وفاعله ضمير مستتر، فعل الشرط. الإطاعة هنا هو العمل بأحكام الله تعالى.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَسُولَهُۥ﴾ معطوف ومضاف إليه.

﴿يُدْخِلْهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى ومفعول به أوّل جواب الشرط. وجزاء الإطاعة والعمل بأحكام الله تعالى هو الدخول في الجنة.

﴿جَنَّٰتٍ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿تَجْرِى﴾ فعل مضارع.

﴿مِن﴾ جار ﴿تَحْتِهَا﴾ مجروره ومضاف إليه.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فاعله. والجملة الفعلية ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في محلِّ نصب نعت لـ ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿يُدْخِلْهُ﴾. أتى بصيغة الجمع لأنّ ﴿مِن﴾ مفردة لفظاً مجموعَةٌ مَعْنىً. ومعناهُ: كَوْنُهُمْ دائِمِيْنَ، وإشارة بأن إحدى اللذات الواردة في الجنة هي اجتماع المؤمنين واستيناسهم معاً.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم اشارة للبعيد، مبتدأ. إشارة إلى دخول الجنة.

﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الفوز ومجموعه خبر لمبتدأ ﴿ذَٰلِكَ﴾.

الفوز: الفلاح والظفر الكبير.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ نعت ﴿ٱلْفَوْزُ﴾. عظيم بالنسبة إلى مَنْفَعةِ حِيازَةِ التَّرِكَةِ وعدم إعطاءِ سهم الورثة.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

بيانٌ في أنّ المناط في عصيان الله هو التعدي عن حدود الله وأحكامه.

﴿وَ﴾ عاطفة تعطف ﴿مَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ على ﴿مَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ.

﴿يَعْصِ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط. والعصيان هنا عدم إجراء أحكام الله وعدم مراعاة حدوده.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَسُولَهُۥ﴾ معطوف ومفعول به ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَتَعَدَّ﴾ فعل مضارع وفاعله. معطوف على ﴿يَعْصِ﴾ وتفسير له.

﴿حُدُودَهُۥ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وأحكامه وفرائضه وقوانينه.

﴿يُدْخِلْهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أوّل. جواب شرط.

﴿نَارًا﴾ مفعول به ثانٍ.

﴿خَٰلِدًا﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿يُدْخِلْهُ﴾. وأتى بصيغة المفرد لِكَوْنِ الوحدة والإفراد من عذاب النار.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَالِدًا﴾. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور خبر مقدم أو متعلّق بخبر مقدم محذوف. أي للعاصي والْمُتَعَدِّي لِحُدُوْدِ الله تعالى.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مُّهِينٌ﴾ نعته. أي عذاب مقرون باستخفاف وإهانة.

**تنبيهٌ: لا تدلّ الآية الشريفة على خلود أصحاب الكبائر في النار خلافاً للمعتزلة**

قال الشيخ: «واستدلت المعتزلة بهذه الآية على أن فاسق أهل الصلاة مخلد في النار، ومعاقب لا محالة، وهذا لا دلالة لهم فيه من وجوه، لأنّ قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ إشارة إلى من يتعدى جميع حدود الله، ومن كان كذلك فعندنا يكون كافراً، وأيضاً فلا خلاف أنّ الآية مخصوصة بصاحب الصغيرة، وإن كان فعل المعصية، وتعدى حَدّاً فإنّه خارج منها، فان جاز لهم إخراج الصغيرة منها لدليل، جاز لنا أن نخرج من يتفضَّل الله عليه بالعفو، أو يشفع فيه النبي ﷺ. وأيضاً فإن التائب لابد من إخراجه من هذه الآية لقيام الدلالة على وجوب قبول التوبة، فكذلك يجب أن يشترط من يتفضَّل الله باسقاط عقابه، فإن قالوا: قبول التوبة واجب، والعفو ليس بواجب، قلنا: قبول التوبة واجب إذا حصلت، وكذلك سقوط العقاب واجب إذا حصل العفو، فان قالوا: يجوز أن لا يختار الله العفو، قلنا: وكذلك يجوز ألا يختار العاصي التوبة، فَإِنْ جعلوا الآية دالة على أن الله لا يختار العفو، جاز لغيرهم أن يجعل الآية دالة على أن العاصي لا يختار التوبة، على أن هذه الآية معارضة بآيات كثيرة، في وقوع العفو، كقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] على ما سنبينه فيما بعد. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[2] وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[3] فان شرطوا في آياتنا التوبة، شرطنا في آياتهم ارتفاع العفو، والكلام في ذلك مستقصى في الوعيد، لا نُطَوِّل بذكره هذا الكتاب. ويمكن ـ مع تسليم ذلك ـ أن تحمل الآية على من يتعدى الحدود مُسْتَحِلاً لها، فإنّه

---

١. سورة النساء / ٤٨ و ١١٦.
٢. سورة الزمر / ٥٣.
٣. سورة الرعد / ٦.

يكون كافراً، ويتناوله الوعيد، على أن عند كثير من المرجئة العموم لا صيغة له، فمن أين ان «من» يفيد جميع العصاة؟ وما المنكر أن تكون الآية مختصة بالكفار!!»[١].

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾

نهت الآية الشريفة عن الفحشاء وَغَلَّظَتْ على مَنْ يأتيها، لأنّ فيها إفساد النسل والمجتمع الإنساني.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿ٱلَّٰتِي﴾ اسم موصول، مبتدأ، جمع مؤنث «التي» اسم مبهم للمؤنث.

﴿يَأۡتِينَ﴾ فعل مضارع وفاعله، صلة الموصول. أتاه وأتىبه أي فعله. فالإتيان: المجيء يكنّىٰ به عن الفعل.

﴿ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ مفعول به. اسم لكلِّ قبيح بل لكلِّ ما اشتدّ قبحه من المعاصي، والمراد به هنا الزِّنا وإن أُطْلِقَتْ في القرآن الكريم على اللواط والسحق في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلَّق بحال محذوفة من ﴿ٱلَّٰتِي﴾.

و ﴿مِن﴾ بياني. والتقدير: حال كونهنّ ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾.

﴿فَ﴾ زائدة. ﴿ٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾ فعل أمر وفاعله، خبر مبتدأ ﴿ٱلَّٰتِي﴾.

﴿عَلَيۡهِنَّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾.

﴿أَرۡبَعَةٗ﴾ مفعول به.

﴿مِّنكُمۡ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿أَرۡبَعَةٗ﴾. أي ﴿أَرۡبَعَةٗ﴾ من عدول رجال المسلمين دون غيرهم. شهادة الأربع مختصة بثبوت الزنا واللواط

---

١. التبيان ٣/ ١٤٠ و ١٤١.

٢. سورة العنكبوت / ٢٨.

والسحق.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفريعية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿شَهِدُواْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. في محلِّ جزم فعل الشرط، أي أربعة رجال.

﴿فَ﴾ الواردة في جواب الشرط.

﴿أَمْسِكُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به في محلِّ جزم جواب الشرط. الإمساك هنا هو الحبس.

﴿فِي ٱلْبُيُوتِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَمْسِكُوهُنَّ﴾.

﴿حَتَّىٰ﴾ حرف نصب وَرَدَ لِلْغايَة.

﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ ومفعول به.

﴿ٱلْمَوْتُ﴾ فاعله. أي: الحبس مادام الحياة في البيت لا في المحبس.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف. ﴿يَجْعَلَ﴾ فعل مضارع منصوب معطوف على ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَهُنَّ﴾ جار ومجرور متعلّق بحال مقدمة من ﴿سَبِيلاً﴾.

﴿سَبِيلاً﴾ مفعول به. أي طريقاً إلى التخلص من الحبس والمراد بالسبيل هنا بالنسبة إلى غير المحصن الجلد الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[1]. وبالنسبة إلى المحصن الرجم الذي قال الشيخ في شأنه: «وثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر على وجه لا يختلج فيه شك وعليه إجماع الطائفة بل إجماع الأُمة ولم يخالف فيه إلّا الخوارج وهم لا يعتدُّ بخلافهم»[2].

فالآية الشريفة منسوخة بالجلد والرجم.

**الروايات**

في خبر محمّد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام: ... وسورة النور أُنزلت بعد سورة النساء وتصديق ذلك أن الله عزّ وجلّ أنزل عليه في سورة النساء ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ والسبيل الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا

---

١. سورة النور / ٢.

٢. التبيان ٣/ ١٤٢.

وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].[٢]

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ إلى: ﴿سَبِيلاً﴾، قال عليه السلام: منسوخة، والسبيل هو الحدود.[٣]

قال الشيخ: «إنّ هذا الحكم [أي الحبس] مَنْسُوْخٌ وَهُوَ ٱلْمَرْوِيُّ عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام»[٤].

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ٱلَّذَانِ﴾ تثنية «الذي»، اسم موصول، مبتدأ.

﴿يَأْتِيَٰنِهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. صلة الموصول. أي: يفعلانها، والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾. أي المرأة والرجل ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾ بالزنا.

﴿مِنكُمْ﴾ جار ومجرور. أي من المسلمين. ﴿فَ﴾ زائدة.

﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. خبر مبتدأ ﴿ٱلَّذَانِ﴾، ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالحدِّ الشرعي الوارد في الزنا وهو الجلد والرجم كما مرّ في الآية السابقة لا غيرهما.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ شرطية.

﴿تَابَا﴾ فِعْلٌ ماض وفاعله في محلِّ جزم فعل الشرط. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلَحَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، معطوفة على ﴿تَابَا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

---

١. سورة النور / ١ و ٢.
٢. الكافي ٣/ ٨٨، ح١ (٢/ ٣٣).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٧، ح٦٠.
٤. التبيان ٣/ ١٤٣.

﴿أَعْرِضُواْ﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. أي اصفحوا وكفّوا عن ايذائهما بعد تحقق التوبة يعني تسقط العقوبة الأُخروية والحدّ الشرعي عنهما بعد التوبة.

﴿عَنْهُمَآ﴾ جار ومجرور. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه ضمير مستتر فيه.

﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية ﴿كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. أي: التوبة والرحمة ثابتتان من الله تعالى لعباده.

وورد نظيرها في سورة النحل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

**روايتان**

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ إلى ﴿سَبِيلاً﴾[قال]: هذه منسوخة، قال: قلت: كيف كانت؟ قال: كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود أدخلت بيتاً ولم تُحَدَّثْ ولم تُكَلَّمْ ولم تُجالَسْ وأوتيت فيه بطعامها وشرابها حتّى تموت، قلت: فقوله ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٢]. قال: جعل السبيل الجلد والرجم والإمساك في البيوت، قال: قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾؟ قال: يعنى البكر إذا أتت الفاحشة التي أتتها هذه الثيب ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ قال تحبس، ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.[٣]

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: السحاق زناء النساء بينهنّ ومباشرة الرجل للرجل زناء مباشرة المرأة للمرأة زناء.[٤]

---

١. سورة النحل / ١١٩.
٢. سورة النساء / ١٥.
٣. تفسير العياشي ١ / ٣٧٧ ح٦١.
٤. التبيان ٣ / ١٤٤.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

وردت في هذه الآية وما بعدها حقيقة التوبة وحكمها وأنّها تسقط العقوبة الأُخروية والحدَّ الشرعيّ.

﴿إِنَّمَا﴾ كافّة مَكْفُوْفَة، أداة حصر.

﴿ٱلتَّوْبَةُ﴾ مبتدأ. التوبة هي الرجوع، وفي الاصطلاح هي «الندم على القبيح مع العزم أن لا يعود إلى مثله في القبح»[١].

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بالتوبة لجهة التعظيم. أي: على ذمّة الله وعهده تعالى ووعده سبحانه بقبولها ومغفرة التائب.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور. خبر. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ مفعول به. وهو العمل القبيح من المعصية أو الكفر أعاذنا الله منهما.

﴿بِ﴾ حرف جر. للسببية.

﴿جَهَـٰلَةٍ﴾ حال من فاعله ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: جاهلين. وهي كلّ فعل لا ينبغي صدوره عن العاقل ٱلْمُتَوَجِّهِ إلى نفسه والعارف بما فيه صلاحه.

وبعبارة أُخرى: الجهالة هي إِتيانُ العمل عن الهوى وفوران الشهوة أو الغضب من غير عناد مع الحق.[٢]

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة جاءت للترتيب.

﴿يَتُوبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. معطوف على ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مِن قَرِيبٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَتُوبُونَ﴾. ﴿مِن﴾ للتبعيض. أي ﴿يَتُوبُونَ﴾ بعض زمان ﴿قَرِيبٍ﴾ يعني ﴿قَرِيبٍ﴾ بالمعصية وعقيبها. ولكن الظاهر أنّ المراد بالـ ﴿قَرِيبٍ﴾ هو الموت لأنّه قريبٌ من الإنسان وأنّها مقبولة قبل ٱلتَّيَقُّنِ بالموت.

---

١. التبيان ٣/ ١٤٥.
٢. كما عن الميزان ٤/ ٢٣٩.

﴿وَ﴾ تعليلية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة للبعيد ـ جاءَ لِلرِّفْعَةِ والتعظيم ـ يرجع إلى الذين ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾. مبتدأ.

﴿يَتُوبُ﴾ فعل مضارعٌ، وتوبة الله هي قبول توبة العبد.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. والجملة الفعلية ﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ خبره.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿يَتُوبُ﴾، أي على ٱلتَّوَّابِيْن.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾ اسمه.

﴿عَلِيمًا﴾ خبره، اشارة إلى أنّ فتح باب التوبة على العباد لعلمه تعالى بحالهم وجهالتهم وفوران شهوتهم.

﴿حَكِيمًا﴾ خبر ثان. ولحكمته تعالى «المقتضية لوضع ما يحتاج إليه اتقان النظام واصلاح الأمور»[١].

## الروايات

صحيحة جميل بن دَرّاج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا بلغت النفس ههنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾.[٢]

**وفي رواية أُخرى بدل الآية، «وكانت للجاهل توبة»[٣].**

عن أبي عمرو الزُّبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٤].

قال: لهذه الآية تفسيرٌ، يَدُلُّ ذلك التفسير على أنَّ الله لا يَقْبَل من عمل عملاً إلّا ممَّن لقيه بالوفاء منه بذلك التفسير، وما اشترط فيه على المؤمنين، وقال ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: يعني كلّ ذنبٍ عَمِله العبد، وإن كان به عالماً،

---

١. الميزان ٤/ ٢٤٢.
٢. الكافي ١/ ١١٦، ح٣ (١/ ٤٧).
٣. الكافي ٤/ ٢٤٢، ح٣ (٢/ ٤٤٠).
٤. سورة طه/ ٨٢.

فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لإخوته: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾[١] فنسبهم إلى الجَهْل لمُخَاطرتهم بأنفسهم في معصية الله.[٢]

السيّد الشريف الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه قال: من أعطى أربعاً، من أُعطيَ الدّعاء لم يحرم الإجابة. ومن أُعطيَ التّوبة لم يحرم القبول. ومن أُعطيَ الإستغفار لم يحرم المغفرة. ومن أُعطيَ الشّكر لم يُحْرَم الزّيادة. وتصديق ذلك في القرآن قال الله تعالى في الدّعاء: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٣] وقال تعالى في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٤] وقال تعالى في الشّكر: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[٥] وقال تعالى في التّوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[٦].[٧]

في تفسير الثعلبي عن زيد بن أسلم عن عبدالرحمن [السلماني] قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أَحَدُهُمْ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم».

قال الثاني: وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله عزّ وجلّ يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم».

قال الثالث: وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله عزّ وجلّ يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة».

فقال الرابع: وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله عزّ وجلّ يقبل توبة العبد ما

---

١. سورة يوسف / ٨٩.
٢. تفسير العياشي ١ / ٣٧٧، ح٦٢.
٣. سورة غافر / ٦٠.
٤. سورة النساء / ١١٠.
٥. سورة إبراهيم / ٧.
٦. سورة النساء / ١٧.
٧. خصائص الأئمة / ١٠٣.

لم يغرغر بنفسه»[١].

خالد بن [سعدان] عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه» ثمّ قال: «إنَّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه» ثمّ قال: «إنَّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه» ثمّ قال: «إنَّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه» ثمّ قال: «إنَّ الساعة لكثير، من تاب قبل موته قبل أن يُغرغر بها تاب الله عليه»[٢].

**روىٰ الكليني نحو ما رواه عبادة بن الصامت في الكافي[٣].**

المسيب بن شريك عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لما هبط إبليس قال وعزّتك وعظمتك لا أُفارق ابن آدم حتّى يفارق روحه جسده فقال الله ﷻ: وعزّتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتّى يغرغر»[٤].

وعن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخُدْرِيّ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الشيطان قال وعزّتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامَتْ أرواحُهُمْ في أَجْسادِهِمْ، قال الربّ تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروا لي».[٥]

**للروايات الواردة حول «التوبة» راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت[٦] عليهم السلام.**

---

١. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٤.
٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٤.
٣. الكافي ٤/ ٢٤٢، ح٢، (٢/ ٤٤٠).
٤. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٤.
٥. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٢٧٤.
٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ (٢٨٤-٢٥٧).

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾

ذكر الله تعالى أنّ توبة طائفة واحدة تردّ وهم الكفار. وتوبة طائفة أُخرى لا تَكُوْنُ مقبولَةً إِلّا إذا شاء اللهُ. والاسْتِثْناءُ مُسْتَفادٌ من الروايات.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَيْسَتِ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص مؤنث.

﴿ٱلتَّوْبَةُ﴾ اسمها، أي التوبة المقبولة التي وعد الله تعالى قبولها ومحي السيئات بها.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿لَيْسَتِ﴾ المحذوف.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مفعول به. جمع محلّى بـ «ال» يدلّ على العموم. بأنّهم ﴿يَعْمَلُونَ﴾ المعاصي الكثيرة ويستمرون على فعلها ويصرّون على تكرارها. بلا فرق بين أن يكون من أنواع مختلفة أو من نوع واحد لأنّ التكرار يوجب التعدد.[1]

﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية لورودها قبل ﴿إِذَا﴾.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان لما يستقبل متضمن لمعني الشرط. ﴿حَضَرَ﴾ فعل ماض.

﴿أَحَدَهُمُ﴾ مفعول به مقدّم ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ٱ ﴿لَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

﴿ٱلْمَوْتُ﴾ فاعله. لأنّهم ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾[2].

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. جواب شرط غير جازم.

﴿إِنِّى﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه.

﴿تُبْتُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. في محل رفع خبر «إنّ».

---

١. راجع مواهب الرحمن ٧/ ٣٨٥.
٢. سورة الأنعام / ٢٨.

﴿ٱلۡـَٰٔنَ﴾ ظرف زمان. أي بعد حضور الموت ومعاينتهم إيّاه.

ولكنَّ الرَّواياتِ تَدُلُّ على أنّ توبةَ هؤلاء تَضَعُهُمْ في مسيررحمة الله تعالى وَطَرِيقِ لُطْفِهِ وَإِحْسانِه إِنْ شاء الله عَفا عَنْهُمْ وإن شاء عذّبهم ورحمة الله واسعة وعفوه عميم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية، تأكيد لمعنى النفي الوارد في ﴿لَيۡسَتِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿يَمُوتُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر.

﴿وَ﴾ حالية. وجملة ﴿هُمۡ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿هُمۡ﴾ مبتدأ.

﴿كُفَّارٌ﴾ خبره. توبة الكافر مردودة كما وردت في سورتي البقرة[1] وآل عمران[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إِشارة للبعيد يدلّ على بعدهم من ساحة القرب والتشريف. مبتدأ.

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. خبر. أي أعدنا. الاعتاد: الإعداد.

﴿لَهُمۡ﴾ جار و مجرور. ﴿عَذَابًا﴾ مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾ نعته. أي مؤلِماً.

قال في الميزان: «إنّ المراد بالآيتين (١٧ و ١٨) بيان حال توبة الله سبحانه لعباده ـ بمعنى الرجوع بالمغفرة والرحمة ـ لا بيان حال توبة العبد إلى الله إلّا بالتبع»[3].

## الروايات

معتبرة بكير عن أبي عبدالله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام، قالَ: «إِنَّ آدَمَ عليه السلام قالَ: يَا رَبِّ، سَلَّطْتَ عَلَيَّ الشَّيْطَانَ، وَأَجْرَيْتَهُ مِنِّي مَجْرَى الدَّم، فَاجْعَلْ لِي شَيْئاً، فَقَالَ: يَا آدَمُ، جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مَنْ هَمَّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ؛ وَمَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِحَسَنَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً: قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سَيِّئَةً، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ؛ قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ ـ أَوْ قَالَ: بَسَطْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ ـ حَتّىٰ تَبْلُغَ

---

١. سورة البقرة / ١٦١.
٢. سورة آل عمران / ٩١.
٣. الميزان ٤ / ٢٤٣.

النَّفْسُ هٰذِهِ؛ قَالَ: يَا رَبِّ، حَسْبِي».[١]

عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، قال: هو الفَرّار تاب حين لم يَنْفَعه التوبة ولم تُقبل منه.[٢]

عن زُرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إذا بلغت النفس هذه ـ وأهوى بيده إلى حَنْجَرته ـ لم يَكُن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة.[٣]

**رواه الكليني بسنده الصحيح في الكافي[٤].**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

شأن نزولها: «قيل: نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده، لا حاجة له إليها، وينتظر موتها حتّى يرثها، عن الزُّهْرِيّ، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام»[٥].

﴿يَـٰٓ﴾ حرف نداء. ﴿أَيُّهَا﴾ «أيُّ» اسم منادى، «ها» حرف تنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول بدل من «أي» أو عطف بيان.

﴿ءَامَنُوا۟﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. صلة الموصول. خطاب للمؤمنين حتّى تركوا السنة الجاهلية.

﴿لَا يَحِلُّ﴾ فعل مضارع منفي بـ ﴿لَا﴾ نافية. أي: يحرم عليكم.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿لَا يَحِلُّ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين.

---

١. الكافي ٤/ ٢٤١، ح١ (٢/ ٤٤٠).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٨، ح٦٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٧٨، ح٦٤.
٤. الكافي ٤/ ٢٤٢، ح٣، (٢/ ٤٤٠). إلّا أنّ فيه بدل «حنجرته»: «حلقه».
٥. مجمع البيان ٣/ ٢٤.

﴿أن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَرِثُواْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. و ﴿أن﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ رفع فاعل ﴿لَا يَحِلُّ﴾ والتقدير: لا يحلّ لكم إرث.

﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ مفعول به.

﴿كَرْهًا﴾ حال أو مفعول لأجله أو نائب عن المفعول المطلق. والتوارث الكرهي من النساء يتصور على وجوه ثلاثة:

«الأوّل: أن يستوهب منها المال الذي يصل من المورث بالإكراه، بأن تحرم من تركتها فيستقلّ الوارث بتمام التركة دونها.

الثاني: أن يؤخذ نفس النساء كسائر الأموال وهنَّ مكرهات على ذلك، أو أنّهن يكرهن ذلك.

الثالث: أن يستكرهها أحد الوُرّاث على أن تهب له مهرها من النكاح الآتي، وغير ذلك من الحيل الإكراهيّة.

وعلى أي حال، يكون القيد ﴿كَرْهًا﴾ لبيان الواقع الذي كان في الجاهليّة، فتكون الآية في مقام الرَّدْع عن تلك العادة السيّئة، وحينئذٍ لا معنى للنزاع في أنّ هذا القيد هو قيد توضيحي أَو ٱحترازي[1]، ويستفاد من إضافة الوراثة إلى النساء أنهنّ بمنزلة المال، فيشمل نفسهنَّ والمال الذي عندهنّ»[2].

أَقُوْلُ: ﴿كَرْهًا﴾ لا يكون قيداً احترازياً ولا توضِيْحِيّاً بَلْ هُوَ قَيْدٌ غالِبِيٌّ كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[3].

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي وفعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. والجملة معطوف على ﴿أَن تَرِثُواْ﴾. العضل: هو المنع والتضييق والتشديد.

﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

---

١. ردّاً على صاحب الميزان ٤/ ٢٥٤.

٢. مواهب الرحمن ٧/ ٣٩٧ مع تصحيح منّا في الوجه الثالث.

٣. سورة النساء / ٢٣.

﴿تَذْهَبُواْ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿لِ﴾ وفاعله.

﴿بِبَعْضِ﴾ جار ومجرور. ﴿مَآ﴾ اسم موصول في محل جرّ بالإضافة.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فعل ماض وفاعله. مفعول به. فلا يجوز التضييق عليهنّ ليضطررن إلى بذل صداقهنّ، فهذا التضييق محرّم على الزوج.

﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء. ﴿أَن﴾ حرف مصدري ناصب.

﴿يَأْتِينَ﴾ فعل مضارع في محلّ نصب وفاعله.

﴿بِفَـٰحِشَةٍ﴾ جار ومجرور، أي بزنا أو معصية كبيرة غيرها.

﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ صفة. أي يثبت شرعاً بإقرار أو شهود أو أن رآها الزوج بنفسه. فله حينئذٍ أن يعضلها ويضيق عليها والمفارقة عنها ببذل مهرها.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿عَاشِرُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، يدلّ على وجوب معاشرتهنّ بالكيفية الآتية.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ جار ومجرور. «المعروف: هو الأمر الذي يعرفه الناس في مجتمعهم من غير أن ينكروه ويجهلوه»[١].

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به في محلّ جزم فعل الشرط.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿عَسَىٰٓ﴾ فِعْلٌ ماضٍ جامد تامٌّ بمعنى اشفاق. و «هو إظهار الأمر المعلوم في صورة المشكوك المحتمل اتقاءً من تيقظ غريزة التعصب في المخاطب نظير قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢]»[٣].

﴿أَن﴾ حرف مصدري ناصب.

﴿تَكْرَهُواْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَن﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل

---

١. الميزان ٤/ ٢٥٥.
٢. سورة سبا / ٢٥.
٣. الميزان ٤/ ٢٥٧.

مصدر في محلِّ رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾ والتقدير: ﴿عَسَىٰٓ﴾ كرهتم.

﴿شَيۡـٔٗا﴾ مفعول به. والجملة الفعلية ﴿تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ صلة حرف مصدري لا محلّ لها من الإعراب أو يكون جواب الشرط محذوفاً.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَجۡعَلَ﴾ فعل مضارع منصوب معطوف على ﴿تَكۡرَهُواْ﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله. ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى ﴿شَيۡـٔٗا﴾.

﴿خَيۡرٗا﴾ مفعول به. ﴿كَثِيرٗا﴾ نعته.

## الروايات

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾: «فإنّه كان في الجاهلية في أوّل ما أسلموا من قبائل العرب إذا مات حميم الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها، فورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها، يرث نكاحها كما يرث ماله، فَلَمّا مات أبو قيس بن الأسلت ألقى محصن بن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه وهي كبيشة بِنت معمر بن معبد، فورث نكاحها ثمّ تركها لا يدخل بها ولا ينفق عليها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا رسول الله، مات أبو قيس بن الأسلت، فورث ابنه محصن نكاحي فلا يدخل علي ولا ينفق علي، ولا يخلي سبيلي فألحق بأهلي؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارجعي إلى بيتك، فإن يحدث الله في شأنك شيئاً أعلمتك، فنزل: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[1] فلحقت بأهلها. وكانت نساء في المدينة قد ورث نكاحهنَّ كما ورث نكاح كبيشة غير أنه ورثهنَّ من الأبناء، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾.[2]

عن إبراهيم بن ميمون، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال سألتُه عن قول الله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ قال: الرجل تَكُون في حِجره اليتيمة، فيمنعها من التزويج، يَضُرُّ بها، تكون قريبةً له.

---

١. سورة النساء / ٢٢.

٢. تفسير القمي ١/ ١٣٤.

قلت: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾؟ قال: الرجل تكون له المرأة، فيَضُرُّ بها حتّى تفتدي منه، فنهى الله عن ذلك.[١]

عن هاشم بن عبدالله بن السَّرى الجَلِيّ، قال: سألتُهُ عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، قال: فحكى كلاماً، ثمّ قال: كما يقولون بالنَّبَطيَّة، إذا طرح عليها الثوب عَضَلها، فلا تستطيع تزويج غيره، وكان هذا في الجاهلية.[٢]

في ذيل قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ والأولىٰ حمل الآية على كلِّ معصية؛ لأنّ العموم يقتضي ذلك وهو المروي عن أبي جعفرٍ عليه السلام واختاره الطبريّ.[٣]

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿٢٠﴾

لما حثّ الله تعالى على حسن معاشرة النساء ومصاحبتهنّ عَقَّبَهُ ببيان حال إِقامة زوجة مكان أُخرى فقال مخاطباً للأزواج:

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَرَدتُّمُ﴾ فعل ماض وفاعله في محلِّ جزم لأنّه فعل الشرط، والضمير يرجع إلى الأزواج. أي طلبتم.

﴿ٱسْتِبْدَالَ﴾ مفعول به. الاستبدال: هو طلب البدل وَإِقامة زوجة مكان زوجة أُخرى، ومنه يظهر حكم تخلية المرأة سواء استبدل مكانها أو لم يستبدل.

﴿زَوْجٍ﴾ مضاف إليه.

﴿مَّكَانَ﴾ اسم موضع منصوب على الظرفية ويجوز أن يكون مفعولاً به لِـ ﴿ٱسْتِبْدَالَ﴾.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٧٨، ح٦٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٩، ح٦٦.
٣. التبيان ٣/ ١٥٠؛ مجمع البيان ٣/ ٢٤.

﴿زَوْجٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿إِحْدَىٰهُنَّ﴾ مفعول به أوّل ومضاف إليه.

﴿قِنطَارًا﴾ مفعول به ثان. القنطار: المال الكثير واختلفوا في مقداره وقد مضى تفسيره في قوله تعالى: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾[1] في هذا المجلد[2].

قال الشيخ: «معناه: ليس ما آتيتموهنَّ موقوفاً على التمسك بهنَّ، دون تخليتهنّ، فيكون إذا أردتم الاستبدال جاز لكم أخذه، بل هو تمليك صحيح، لا يجوز الرجوع فيه. والمراد بذلك ما أعطى المرأة مهراً لها، ويكون دخل بها، فأمّا إذا لم يدخل بها، وطلّقها، جاز له أن يسترجع نصف ما أعطاها، فأمّا ما أعطاها على وجه الهبة، فظاهر الآية يقتضي أنه لا يجوز له الرجوع في شيء منه. لكن علمنا بالسنة أن ذلك سائغ له، وإن كان مكروهاً»[3].

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَأْخُذُوا۟﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. جواب الشرط.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿قِنطَارًا﴾.

﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول به. ﴿أَ﴾ استفهامٌ توبيخيٌّ وإنكاريٌّ.

﴿تَأْخُذُونَهُۥ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به.

﴿بُهْتَٰنًا﴾ حال من فاعل ﴿تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي في حال كونكم باهتين وآثمين، أو مفعولاً لأجله. «وأصل البهتان: الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة... فالبهتان: كذبٌ يحير صاحبه»[4].

ويمكن إرجاعه إلى أصل ٱلْأَخْذِ بأنّه يكون ﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ كما عليه الفقيه السَّيِّدُ السبزواري[5]، فيكون تعليلاً لنهي ﴿لَا تَأْخُذُوا۟﴾ أو نسبة البهتان والفاحشة إلى

---

١. سورة آل عمران / ٧٥.
٢. راجع أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ ٣٧٧.
٣. التبيان ٣/ ١٥١.
٤. التبيان ٣/ ١٥٢.
٥. مواهب الرحمن ٧/ ٤٠٢.

المرأة لأجل أخذ مهرها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِثْمًا﴾ معطوف على ﴿بُهْتَٰنًا﴾ عطفاً تفسيرياً.

﴿مُّبِينًا﴾ نعته. أي ظاهراً لا شَكَّ فيه.

## روايةٌ

عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عمَّن تَزَوَّج على أكثر من مَهْر السُّنّة، أيجوز له ذلك؟

قال: إذا جاز مَهْر السُّنّة فليس هذا مهراً، إنّما هو نحل[1]، لأنّ الله يقول: فَإِنْ ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ إنّما عنى النحل ولم يعنِ المَهْر، ألا ترى أنَّها إذا أمهرها مَهْراً ثمّ اختلعت كان لها أن تأخُذ المَهْر كَمَلاً فما زاد على مَهْر السُّنَّة فإنَّما هو نحل كما أخبرتك، فمِن ثَمَّ وجب لها مهر نسائها لِعلّة من العلل.

قلت: كيف يعطى وكَم مهر نسائها؟

قال: إنّ مَهْر المؤمنات خمسمائة، وهو مَهْر السُّنّة، وقد يكون أَقَلَّ من خمسمائة، ولا يكون أكثر من ذلك، ومن كان مهرها ومهر نسائها أقلّ من خمسمائة أُعطي ذلك الشيء، ومن فَخَر وبَذَخ بالمَهْر، فازداد على خمسمائة، ثمَّ وجب لها مَهْرُ نسائها في عِلَّة من العِلَل، لم يَزِد على مَهْر السُّنّة خمسمائة دِرْهَم.[2]

**بذخ: تكبَّر وارتفع.**

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٢١﴾

تعليلٌ آخَرُ لمنع الأخذ من مال المرأة مبالغة في التنفير والقبح.

﴿وَ﴾ حالية.

---

١. النُّحل: العطاء، والنَّحل: الشيء المُعطىٰ.

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٧٩، ح٦٧.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام في محلٍّ نصب حال. استفهام توبيخي أو تعجبيٌّ.

﴿تَأْخُذُونَهُۥ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية في محلٍّ نصب حال.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَفْضَىٰ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. الإفضاء: الوصول إلى شيءٍ بالملابسة له، وهي هنا كناية عن الجماع والمباشرة.

﴿بَعْضُكُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور. وحذف ضمير المضاف إليه اختصاراً أي إلى بعضكنَّ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَخَذْنَ﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿أَفْضَىٰ﴾.

﴿مِنكُم﴾ جار ومجرور.

﴿مِّيثَٰقًا﴾ مفعول به، الميثاق: هو العهد المؤكَّد المشدّد. والمراد به هنا:

قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.[2]

أو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخذ تموهنَّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله.[3]

أو أنّ المراد به: العُلقة الزوجية التي أبرمها وأنشأهما بعقد النكاح ومن لوازمها الصداق الذي تستحقه المرأة من الرجل بتمامه بعد دخوله بها ونصفه بعد العقد.

﴿غَلِيظًا﴾ نعته.

## روايةٌ

صحيحة بُرَيْد قال سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ قال: الميثاق هي الكلمة التي عقد بها النكاح، وأما قوله: ﴿غَلِيظًا﴾ فهو

---

١. سورة البقرة / ٢٢٩.
٢. التبيان ٣/ ١٥٣؛ مجمع البيان ٣/ ٢٦.
٣. التبيان ٣/ ١٥٣؛ مجمع البيان ٣/ ٢٦.

ماء الرجل يفضيه إلى امرأته.[١]

**رواها في تفسير العياشي[٢].**

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

تذكر الآية الشريفة وما بعدها ٱلْمُحَرَّماتِ من النساء في النكاح وتبيّن النكاح المحلّل الصحيح من المحرّم الفاسد وتحدّد مسؤولية المؤمن تجاه التناكح والتناسل.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَنكِحُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله. مادة نكح تدلّ على الانضمام والاختلاط وتطلق على العَقْدِ باعتبار كونه سبباً لاختلاط أحد الزوجين مع الآخر بالوجه الشرعي كما تطلق على ما وراء العقد وما يقصد به أو على مسبَّبه الواقعي وهو الوطاء.

﴿مَا﴾ اسم موصول، مفعول به. ﴿نَكَحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ.

﴿ءَابَآؤُكُم﴾ فاعله ومضاف إليه. والمراد بهم كلّ من صدق عليه الأب من ناحية الأَب والأُمّ فيدخل فيه الأجدادُ مِنَ ٱلْأَبَوَيْنِ وإنْ عَلَوْا. وجملة ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ صلة الموصول والضمير العائد إلى الموصول محذوف اختصاراً منصوب محلّاً لأنّه مفعول به. والتقدير: «ما نكحها آباؤكم» بمعنى «لا تنكحوا زوجات آبائكم الأرامل». بلا فرق بين النكاح بالعقد الشرعي الدائم أو الموقت، والموطوءة بالملك والموطوءة بالسفاح «ويدلّ على ذلك الإجماع والأخبار المستفيضة»[٣].

﴿مِّنَ﴾ حرف جر، بيانيٌّ.

﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ مجروره متعلّق بحال محذوف من موصول ﴿مَا﴾.

---

١. الكافي ١١/ ٢٩٣، ح١٩ (٥/ ٥٦١).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٨٠، ح٦٨.
٣. مواهب الرحمن ٨/ ٦.

﴿إِلَّا﴾ اداة استثناء بمعنى لكن.

﴿مَا﴾ اسم مستثنى في محلٍّ نصب على الاستثناء المنقطع لأنّ الماضي لا يستثني من المستقبل على سبيل الاتصال.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿سَلَفَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر. يعني في الجاهلية قبل ورود النهي فانقضت بموت أو طلاق فإنّكم لا تؤخذون به. فلا يتناول ما يتجدّد في المستقبل.

﴿إِنَّهُۥ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. واسمه يرجع إلى نكاح ما نكحها الآباء.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه ضمير مستتر.

﴿فَٰحِشَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. وجملة ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ في محلِّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. تقدّم معناه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَقْتًا﴾ معطوف. المقت: «هو بغض عن أمر قبيح ركبه صاحبه»[1]. أي مبغوض عند الشرع والعقل.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿سَآءَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر. أي بئس وقبح.

﴿سَبِيلاً﴾ تمييز. أي بئس نكاح منكوحة الآباء عملاً وطريقاً وسبيلاً.

وَرَدَتْ ثَلاثَةُ تأكيدات لهذا النهي للإعلام بشناعة هذا الفعل وهنَّ: ١ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ ٢ـ ﴿وَمَقْتًا﴾ ٣ـ ﴿وَسَآءَ سَبِيلاً﴾.

## الروايات

صحيحة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال: لو لم يحرم على الناس أزواج النبي صلى الله عليه وآله لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[2] حرمن على الحسن والحسين عليهما السلام لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا

---

١. التبيان ٣/ ١٥٥.

٢. سورة الأحزاب / ٥٣.

تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولا يصلح للرجل أن ينكح امرأة جده.[١]

**رواها الشيخ في التهذيب[٢] والاستبصار[٣]. والأشعري في نوادره[٤].**

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فلا يَصْلُح للرجل أن يَنْكِح امرأة جَدّه.[٥]

عن الحسين بن زيد، قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله حرَّم علينا نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.[٦]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾

تذكر الآية الشريفة تتمة محرّمات النساء في النكاح.

﴿حُرِّمَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث مبني على المجهول.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلَّق بـ ﴿حُرِّمَتْ﴾. والضمير يرجع إلى المسلمين.

﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. تذكر أوّلاً المحرّمات بالنسب وَهُنَّ سبعة

---

١. الكافي ١٠/ ٨٢١، ح١ (٥/ ٤٢٠).
٢. التهذيب ٧/ ٢٨١، ح١١٩٠.
٣. الاستبصار ٣/ ١٥٥، ح٥٦٦.
٤. النوادر / ١٠١، ح٢٤٤.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٨٠، ح٦٩.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٨٠، ح٧٠.

أصناف: الأوّلىٰ: ٱلْأُمُّ: وهي من اتصل إليها نسب الإنسان بالنطفة أو الولادة ـ بلا فرق بين النكاح الشرعي أو الشبهة أو الزنا وكذلكِ ما بعدها فلم أُكرر ـ، بلا فرق بين أن تكون ولدته بواسطة أو من دون واسطة كأُمّ الأُمّ ووالدة الأب فتشمل الجدادت وإن عَلَوْنَ.

﴿وَ﴾ عاطفة. وكذلكِ ما بعدها من الواوات.

﴿بَنَاتُكُمْ﴾ معطوفة. الثانية: البنت: وهي من اتصل نسبها بالإنسان بسبب أنّها مولودة من نطفته وصُلْبِهِ بلا واسطة أو معها فتشمل بنت الابن (حفيدة) أو بنت البنت (سبطة) وإن نزلن.

﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ الثالثة: الأخت: وهي من اتصل نسبها بالإنسان بسبب ولادتهما من أُمّ واحدة أو أب واحد أو مِنْ كِلَيْهِما وهي الشَّقيقةُ.

﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ الرابعة: العمّة: وهي: أُخت الأب وكذا عمّة الأب وهي أُخت الجدّ وعمة الأُمّ وهي أُخت الجدّ الأُمّي وإن عَلَوْنَ.

﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ الخامسة: الخالة: وهي: أُخت الأُمّ وكذا خالة الأب وهي أُخت أُمّ الأب (أُخت الجدّة من جهة الأب) وخالة الأُمّ وهي أُخت أُمّ الأُمّ (أُخت الجدّة من جهة الأُمّ) وإن عَلَوْنَ.

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ السادسة: بنت الأخ: وهي كلّ أُنثى أنتَ عمّها أو عمّ أبيها أو عمّ أُمّها وإن نزلن.

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ السابعة: بنت الأُخت: وهي كلّ أُنثى أنتَ خالها أو خال أبيها أو خال أُمّها وإن نزلن.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ حرف عطف ومعطوفه واسم موصول وفعل ماض وفاعله ومفعول به. وهذا شروع في بيان المحرمات بالسبب وهي سبع أيضاً، ست منها في هذه الآية والواحدة الباقية في الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1] ومرّ بيانها.

---

١. سورة النساء / ٢٢.

فالثانية من المحرمات بالنسب: الأُمّ الرضاعية وهي: كلّ أمراة شربتَ لبنها بشرائط الرَّضاعِ المحرّم التسعة المذكورة في ٱلْكُتُبِ الفقهية.

﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ الثالثة: الأُخت الرضاعية وهي: كلّ امرأة شربتَ من لبن أُمّها بشرائط الرَّضاع المحرّم. والحرمة الرَّضاعية لا تختص بهاتين ـ أي الأُمّ والأُخت الرضاعيتين ـ بل «كلّ عنوان نسبي محرّم من العناوين السبعة المتقدمة إذا تحقّق مثله في الرضاع يكون محرّماً، فالأمّ الرضاعيّة كالأُمّ النسبيّة، والبنت الرضاعيّة كالبنت النسبيّة وهكذا. فلو أرضعت امرأة من لبن فحل طفلًا حرمت المرضعة وأُمّها وأُمّ الفحل على المرتضع للُأمومة، والمرتضعة وبناتها وبنات المرتضع على الفحل وعلى أبيه وأبي المرضعة للبنتيّة، وحرمت أُخت الفحل وأُخت المرضعة على المرتضع لكونهما عمّة وخالة له، والمرتضعة على أخي الفحل وأخي المرضعة لكونها بنت أخ أو بنت أُخت لهما، وحرمت بنات الفحل على المرتضع والمرتضعة على أبنائه ـ نسبيّين كانوا أم رضاعيّين ـ وكذا بنات المرضعة على المرتضع والمرتضعة على أبنائها إذا كانوا نسبيّين للأُخوة»[1].

«لقوله ﷺ: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[2].

وهذه الحرمة ـ أي الحرمة بالرَّضاعة ـ من مختصات الشريعة الإسلامية.[3]

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ الرابعة: أُمّ الزوجة وهي كلّ امرأة ولدتْ زوجتك أو أنّها من نطفتها وإن علت تحرم بمجرد العقد على البنت وإن لم يدخل بها. بلا فرق بين المعقودة والمملوكة ٱلْمَوْطُوْءَة.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ الخامسة: الربيبة وهي بنت زوجتكَ من الزوج الآخر سواء كان هو قبلك أو بعدك وإن نزلت بشرط الدخول بأُمّها. وأمّا قيد ﴿فِى حُجُورِكُم﴾ فَهُوَ غالبيٌّ.

﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمّا إذا لم تدخل بأُمّها فلا

---

١. وسيلة النجاة ٢/ ٤٣٨ لآية الله السيّد أبوالحسن الأصفهاني ﷺ. أعداد الشيخ أحمد زادهوش.
٢. التبيان ٣/ ١٥٧.
٣. الميزان ٤/ ٢٦٣.

بأس من نكاحها. فالربيبة لا تحرم بالعقد بل تحرم بالدخول.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمۡ﴾ السادسة: حليلة الإبن وهي زوجته بلا فرق بين الابن وابن الابن وابن البنت، فهي زوجة كلّ رجل يتصل بكَ بالنطفة. بلا واسطة أو معها. وهي بنفس العقد الصحيح تحرم عليك. بلا فرق بين دخول ولدك بها وعدمه.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز عن حليلة مَن يدعىٰ ابناً بالتبني دون النطفة.

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ السابعة: أُخت الزوجة مادام النكاح الْأَوَّلُ باقِياً أو هي في العدّة الرجعية وأمّا إذا ماتت أو طلقت بالطلاق البائن فلا بأس بنكاح أُختها. ولكن المالكية والحنفية والحنبلية لا يرون الفرق بين العدّة الرجعية والبائنة في عدم جواز نكاح أُختها ما لم تنقض عدّتها خلافاً للإمامية والشافعية حيث يرون الفرق بين العدّتين ففي الرجعية لا يجوز إلّا بعد انقصائها ولكن في البائنة يجوز.[1]

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ في الأديان السابقة نحو شريعة إبراهيم عليه السلام على ما أخذ حفيده يعقوب أُختين أو في الجاهلية. أمّا بعد نزول الآية فلا يجوز الجمع وإن كان في زمن نزولها عند أحدٍ أُختين فلابدّ من أن يطلق إحداهما وتبقىٰ له واحدة منهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ تعليل بالنسبة إلى ما وقع قبل نزول الآية من ارتكاب المحرمات وما بعدها من الآثام والذنوب والمعاصي وآثارها لأنّ فوران الشهوة قوي والنفس أمّارة بالسوء وإبليس اللعين مكّار والقوة العقلية في الإنسان ضعيفةٌ والإيمان والتقوى أضعف منها فلابدّ من تذكار قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

## الروايات

قال علي بن إبراهيم: فإنّ الخوارج زعمت أن الرجل إذا كانت لأهله بنت ولم يُرَبِّها، ولم تكن في حجره حلّت له لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾. قال الصادق عليه السلام: «لا تحلّ له».[2]

خبر أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما

---

١. التفسير الكاشف ٢/ ٢٨٧.
٢. تفسير القمي ١/ ١٣٥.

يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام ؟ قلتُ: ينكرون علينا أنّهما ٱبْنا رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال: فأي شيءٍ احتججتم عليهم؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عزّ وجلّ في عيسى ابن مريم عليهما السلام : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[1] فجعل عيسى ابن مريم من ذرّيّة نوح عليه السلام . قال: فأيَّ شيءٍ قالوا لكم؟. قلتُ: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب. قال: فأيَّ شيءٍ احتججتم عليهم؟. قلتُ: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[2].[3]

قَالَ: فَأَيَّ شَيءٍ قَالُوا؟

قُلْتُ: قَالُوا: قَدْ يَكونَ في كلامِ العربِ أَبناءُ رجلٍ، وآخَرُ يقولُ: أَبناؤُنا.

قال: فقالَ أبو جعفر عليه السلام : يا أَبا الجارود، لأُعطِيَنَّكَها من كتاب الله جلّ وتعالىٰ أَنَّهما من صلبِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يَرُدُّها إلّا كافرٌ.

قُلتُ: وأَينَ ذلك، جُعِلتُ فِداكَ؟

قالَ: مِنْ حيثُ قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ الآية إلى أنِ انتهىٰ إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ فَسَلْهُمْ يا أبا الجارود: هل كانَ يحلُّ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم نِكاحُ حَلِيلَتَيْهِما[4]؟ فإنْ قالوا: نعم، كذبوا وفجروا[5]، وإنْ قالوا: لا، فَهُمَا ابناهُ لِصُلْبِهِ.

**الرواية موثقة سنداً على القول بوثاقة أبي الجارود كما عليه المفيد وتابعه السيّد الخوئي.**

---

١. سورة الأنعام، ص٨٤ و ٨٥.

٢. سورة آل عمران / ٦١.

٣. الكافي ١٥/ ٧١١، ح٥٠١ (٨/ ٣١٧).

٤. في بحارالأنوار والوافي: «حليلتها». وقال الراغب: «الحليلة: الزوجة، وجمعها: حلائل». وقال ابن الأثير: «حليلة الرجل: امرأته، والرجل حليلها؛ لأنّها تحلّ معه ويحلّ معها. وقيل: لأنّ كلّ واحد منهما يحلّ للآخر». المفردات للراغب، / ٢٥٢؛ النهاية، ١/ ٤٣٠ (حلل).

٥. يقال: فجر، أي فسق، وكذب، وكذّب، وعصى، وخالف. والفاجر: هو المنبعث في المعاصي والمحارم. راجع: النهاية ٣/ ٤١٣؛ القاموس المحيط ١/ ٦٣٤ (فجر).

معتبرة عبيد بن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في الرّجل: تَكُوْنُ له الجارية يصيب منها أَ لَهُ أن يَنْكِحَ ٱبْنَتَها؟ قال: لا، هي مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾.[١]

**رواها العياشي في تفسيره[٢].**

صحيحة محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل كانت له جارية فعتقت فتزوجَّت فولدت أيصلح لمولاها الأوّل أن يَتَزَوَّجَ ابنتها؟ قال: هي عليه حرام وهي ابنته والحرّة والمملوكة في هذا سواء ثمّ قرأ هذه الآية ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾.[٣]

**رواها العياشي في تفسيره[٤].**

عن محمّد بن مسلم، عن أَحَدِهِما عليهما السلام ، قال قلت له: أرأيت قَوْلَ الله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾[٥]؟

قال: إنَّما عنى به الَّتي حرّم عليه في هذه الآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾.[٦]

وعن أبي العباس: في الرجل تكون له الجارية، يُصيب منها ثمّ يبيعها، هل له أن يَنْكِحَ ٱبنتَها؟

قال: لا، هي ممّا قال الله تعالى: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾.[٧]

وعن أبي حمزة، قال سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن رجلٍ تزوَّج امرأةً وطلَّقها قبل أن يَدْخُلَ بها، أتحِلّ له ابنتها؟

قال: فقال: قد قضى في هذا أميرُالمؤمنين عليه السلام، لا بأس به، إنّ اللهَ يقول: ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم

---

١. الكافي ١٠/ ٨٥٧، ح١٢ (٥/ ٤٣٣).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٨٢، ح٧٦.
٣. الكافي ١٠/ ٨٥٥، ح١٠ (٥/ ٤٣٣).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٨١، ح٧٢.
٥. سورة الأحزاب/ ٥٢.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٨٠، ح٧١.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٨١، ح٧٣.

بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ولو تزوَّج الابنة ثمّ طلّقها قبل أن يدخل بها لم تَحِلّ له أُمُّها.

قال: قُلْتُ: أليس هما سَواء؟ قال: فقال: لا، ليس هذه مِثْلَ هذه، إنّ الله يقول: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ لم يستثنِ في هذه كما اشترط في تلك، هذه هنا مبهمةٌ ليس فيها شَرطٌ، وتلك فيها شَرط.[١]

وعن إسحاق بن عمّار، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام : أنَّ عليّاً عليه السلام كان يقول: الربائبُ عليكم حرامٌ مع الأُمَّهات اللَّاتي دَخَلتم بهنّ في الحُجُور أو غير الحُجُور، والأُمّهات مبهماتٌ دُخِل بالبنات أو لم يُدْخَلْ بهنّ، فَحَرِّموا وأبْهِمُوا ما أبهم الله.[٢]

**رواها الشيخ بسنده المعتبر في الاستبصار[٣].**

صحيحة عبدالله بن سنان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إذا كانت عند الرجل الأُختان المملوكتان فنكح إحداهما ثمّ بدا له في الثانية فنكحها فليس ينبغي له أن ينكح الأخرى حتّى تخرج الأُولى من ملكه يهبها أو يبيعها فَإِنْ وهبها لولده يجزيه.[٤]

موثقة معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل كانت عنده جاريتان أُختان فوطأ إحداهما ثمّ بدا له في الأخرى قال: يعتزل هذه ويطأ الأخرى، قال: قلت: فإنه تنبعث نفسه للأولى قال: لا يقرّبها حتّى يخرج تلك عن ملكه.[٥]

موثقة الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال محمّد بن علي عليهما السلام : في أُخْتَيْنِ مملوكتين تكونانِ عند الرجل جميعاً قال: قال عليٌّ عليه السلام : احلتهما آية وحرمتهما آية أخرى وأنا أنهى عنهما نفسي وولدي.

**قال الشيخ: فلا ينافي ما ذكرناه؛ لأَنَ قَوْلَهُ عليه السلام : أَحَلَّتْهُما آية يعنى آية الملك دون الوطئ، وقوله عليه السلام : وحرمتهما آية أخرى يعني في الوطئ دون الملك، ولا تنافى بين الآيتين ولا بين القولين، وقوله عليه السلام : أَنا أَنهى عنهما نفسي وولدي. يجوز أن يكون أراد به عن الوطئ عن جهة التحريم، ويجوز**

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٨١، ح٧٤.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٨٣، ح٧٧.
٣. الاستبصار ٣/ ١٥٦، ح١.
٤. التهذيب ٧/ ٢٨٨، ح٤٨.
٥. التهذيب ٧/ ٢٨٨، ح٤٩.

**أيضا أن يكون أراد الكراهية في الجمع بينهما في الملك حسب ما قدمناه. ومتى كان عند الرجل أُختان مملوكتان فوطئ إِحداهُما ثمّ وَطِئَ الأُخرى وهو عالِمٌ بِأَن ذلك حرام عليه فإنّه تَحْرُم عليه الأُولى حتّى يخرج الأخيرة من ملكه، يدل على ذلك ما رواه.**[1] **[في]:**

مُوَثَّقَة مَعْمَرِ بن يحيى بن سامٍ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروي الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام عن أشياءَ من الفروج لم يكن يأمر بها ولا ينهى عنها إلّا نفسه وولده فقلت: كيف يكون ذلك؟ قال: أَحَلَّتْها آية وَحَرَّمَتْها آية أخرى فقلنا: هل إلّا أن تَكُوْنَ إِحداهما نسخت الأخرى أم هما محكمتان ينبغي أن يعمل بهما فقال: قد بين لهم إذ نهى نفسه وولده قلنا ما منعه أن يبين ذلك للناس؟ قال: خشي ألّا يُطاعَ ولو أن أمير المؤمنين ثبتت قَدَماهُ أقام كتاب الله كلّه والحقّ كلّه.[2]

**إلى هنا انتهى الجزء الرابع من أجود البيان في تفسير القرآن بيد مولِّفه الفاني العبد هادي النجفي في عشية يوم الثلاثا السابع من شهر صفر سنة ١٤٣٥ هـ. ق ـ في ذكرى يوم استشهاد السبط الأكبر الحجة الثاني الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام كريم أهل البيت عليهم السلام ـ بمدينة أصبهان صانها الله تعالى عن الحدثان.**

**والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين.**

---

١. التهذيب ٧/ ٢٨٩، ح٥١.
٢. الاستبصار ٣/ ١٧٣، ح٥.

# فهرس

تقريظ فضيلة العلّامة المحقّق الحجة السيّد عبدالستار الحسني البغدادي دام ظله ٣

**سورة آل عمران**

الآية (٩٣) ..... ٧
روايتان ..... ٩
الآية (٩٤) ..... ١٠
الآية (٩٥) ..... ١١
روايتان ..... ١٣
الآية (٩٦) ..... ١٣
الروايات ..... ١٤
الآية (٩٧) ..... ١٨
الروايات ..... ٢٠
الآية (٩٨) ..... ٢٥
الآية (٩٩) ..... ٢٦
قصة نزول الآيتين ..... ٢٨
الآية (١٠٠) ..... ٢٩
الآية (١٠١) ..... ٣١
الروايات ..... ٣٣
الآية (١٠٢) ..... ٣٤
الروايات ..... ٣٦
الآية (١٠٣) ..... ٣٨
الروايات ..... ٤٠
الآية (١٠٤) ..... ٤٨
الروايات ..... ٤٩
الآية (١٠٥) ..... ٥١
الروايات ..... ٥٢
الآية (١٠٦) ..... ٥٣
الروايات ..... ٥٤
الآية (١٠٧) ..... ٥٦
الروايات ..... ٥٦
الآية (١٠٨) ..... ٥٩

روايةٌ ..... ٦١
الآية (١٠٩) ..... ٦١
الآية (١١٠) ..... ٦٢
الروايات ..... ٦٤
الآية (١١١) ..... ٦٥
الآية (١١٢) ..... ٦٧
الروايات ..... ٦٩
الآية (١١٣) ..... ٧٠
الروايات ..... ٧١
الآية (١١٤) ..... ٧٣
الآية (١١٥) ..... ٧٥
الروايات ..... ٧٥
الآية (١١٦) ..... ٧٦
الآية (١١٧) ..... ٧٨
الرواية ..... ٧٩
الآية (١١٨) ..... ٧٩
روايتان ..... ٨١
الآية (١١٩) ..... ٨٢
الآية (١٢٠) ..... ٨٤
الآية (١٢١) ..... ٨٦
الروايات ..... ٨٨
قصة أُحد ..... ٨٨
الآية (١٢٢) ..... ٩٨
روايةٌ ..... ٩٩
الآية (١٢٣) ..... ٩٩
الروايات ..... ١٠٢
الآية (١٢٤) ..... ١٠٣
الآية (١٢٥) ..... ١٠٤
الروايات ..... ١٠٥
الآية (١٢٦) ..... ١٠٧
الآية (١٢٧) ..... ١١٠
الآية (١٢٨) ..... ١١١
الروايات ..... ١١٢
الآية (١٢٩) ..... ١١٣
الآية (١٣٠) ..... ١١٥
روايةٌ ..... ١١٦
الآية (١٣١) ..... ١١٦
الآية (١٣٢) ..... ١١٧
الآية (١٣٣) ..... ١١٨
روايتان ..... ١٢٠
الآية (١٣٤) ..... ١٢١
الروايات ..... ١٢٢
الآية (١٣٥) ..... ١٢٥
الروايات ..... ١٣٠
الآية (١٣٦) ..... ١٣٢
روايتان ..... ١٣٣
الآية (١٣٧) ..... ١٣٦
الآية (١٣٨) ..... ١٣٧
الآية (١٣٩) ..... ١٣٧
تَنْبِيْهٌ مُهِمٌّ ..... ١٣٩

روايةٌ ..... ١٤٠
الآية (١٤٠) ..... ١٤٠
روايتان ..... ١٤٣
الآية (١٤١) ..... ١٤٣
الروايات ..... ١٤٤
الآية (١٤٢) ..... ١٤٥
تنبيه ..... ١٤٧
روايتان ..... ١٤٧
الآية (١٤٣) ..... ١٤٨
روايةٌ ..... ١٤٩
الآية (١٤٤) ..... ١٥٠
الروايات ..... ١٥٢
الآية (١٤٥) ..... ١٦١
الروايات ..... ١٦٤
الآية (١٤٦) ..... ١٦٥
الروايات ..... ١٦٨
الآية (١٤٧) ..... ١٦٩
الآية (١٤٨) ..... ١٧١
روايةٌ ..... ١٧٢
الآية (١٤٩) ..... ١٧٢
روايةٌ ..... ١٧٤
الآية (١٥٠) ..... ١٧٤
الآية (١٥١) ..... ١٧٥
الروايات ..... ١٧٨
الآية (١٥٢) ..... ١٧٩
روايةٌ ..... ١٨٢
الآية (١٥٣) ..... ١٨٢
روايةٌ ..... ١٨٥
الآية (١٥٤) ..... ١٨٦
روايتان ..... ١٨٩
الآية (١٥٥) ..... ١٩٠
الروايات ..... ١٩٢
الآية (١٥٦) ..... ١٩٤
الآية (١٥٧) ..... ١٩٧
الروايات ..... ١٩٨
الآية (١٥٨) ..... ١٩٩
الروايات ..... ١٩٩
الآية (١٥٩) ..... ٢٠١
الروايات ..... ٢٠٤
تذكيرٌ في سرّ عظمة رسول الله ٢٠٧
مُرضعته وكافله ..... ٢٠٨
أوصافه ..... ٢٠٨
النبي والفقر ..... ٢٠٨
مراتب دعوته ..... ٢٠٩
الآية (١٦٠) ..... ٢١١
روايةٌ ..... ٢١٢
تنبيهٌ: في التوكل وحقيقته وشروطه
ودرجاته وثمراته ..... ٢١٣
حقيقة التوكل ..... ٢١٣
شروط التوكّل ..... ٢١٤

درجات التوكّل ..... ٢١٦
ثمرات التوكّل ..... ٢١٨
الآية (١٦١) ..... ٢١٨
الروايات ..... ٢٢٠
الآية (١٦٢) ..... ٢٢٢
الروايات ..... ٢٢٣
الآية (١٦٣) ..... ٢٢٤
روايةٌ ..... ٢٢٥
الآية (١٦٤) ..... ٢٢٥
الآية (١٦٥) ..... ٢٢٩
روايتان ..... ٢٣١
الآية (١٦٦) ..... ٢٣٢
الآية (١٦٧) ..... ٢٣٣
شأن نزولها ..... ٢٣٥
الآية (١٦٨) ..... ٢٣٥
الآية (١٦٩) ..... ٢٣٧
الروايات ..... ٢٣٨
الآية (١٧٠) ..... ٢٤١
الروايات ..... ٢٤٣
الآية (١٧١) ..... ٢٤٥
الآية (١٧٢) ..... ٢٤٦
الروايات ..... ٢٤٧
الآية (١٧٣) ..... ٢٤٩
روايةٌ ..... ٢٥٢
الآية (١٧٤) ..... ٢٥٢
روايتان ..... ٢٥٣
الآية (١٧٥) ..... ٢٥٤
الروايات ..... ٢٥٦
الآية (١٧٦) ..... ٢٥٦
الآية (١٧٧) ..... ٢٥٨
الآية (١٧٨) ..... ٢٥٩
الروايات ..... ٢٦١
تبصرة في الكافر وعمل الخير ٢٦٢
الآية (١٧٩) ..... ٢٦٥
الروايات ..... ٢٦٧
الآية (١٨٠) ..... ٢٦٨
الروايات ..... ٢٦٩
الآية (١٨١) ..... ٢٧٢
روايتان ..... ٢٧٣
الآية (١٨٢) ..... ٢٧٤
روايةٌ ..... ٢٧٤
الآية (١٨٣) ..... ٢٧٥
الروايات ..... ٢٧٧
الآية (١٨٤) ..... ٢٧٩
روايةٌ ..... ٢٨٠
الآية (١٨٥) ..... ٢٨٠
الروايات ..... ٢٨٢
الآية (١٨٦) ..... ٢٨٩
الروايات ..... ٢٩٠
الآية (١٨٧) ..... ٢٩١

الروايات ..... ٢٩٢
الآية (١٨٨) ..... ٢٩٣
شأن نزولها ..... ٢٩٥
روايةٌ ..... ٢٩٦
الآية (١٨٩) ..... ٢٩٦
الآية (١٩٠) ..... ٢٩٧
الروايات ..... ٢٩٧
الآية (١٩١) ..... ٣٠٠
الروايات ..... ٣٠١
تذكرةٌ ..... ٣٠٣
الآية (١٩٢) ..... ٣٠٤
روايةٌ ..... ٣٠٥
الآية (١٩٣) ..... ٣٠٥
روايةٌ ..... ٣٠٧
الآية (١٩٤) ..... ٣٠٧
الآية (١٩٥) ..... ٣٠٨
الروايات ..... ٣١١
الآية (١٩٦) ..... ٣١٣
الآية (١٩٧) ..... ٣١٣
روايةٌ ..... ٣١٤
الآية (١٩٨) ..... ٣١٤
روايةٌ ..... ٣١٥
الآية (١٩٩) ..... ٣١٦
الآية (٢٠٠) ..... ٣١٨
الروايات ..... ٣١٩

## سُوْرَةُ النِّساء / ٣٢٥

فضلها ..... ٣٢٧
الآية (١) ..... ٣٢٩
الروايات ..... ٣٣١
الآية (٢) ..... ٣٣٦
الروايات ..... ٣٣٧
الآية (٣) ..... ٣٣٨
الروايات ..... ٣٤١
الآية (٤) ..... ٣٤٣
الروايات ..... ٣٤٥
الآية (٥) ..... ٣٤٧
الروايات ..... ٣٤٩
الآية (٦) ..... ٣٥٢
الروايات ..... ٣٥٧
الآية (٧) ..... ٣٦٠
الآية (٨) ..... ٣٦٣
الروايات ..... ٣٦٤
الآية (٩) ..... ٣٦٥
الروايات ..... ٣٦٧
الآية (١٠) ..... ٣٦٨
الروايات ..... ٣٦٩
الآية (١١) ..... ٣٧٢
الروايات ..... ٣٧٧
الآية (١٢) ..... ٣٨١
الروايات ..... ٣٨٥

الآية (١٣) ..... ٣٨٨
الآية (١٤) ..... ٣٨٩
تنبيهٌ ..... ٣٩٠
الآية (١٥) ..... ٣٩١
الروايات ..... ٣٩٢
الآية (١٦) ..... ٣٩٣
روايتان ..... ٣٩٤
الآية (١٧) ..... ٣٩٥
الروايات ..... ٣٩٦
الآية (١٨) ..... ٣٩٨
الروايات ..... ٤٠٠
الآية (١٩) ..... ٤٠١
الروايات ..... ٤٠٣
الآية (٢٠) ..... ٤٠٥
روايةٌ ..... ٤٠٦
الآية (٢١) ..... ٤٠٧
روايةٌ ..... ٤٠٨
الآية (٢٢) ..... ٤٠٩
الروايات ..... ٤١٠
الآية (٢٣) ..... ٤١١
الروايات ..... ٤١٤